



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٢٧ ع ١ ، ٢٩٦ صفحة (٢٠١٩م)

ردم ٠٩٨٩ - ١٣١٩

رقم الإيداع : ٠٢٩٤ / ١٤



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢٧ العدد ١

٢٠١٩م

مركز النشر العالمي
جامعة الملك عبدالعزيز
ص ب : ٨٠٩٠٠ - جدة : ٢١٥٨٩
الهيئة العامة للغذاء والدواء
<http://spc.kau.edu.sa>

■ هيئة التحرير ■

رئيساً

أ.د/ أحمد بن محمد صالح عذب
aazab@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ محمد بن جعفر عارف
Marif@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ عبد الرحمن بن رجا الله السلمي
aralsulami@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ محمد بن صالح ناحي الغامدي
Msalghamdil@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ أمل بنت يحيى الشيخ
Ayalshaikh@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ سامية بنت عبد الله بخاري
Sbukare@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ زكريا بن أحمد الشريبي
zalsherpeny@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ نهى بنت سليمان الشرفاً
Nalshurafa@kau.edu.sa

عضواً

د. زيني بن طلال الحازمي
Zalhazmi@kau.edu.sa

عضواً

د. سليمان مصطفى أيدن
slaydinn@hotmail.com

المحتويات

القسم العربي

الصفحة

- الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان
علي محمد إبراهيم شهاب ١
- أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية دراسة فقهية مقارنة
فاطمة بنت عويض الجلسي الحربي ٣٣
- تباين الرؤى حول كتاب البديع لابن المعتز دراسة في آراء الباحثين المعاصرين
عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب ٦٩
- رسالة الأشباه برّفع الاشتباه في علل النُحاة
محمد بن عيسى بن كنان الخلوتي الصالحيّ الدمشقيّ ٩٧
- صورة المرأة في مدح ابن حمديس دراسة موضوعية فنية
أنور يعقوب زمان ١٣١
- موضوعات علم المعاني في سورة القلم
سارة بنت نجر العتيبي ١٧٧
- أثر الباعث الديني في نشأة البلاغة العربية قراءة في حقبة التكوين إلى التأليف المستقل
وائل العمري ٢١١

- المشكلات التي تواجه الطالبه الجامعية المتزوجة في المجتمع السعودي
خليل عبد المقصود عبد الحميد إبراهيم و نجلاء بنت فهد بن محمد الشيباني..... ٢٢٩
- الاندماج الأكاديمي وعلاقته بالقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية ١
شروق غرم الله الزهراني..... ٢٥٥
- العلاقة بين الاتجاه نحو الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات لدى عينة من طلاب (مستخلص عربي)
د. أحمد نزار محمد قبيسي، أ.د. محمد سعيد الغامدي و د. عصام عبد اللطيف العقاد ٢٩٦

الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان

د. علي محمد إبراهيم شهاب

أستاذ الكتاب والسنة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية العلوم والآداب ببلقرن-جامعة بيشة

مستخلص. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فموضوع البحث هو الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس بالموضوعات. والدراسة تهدف إلى توضيح أساليب القرآن الحكيم ودورها في بناء عقل الإنسان وسلامته.

المقدمة

الحمد لله نعمه ونستهينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله على أشرف خلقه، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.

فإن الناظر في القرآن الكريم سيلحظ دعوته المتكررة لإعمال النظر والتفكير، وقد كان لهذه الدعوة - ومثيلاتها - أثرها الكبير في بناء عقل الإنسان وسلامته، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذْكُرُوا أَنِيتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾^(١). لقد نزل القرآن الكريم في فترة عصيبة، كانت فيها البشرية تتخبط في ظلمات الخرافة والجهل،

(١) سورة ص، آية: ٢٩.

وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝^(٤)، ومعلوم أن القراءة هي البوابة الرئيسة للعلم، ويستطيع الإنسان من خلالها أن يقف على حقائق الأمور ومعرفتها، وبالتالي يكون دخوله للإسلام دخولا صحيحاً سليماً.

لقد كان لدعوة القرآن الكريم المتكررة للتفكير والتفكر والتذكر؛ بالغ الأثر في فكر علماء المسلمين الذين تركوا لنا سلطاناً ومجداً، فأبدعوا في الابتكار والتطوير والتجديد، وكان القرآن الكريم - بالإضافة إلى عمليات التفكر التي يطلبها من الإنسان - يمددهم بأجوبة نوعية تتعلق بالإله والإنسان والحياة والمبدأ والمصير.

وقد ارتضت حكمة القرآن من الإنسان ذلك حتى يكون له دور متبصر، فيقوم بواجب الاستخلاف في الأرض، ومعلوم أن طبيعة الحياة في تطور مستمر، ومن غير اللائق أن يقف الإنسان فيها موقف المتفرج؛ لا سيما أن القرآن الكريم قد أسس لبناء عقلية منفتحة ترحب بالاجتهاد ضمن ضوابط محددة^(٥)، وهو إلى ذلك يذم التقليد والمقلدين الذين يجعلون عقولهم رهينة لعادات ألفوها، أو مسلمات ورثوها عن الآباء والأجداد دون أي مستند أو دليل، والقرآن عندما يأمر بالتجاوب مع معطيات الحياة المتجددة، واكتشاف سنن الله تعالى في الخلق فإنه بذلك يفتح باباً للعقل، يرفده بالجديد، يقول

فالعرب حينها لم يؤمنوا بدين سماوي، والشرك بالله كان سائداً بينهم، وما زال الشرك يقوى فيهم حتى أصبح الذين يميزون بين الآلهة والوسطاء شواذ في الأمة، يقول أبو رجاء العطاردي: "كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَحْيَرُ مِنْهُ أَلْفَيْئَاهُ، وَأَخَذْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثُوءَ مَنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُقْنَا بِهِ..."^(١).

ولم تلبث النصرانية هي الأخرى حتى انحرفت عن مسارها السماوي، وذلك عندما سلك بها الرومان مسالكهم الوثنية، فقالوا بتعدد الآلهة، وظهرت فكرة تجمع الآلهة الثلاثة في واحد، ثم صارت شيئاً فشيئاً هي العقيدة النصرانية المعتمدة في الكنيسة.

واستمر الوضع على ذلك حتى نزلت دعوة الحق على الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- في عام (٦١٠م)^(٢)؛ تدعو لقيم ومبادئ واضحة تتسجم مع فطرة التوحيد التي أودعها المولى عز وجل في الإنسان، ولأنها دعوة الحق فهي لا تخشى شيئاً، ولذا جاء الأمر بالقراءة في أول ما نزل من الوحي^(٣)، قال

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج ٤٣٧٦، كتاب المغازي، باب: وفد بني حنيفة، ١٧١/٥.

(٢) انظر: المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم (بيروت: دار الهلال، ١٤٢٧هـ)، ص ٥٦.

(٣) بدليل حديث بدء الوحي، وفيه: (فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره إلى أن قالت: ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي، انظر: صحيح البخاري، ١٧٣/٦.

(٤) سورة العلق، آية: ١-٥.

(٥) قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَنِبْ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَنِبْ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، البخاري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام، باب: الكتاب والسنة، ١٠٨/٩.

٢- المقارنة بين نظرة القرآن للعقل، ونظرة أصحاب الملل الأخرى له، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

● أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة للكشف عن الموضوعات الآتية:

- ١- إبراز المآثر التي سوف تجنيها البشرية حال التزامها بمنهج القرآن الكريم.
- ٢- إظهار إسهامات الوحي المتنوعة والشاملة حتى لأدق الموضوعات، كموضوعنا هذا.
- ٣- إيضاح دور أساليب القرآن في بناء عقل الإنسان وسلامته.

● الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قاعدة الرسائل الجامعية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وغيرها من المواقع الالكترونية، فإنني لم أقف على دراسة أكاديمية تبحث في هذا الموضوع بشكل خاص، والله أعلم.

● حدود البحث:

سيكون حُدُّ البحث مقتصرًا على أساليب القرآن الحكيم و دورها في بناء عقل الإنسان وسلامته، وسوف يشتمل البحث بالضرورة على بيان معاني الحكمة في اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - ومعاني بعض مرادفاتها، بالإضافة لمعنى العقل، وغيرها من الموضوعات الفرعية.

تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١). (٢)
ولا شك أن الوقوف على تلك الدعوات التي يتناولها القرآن من الأمور البالغة الأهمية، لأنها تعين على معرفة أسباب تميز المسلم في شخصيته، بالإضافة إلى الوقوف على أساليب القرآن وطريقته في بناء عقل الإنسان، كما أنها تؤسس لنشر فكر ثقافي وحضاري صحيح في المجتمعات المسلمة، إلى غير ذلك من الفوائد.

وفكرة البحث قائمة على إبراز الأسلوب القرآني ودوره الحكيم في رحلة البناء والتشييد لهذا المخلوق العظيم، وهذا مما يزيد البحث أهمية، وأحسب أن الموضوعات التي يتناولها هذا البحث لم تبحث بشكل كافٍ، كما هو الحال في الدراسات والأبحاث الأكاديمية، حيث الاستقراء والتدقيق، والاستشهاد بالحجج والبراهين، وقد آثرت أن يكون البحث بعنوان: (الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان).

● أهمية الدراسة:

بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه في المقدمة، فهناك نقاط أخرى تبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره، من أهمها:

- ١- إبراز القيم والمبادئ الإسلامية من خلال الوقوف على آيات القرآن الحكيم.

(١) سورة العنكبوت، آية: ٢٠.

(٢) انظر: عبد الكريم بكار، تجدد الوعي، ط٣ (دمشق: دار القلم، ٢٠١٠م)،

وهو مرتب على النحو التالي:

المقدمة: عرّفت فيها بالموضوع وأهميته، وأسباب عنايتي به.

المبحث الأول: نظرة القرآن الحكيم للإنسان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بنظرة القرآن للدور المنتظر من الإنسان.

المطلب الثاني: بيان معاني الحكمة في اللغة، وبعض ما جاء من معانيها في كلام العلماء والمفسرين.

المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقل.

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان.

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني.

المطلب الثاني: أسلوب الحث والتعزيز في رحلة بناء العقل.

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحقير في رحلة بناء العقل.

المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم في عقل الإنسان وسلامته.

الخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

● منهج الدراسة:

استلزم موضوع البحث سلوك العديد من المناهج، منها:

١- المنهج الاستقرائي: القائم على جمع النصوص.

٢- المنهج التحليلي: القائم على تحليل بعض النظريات، والكشف عن دلالة الآيات القرآنية وآثارها المعرفية.

٣- المنهج النقدي: من خلال نقد المصادر والمناهج التي تتعارض مع نهج السلف في فهم النصوص والاستدلال.

٤- المنهج المقارن: من خلال المقارنة بين أسلوب القرآن وطريقته في البناء، مع باقي الأساليب والنظريات الفلسفية الأخرى.

● إجراءات الدراسة:

وقد التزمت في كتابته ما يلي:

١- كتبت الآيات حسب الرسم العثماني.

٢- عزوت الآيات إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٣- خرّجت الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرّجته باختصار.

٤- عزوت الأقوال إلى أصحابها ووثقتها من كتب أصحابها، فإن لم أستطع وثقتها من المصادر والمراجع الأخرى.

٥- ذكرت تفاصيل المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.

أرضه^(٤)، ومنحه القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، حتى يكون سبباً في بناء الأرض، وانتشار ذريته في أرجاء المعمورة بالتطور والتقدم، وكلما ارتقى الإنسان في سلم المعارف، زاد نفعه، وكثر خيريه، وعمت بركته، لا سيما إن كان نصيبه من المعرفة قد ارتقى إلى خالقه وسيدّه ومولاه.

قال الدكتور خليل: (إننا حينما نتقننا في أرجاء القرآن الفسيحة لمطالعة الآيات والمقاطع الخاصة بخلق الكون وتهيئة الظروف الصالحة للحياة على الأرض، وتمعنا فيها، وجدناها ترتبط ارتباطاً عضوياً أصيلاً بالدور المنتظر الذي بعث الإنسان لكي يلعبه، وبالقصد والجدوى والنظام والإعمار والغاية التي بعث من أجلها، وهي كلها قواعد أساسية لأي نشاط فعال هادف منظم متطور على الأرض...) (٥).

والمسلم يدرك حقيقة التسخير، وهو مطالب بأن يتعامل مع الأرض التي يسكنها انطلاقاً من كونه خليفة الله في أرضه، فهي مجاله، وهي بيئته التي خلقها المولى عز وجل من أجله، وإن جمالها وعطاءها لن يتجلى إلا إذا عمل فيها الإنسان عقله^(٦)، قال تعالى: ﴿لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي

وبكل حال فإنني لا أدعي الإحاطة بكتابتي في هذا الموضوع ولا شمول البحث فيه، لما يعتريني من النقص والقصور، ثم لتشعب الموضوع وسعته. هذا.. وإنني أسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يكون من العلوم التي ينتفع بها، والله وليّ التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

المبحث الأول: نظرة القرآن الحكيم للإنسان.

المطلب الأول: التعريف بنظرة القرآن للدور

المنتظر من الإنسان:

يقول المولى عز وجل في محكم التنزيل:

﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١).

إن الإنسان هو الكائن المعجز في خلقه، المكرم^(٢) في أصل نشأته؛ خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته^(٣)، واستخلفه في

(١) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَنِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيْرِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، سورة الأسراء، آية: ٧٠.

(٣) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ۝٦١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٦٢ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٦٣ إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٦٤ قَالَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَافِلِينَ ۝٦٥﴾، سورة ص: ٧١-٧٥.

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٠.

(٥) انظر: د. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م) ص١٧٦.

(٦) وقد ارتبط بناء الأرض وعمارها في فكر المسلمين وثقافتهم بالإيمان بالله، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وسبعون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عَلَيْهِ وَلَا هُدَىٰ وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ^(١)
قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾^(٣)، ولم تقتصر الآيات القرآنية على ذكر الدور الذي ينتظر الإنسان على الأرض، حتى طالبت بالإنقاذ والإحسان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٥)،

(الأذى عن الطريق...)، انظر: صحيح مسلم، ح ٣٥، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، ٦٣/١، وفي الحديث أيضاً: (لا يُولَنُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ)، انظر: صحيح البخاري، ح ٢٣٩، كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، ٥٧/١، وفي مسلم برقم (٢٨٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)، انظر: صحيح مسلم، ح ٢٦٩، كتاب الطهارة، باب: النهي من التخلي في الطرق، والظلال، ٢٢٦/١، ونصوص الوحي تطلب من الإنسان المحافظة على الأرض حتى آخر رمق من حياتهم، يقول—عليه الصلاة والسلام—: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدُ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرُسَهَا فَلْيُفْعَلْ)، مسند أحمد، ح ١٢٩٨١، ٢٩٦/٢٠، وقال عليه الصلاة والسلام: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرُسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)، انظر: صحيح البخاري، ح ٢٣٢٠، كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ١٠٣/٣، وصحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٥٥٣، كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، ١١٨٩/٣.

(١) سورة لقمان، آية: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٣، ٣٢.

(٣) سورة النحل، آية: ١٤.

(٤) سورة هود، آية: ٧.

(٥) سورة يونس، آية: ٣.

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾^(٧)، وهذه الآيات تستحث يقظة الإنسان حتى يفتن للدور الذي ينتظره، فهو في دار ابتلاء واختبار، وهذه الدار تتطلب منه عملاً وإبداعاً.

والمولى الكريم ميز الإنسان بأدوات العلم والمعرفة، وذلك حتى يقوم بواجبه على أتم وجه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٨)، والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض من بعد إهلاك أولئك القرون التي تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر^(٩).

المطلب الثاني: بيان معاني الحكمة في اللغة، وبعض ما جاء من معانيها في كلام العلماء والمفسرين.

الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حَكَمْتَ الدابة وأَحْكَمْتُها، ويقال: حَكَمْتَ السَّفِيَةَ وأَحْكَمْتُه إذا أَخَذْتَ على يديه ومنعته عن الفساد، قال الشاعر:

(٦) سورة يونس، آية: ٥.

(٧) سورة الأسراء، آية: ١٢.

(٨) سورة يونس، آية: ١٤.

(٩) العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود، إرشاد العقل

السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث،

بدون)، ١٢٧/٤.

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكُمُوا سُفْهَاءَكُمْ * إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا^(١)**

والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل،
وتقول: حَكَمْتُ فلاناً تحكيماً منعه عما يريد، وحَكَمَ
فلانٌ في كذا، إذا جُعِلَ أمره إليه، والمحكَّم: المجرب
المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة:

لَيْتَ الْمُحَكَّمِ وَالْمَوْعُوظَ صَوْتُكُمَا * تَحْتَ
التُّرَابِ إِذَا مَا الْبَاطِلُ انْكَشَفَا^(٢)**

والحَكَمَةُ، بالكسر: العَدْلُ في القَضَاءِ كالحُكْمِ،
و الحَكَمَةُ: العِلْمُ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ على ما هي عليه،
وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا.

وقال الجوهري: الحُكْمُ: الحَكَمَةُ من العِلْمِ،
وَالْحَكِيمُ: العَالِمُ، وصاحبُ الحَكَمَةِ، وقد حَكَمَ كَكَرَّمِ:
صار حَكِيماً، قال النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبٍ:
وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ بُغْضًا رُوَيْدًا * إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ
أَنْ تَحْكُمَا^(٣)**

وَالْحُكْمُ العِلْمُ والفقه، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ
الْحُكْمَ صَبِيحًا^(٤)﴾، وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ

(١) قاله جرير لبني حنيفة، وكان ميلهم مع الفرزدق، انظر: الحسن بن
رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد
محيي الدين عبد الحميد، طه (بدون: دار الجبل، ١٩٨١م)، ١٦٨/٢.

(٢) أراد بالمحكَّم الشيخ المنسوب إلى الحكمة، انظر: أحمد بن فارس بن
زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد
هارون (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٩١/٢، ومحمد بن مكرم بن
علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب،
ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٤٣/١٢، محمد بن محمد بن
عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى، الزبيدي، تاج
العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بدون:
دار الهداية، بدون)، ٥١٦/٣١.

(٣) أي: إذا حاولت أن تكون حَكِيماً، انظر: ابن منظور، مرجع سابق
١٤٠/١٢، والزبيدي، مرجع سابق، ٥٢١/٣١.

وَالْحِكْمَةَ^(٥)﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ^(٦)﴾، ولذا جاءت الحكمة بمعنى النبوة،
والرسالة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، وقد جاءت
بمعنى الحِلْمِ، وهو ضبط النفس والطَّبْع عن هيجان
الغضب، وهذا المعنى قريب من معنى العدل، كما
تُطلق الحكمة على الورع والإصابة، والتَّفَكُّر في أمر
الله واتباعه، والحكمة من الله: معرفة الأشياء
وإيجادها على غاية الأحكام.^(٧)

وعند التأمل والتدقيق في معاني الحكمة نجد
أنها تدور حول المنع، فالعلم يمنع صاحبه من
الوقوع في الجهل، والعدل يمنع صاحبه من التسرع
في الظلم، والحلم يمنع صاحبه من التسرع
والغضب^(٨)، وهذا ما يفسر موقف الإسلام الحاسم
من المعاصي والآثام.

قال الشيخ الشنقيطي: (والتحقيق أن الله يشرع
الأحكام من أجل حكم باهرة ومصالح عظيمة، ولكن
المصلحة في جميع ذلك راجعة إلى المخلوقين الذين
هم في غاية الفقر والحاجة إلى ما يشرعه لهم خالقهم
من الحكم والمصالح وهو جل وعلا غني لذاته الغني

(٤) سورة مريم، آية: ١٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٤٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٧) انظر: أحمد بن فارس، المرجع السابق، ٩١/٢، ومجد الدين أبو
السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث
والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي (بيروت: المكتبة
العلمية، ١٩٧٩م)، ٤١٩/١، ومحمد بن مكرم بن علي، وابن منظور،
مرجع سابق، ١٠٤/١٢، والزبيدي، مرجع سابق، تحقيق، ٥٢١/٣١.

(٨) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله
تعالى (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة
والإرشاد، ١٤٢٣هـ)، ٢٤/١.

المطلق سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بجلاله
وكماله^(١).

وفسر الشيخ عبد الرحمن السعدي المراد من
الحكمة، فقال: (هي العلوم النافعة والمعارف
الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة
الصواب في الأقوال والأفعال، ثم قال: وجميع الأمور
لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء
مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل
الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام)^(٢).

ونخلص من ذلك إلى أن الحكمة تعني القصد
والاعتدال، وإدراك العلل^(٣) والغايات، وهذا لا يكون
إلا صبر طويل، ومجاهدة للنفس، يقول تعالى:
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤)، ولعل من

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار، مذكرة أصول الفقه على روضة
الناظر، ٢٥٦/١.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بدون: مؤسسة
الرسالة، ٢٠٠٠م) ٩٥٧/١.

(٣) والسلف الصالح - رحمهم الله تعالى - لا يختلفون في تعليل أحكام الله،
فهي معللة بجلب المصالح، ودرء المفساد، يقول ابن القيم: وجمهور
الأمة يثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في أفعاله فليس مع النفاة
سمع ولا عقل ولا إجماع بل السمع والعقل والإجماع والفطرة تشهد
ببطلان قولهم، والله الموفق للصواب وجماع ذلك إن كمال الرب
تعالى وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وقدرته، وإحسانه،
وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه
لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد
ببطلانه، انظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة
والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني
الحلي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨)، ٢٠٤/.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

الملاحظ جداً هذا التذييل الذي خُتمت به الآية
الكريمة؛ جعلني الله وإياكم من أولي الألباب المؤيدين
بالحكمة وفصل الخطاب.

المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف العقل.

العقل في اللغة: قال الراغب الأصفهاني: وأصل
العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقل،
وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها، وعقل
لسانه: كفه^(٥)، وهنا نلاحظ اشتراك العقل والحكمة
في أصل إرادة المنع.

أما التعبير القرآني للعقل، فقد جاء مجرداً من أل
التعريف بمعنى العقل^(٦)، والذي يشير بدوره إلى
الوظيفة العملية للعقل، ويمكن حصر هذه الأفعال
على النحو التالي:

أ- ورد بصيغة (عقلوه) مرة واحدة في قوله

تعالى: ﴿ثُمَّ يَحْرِقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾^(٧).

ب- ورد بصيغة (تعقلون) في أربعة وعشرين

موضعاً في القرآن، منها قوله

تعالى: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٨)، وقوله

تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان
الداودي، (دمشق، بيروت: دار القلم، والدار
الشامية، ١٤١٢هـ) ٥٧٨/١.

(٦) وتكرر ذلك في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعاً، انظر:
محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،
(القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٧م)، ص ٥٧٥.

(٧) سورة البقرة، آية رقم: ٧٥.

(٨) سورة البقرة، آية رقم: ٤٤.

جزء منه، كما هو مشاع في أوساط المدارس الفلسفية الغربية، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٩)، يقول الفخر الرازي: فيه دلالة على أنَّ القلب آلة لهذا التَّعَقُّل، فوجب جعل القلب محلاً للتَّعَقُّل^(١٠)، كما جاء التأكيد على جهة القلب في الآية ذاتها، بقوله: ﴿بَلْ لَا يَفْقَهُوا قَوْلَهُ بَعْدَ تَأْوِيلِهِ

وعلى أساس ذلك عرّف الشنقيطي العقل، فقال: (هو نور روحاني تُدرك به النفس العلوم النظرية والضرورية، وأن من خلقه وأبرزه من العدم إلى الوجود، وزين به العقلاء وأكرمهم به أعلم بمكانه الذي جعله فيه من جملة الفلاسفة الكفرة الخالية قلوبهم من نور سماوي وتعليم إلهي)^(١١)، ثم قال في

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^(١٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١٣).

ج- ورد بصيغة (نَعْقِل) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١٤).

د- ورد بصيغة (يَعْقِلُهَا) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١٥).

هـ- ورد بصيغة (يَعْقِلُونَ) في اثنين وعشرين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١٦)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١٧).

وقد عبّر المولى سبحانه وتعالى عن التعقل بالفاظ أخرى^(١٨)، وكان من اللافت للنظر أن ينسب القرآن العقل إلى القلب^(١٩) وليس إلى الرأس ولا إلى

سورة البقرة، آية: ٢٣، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفِتْنَةُ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ

أَقْفَالًا﴾ انظر سورة محمد، آية: ٢٤، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر

أن يقول: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ) ، قال أنس رضي الله عنه، فقلنا يا رسول الله أماناً بك وبما جئت به ، فهل تخاف عني؟ قال : فَقَالَ : (نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا)، انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار المغرب، ١٩٩٨م) ح ٢١٤٠، أبواب القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ١٦/٤، وحسنه الترمذي.

(٩) سورة الحج، آية: ٤٦.

(١٠) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب،

ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ٢٣/٢٣٤.

(١١) منقول من كلام الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد السبت، ط٢ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ)، ١٥٩/١، ومجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م) ٨٦/١.

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٤٢.

(٢) سورة يوسف، آية رقم: ٢.

(٣) سورة الملك، آية رقم: ١٠.

(٤) سورة العنكبوت، آية رقم: ٤٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٧٠.

(٧) كالججر، وأولي النهي، وأولي الألباب.

(٨) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾

انظر: سورة الأعراف، آية: ١٧٩، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا

بُؤَىٰ ۖ إِلَّا مَنَ اتَّقَىٰ اللَّهَ يَقْلِبَ سَلِيمًا﴾، انظر: سورة الشعراء ٨٨-٨٩،

وقوله: ﴿خَتَرَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ انظر: سورة البقرة، آية: ٧، وقال سبحانه

: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ انظر:

سورة ق، آية: ٣٧، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَرَ عَلَىٰ

سَمْعِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ وَجَلَ عَلَيْهِ عِشْوَةٌ فَتَنَ يَهُودِيٍّ مِّنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ انظر:

والسنة النبوية)، ولا تعارض في ذلك بين العقل والنقل بل هو توافق وتناغم وانسجام، يقول الدكتور راجح كردي: (وهذه ميزة القرآن الكريم على غيره فيما يتعلق بمصادر المعرفة، فالقرآن يأخذ على المذاهب البشرية انشطاريته في تحديد طريق المعرفة، فيأخذ على التجريبيين حصرهم لطرق المعرفة بالحواس واعتبارهم العقل حساً أو انعكاساً لأثر الحواس، كما يأخذ على العقليين تطرفهم في تقديس العقل وتجاوزهم في تقدير دوره في المعرفة، فالقرآن لا يؤيد فكرة الصراع بين الحس والعقل، بل يجعلهما منسجمين انسجام الفطرة الإنسانية المخلوقة بإحكام وتكامل فيما بين أجزائها) (٥).

وبنفس هذا التوافق والانسجام في العلوم والمعارف، يكون التوافق والانسجام بين سائر أعضاء الإنسان (٦)، والمحصلة في نهاية الأمر واحدة، حيث الألوهية المطلقة لله تعالى.

والقرآن يمضي قدماً في تقرير ذلك، فتجده يذكر هذا التوافق والانسجام فيما هو أبعد من ذلك، حيث الكون بما فيه من أجرام وأفلاك مع صديقه الإنسان، حيث يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا

موضع آخر: (والله عز وجل لم يكذب اليهود عندما نسبوا العقل إلى القلب، فقالوا: قُلُوبُنَا غُلْفٌ بسكون اللام يعنون: أَنَّ عليها غلافًا، أي: غشاء يمنعها من فهم ما تقول؛ فأقرهم الله على أَنَّ قلوبهم هي محل الفهم والإدراك؛ لأنها محلُّ العقل، ولكن كذبهم في ادِّعائهم أَنَّ عليها غلافًا مانعًا لها من الفهم، فقال - على سبيل الإضراب الإبطالي، فقال سبحانه: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١)، كما أن المشركين كانوا يعلمون أيضاً بأن محلَّ العقل القلب، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءِ أَذَانِنَا وَقَدْ وَصَّيْنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ (٢)، ولم يكذبهم الله في ذلك، ولكنه وبَّحهم على كفرهم، فقال: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ (٣) (٤).

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان:

لقد بالغ فلاسفة اليونان في تقديس العقل حتى جعلوه حكماً على الشريعة، فكل ما وافق عليه العقل فهو من الشريعة، وكل ما خالف العقل - بتصورهم - لا يعد من الشريعة، وتبعهم في ذلك بعض المتأثرين بتلك المدارس، كالفارابي وغيره، والصواب أن العقل ما هو إلا وسيلة لفهم الوحي (القرآن الكريم

(٥) راجح عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة،

(الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)، ٢/٦٢٥.

(٦) ويمكن أن نستأنس في ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ٤٦٨٥، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاضدهم، ١٢/٤٦٨.

(١) سورة النساء، آية: ١٥٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ٥.

(٣) سورة فصلت، آية: ٩.

(٤) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م)، ٥/٢٧٥، وكتاب: مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مرجع سابق، ١/٩٤، بتصرف.

المطلب الثاني: أسلوب الحث والتعزيز في رحلة بناء العقل:

١- التأكيد على إعمال العقل في قضايا الخلق؛ منها:

أ- الكون والآفاق: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾^(١)، والقرآن في هذه الآيات يقدم نموذجاً عظيماً من الخلق، ففي السموات والأرض من مظاهر القدرة والإبداع ما يدهش الإنسان، وربما تخللت آيات الكون أسئلة دقيقة تدعو إلى التحليل، والمقارنة، وبعضها يستحث العقل للاستنباط والاستنتاج^(٢)، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

لَهُمْ سَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ۝﴾^(٤).

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان.

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني:

ويطلق الأسلوب في اللغة على الطريق الممتدة، ويقال للسطر من النخيل أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه، وفي اصطلاح البلاغيين: هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات.^(٥)

فالأسلوب القرآني: هو طريقته في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، ولهذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية، وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية، وسوانحه العقلية، وتأثيره الخاص في النفوس السوية، وفي النفوس الجامحة أيضاً، وله جمال يعرف ولا يوصف، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ۝﴾^(٦)، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنهه العقول، أو تعبر عنه السنة المتكلمين أو أقلام الكاتبين.^(٧)

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(٢) انظر: د مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط ٣ (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥م)، ١/١٤٣-١٤٤.

(٣) سورة الجن، من آية: ١-٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ودكتور محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط ٢ (بدون: دار المنار، ١٩٩٩م)، ١/٣٢٧، "بتصرف".

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩٠-١٩١.

(٦) وهذه الدراسات التنموية والفكرية بطبيعة الحال بحاجة إلى مراصد بحثية، وأجهزة تقنية، وتحتاج إلى معامل وأدوات للتنقيب، والبحث والتحليل، وغيرها من الأمور التي من شأنها أن تحقق معاني استخلاف الإنسان في الأرض.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٣٠-٣٣.

أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَقَنَّهُ^(١)، وقد تكررت المطالبة بالتحسين والتجويد بألفاظ متنوعة، كالإتقان والإحسان والصدق، وقد ربط الشارع الحكيم تلك المعاني والتعبيرات بتقوى الله، وأداء الأمانة، يقول تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾^(٢)، والصدق في هذه الآية يشمل جميع الأقوال والأعمال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّ صَلَٰتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) لا شريك له. وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(٤)، ورتب المولى سبحانه وتعالى على ذلك امتحان الانسان في هذه الحياة، فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٥). وفي معنى الإحسان، يقول تعالى: ﴿وَإِحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ)^(٧).

والله سبحانه وتعالى يستحث في الإنسان كذلك جانب القدوة، وذلك عندما يأمره بالنظر إلى بديع صنعه، فيبصر في خلق الرحمن أعلى درجات الإتقان والجودة، قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ

شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾^(٩) أي: خلل ونقص، يقول السعدي في تفسيره: (وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات، ولما كان كمالها معلومًا، أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي: أعده إليها، ناظرًا معتبرًا ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: نقص واختلال، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ المراد بذلك: كثرة التكرار ﴿يَقَلِّبَ إِلَيْكَ الْبَصَرَ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: عاجزًا عن أن يرى خلا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص)^(١٠).

﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١١) الذي بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق^(١٢)، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١٣).

٤- التشجيع على النظر والاجتهاد :

والتأمل في آيات القرآن يجد أنها قد أجملت القول في أحكام المعاملات، وذلك لأن حاجة الناس إليها متجددة فسمحت بالاجتهاد، ولكن في إطار

(١) أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م)، ح ٤٣٨٦، مسند عاشة، ٣٤٩/٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف (١١١٣)، ١٠٦/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٢-١٦٣.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٩٥.

(٦) صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٩٥٥، كتاب الإيمان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ١٥٤٨/٣.

(٧) سورة النمل، آية: ٨٨.

(٨) سورة الملك، آية: ٣.

(٩) السعدي، مرجع سابق، سورة الملك، ٨٧٥/١.

(١٠) سورة المؤمنون، آية: ١٤.

(١١) المرجع السابق، ٥٤٨/١.

(١٢) سورة التين، آية: ٤.

الأوائل، هو الذي أدى إلى سيادة الحضارة الإسلامية لقرون طويلة على العالم شرقيه وغربيه، بل ساهمت في بروز عصر النهضة الأوروبية من خلال نزعة كرسها مفهوم عمارة الكون^(٤).

٥- العناية بفهم حقائق الأشياء وجواهرها:

لقد فطر المولى عز وجل الإنسان على محبة الحق والوقوف إلى جانبه، إلا أن الحق عصي على من لا يبذل في سبيل تحصيله الجهد المطلوب، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّوْبِ ٣﴾^(٥).

لقد أشاد القرآن الكريم بالموقف الشجاع لامرأة العزيز عندما قررت قول الحقيقة، فقال سبحانه: ﴿قَالَتْ أَمَرَكَ الْعَزِيزُ أَنْ تَصْصَحَ لِحَقِّ أَنَا وَرَوْدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥١ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ٥٢ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٣﴾^(٦)، هكذا بكل بساطة ويسر دون الحاجة إلى الجلوس على كرسي للاعتراف، فالمقصود أن يرى المولى عز وجل من نفس هذا الإنسان الصدق، والانكسار بين يديه؛ مبتعدا عن الهوى، والتعصب، وطلب العزة بالإثم، ولذا جاء في الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صَوْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)^(٧)، وفي

قواعد الشرع الكلية ومقاصده، ولهذا جعلت الأصل في الشروط والعقود الإباحة، وقابلت أمور العقائد والعبادات التي فصلت فيها القول بالمنع والتوقيف، وهذا التمايز - بين القبول والمنع - من شأنه أن يضيف إلى عقل الإنسان الانفتاح المتزن بميزان الشرع، والوحي بذلك يربي في الإنسان جانب المرونة والتوسط والاعتدال، وعليه فإنه لا ينبغي للمسلم أن يقف موقف العداء من علوم الآخرين، وعليه أن ينظر في كل معلومة ترد إليه بنظرة فاحصة متأنية، وقد تعلمنا في تراثنا الإسلامي أن الحكمة ضالة المؤمن^(٨)، وسبق أن أخذ أبو هريرة -رضي الله عنه- معلومة من الشيطان، وأكد له النبي صلى الله عليه وسلم صحتها، فقال: (قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ)^(٩)، كما أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا يَهْدِيكُمْ اللَّهُ عَنْ الدِّينِ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِمُوا مَن دَرَكُوا أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٢٤٢﴾^(١٠)، قال جمال عبد العزيز: (ووجود هذا التمايز في فهم المسلمين

(١) وقد تراجع النبي صلى الله عليه وسلم عن النهي في أن يجامع الرجل امرأته وهي مرضع بسبب تجربة الروم والفرس، حيث قال: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ عَنْ الْغِيلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ، وَفَارِسَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٤٢٢، كتاب النكاح، باب: جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل، ١٠٦٦/٢.

(٢) البخاري، مرجع سابق، ح ٢٣١١، كتاب الجمعة، باب: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ﴾، ١٧/٦٠، وجاء فيها: (وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي أَنِّي فَعَلْتُ يَخْتُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا رَفْعَ لَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أُوْتِيتَ إِلَى فَرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَفْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَلِكَ شَيْطَانٌ".

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، والإحالة على كتاب: مصادر المعرفة للدكتور جمال عبد العزيز شريف والبروفيسر عبد الله محمد الأمين النعيم، ص ١٢، على الرابط: <https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798>

(٥) سورة العصر ١-٣.

(٦) سورة يوسف، آية: ٥٣-٥١.

(٧) صحيح مسلم، ح (٤٦٥١)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ١٢/٢٧٤.

الملاحظة، والدقة، والمراقبة هو القرآن الكريم، ومثاله على النحو التالي:

أ- استخدام القرآن الكريم لأسلوب الاستجواب العقلي، وهذا الأسلوب يهدف إلى استثارة القوى العقلية^(٧)، لأجل تقرير حقيقة الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَسْأَلَنَّهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهنَّ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝﴾^(٨)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ۝﴾^(٩).
كما أن القرآن الكريم قد ذكر لنا الرد على سؤال موسى عليه السلام؛ عندما طلب رؤية خالقه وسيده ومولاه، فأرشده الله تعالى إلى النظر لملاحظة التغير الذي سيطرأ على الجبل، حالة تجلي الله سبحانه له، ومنه يصل المرء إلى

موضع آخر: (رُبَّ أَشْعَثَ مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ)^(١)، وما زال القرآن الكريم يُنمي في نفوس أتباعه الجانب الرقابي، فقال: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾^(٢)، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾^(٣)، حتى أسهم ذلك في استشعار حجم المسؤولية، وعليه فلا مناص للمسلم من البحث عن الحقيقة والوقوف إلى جانبها، حتى يصدق على الإنسان مسمى الإسلام.

كما أمر المولى سبحانه وتعالى بأن يكون ميزان الحق والعدل هو الحكم بين العباد، فقال سبحانه: ﴿يَذَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝﴾^(٤)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي في نفوس أصحابه الوقوف على حقائق الأشياء بالأدلة المحسوسة، فيقول: (لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَانِينِ)^(٥)، كما كان عليه الصلاة والسلام يشيد بأصحاب المعرفة، لأنهم وقفوا عليها بأنفسهم، فأصبحوا من أهل الاختصاص والتجربة، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في قصة تأبير النخل: (أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)^(٦)، وأصل دعوة العقل للعمل بالتجربة، والحث على

(١) المرجع السابق، ح(٤٧٥٤)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء، ٦٠/١٣.

(٢) سورة ق، آية: ١٨.

(٣) سورة الزلزلة، آية: ٧-٨.

(٤) سورة ص، آية: ٢٦.

(٥) مسند الإمام أحمد، ح(١٨٤٢)، من حديث ابن عباس، وصححه الأرنؤوط في طبعة مؤسسة الرسالة (١٨١٤).

(٦) صحيح مسلم، ح(٦٢٧٧)، كتاب الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ٩٥/٧.

(٧) انظر: د. أحمد محمد حسين الدعشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١م)، ص٢٤٩، "بتصرف".

(٨) سورة الزخرف، آية: ٩-١١.

(٩) سورة المؤمنون، آية: ٨٤-٨٩.

كذبة المنافقين، وفي هذه الآية توجيه عظيم للمؤمنين، ودرس كبير ينبغي الاستفادة منه.

ونصوص الوحي دعت بصفة عامة إلى التثبت في نقل الأخبار، وضبطها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِمْ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٦)، وجاء في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَلَبَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ)^(٧) وفي رواية: (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا حَفِظَهُ حَتَّىٰ يُبْلَغَهُ غَيْرُهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ لَيْسَ بِفَقِيهِه)^(٨)، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يشدد على الناس في مسألة التثبت، فيقول: (كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)^(٩)، كما كان عليه الصلاة والسلام يحرك في أصحابه جانب التعقل للوقوف على حقائق الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ! فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلَوَائُهَا؟ قَالَ: حُمُرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِزْقٌ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنُكَ هَذَا نَزَعَهُ)^(١٠)، فهذا يوقف

حقيقة تتصل بالخالق، وهي استحالة رؤيته في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَنِي وَلَٰكِن أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١١)، كما جاء الدليل من القرآن الكريم باستخدامه للتجربة العملية في ردوده، وذلك حتى يقف الإنسان على النتيجة بنفسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْخُفْ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمِ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١٢).

ب- التثبت من المعلومة قبل النقل، والقرآن الكريم قد أشاد بالموقف النبيل لأبي أيوب الأنصاري وزوجه، وذلك عندما أنزلا نفسيهما مكان المتهم في الحادثة التي وصفها القرآن الكريم بالإفك، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١٣)، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه^(١٤)، ولأنهما كانا يتمتعان بقلب سليم، وفكر ناقذ؛ لم تمر عليهما

(٦) سورة الحجرات، آية: ٦٠.

(٧) الترمذي، مرجع سابق، ح ٢٦٥٧، أبواب العلم، باب: ما جاء في الحث

على تبليغ السماع، ٣٣١/٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٨) النسائي، مرجع سابق، ح ٥٨١٦، كتاب العلم، الحث على إبلاغ العلم، ٣٦٣/٥.

(٩) صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْخَبَرِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، ١٥/١.

(١٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح (٥٣٠٥)، كتاب العلم، باب: إذا عرض بنفي الولد، ١٣١/١٣.

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٠.

(٣) انظر: المرعشي، المرجع السابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠. "بتصرف".

(٤) سورة النور، آية: ١٢.

(٥) انظر: إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسند إسحاق، تحقيق: د. عبدالغفور البلوشي (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، بدون)، ٩٧٨/٣، و عمر ابن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهم شلتوت (جدة: بدون)، ١٣٩٩، ٣٣٥/١.

قَوْمٍ عَلَىٰ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾.

وهذه المعاني الشرعية تدعو الإنسان إلى العناية التامة بفهم الحقائق، وهذا يقتضي بطبيعة الحال إلى عدم الاقتصار على ظواهر الأشياء وعوارضها، فالعبرة بالكيف والجوهر، وليس بالكم والمظهر، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(١)، والقرآن بذلك يذم الذين يقفون على ظواهر الأسباب غير ناظرين إلى مسببها والمتصرف فيها.

٦- ضرب الأمثال:

والقرآن الكريم يكثر من هذا الأسلوب حتى يقرب الفهم على المتعلمين، قال ابن القيم-رحمه الله تعالى:- (... وضرب الأمثال، وصرفها في الأنواع المختلفة، كلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم المُمَثَّل من المُمَثِّل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢)، فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين

النبي صلى عليه وسلم السائل على عتبة الإجابة، حتى يفقه بفكره ما كان يبحث عنه، وجاء في الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا عُدْوَى وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ) فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ إِبْلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظُّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ)^(٣).

كما أن نصوص القرآن الكريم تطالب الإنسان بأن يضبط عواطفه وجميع انفعالاته، ويحتكم إلى الصدق والأمانة والعدل، فهذه المعاني هي طريق الحق دائماً وأبداً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)، فالله عز وجل يؤكد هذا الخبر التشريعي بحرف إن، ويفتتحه باسم الجلالة الذي يلقي الحرمة على هذا الخبر ويقوي دواعي الأمة لتلقيه والعمل به، ويخبر عن الاسم بالجملة الفعلية التي تفيد الأمر وتكرره^(٥)، ونظير هذه الآية في القرآن الكريم كثير؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح (٥٧١٧)، كتاب العلم، باب: لا صفر وهو داء يأخذ البطن، ٣٥٢/١٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط٣ (تونس: دار سحنون، ٢٠١٠م)، ص ١٧٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٥) سورة المائدة، آية: ٨.

(٦) سورة الروم، آية: ٧.

(٧) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

٧- استخدام القصة:

إن الأسلوب القصصي من الأساليب المشوقة والمحبة للإنسان، والموصولة للفكرة بأسرع طريق، وهذا الأسلوب يعتمد على فهم القصة ومن ثم استنتاج موضع العبرة منها، ولهذا الأسلوب أثره الكبير على النفس، وهو في الوقت ذاته موضع لاعتبار العقل والادِّكار، ولذا ختم المولى سبحانه وتعالى قصة قوم لوط، بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

لقد قص علينا القرآن الكريم دعوة الأنبياء إلى قومهم بالتفصيل، فذكر المعجزات التي جاءت على أيديهم، وموقف المعاندين منهم، وبيان عاقبتهم، وذلك في مواطن متعددة من الكتاب الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾^(٣) وقوم إبراهيم وقوم لوط^(٤) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مُعْطَلَةٌ وَقَصَّ مَسِيْدُ﴾^(٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٦) وقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٧).

المختلفين وإنكار الجمع بينهما)^(٨)، ولاشك أنه أسلوب ناجع، لأنه بطبيعة الحال سوف يستحث العقل على الحركة والتفكير، فمن المعلوم أن الشرك بالله يقابله التوحيد، والباطل يقابله حق أبلج، والضلال يقابله الهدى والنور، وأدلة ذلك في القرآن كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمُوتُ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٩)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾^(١٠).

وقد خاطب القرآن الكريم فكر الإنسان في أغلب الأمثلة التي جاءت فيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١١)، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمُ وَالْمُظْلُومُ﴾^(١٢)، وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٣)، ولو تأملنا ما ختمت به الآيات السابقة لأدركنا حكمة القرآن من ذلك.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٩٩١م)، ١١٦.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٩-٢٢.

(٣) سورة غافر، آية: ٥٨.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤١.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٣.

(٦) سورة الزمر، آية: ٢٧.

(٧) العنكبوت، آية: ٣٥.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٩) سورة الحج، آية: ٤٢-٤٦.

(١٠) سورة البقرة، آية: ٣٣.

يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^(٤)، قال الشيخ حافظ الحكمي: (وهذا الوعيد لم يُطلق إِلَّا فيما هو كُفْرٌ لَا بَقَاءَ لِلإِيمَانِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا ويدخل الجنة، وَكَفَى بِدُخُولِ الْجَنَّةِ خَلَقًا، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ)^(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أَتَى عَرَفًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)^(٦).

كما نفت نصوص الوحي أن يكون للنجوم أي تأثير على ما كتبه الله سبحانه وتعالى وقدره، فقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ)^(٧)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ)^(٨).

٢- ذم التقليد الأعمى: وقد تعمدت أن أصف التقليد المذموم بالعمى، لأن محاربة الوحي للتقليد كان مقتصرًا على التقليد في الباطل والخرافة والهوى، فالقرآن يذم متابعة الآباء والأجداد على أفعالهم

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٥) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ)، ٥٤٤/٢.

(٦) صحيح مسلم، ج (٢٢٣٠)، كتاب السلام، بابُ تَحْرِيمِ الْكُهَانَةِ وَإِثْنَانِ الْكُهَّانِ، ٣٥.

(٧) سنن أبي داود، مرجع سابق، ج (٣٩٠٥)، باب النجوم، ٣٣٩.

(٨) صحيح البخاري، ج (١٠٤٨)، كتاب الجمعة، باب: قوله تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ)، ٤٦٤/٢.

كما قص علينا القرآن الكريم أخباراً تتعلق بالأمم الغابرة، كقصة ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، والفيل وغيرها؛ بالإضافة للوقائع والغزوات، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب وغيرها، ولقد اشتهر القصص القرآني -على اختلافه وتنوعه- بأسلوبه الممتع الجميل؛ الذي فاق في سرده ونظمه وبيانه قدرة الإنس والجن، قال تعالى: أَمْ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ^(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢)، ولعل من المناسب أن نختم هنا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحقيق في رحلة بناء العقل:

١- النهي عن السحر، والتحذير من التعلق بالسحرة والكهنة والعرافين: وقد وقف القرآن الكريم من السحرة والمشعوذين موقف المتشدد، وذلك عندما نزل بهم إلى دركات الشرك والمشركين، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوُتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا

(١) سورة يوسف، آية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّئُوا أَنْفُسَكُمْ،
 إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تَحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا
 تَظْلِمُوا^(٥)، وقد حكى لنا القرآن إمعة قوم موسى
 عليه السلام عندما سألوه بأن يجعل لهم إلهًا
 غير الله؛ لمجرد أنهم رأوا قومًا يفعلون ذلك، فقال
 سبحانه: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ
 يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا
 كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
 مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ
 اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

٣- **النهي عن التعالم:** فالقرآن الكريم ينهى عن
 التصدر للناس بالتعليم، والتدريس، والفتيا، قبل
 أن يتلقى الإنسان العلم عن العلماء على أصوله
 وقواعده، فهذا الفعل مذموم في نصوص الوحي،
 قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
 بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلَّ
 بِهِ سُلْطَانٌ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾، وقد
 سبق معنا الإشارة إلى شيء من ذلك في
 المبحث السابق، حيث العناية بحقائق الأمور
 وجورها، ولا شك أن مطالبة القرآن بالحقيقة في
 تلقي العلم ونشره من أكد المطالب، قال تعالى:
 ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨١﴾، وقال
 سبحانه: ﴿أَتُؤْتُونَ بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ

بدون دليل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
 ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠١﴾، وقال
 تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
 وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ
 السَّعِيرِ ﴿١٠٢﴾، وقد أشاد القرآن الكريم بمناظرة
 إبراهيم عليه السلام لقومه، وتفوقه عليهم
 بالحجج، فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ
 قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾،
 وهي حجج علمية قائمة على التجربة بحاسة
 السمع؛ كما كان عليه السلام يستحث فيهم الفكر
 لمشاهدة الباطل والتعقل، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلُ
 عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوا
 نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْ كُفَيْنَ ﴿١٢٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ
 إِذْ تَدْعُونَ ﴿١٢٩﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا
 ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٣١﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٣٢﴾
 أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿١٣٣﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿١٣٥﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
 وَيَسْقِينِ ﴿١٣٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿١٣٧﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
 يُحْيِينِ ﴿١٣٨﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ
 الدِّينِ ﴿١٣٩﴾

كما جاء النهي عن التقليد المذموم في
 تراث المسلمين، حتى أصبح ذلك مترسخا في
 عقولهم، ومن جملة ذلك ما جاء في الحديث:
 (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٠.

(٢) سورة لقمان، آية: ٢١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨٣.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٦٩-٨٢.

(٥) سنن الترمذي، ح (٢٠٠٧)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في
 الإحسان والعفو) ٤٣٢/٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا

نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٣٨-١٤٠.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٨) سورة البقرة، آية: ١١١.

المتعالم يحجر عليه لصالح الأبدان، والمهندس المتعالم يحجر عليه لصالح البلدان. (٥).

٤- التحذير من الغرور: يقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْرُرْ بِاللَّهِ الْمَالِ الْغَيْرِ الْمَالِ وَالْغُرُورُ﴾ (٦)، والمقصود بالغرور: كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر الشيطان، وبالدنيا لأنها تغر وتغر، وأما الشيطان فإنه أقوى الغارين وأخبثهم (٧).

والآيات التي جاءت بدم الغرور كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمَيِّهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٨)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٩)، وقال سبحانه: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٠)، وقال: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾ (١١).

كما ذكرت الآيات القرآنية قصة قارون الذي بالغ في تقدير حجم ثرواته، كما هي عادة المغرورين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (١٢) وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ

كُنُوزَ صَدِيقَتِ ﴿١﴾، وربما احتكم في بعض تلك المطالب إلى العقل، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلِ الْكَتَّابُ لِمَنْ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهَا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢) هَآأَنَتُمْ هَآؤُلَآءِ حَاجَّكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾.

وليس النهي عن التعالم مقصوراً على العلوم الشرعية، بل هو نهى عام يشمل جميع أنواع العلوم، يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ تَطَبَّبَ، وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ، فَهُوَ ضَامِنٌ) (٣)، فالشرع يلزم هذا المتطفل على مهنة الطب بضمان التلّف، قال الخطابي: (لا أعلم خلافاً في أن المّعالج إذا تعدّى فتلف المريض كان ضامناً والمُتَعَاطِي عِلْماً أَوْ عَمَلًا لَا يَعْرِفُهُ مُتَعَدِّ، فإذا تولد من فعله التلّف ضمن الدّية وسقط القود عنه لأنه لا يَسْتَنَدُ بِذَلِكَ دُونَ إِذْنِ الْمَرِيضِ، وجناية الطبيب في قول عامة الفقهاء على عاقلته) (٤).

وكما أن الحجر واجب على كل مفلس لصالح الجماعة؛ فالمتعالم أو العالم الماغن يحجر عليه من الفتياء لصالح الأديان، والطبيب

(٥) بكر بن عبدالله أبو زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص١٣.

(٦) سورة لقمان، آية: ٣٣، وسورة فاطر، آية: ٥.

(٧) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م)، ١٢٩/٤.

(٨) سورة النساء، آية: ١٢، وسورة الإسراء، آية: ٦٤.

(٩) سورة آل عمران، آية: ١٩٦-١٩٧.

(١٠) سورة فاطر، آية: ٤٠.

(١١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥، سورة الحديد، آية: ٢٠.

(١) سورة الأحقاف، آية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٥-٦٦.

(٣) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ح(٤٥٨٨)، كتاب الديات، باب: فيمن تطبب بغير علم فأعنت، (بيروت: دار الكتاب العربي ٣٢٠/٤، وحسنه الألباني، مرجع السابق)، (٦٣٥).

(٤) انظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطبيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٢١٥/١٢.

أَتَقُوا اللَّهَ وَلِتَنْتَظِرَ نَفْسُ مَا قَدَمَتْ لِغَدٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ ﴿٢٧﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾^(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَحَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٍ نَقِيٍّ، وَفَاجِرٍ شَقِيٍّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، لِيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ)^(٥)، كما أبطل النبي صلى الله عليه وسلم بفعله ما كان مشهوراً عند العرب في جاهليتهم؛ بعدم إنكاح من هو دونهم في النسب، فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها انكحي أسامة بن زيد فنكحته، وهي عربية قرشية بينما أسامة من الموالى رضي الله عنهم أجمعين.^(٦)

لقد كان للقرآن الكريم أثره البالغ، وتأثيره العميق في توجيه عقل الإنسان وسلامته، وجمله تعاليمه تهدف إلى تكوين عقلية سليمة، وقد نثرت شيئاً من تلك الآثار في المباحث السابقة، ولا بأس من جمع ما تفرق في مكان واحد، حتى تكتمل الصورة،

الْآخِرَةُ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُؤُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَصُرُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآفُ اللَّهُ بِسُطِّ الرَّزْقِ لِمَنْ يَسَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاتُ ۖ وَيَكَآفُهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾، ولك أن تتخيل حجم تأثير هذه القصة على فكر الإنسان ووجدانه، لاشك أنها موعظة بليغة يتعلم منها الإنسان أهمية التواضع.

٥- النهي عن الفخر والخيلاء: وقد جاء في العصر الحديث مصطلح العنصرية، وجميع تلك المصطلحات - قديمها وحديثها - تخالف في أصلها ومضمونها دعوة التوحيد التي جاء بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(٣) سورة الحشر، آية: ٢٨.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح (٨٧٣٦)، مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ٣ (مؤسسة الرسالة، بدون، ١٩٩٩م)، ٣٤٩/١٤، وحسنه الأرنؤوط.

(٦) بمعناه، انظر: صحيح مسلم، ح (١٤٨٠)، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، ١١١٤/٢.

(١) سورة القصص، آية: ٧٦-٨٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

فتظهر حكمة القرآن واضحة جلية، وذلك على النحو التالي:

١- استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار العقلي لإزالة بعض التصورات والأفكار الخاطئة، ومعلوم أثر ذلك على سلامة عقل الإنسان، ومثاله ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَطْفُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِينَ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾^(١)، وهو أسلوب قرآني حكيم؛ يعمل على إقناع العقل بالحق والنور المبين، فمن المعلوم أن الإنسان تبع لعقيدته، فإذا صحت فإنه يصح معها سائر أعمال الإنسان وتصوراته، فكان النتاج صحيحاً سليماً، والعكس بالعكس.

ومن استخدام القرآن الكريم للحوار العقلي^(٢)، ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مثنًى وَفَرْدًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣)، قال الشوكاني عند تفسيره للآية: (أمر سبحانه رسوله أن يقيم عليهم حجة ينقطعون عندها، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَحْدَةٍ﴾ أي: أحذركم، وأذكركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي: ضخضم طحظم عجزاً هذا تفسير للخصلة الواحدة، أو بدل منها، أي: هي قيامكم وتشميركم في طلب

الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، لأن الاجتماع يشوش الفكر، وليس المراد القيام على الرجلين، بل المراد القيام بطلب الحق، وإصداق الفكر فيه، كما يقال: قام فلان بأمر كذا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمر النبي، وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾^(٤).

ولذا كان لعقيدة القرآن الكريم اليد العليا في تحرير عقل الإنسان من كل عوامل الخوف والتبعية، وأسهمت إسهاماً مباشراً في بناء شخصية إنسانية حضارية، قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(٥) أي صدها عن حصول العلم النافع عبادتها الشمس فكانت بذلك الاعتقاد منصرفة عن الكمال العلمي، والرشد الفكري، واستكمال الحضارة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾^(٦)، فجعل لحال اعتقادهم أثراً في زيادة هلاكهم^(٧)، كما أن القرآن الكريم قد ذم الخرافة، والشعوذة، والتقليد في الباطل؛ مهما كانت منزلة المقلد وقربته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ

(٤) سورة سبأ، آية: ٤٦.

(٥) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ/٢٠١٤م) ٣٨٢/٤.

(٦) سورة النمل، آية: ٤٣.

(٧) سورة هود، آية: ١٠١.

(٨) محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، مرجع سابق، ص٦٠.

(١) سورة الصافات، آية: ٩٣-٩٦.

(٢) انظر: الدعشي، مرجع سابق، ص٢٤٩ "بتصرف".

(٣) سورة سبأ، آية: ٤٦.

السلف الصالح، والإيمان بهذه الحقائق له أثره الواضح في سلوك الإنسان واستقامته في جميع أقواله وأعماله، بالإضافة إلى عوامل أخرى ستؤثر في عقل الإنسان ووجدانه، كقوة النفس، وسلامة الصدر، والحياة الطيبة السعيدة، وغيرها. ٥- لقد أسهمت نصوص القرآن الكريم في المحافظة على العقل، كما توجت نداءاته بتحريم كل ما يخامر العقل أو يغطيه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، ومعلوم أن العقل لا يعيش بمنأى عن الجسد، ولكل عضو تأثيره في الآخر، ولذا جاءت تعاليم القرآن لتغذي روح الإنسان وعقله، وتعمل على ترشيد غرائزه ونوازعه، فحمت بذلك العقل وسائر مصالح الإنسان وضرورياته، فالقرآن الكريم قد أباح النكاح، والاستمتاع بالشهوات الحلال، وأكل الطيبات، وأخذ الزينة، ودعا إلى الرفعة والارتقاء في درجات الكمال والجمال، فقال تعالى: ﴿وَنَقِصْ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾^(٢)، وحرّم في مقابل ذلك النزول إلى دركات الكفر، والشرك بالله، والزنا، ونهى عن الفرقة والتنازع، وسائر المعاصي والآثام، وكان واقعياً بفرضه للعقوبات، فمن الناس من لا يردعه خلق ولا دين عن التجاوز والطغيان، فهنا تتدخل عدالة السماء بقوتها الرادعة^(٣)، قال

اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلُ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤).

٢- القرآن الكريم يحث على استخدام البرهان في الحسيات، ويدعو إلى التثبت في النقليات، وليس ثمة كتاب خاطب العقل كالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿لَقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ﴾^(٦)، وقال: ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٧)، وقد سبق معنا عرض نماذج قرآنية تستحث سمع الإنسان وبصره على التفكير والاعتبار، وقد أثر ذلك في ثقافة المسلمين بالإيجاب، فوصلت حضارة المسلمين على النحو الذي يشهد له العالم أجمع.

٣- حث القرآن الكريم على العلم، وطلبه والاستزادة منه، قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٨)، وقد نشر القرآن الكريم الكثير من أحوال الأمم وتاريخها، وهذا -بحد ذاته- له بعد ثقافي من شأنه أن يثري في الإنسان عامل الخبرة لا سيما في جانب العلوم الاجتماعية والتاريخ، بالإضافة إلى تنمية مهارة البحث والقراءة.

٤- دعوة القرآن إلى الإيمان بالحقائق الكبرى، كإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما أجمع عليه

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٧٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٨.

(٤) سورة الجاثية، آية: ١٣.

(٥) سورة طه، آية: ١١٤.

(٦) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٧) سورة الشمس، آية: ٧-٩.

(٨) قال ابن القيم: (وأما معاقبة السارق بقطع يده وترك معاقبة الزاني

بقطع فرجه ففي غاية الحكمة والمصلحة، وليس في حكمة الله

تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّرَّ بِالسِّرِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

وقد ذهب الإسلام في سبيل محافظته على الضرورات الخمس لخطوات مكملة لها، من شأنها أن تحمي تلك التشريعات وتحوطها بالحفظ والرعاية، فنلمس مثلاً من تشريع الأذان -وهي شعيرة ظاهرة للعيان- نموذجاً مكملاً لحفظ الصلاة وأمر الدين، كما نلمس من العدل في تماثل القصاص العين بالعين والسن بالسن، ضرورة مكملة لحفظ الأنفس، ونلمس من الإسلام أيضاً المبالغة في حفظ العقل عن كل وسيلة من شأنها أن تؤثر فيه بخلل، ولذلك يحرم القليل من الخمر ولو لم يسكر لأنه يدعو إلى الكثير المضيق للعقل، قال صلى الله عليه وسلم: "مَا

أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ"^(٢)، وفي سنن الإسلام للكفاءة بين الزوجين مدعاة إلى حسن العشرة ودوام الألفة واستمرار الحياة بين الزوجين، وقد أباح في سبيل ذلك النظر إلى المخطوبة الأجنبية تنمة لحفظ البيت الزوجي وحمايته من فاحشة الزنا، وكل ذلك من مكملات الإسلام لحفظ ضرورة النسل، كما أن في تحريم الإسلام لأنواع من البيوع كالنجش والاحتكار ضرورة مكملة لحفظ المال.^(٣)

فالقرآن الكريم يسعى لاستثارة الإيمان الكامن والمستقر في فكر المسلمين و وجدانهم، حتى يكون هو الموجه الأوحد لضبط تصرفاتهم وأخلاقهم، ولا يقصد من تشريعه للحدود إقامة شرطي يحصي على الناس أخطاءهم، بل هو دين يحث على الستر، وقد كان عليه الصلاة والسلام يوجه كل من جاءه مذنباً إلى الاستغفار والتوبة، وربما أعرض عن سماع الاعترافات تعريضاً بالمعترف بأن لديه في التوبة مندوحة، كما كان يتلمس للشبهات ما يدرأ به الحد عن المذنب، وعندما تستوفي الجريمة شروطها فلا يتبقى من إقامتها بُدٌّ، فإنه يقيم شرع الله حتى لا

ومصلحة خلقه وعنايته ورحمته بهم أن يتلف على كل جان كل عضو عصاه به فيشرع قلع عين من نظر إلى المحرم وقطع أذن من استمع إليه ولسان من تكلم به ويد من لطم غيره عدواناً ولا خفاء بما في هذا من الإسراف والتجاوز في العقوبة وقلب مراتبها وأسماء الرب الحسنی وصفاته العليا وأفعاله الحميدة تأتي ذلك وليس مقصود الشارع مجرد الأمن من المعادة ليس إلا ولو أريد هذا لكان قتل صاحب الجريمة = فقط وإنما المقصود الزجر والنكال والعقوبة على الجريمة وأن يكون إلى كف عدوانه أقرب وأن يعتبر به غيره وأن يحدث له ما يذوقه من الألم توبة نصوحاً وأن يذكره ذلك بعقوبة الآخرة إلى غير ذلك من الحكم والمصالح)، مرجع سابق، إعلام الموقعين، ٨٢/٢.

(١) سورة المائدة، آية: ٤٥.

(٢) الترمذي، مرجع سابق، ح ١٨٦٥، أبواب الأشربة، باب: ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام، ٤٤٢/٣، وأبوداود، مرجع سابق، ح ٣٦٨١، كتاب الأشربة، باب: النهي عن المسكر، ٣٢٧/٣، محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ح ٣٣٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، أبواب الأشربة، باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام، (بدون: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م)، ٤٧٥/٤، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - وحسنه الترمذي.

(٣) انظر: محمد عبدالعاطي، مرجع سابق، ص ١٠ "بتصرف".

الحواس، والإنسان مع ذلك لا يستغني عن معونة الله حتى يكتب له التوفيق.

٦- يعتبر العلم وسيلة من الوسائل النبيلة التي يحث عليها القرآن الكريم، ويؤكد على ربطها بالعمل، حتى يحقق العبودية لله تعالى.

٧- تحتل القراءة مكان الصدارة في تراث المسلمين، وهي وسيلة هامة لتنمية عقل الإنسان وتطوير ملكاته.

٨- لم يفرض نظام الوحي التشريعي قيوداً على العلم، إلا في حال خروجه عن غاية الإصلاح في الأرض.

٩- تلقي جميع أنواع العلوم والمعارف المختلفة مع علوم الشريعة تحت مظلة الإسلام، وذلك في حال التزام تلك العلوم بأحكامه وتصوراتها.

١٠- لا يقتصر مفهوم العبادة في القرآن الكريم على أداء شعائر الإسلام التعبدية فحسب، وإنما يشمل جميع أعماله، ونشاطاته، ما دام يتوجه بها إلى الله تعالى.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبوبكر محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح(٨٧٣٦)، مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٣ (مؤسسة الرسالة)، بدون، ١٩٩٩ م.

يصبح التراخي عندها تفريطاً بحق الله تعالى وحق العباد والمجتمع ككل^(١).

وهناك حِكم كثيرة، وغايات نبيلة لا يسع المقام لذكرها، ولا تغطن العقول لحصرها، وإن كان يكفينا من ذلك أن نقف على دور تلك الأساليب القرآنية في رفع مستوى الحس الرقابي للإنسان، وكيف عملت على انتشاله من عالم الخرافة والجهل إلى دنيا واقعية حيث العلم والنور، وفتحت له المجال للتطوير والإبداع، وفي فترة وجيزة، انتظم حال العرب، وأصبحت لهم حضارة ومجد بعد أن كانوا يتخبطون في ظلمات الجهل والخرافة، والفرقة والضعف، فالحمد لله رب العالمين.

ونختتم هذه الجولة بجمع ما خلصنا إليه من خلال هذه الدراسة، وهي النتائج التالية:

- ١- يؤسس القرآن الكريم لبنية حضارية راقية، وإذا ما أردنا لعقولنا أن تنمو، وأفكارنا أن تزدهر، فإن علينا أن نتمثل مبادئه وقيمه.
- ٢- لقد كان للعقل دور كبير في تلقي نصوص الوحي وفهمها.
- ٣- أن النهوض بعقل الإنسان على مبادئ القرآن الكريم يساعدها على فهم الدين الذي ننتمي إليه.
- ٤- لقد أسهم الأسلوب القرآني الحكيم في بناء شخصية متميزة للمسلم.

٥- يشيد القرآن الكريم بدور العقل الهام في تلقي العلوم والمعارف، وهو دور مكمل لوظيفته

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م)، ٥١، "بتصرف".

-الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق، بيروت: دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٢هـ.

-راجح عبدالحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

-سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٣هـ.

-سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبو داود، بيروت: دار الكتاب العربي.

-صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، بيروت: دار الهلال، ١٤٢٧هـ.

-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

-عبدالكريم بكار، تجدد الوعي، ط٣ دمشق: دار القلم، ٢٠١٠م.

-عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

-عمر ابن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهمي شلتوت، جدة، ١٣٩٩.

-القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

-أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م.

-أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ٩١/٢.

-أحمد محمد حسين الدعشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضمنياتها التربوية دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١م.

-إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسند إسحاق، تحقيق: د.عبدالغفور البلوشي، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان.

-إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

-بكر بن عبدالله أبو زيد، التعامل وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

-جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، على الرابط:

<https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798>

-حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ.

-الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥، بدون: دار الجيل، ١٩٨١م.

-محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة.

-محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط٣ تونس: دار سحنون، ٢٠١٠م.

-محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط٢، بدون: دار المنار، ١٩٩٩م.

-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: دار الكتب العمية، ١٩٩١م).

-محمد بن أبي بكر ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨.

-محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

-محمد بن علي الشوكاني، تفسير فتح القدير، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

-محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

-مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م.

-مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

-محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

-محمد الأمين الشنقيطي، العذب النмир من مجالس الشنقيطي فـي التفسير، تحقيق: خالد السبب، ط٢، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.

-محمد الأمين الشنقيطي، مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م.

-محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر.

-محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤).

-محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م.

-محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

-محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٦م.

-محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف.

-مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.

-مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط٣، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥م.

-محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار المغرب، ١٩٩٨م.

-محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر.

-محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث.

-محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

-محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، أبواب الأشربة، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.

Quran Style in the Wisdom of Human Mind (English Abstract)

Ali bin Mohammed bin Ibrahim Shihab

Abstract Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Muhammad and his family and companions.

The research question is Quran Style in the Wisdom of Human Mind Structure. By its nature, the research has been divided a preface, an introduction, four chapters and a conclusion and an appendix for resources, references, and table of content.

The introduction tackles the question, its importance, reasons for its choice, research plan and approach.

The preface contains a brief presentation on human expected role on earth according to Holy Quran.

The study aims at exploring the Quran style and its role in human mind's structure and safety.

أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية دراسة فقهية مقارنة

د. فاطمة بنت عويض الجلسي الحربي

أستاذ الفقه المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

مستخلص الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد.
فهذا البحث تناول بالدراسة " أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية" من حيث إمكانية الاستمرار فيها، وهل يجوز
للزوج جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا، أم يلزمها العدة أو الاستبراء بعد الزنا؟ وهل يجب على الزوج طلاقها
أم لا؟ ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: أن زنا الزوجة لا يفسخ النكاح باتفاق الأئمة الأربعة، كما أنه
لا يحل للزوج جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا إلا بعد التأكد من براءة الرحم بحيضة، وأنه يجب على الزوج
طلاق الزوجة غير العفيفة على الراجح من أقوال العلماء، والله تعالى أعلى وأعلم.
وصلّى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين
الطاهرين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد.

المقدمة

فاحشة وأسوأ طريق لإشباع الغريزة: فقال سبحانه
وتعالى [وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا
[سورة الإسراء: ٣٢] ولبشاعته وعظيم خطره قرنه

فقد حرم الله سبحانه تعالى الفواحش في كل الشرائع،
وعلى رأسها الزنا، وأمر بالابتعاد عنه، ووصفه بأنه

منهجي في البحث:

١. جعلت البحث دراسة مقارنة بين المذاهب الأربعة المعروفة.

٢. اتبعت الترتيب الزمني في عرض المذاهب؛ فأبدأ بالحنفية ومن وافقهم، ثم المالكية ومن وافقهم، ثم الشافعية ومن وافقهم، ثم الحنابلة.

٣. إن كان لأحد المذاهب قولان في مسألة فإنني أبدأ بالأقوى منهما في المذهب، ثم ما دونه.

٤. ذكر سبب الخلاف إن وجد.

٥. ذكر الأدلة، مع بيان وجه الدلالة، إلا فيما هو ظاهر الدلالة، ومناقشتها؛ بذكر ما يرد عليها من اعتراضات، ثم أذكر ما ورد لدفعها، وقد أذكر ما يمكنني الاعتراض عليه، أو دفعه، أو الإجابة عنه، وأشير إليه بقولي: "قلت: يعترض عليه بكذا"، أو "قلت: ويجاب عنه بكذا".

٦. بعد عرض حجج المذاهب ومناقشتها، أذكر ما يظهر رجحانه من أقوال العلماء، رحمهم الله تعالى، على ضوء قوة الدليل كما ظهر لي، مع ذكر سبب الترجيح.

٧. عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها.

٨. تخريج الأحاديث النبوية والآثار وعزوها إلى مصادرها، فإن كان الحديث متفقاً عليه أو في أحد الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما فإنني أعتني ببيان مشاهير من أخرجه، فإن

الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يُصَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا [سورة الفرقان: ٦٨، ٦٩]، وجعل لمن ارتكبه عقوبة تزيد في حق المحصن؛ لبشاعة فعله ولما يترتب عليه من الآثار خاصة من الزوجة، ومن هنا كان هذا البحث الذي يتناول أهم الآثار المترتبة على زنا الزوجة، والذي وسمته بـ: "أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية دراسة فقهية مقارنة"، وانتظم هذا البحث في مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، أما المقدمة فذكرت فيها: أهمية الموضوع، وحدود البحث وهيكل البحث، والمنهج المتبع فيه، وأما المطالب:

فالمطلب الأول: أثر زنا الزوجة على استمرار النكاح.

المطلب الثاني: في حكم جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا.

المطلب الثالث: في حكم طلاق الزوجة غير العفيفة.

وأما الخاتمة فدونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

حدود البحث:

تناول البحث أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية فيما لو اختار الزوج اسقاط حقه في قذفها بالزنا.

قال ابن قدامة^(٣): "إن زنت امرأة رجل، أو زنى زوجها، لم يفسخ النكاح، سواء كان قبل الدخول أو بعده، في قول عامة أهل العلم"^(٤).

الأدلة:

استدل الفقهاء لما ذهبوا إليه من أن الزنا لا يفسخ النكاح بالسنة والمعقول:
أما السنة:

١. فعن ابن عباس، أَنَّ رجلاً، قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ تَحْتِي امْرَأَةً جَمِيلَةً لَا تَزُدُّ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ: "طَلِّقْهَا"، قَالَ: إِنِّي لَا أَصْبِرُ عَنْهَا، قَالَ: "فَأَمْسِكْهَا"^(٥).

والإكليل للمواق(٤٧٨/٥)، شرح ابن ناجي التنوخي على الرسالة(٩٧/٢)، أضواء البيان للشنقيطي(٤٢٦/٥)، البيان والتحصيل لابن رشد(٤٦٣/٤)، الحاوي الكبير للماوردي(١٩٠/٩)، الأم للشافعي(١٣/٥)، جواهر العقود للمنهاجي(٢١/٢)، البيان للعمرائي(٢٥٨/٩)، تكملة المجموع للطبعي(٢٢٣/١٦)، الإقناع للحجاوي(١٨٦/٣)، الروض المربع للبهوتي(ص ٦٠٩)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي(٢٠٠/٣)، المغني لابن قدامة(١٤٢/٧)، كشف القناع للبهوتي(٨٣/٥)، المبدع لابن مفلح(١٣٨/٦).
٢. انظر مختصر اختلاف العلماء للطحاوي(٣٦٨/٢)، البناية للعيني(٦١/٥)، المبدع لابن مفلح(١٣٨/٦)، المغني لابن قدامة(١٤٢/٧)، إلا حكاية عن بعض الصحابة والتابعين كعلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله ؓ، فإنهم قالوا يفرق بينهما، وهو قول الحسن البصري رحمه الله، والأثر عن علي ؓ رواه ابن حزم في المحلى(٦٧/٩)، وعن جابر ؓ رواه ابن أبي شيبة(١٦٨٨١)، وعن الحسن رواه سعيد بن منصور(٨٥٩)، وابن أبي شيبة(١٦٨٨١)، قلت: وهو مروى عن إبراهيم النخعي: رواه عبد الرزاق(١٠٦٩٣)، وسعيد بن منصور(٨٥٨)، وابن أبي شيبة(١٦٨٨٢)، وعن قتادة رواه عبد الرزاق(١٠٦٩٤).

(٣) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي، الحنبلي، كان إماماً في القرآن وتفسيره، وفي علم الحديث، وفي علم الفقه، وفي علم الخلاف والأصول، وكان زاهداً، ورعاً، كثير الحياء، سخيّاً، كثير العبادة، كان لا يناظر أحداً إلا وهو يتنسم من مصنفاته: "المغني" و"المقنع" و"العمدة". (ت ٦٢٠). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي(١٦٥/٢٢)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب(٤/١٠٥ - ١١٨)، معجم المؤلفين لكحالة(٣٠/٦).
(٤) المغني(١٤٢/٧).

(٥) رواه أبو داود(٢٠٤٩)، والنسائي(٣٢٢٩) واللفظ له، وسيأتي التفصيل في سند ومتن الحديث ص ٨ - ١١ من هذا البحث.

لم أجده فإنني أبحث عنه في الأجزاء وغيرها، مع ذكر حكم العلماء عليه، فإن لم أجد من أخرجه، أشير إلى ذلك مع ذكر المصدر الذي ورد فيه.

٩. وضع ما نقلته نصاً بين علامتي تنصيص دون ما تصرف فيه بين علامتي تنصيص، وأما ما عداه مما تصرفت فيه فأحيل إليه بلفظ: (انظر).
١٠. ترجمة الأعلام، ما عدا المشهورين، منهم حسب ما ظهر لي.

١١. بيان الألفاظ الغريبة والمصطلحات الحديثية.
١٢. اعتماد طريقة التوثيق المختصر بذكر اسم الكتاب والمؤلف.

١٣. ذكر بيانات النشر في قائمة المصادر والمراجع، وما لم أذكره من هذه البيانات فسببه أنه غير مذكور في النسخة التي رجعت إليها.

هذا والله سبحانه أسأل الإخلاص والقبول الحسن، وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول: أثر زنا الزوجة على

استمرار النكاح.

اتفق الأئمة الأربعة على أن الزوجة إذا وقعت في الزنا لم يفسخ النكاح بذلك^(١)، وبه قال عامة الصحابة^(٢).

(١) انظر البحر الرائق لابن نجيم(١٠٣/٣)، حاشية ابن عابدين(٣٤/٣)، المبسوط للسرخسي(٤٢/٧)، مواهب الجليل للحطاب(٤١٥/٣)، التاج

وجه الدلالة:

أمره النبي ﷺ بطلاقها ولو انفسخ نكاحها بالزنا لما احتاج إلى الطلاق، ثم لما أخبره أنه يحبها أذن له في الاستمتاع بها، ولو حرمت عليه لنهاه عن الاستمتاع بها ولأعلمه تحريمها^(٦).

٢. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "مَا أَلْوَانُهَا؟" قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَأَتَى ذَلِكَ؟" قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: "فَلَعَلَّ ابْنُكَ هَذَا نَزَعَهُ"^(٨).

وجه الدلالة:

ما ذكره الرجل كان كناية عن زناها بأسود ولم يحرمها عليه^(٩).

٣- وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ^(١٠): أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ جَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ الْآخِرَ قَدْ زَنَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ ذَكَرْتَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ

(٦) انظر الحاوي الكبير للماوردي (١٩٠/٩)، تكملة المجموع للمطيعي (٢٢٣/١٦).

(٧) الْأَوْزُقُ: الْأَسْمَرُ. وَالْوُرْقَةُ: السُّمْرَةُ. يُقَالُ: جَمَلٌ أَوْزُقٌ، وَنَاقَةٌ وَرَقَاءٌ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ لِابْنِ الْأَثِيرِ (١٧٥/٥)، وَقِيلَ الَّذِي لَوْنُهُ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْغُبَرَةِ وَمِنْهُ قِيلَ لِلرَّمَادِ: أَوْزُقٌ وَلِلْحَمَامَةِ وَرَقَاءٌ. غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ (٩٨/٢).

(٨) رواه البخاري (٤٩٩٩)، ومسلم (٣٨٣٩).

(٩) انظر الحاوي الكبير للماوردي (١٩٠/٩).

(١٠) سعيد بن المسيب المخزومي، أبو محمد، كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، من سادات التابعين فقها وعبادة، روى عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وروى عنه الزهري، وقتادة، ويحيى بن سعيد، كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته. (ت ٩٣). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٧/٢)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٥).

غَيْرِي؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: ثُبِّ إِلَى اللَّهِ، فَاسْتَنْزَرَ بِسِتْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، فَأَتَى عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ الْآخَرَ قَدْ زَنَا. قَالَ سَعِيدٌ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَارٍ، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرَ عَلَيْهِ بَعَثَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: "أَيَسْتَكِي؟ أَبِي جَنَّةٌ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَّحِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْبَكْرُ، أَمْ تَيْبٌ؟" قَالَ: بَلَن تَيْبٌ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجِمَ"^(١١).

وجه الدلالة:

أمر النبي ﷺ برجمه ولم يفسخ نكاحه^(١٢).

٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ^(١٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا قَالَا: "إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ: نَعَمْ، فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ

(١١) رواه النسائي في الكبرى (٧١٤١).

(١٢) المحلى لابن حزم (٦٧/٩).

(١٣) زيد بن خالد الجهني يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو زرعة، وقيل: أبو طلحة. سكن المدينة، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. روى عنه من الصحابة: السائب بن يزيد، والسائب بن خالد، وغيرهما. ومن التابعين: ابنه خالد، وأبو حرب، وعبيد الله بن عتبة، وابن المسيب، وأبو سلمة، وعروة، وغيرهم. انظر أسد الغابة لابن الأثير (٣٥٥/٢)، الإصابة لابن حجر (٦٠٣/٢).

القول الأول:

يجوز وطؤها عقب الزنا ولا يجب عليها العدة من الزنا وإلى هذا ذهب الحنفية على المفتى به عدا زفر، والأصح عند الشافعية، إلا أن تركه أولى عند الشافعية (١٨).

القول الثاني:

لا يحل له وطء الزوجة عقب الزنا وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية، والمالكية، والحنابلة (١٩) واستثنى المالكية من ذلك ما لو زنت الزوجة وهي ظاهرة الحمل فيباح لزوجها جماعها مع الكراهة (٢٠).

ثم اختلفوا فيما يلزمها من العدة أو الاستبراء إلى قولين:
الأول:

الله ﷻ: "قُلْ"، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيًّا (١٤) عَلَى هَذَا، فَرَزَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَأَقْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جُلْدَ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْعَنْمُ رَدٌّ، وَعَلَى ابْنِكَ جُلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاعْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمُهَا"، قَالَ: فَعَدَا عَلَيْهَا، فَأَعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَتْ (١٥).

وجه الدلالة:

لم يأمر النبي ﷺ زوج المرأة أن يفارقها.

أما المعقول فقالوا:

إن الزنا معصية لا تُخرج عن الإسلام، فأشبهت السرقة (١٦)، كما أن النكاح سابق فكان أولى (١٧).

المطلب الثاني: في حكم جماع الزوجة عقب

وقوعها في الزنا

اختلف الفقهاء في جماع الزوج لزوجته بعد وقوعها في الزنا وهل يلزمها العدة أم الاستبراء على قولين:

(١٨) انظر حاشية ابن عابدين (٣/ ٣٤٠، ٥٢٠، ٥٢٧) المبسوط للسرخسي (١٥٢/١٣)، تبين الحقائق للزيلعي (١١٤/٢) و (٢٣/٦)، بدائع الصنائع للكاساني (١٩٣/٣) و (٢٥٣/٥)، البحر الرائق لابن نجيم (١٠٣/٣)، شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤١/٣)، مجمع الأنهر لداماد أفندي (٣٢٩/١)، البناية للعينبي (٦١/٥)، المحيط البرهاني لابن مازة (٨/ ٥٤)، الأصل لمحمد بن الحسن (٢٥٧/٥)، نهاية المطلب للجويني (٢١٩/١٢)، مغني المحتاج للشريني (٨٤/٥)، تحفة المحتاج للهيتمي (٢٣٢/٨)، روضة الطالبين للنووي (٣٧٥/٨)، شرح السنة للبغوي (٢٩٠/٩)، الحاوي الكبير للمواردي (١٩١/٩).

(١٩) انظر تبين الحقائق للزيلعي (١١٤/٢)، بدائع الصنائع للكاساني (٢٥٣/٥)، مجمع الأنهر لداماد أفندي (٣٢٩/١)، الشرح الكبير للدردير (٢١٩/٢)، مواهب الجليل للخطاب (١٤٥/٤)، التاج والإكلیل للمواق (١٤٥/٤)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٦٧٨/٢)، شرح مختصر خليل للخرشي (١٤٠/٤)، الفتاوى الفقهية الكبرى للهيتمي (٩٣، ٩٤)، الإقناع للحجاوي (١١٥/٤)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٢٠٠/٣)، الروض المربع للبهوتي (ص ٦٠٩)، الكافي لابن قدامة (٣٦/٣)، المبدع لابن مفلح (١٣٨/٦) و (٩٥/٧)، الإنصاف للمرداوي (٢٩٥/٩).

(٢٠) انظر الشرح الكبير للدردير (٤٧١/٢)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرياني (١٦٢/٢)، الشرح الصغير للدردير (٦٧٨/٢).

(١٤) العسيف: الأجبر. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٦٣/٣)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي (ص ١٣١).

(١٥) رواه البخاري (٢٥٧٥)، ومسلم (٤٥٣١).

(١٦) انظر الأم للشافعي (١٣/٥)، المغني لابن قدامة (١٤٢/٧).

(١٧) انظر الكافي لابن قدامة (٣٦/٣).

الثاني:

يرى القائلون به أن عليها الاستبراء بحيضة وإلى هذا ذهب الإمام مالك في قول والإمام أحمد في رواية (٢٨)(٢٩).

الأدلة:

أولاً: أدلة القائلين بجواز جماع الزوجة بعد وقوعها في الزنا وعدم وجوب العدة عليها ومناقشتها، استدلوها لقولهم بالسنة والآثار والمعقول:

أما السنة:

١- فما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: "... لَا تَزُدْ يَدَ لَامِسٍ".

وجه الدلالة:

لم يأمر النبي ﷺ الرجل باجتناب زوجته (٣٠).

وأعترض عليه بما يلي:

أن الحديث روي مرسلًا (٣١) ومسنداً أما المرسل فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ (٣٢)، وَعَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، أَوْ أَبِي الزُّبَيْرِ (٣٣).

(٢٨) انظر الشرح الكبير للدردير (٤٧١/٢)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٦٧٥/٢)، الاستذكار لابن عبد البر (٩٥/٦)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٢٠٠/٣)، المبدع لابن مفلح (١٣٨/٦)، الروض المربع للبهوتي (ص ٦٠٩)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩)، الإنصاف للمرداوي (٢٩٥/٩)، الكافي لابن قدامة (٢٠١/٣).

(٢٩) قال محمد بن الحسن يستبرئها بحيضة استحباباً؛ لأن الوطء يوجب توهم الشغل فتستبرأ كالمشتراة. انظر المبسوط للسرخسي (١٥٣/١٣)، شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤٦/٣).

(٣٠) الأوسط لابن المنذر (٥١٩/٨).

يرى القائلون أن عليها الاستبراء قدر العدة فذات الأقراء ثلاثة قروء، وذات الأشهر ثلاثة أشهر، والمرتبطة سنة وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية والمالكية على المعتمد والحنابلة على المذهب (٢١)، وبه قال ربيعة (٢٢)، والأوزاعي (٢٣)، وإسحاق (٢٤)، والحسن البصري (٢٥)، والنخعي (٢٦)(٢٧).

(٢١) انظر شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤٦/٣)، مواهب الجليل للخطاب (١٤٥/٤)، الشرح الكبير للدردير (٤٧٢/٢)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٦٧٥/٢)، التاج والإكليل للمواق (٤٧٨/٥)، شرح ابن ناجي على متن الرسالة (٩٧/٢)، المبدع لابن مفلح (١٣٨/٦)، الإنصاف للمرداوي (٢٩٥/٩)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩)، الفروع لابن مفلح (٢٥٤/٩).

(٢٢) ربيعة بن أبي عبد الرحمن: فروخ القرشي التيمي مولا هم، أبو عثمان، المعروف بربيعة الرأي، الإمام، مفتي المدينة، وعالم الوقت. روى عن أنس، والسائب بن يزيد، وابن المسيب، والحارث بن بلال، وعطاء، والقاسم بن محمد، وغيرهم، وعنه: مالك بن أنس، وشعبة، والليث، ويحيى بن سعيد، وسليمان التيمي، وسهيل بن أبي صالح، وخلق. كان من أوعية العلم، وأئمة الاجتهاد، وثقه أحمد، والعجلي، وأبو حاتم، والنسائي، والجمهور. (ت ١٣٦) رحمه الله. انظر تهذيب الكمال للمزي (١٢٣/٩)، (١٢٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٩١/٦)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٥٨/٢).

(٢٣) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، أعلم أهل الشام بالسنة وكان ثقة، مأموناً، كثير الحديث والعلم والفقه، حجة، سئل عن الفقه وله ثلاث عشرة، أخذ عنه: أبو إسحاق الفزاري، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم. (ت ١٥٧). انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٨٨/٧)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ٧٦).

(٢٤) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه، أبو يعقوب، أحد أئمة الدين، جمع بين الفقه والحديث والورع والتقوى، قال الإمام أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أحد أفقه من إسحاق. وقال إسحاق: أحفظ سبعين ألف حديث، وأذكر بمائة ألف حديث، وما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته. (ت ٢٣٨). انظر طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٤/١)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨٣/١)، ٨٥، ٨٨، المقصد الأرشد في ذكر تراجم أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (٢٤٢/١).

(٢٥) الحسن بن أبي الحسن: يسار الأنصاري مولا هم، أبو سعيد البصري: إمام، مفسر، محدث، فقيه، ثقة، ثبت، حجة، عابد، زاهد، كبير الشأن، رفيع الذكر، رأس في العلم والعمل، ربيب أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. روى له الستة. (ت ١١٠) رحمه الله. انظر تهذيب الكمال للمزي (٩٥/٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٦٣/٤)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٦٣/٢).

(٢٦) إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، أبو عمران، فقيه أهل الكوفة، تابعي جليل، أجمعوا على توثيقه وجلالته وبراعته في الفقه، كان بصيراً بعلم ابن مسعود ﷺ. (ت ٩٦)، وهو ابن تسع وأربعين سنة. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٥/١)، الإعلام للزركلي (٨٠/١).

(٢٧) انظر الحاوي الكبير للموردي (١٩٢/٩).

الذهبي في ميزان الاعتدال، وأورد له حديثاً، وقال: هذا منكر. ومثله وإن كان لا بأس به^(٣٧).

وأما رواية النسائي: فقال عنها: "هذا خطأ والصواب مرسل قد خولف النضر بن شميل^(٣٨) فيه.."^(٣٩) (٤٠)، وقد أعل الحديث علماء العلل: بأن الأكثرين الثقات على أن الحديث من مراسيل عبدالله بن عبيد بن عمير، وهذا الذي صححه يحيى بن سعيد القطان^(٤١) وابن كثير^(٤٢) والواحي^(٤٣) في تفسيره^(٤٤) وغيرهم.

الكمال للمزي (١٩/ ٨٩ - ١٠٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٦٥ - ٧٧).

^(٣٧) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٤/٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (٣٨/٤)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦٦/٣)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٧٤/٢)، لسان الميزان لابن حجر (٤٧٠/١).

^(٣٨) النضر بن شميل المازني، أبو الحسن، النحوي البصري نزيل مرو قال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين، وأبو عبد الرحمن النسائي: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة، صاحب سنة. (ت ٢٤٠). وقيل غير ذلك. انظر تهذيب الكمال للمزي (٢٩/ ٣٧٩ - ٣٨٤).

^(٣٩) السنن الكبرى للنسائي (٢٧٨/٥)، السنن الصغرى للنسائي (٤٣٧/٥). ^(٤٠) رواه غيره عن حماد بن سلمة، عن هارون بن رباب، وعبد الكريم المعلم، عن ابن عبيدالله بن عمير، قال عبد الكريم، عن ابن عباس، وعبد الكريم ليس بذلك القوي وهارون بن رباب ثقة، وحديث هارون أولى الصواب وهارون أرسله". انظر السنن الكبرى للنسائي (٥٦٣٠).

^(٤١) يحيى بن سعيد بن فروخ الإمام سيد الحفاظ أبو سعيد التميمي مولاها البصري القطان. قال أحمد: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان. وقال ابن المديني: ما رأيت أحدا أعلم بالرجال منه. وقال بندار: هو إمام أهل زمانه. وقال النسائي أمانة الله على حديث رسول الله ﷺ: مالك وشعبة ويحيى القطان. وقال أحمد إلى يحيى القطان المنتهي في التثبوت. (ت ١٩٨). انظر طبقات الحفاظ للذهبي (١/ ٢١٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٥/٩ - ١٨٧).

^(٤٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء، القرشي الشافعي. كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، تفقه على برهان الدين الفزاري، وكمال الدين بن قاضي شعبة، ولازم الحافظ أبا الحجاج المزي، وأخذ عنه وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وأقبل على حفظ المتن، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب. وصنف في صغره كتاب "الأحكام على أبواب التنبيه" و"البداية والنهاية" و"التفسير" واختصر "تهذيب الكمال" وخرّج الأحاديث الواقعة في "مختصر ابن الحاجب". (ت ٧٧٤). انظر الدرر الكامنة لابن حجر (٤٤٥/١)، المنهل الصافي لابن تغري بردي (٤١٤/٢)، طبقات المفسرين للداوودي (١١٢/١).

وأما المسند فرواية أبي داود فيها حسين بن واقد المروزي: ثقة موصوف بالوهم والغلط، ووصفه الدارقطني، بالتدليس، وقد عنعن هاهنا. وقال الإمام أحمد: ما أنكر حديث حسين بن واقد عن أبي المنيب^(٣٤). وقال: ليس بذاك. وروي لأحمد حديث عن ابن عمر مرفوعاً، فأنكره، وقال: ومن روى هذا؟ قيل له الحسين بن واقد. فقال بيده، وحرك رأسه، كأنه لم يرضه. وقال: أحاديث حسين ما أرى أي شيء هي، ونفض يده. وقال: حسين ضعيف. وقال أحمد وابن المديني^(٣٥): له أشياء مناكير. وقال أبو داود وأبو زرعة^(٣٦) والنسائي: لا بأس به وذكره

^(٣١) المرسل هو: حديث التابعي الكبير، الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم، كعبيد الله بن عدي بن الخيار، ثم سعيد بن المسيب، وأمثالهما، إذا قال: "قال رسول الله ﷺ". انظر مقدمة ابن الصلاح (ص ٥١)، التقريب والتيسير للنووي (ص ٣٤).

^(٣٢) رواه الإمام الشافعي في الأم (١٢/٥، ١٣)، وعبدالرزاق (١٢٣٦٥)، ورجاله رجال مسلم إلا أنه مرسل، والبيهقي في السنن الصغير (٢٤٣٠)، وهو مرسل.

^(٣٣) رواه عبدالرزاق (١٢٣٦٦)، وإسناده ضعيف، يرويه عبد الكريم، عن رجل لم يسم، عن مولى لبني هاشم.

^(٣٤) عبيدالله بن عبدالله أبو المنيب العتكي، قال البخاري: عنده مناكير. وقال النسائي ضعيف. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، قال البيهقي: لا يحتج بحديثه. وقال ابن حبان يتفرد عن الثقات بالأشياء المقلوقة. انظر تهذيب الكمال للمزي (٤١/٩).

^(٣٥) علي بن عبدالله بن جعفر السعدي بالولاء المديني، البصري، أبو الحسن: الشيخ الإمام الحجة، أمير المؤمنين في الحديث، محدث مؤرخ، كان حافظ عصره. له نحو مئتي مصنف. من كتبه: "الطبقات" و"اختلاف الحديث" و"مذاهب المحدثين" و"علل الحديث ومعرفة الرجال". انظر تهذيب الكمال للمزي (٥/٢١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١/١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٤٩/٧).

^(٣٦) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ بن داود، أبو زرعة الرازي، الإمام، سيد الحفاظ، أحد الأئمة المشهورين، والأعلام المذكورين، والجوالين المكثرين، والحفاظ المتقنين. قال علي بن الحسين بن الجنيد: ما رأيت أحدا أعلم بحديث مالك بن أنس، مسندها ومنقطعها من أبي زرعة، وكذلك سائر العلوم، وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبي زرعة، فقال: إمام، وقال عمر بن محمد بن إسحاق القطان: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي، يقول: ما جاوز الجسر أحد أفقه من إسحاق بن راهويه، ولا أحفظ من أبي زرعة. (ت ٢٦٤). انظر تهذيب

أما الإمام أحمد فقد رد الحديث، وحكم ببطلانه، وأنه منكر، وكذلك قال: الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤٥)(٤٦)، وأبو بكر بن العربي^(٤٧)، وابن الجوزي^(٤٨)، وابن تيمية.

فقد قال الإمام أحمد: هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ، ولا يثبت في هذا الباب شيء، وليس له أصل. وقال مرة: ليس لها أسانيد جياد، يعني: هي أحاديث ضعاف^(٤٩)، وقال ابن العربي: "هذا الحديث لم

^(٤٣) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مثنويه الإمام أبو الحسن الواحدي النيسابوري. كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي، صنف التفسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي والإعراب عن الإعراب وشرح الأسماء الحسنى ونفي التحريف عن القرآن الشريف. وتصدر للإفادة وللتدريس مدة، وله شعر حسن، (ت ٤٦٨). انظر طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٧٨، ٧٩)، طبقات المفسرين للداودي (٣٩٤/١).

^(٤٤) انظر المحدث الفاصل (ص ٢٤٠)، تفسير ابن كثير (١٢/٦)، التفسير الوسيط (٣٠٤/٣).

^(٤٥) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الخزاعي بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدياً. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة. من كتبه "الغريب المصنف"، و"فضائل القرآن" قال عبدالله بن طاهر علماء الإسلام أربعة: عبدالله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلام في زمانه. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٠/٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٠١/٨)، الأعلام للزركلي (١٧٦/٥).

^(٤٦) انظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (١٠٩/١).

^(٤٧) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ. رحل مع أبيه إلى المشرق ودخل ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين. وكان من أهل التفتن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها مقدماً في المعارف كلها أحد من بلغ رتبة الاجتهاد وأحد من انفرد بالأندلس بعلم الإسناد. شرح الموطأ وشرح الترمذي. (ت ٥٤٣). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٩/٢٠-٢٠١)، الديباج المذهب لابن فرحون (٢٥٢/٢).

^(٤٨) عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ له نحو خمس مئة مصنف، منها: "تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار" و"الموضوعات" و"تلبيس إبليس" و"التحقيق في مسائل الخلاف". (ت ٥٩٧). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥٢/٢٢)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٤٥٨/٢)، المقصد الأرشد لابن مفلح (٩٣/٢).

^(٤٩) انظر مسائل الإمام أحمد رواية عبدالله (ص ٤٤٥)، الموضوعات لابن الجوزي (٢٧٢/٢).

يثبت"^(٥٠)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات^(٥١)، وقال ابن تيمية: "لا تقوم به حجة في معارضة الكتاب والسنة"^(٥٢).

وعلى فرض صحة الحديث فإن للعلماء تأويلات في معناه:

لا يمكن معها أن يكون الشارع الحكيم قد أقر المرأة وزوجها على الفاحشة، وقد قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: "ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُنْرَجِلَةُ، الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالذَّيُّوثُ"^(٥٣).

والمؤمن أمام النصوص الشرعية لابد أن يحملها على أحسن المحامل، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً، فإنه يبادر إلى تفويض علم النص ومعناه إلى الله تعالى كما قال الله تعالى [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ] [سورة آل عمران، الآية: ٧] ^(٥٤).

^(٥٠) أقاويل الثقات للكرمي (ص ١٨٩).

^(٥١) الموضوعات (٢٧٢/٢).

^(٥٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١٦/٣٢).

^(٥٣) رواه الإمام أحمد (٦١٨٠)، والنسائي (٢٥٦٢)، والحاكم (٢٤٤). وقال:

إسناده صحيح، ولم يخرجاه.

^(٥٤) انظر تفسير الطبري (١٨٨/٥-٢١١).

على رسول الله ﷺ إلا بما قد علموه، فإنهم منهيون عن ذلك، معاقبون عليه^(٥٩).
لذلك اجتهد العلماء، رحمهم الله، في تأويل معنى الحديث:
فذهب بعضهم إلى: أنها امرأة سخية خِرْقَة^(٦٠)، مبذرة.

قال الإمام أحمد: "تُعْطِي من ماله، قيل: فإن فلاناً يقول: من الفجور؟ قال: ليس هو عندنا إلا أنها تعطي من ماله، ولم يكن النبي ﷺ يأمره بإمساکها وهي تفجر"^(٦١).
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ^(٦٢): لَيْسَ يَعْنِي الْفُجُورَ، إِنَّمَا يَعْنِي السَّخَاءَ^(٦٣).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: "وتأولوه: على البغاء، وهذا عندنا خلاف الكتاب والسنة لأن الله تبارك وتعالى إنما أذن

قال عبدالرحمن السعدي^(٥٥): الحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تُشْكَل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضاً، ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين: [فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْغٌ فَيَنْتَبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ] يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه؛ [ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ] فالمتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه^(٥٦).

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، قَالَ: "إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا، فَظَنُّوا بِهِ الَّذِي هُوَ أَهْيَا، وَأَهْدَاهُ، وَأَتَقَاهُ"^(٥٧).

قال أبو جعفر الطحاوي^(٥٨): "فهكذا ينبغي للناس أن يفعلوا، وأن يحسنوا تحقيق ظنونهم، ولا يقولون

^{٥٨} أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، إماماً فقيهاً ثقة ثبتاً انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، روى عن هارون الأيلي، وابن رفاعه، وبحر بن نصر وغيرهم، وروى عنه أبو الحسن الإخميمي، وأحمد الخشاب، وأبو بكر بن المقرئ، من مصنفاته معاني الآثار، والمختصر في الفقه (ت ٣٢١). انظر طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٣٩٩)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي (١٠٢/١).
^{٥٩} شرح معاني الآثار (١٤٧/٤)، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (٨٧٢/٢).

^{٦٠} الخِرْقَة، بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة: السخي. يقال: هو يَخْرِقُ في السَّخَاءِ، إذا توسَّع فيه. انظر مقاييس اللغة لابن فارس (١٧٢/٢)، الصحاح للجوهري (١٤٦٧/٤)، تاج العروس للزبيدي (٢٢٠/٢٥).

^{٦١} مختصر سنن أبي داود للمنذري (٦/٢).
^{٦٢} عبد الملك بن قريب الأصمعي، أبو سعيد، الإمام، العلامة، الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، البصري، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام. يقال: اسم أبيه: عاصم، ولقبه: قريب. وقد أثنى عليه الإمام أحمد في السنة. قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. وعن ابن معين، قال: كان الأصمعي من أعلم الناس في فقه. وقال أبو داود: صدوق. (ت ٢١٣) وقيل غير ذلك. انظر تهذيب الكمال للمزي (٣٨٢/١٨، ٣٨٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٦/١٠، ١٧٧).

^{٦٣} رواه السلفي في الطيوريات (١٧٠).

^{٥٥} عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدِي التميمي: فقيه، أصولي، مفسر، وهو أول من أنشأ مكتبة عامة في عذبة، مكث من التأليف؛ من كتبه: "تفسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن"، و"القواعد الحسان في تفسير القرآن"، و"طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول"، و"الأدلة القاطعة والبراهين في إبطال أصول الملحدين"، و"القواعد والأصول الجامعة"، و"الدرة البهية شرح القصيدة الثانية"، و"توضيح الكافية الشافعية لابن القيم". (ت ١٣٧٦). الأعلام للزركلي (٣/٣٤٠)، معجم المؤلفين لكحالة (٣٩٦/١٣).

^{٥٦} انظر تفسير السعدي (ص ١٢٢)، وأضواء البيان للشنقيطي (١٩٣/١).
^{٥٧} رواه الإمام أحمد (٩٨٥)، وابن ماجه (٢٠)، والأثر رجاله رجال الشيخين. قال السندي: قوله: "الذي هو أهدى"، أي: أهدى الظنون، وهو أن ذلك الحديث صدق حق. "أهيا": معناه: أحسن هيئة. وروي الأثر عن ابن مسعود: رواه الإمام أحمد رقم (٣٦٤٥)، وابن ماجه (١٩)، ورجاله ثقات، وفيه انقطاع.

في نكاح المحصنات خاصة، ثم أنزل في القاذف لأمراته آية اللعان، وسنّ رسول الله ﷺ التفريق بينهما فلا يجتمعان أبداً، فكيف يأمره بالإقامة على عاهرة لا تمتنع ممن أرادها؟ وفي حكمه أن يلاعن بينهما ولا يقره معها قاذفاً على حاله؟ هذا لا وجه له عندنا. ومن الحجة في هذا أيضاً: قول النبي ﷺ: "إِذَا زَنَتْ أُمَةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا" ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: "فَلْيَبِغْهَا وَلَوْ بِصَفِيرٍ" (٦٤)، فكيف يكره أن توطأ الأمة الفاجرة ويرخص في الإقامة على الزوجة الحرة وهي فاجرة، والذي أحمل عليه وجه الحديث أنه ليس يثبت عن النبي ﷺ فإن كان له أصل فإن معناه: أن الرجل وصف امرأته بالخرق وضعف الرأي وتضييع ماله فهي لا تمنعه من طالب ولا تحفظه من سارق، هذا عندي مذهب الحديث، ... وقد احتج قوم بقول الله ﷻ: [أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ] [سورة النساء من الآية: ٤٣]، فقالوا: ألا ترى أنه قد جعل الجماع لمساً، فيقال لهم: إن الرجل لم يقل للنبي ﷺ إنها لا تمنع لامساً، فلو كان الكلام هكذا ما كانت لكم حجة ولكنه إنما قال: "يد لامس"، ولم يقل: فرج لامس، وقد قال الله ﷻ: [وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ] [سورة الأنعام من الآية: ٧] فهل لهذا معنى غير اليد المعروفة فهذا هو الشاهد أن يد اللامس هي التي تأولنا، والله أعلم.

وقد وجدنا مع هذا شاهداً في أشعار العرب، قال جرير بن الخطفي (٦٥) يعاتب قوماً.

أَلَسْتُمْ لِنَامًا إِذْ تَرُومُونَ جَارَكُمْ * وَلَوْلَا هُمْ لَمْ تَدْفَعُوا
كَفَّ لَامِسٍ

فهذا حجة في كلام العرب مع ما ذكرنا، لأن الشاعر إنما أراد: أنكم لا تمنعون ظالماً ولا أحداً يريد أموالكم (٦٦). وبنحوه قال الخلال (٦٧) (٦٨).

وقال أبو بكر الخرائطي (٦٩): "معنى الحديث: أن الرجل وصف امرأته بالخرق وضعف الرأي، وأنها لا تمنع أحداً سألها من متاع بيته شيئاً، وهذا لفظ مستغن عن الكناية، إنما تمنع اليد نفسها، فكان الجواب من رسول الله ﷺ: "إن كنت تحبها، ولا تطيق الصبر عنها، فاحتمل هذا الفعل منها"، وكيف يُتأول على رسول الله ﷺ أن يأمره بإمساك امرأة لا تمنع أحداً أرادها لريبة؟ وقد جاء عنه ﷺ في ذم الزنا

(٦٥) جرير بن عطية الخطفي التميمي، أبو خزيمة البمامي: شاعر أموي فحل، كان أشعر شعراء عصره، ولم يقف له إلا الفرزدق. وقد قيل: "الشعر أربعة أصناف: فخر، ومدح، ونسيب، وهجاء. وفي كلها غلب جرير". (ت ١١٠). انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٨٦/٧٢)، المنتظم لابن الجوزي، تاريخ الإسلام للذهبي (٢١/٣).

(٦٦) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (ص ١٠٨-١١١).
(٦٧) أحمد بن محمد بن هارون الخلال: فقيه علامة محدث، من كبار فقهاء الحنابلة المتقدمين، أنفق حياته في جمع علم الإمام أحمد، ورحل من أجله وجهد وسهر. من كتبه: "الجامع لعلوم الإمام أحمد"، و"العلل"، و"السنة"، و"الطبقات"، و"العلم"، و"تفسير الغريب"، و"الأدب"، و"أخلاق أحمد"، وغيرها. (ت ٣١١). انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٠٠/٦)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١٢/٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٦/٣).

(٦٨) تنزيه الشريعة المرفوعة (٢١٠/٢).
(٦٩) محمد بن جعفر بن محمد أبو بكر الخرائطي: محدث ثقة فاضل، حسن الأخبار، مليح التصانيف؛ فمنها: "مكارم الأخلاق"، و"مساوئ الأخلاق"، و"اعتلال القلوب"، و"قمع الحرص بالقناعة"، و"هواتف الجان وعجائب ما يحكى عن الكهان"، و"القبور"، و"فضيلة الشكر". (ت ٣٢٧). انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥١٥/٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢٤/٥٢)، المنتظم لابن الجوزي (٣٨١/١٣).

(٦٤) رواه البخاري (٦٤٤٧)، ومسلم (٤٥٤٤).

وذهب بعض المتأخرين كما قال ابن الملقن، إلى أن معناه: أمسكها عن الزنا، أو عن التبذير إما بمراقبتها، أو بالاحتفاظ على المال، أو بكثرة جماعها، قال: وهو حسن بالغ^(٧٤).

٢- واستدلوا بأن ماعزاً^(٧٥) لما أقرَّ بالزنا لم يأمره النبي ﷺ أن يجتنب زوجته إن كانت، ولا زوجته أن تجتنبه^(٧٦)(^{٧٧}).

قلت: ويُعترض على الاستدلال به من وجهين :

الأول: أن عدم النقل لا يدل على عدم الوقوع.

الثاني: أن زنا الزوج يفارق زنا الزوجة في أنه لا يحصل به اختلاط في الأنساب في فراشه.

٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يئبغ المرأة حراماً أينكح ابنتها، أو يئبغ الابنة حراماً أينكح أمها؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: "لَا يُحَرِّمُ الْحَرَامُ الْحَلَالَ، إِنَّمَا يُحَرِّمُ مَا كَانَ بِنِكَاحٍ حَلَالٍ"^(٧٨).

اختلفت إليه، وعلقت عنه الفقه سنيين. توفي عن مائة وستين، لم يخل عقله، ولا تغير فهمه، يفتي مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، ويقضي ويشهد، إلى أن مات (ت ٤٥٠). انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٩١/١٠)، التقييد لابن نقطة الحنبلي (ص ٣٠٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٦٨/١٧ - ٦٧٠).^(٧٩)

البيدر المنير لابن الملقن (١٨٣/٨)، تلخيص الحبير لابن حجر (٤٨٦/٣).

^(٨٠) انظر البدر المنير لابن الملقن (١٨٤/٨).

^(٨١) ماعز بن مالك الأسلمي معدود في المدنيين، كتب له رسول الله ﷺ كتاباً بإسلام قومه، وهو الذي اعترف بالزنى فرجمه، روى عنه ابنه عبد الله حديثاً واحداً. انظر أسد الغابة لابن الأثير (٦/٥)، الإصابة لابن حجر (٧٠٥/٥).

^(٨٢) انظر الأوسط لابن المنذر (٥١٩/٨).

^(٨٣) وحديث ماعز رواه الترمذي (١٤٢٨)، وقال: حديث حسن.

^(٨٤) رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٠٣)، والدارقطني (٣٦٧٨)، البيهقي (١٣٩٦٥)، ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما ابن

ما تقدم ذكره، بل لم نر أحداً أحب امرأة فاحتمل أن يرى معها رجلاً غيره، فكيف يجوز لقائل أن يتأول على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ هذا التأويل، ويُظن به هذا؟^(٧٠).

وذهب فريق إلى أن المقصود: أنها سهلة الأخلاق، ليس فيها نفور وحشمة عن الأجانب.

فقال ابن تيمية: "لفظ "اللامس" قد يراد به من مسها بيده، وإن لم يطأها فإن من النساء من يكون فيها تبرج، وإذا نظر إليها رجل أو وضع يده عليها لم تنفر عنه، ولا تمكنه من وطئها. ومثل هذه نكاحها مكروه؛ ولهذا أمره بفراقها، ولم يوجب ذلك عليه، لما ذكر أنه يحبها، فإن هذه لم تزن، ولكنها مذنبية ببعض المقدمات، ولهذا قال: لا ترد يد لامس؛ فجعل اللمس باليد فقط. ولفظ "اللمس، والملاسة" إذا عني بهما الجماع لا يخص باليد، بل إذا قرن باليد فهو كقوله تعالى [وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ] [سورة الأنعام من الآية (٧)]^(٧١).

وذهب فريق إلى أن المقصود: أنها تزني:

ورجح القاضي أبو الطيب^(٧٢) الأول بأن السخاء مندوب إليه فلا يكون موجباً لقوله: (طَلَّقَهَا)^(٧٣).

^(٧٤) اعتلال القلوب (٧٢٠)، وانظر كلام ابن الجوزي في الموضوعات (٢٧٢/٢).

^(٧٥) مجموع الفتاوى (١١٦/٣٢)، وانظر تفسير ابن كثير (١٧٠/١٠)، تلخيص الحبير لابن حجر (٢٢٦/٣)، سبل السلام للصنعاني (٢٨٤/٢).

^(٧٦) القاضي أبو الطيب الطبري طاهر بن عبد الله بن طاهر العلامة، شيخ الإسلام الشافعي، فقيه بغداد. قال الخطيب: كان شيخنا أبو الطيب ورعاً، عاقلاً، عارفاً بالأصول والفروع، محققاً، حسن الخلق، صحيح المذهب،

وأعترض على الاستدلال به من وجهين:

الأول: قال البيهقي^(٧٩) عن رواية عائشة رضي الله عنها: "تفرد به عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي وهو ضعيف، والصحيح عن الزهري عن علي مرسلاً وموقوفاً"^(٨٠)، وقال الذهبي: "عثمان متروك"^(٨١)، وعده ابن عدي في الضعفاء^(٨٣) وقال ابن حبان^(٨٤): "يروي عن الثقات الموضوعات لا يجوز الاحتجاج به"^(٨٥)، وقال ابن معين^(٨٦): "يكذب"^(٨٧)، وقال ابن حجر: "...وخرج ابن ماجه الجملة الأولى منه عن ابن عمر، وإسناده أصلح من

الأول"^(٨٨)، وقال أبو حاتم الرازي^(٨٩): "متروك الحديث، ذاهب الحديث، كذاب"^(٩٠)، وكذلك النسائي، إنما قال فيه: "متروك الحديث"^(٩١)، وقال البخاري، إنما قال فيه: تركوه^(٩٢).

وأما رواية ابن عمر عند ابن ماجه فالحديث ضعيف^(٩٣)، فيه عبدالله بن عمر، وهو: أخو عبيد الله، قال ابن حبان: "فحش خطؤه فاستحق الترك"^(٩٤)، وقال البوصيري^(٩٥): "هذا إسناد ضعيف، لضعف العمري"^(٩٦)، ورمز السيوطي له بالضعف في الجامع الصغير^(٩٧).

قال ابن قدامة: "وحديثهم لا نعرف صحته، وإنما هو من كلام ابن أشوع"^(٩٨) وبعض قضاة العراق كذلك

ماجه^(٢٠١٥)، والدارقطني^(٣٦٧٩)، والبيهقي^(١٣٩٦٤)، وسيائي الحكم عليه عند مناقشة الأدلة.

^(٧٩) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الخسرو ردي، الشافعي، محدث، فقيه، كان كثير التحقيق والإنصاف، حسن التصنيف، قانعاً من الدنيا باليسير، متجماً في زهده وورعه. قال إمام الحرمين: "ما من شافعي إلا وللشافعي عليه مئة إلا البيهقي فإن له على الشافعي مئة؛ لتصانيفه في نصره مذهبه"، ومن كتبه: "السنن الكبرى والصغرى" و"شعب الإيمان" و"معرفة السنن والآثار" و"الخلافيات". (ت ٤٥٨). انظر تذكرة الحفاظ للذهبي^(٢١٩/٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي^(٨/٤).

^(٨٠) الموقوف: هو المروي عن الصحابة قولاً لهم أو فعلاً أو نحوه متصلاً كان أو منقطعاً، ويستعمل في غيرهم مقيداً. التقريب والتيسير للنووي (ص ٣٣)، الباعث الحديث لابن كثير (ص ٤٥).

^(٨١) السنن الكبرى للبيهقي^(٢٥٧/٧).

^(٨٢) تنقيح التحقيق للذهبي^(١٨٨/٢).

^(٨٣) الكامل في الضعفاء^(٢٧١/٦).

^(٨٤) محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البستي، سمع النسائي والحسن بن سفيان وأبا يعلى وابن خزيمة، تولى قضاء سمرقند، كان فقيهاً حافظاً، عالماً، رحالة، أكثر من التصنيف، من كتبه: "المسند الصحيح" و"الثقات" و"المجروحين". (ت ٣٥٤) رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي^(٩٢/١٦)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٣٧٥).

^(٨٥) المجروحين^(٩٨/٢).

^(٨٦) يحيى بن معين بن عون الغطفاني، أبو زكريا البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، إمام في الجرح والتعديل، قال الإمام أحمد: "كان أعلمنا بالرجال"، وقال ابن المديني: "انتهى العلم إلى ابن معين"، وقال الخطيب: "كان إماماً ربانياً عالماً حافظاً مثبِتاً متقناً"^(٢٣٣/٥). انظر تهذيب الكمال للمزي^(٥٤٣/٣١)، سير أعلام النبلاء للذهبي^(٧١/١١)، تهذيب التهذيب لابن حجر^(٢٨٥، ٢٨٠/١١).

^(٨٧) انظر ميزان الاعتدال للذهبي^(٤٣/٣)، الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص ٧٥)، التحقيق في مسائل الخلاف لابن الجوزي^(٢٧٦/٢)، تهذيب الكمال للمزي^(٤٢٦/١٩، ٤٢٧).

^(٨٨) فتح الباري^(١٥٦/٩).

^(٨٩) محمد بن إدريس الحنظلي، أبو حاتم الرازي، سمع أبا نعيم، وعفان، وأبا مسهر وأماً سواهم. وبقي في الرحلة زماناً. وحدث عنه أبو داود، والنسائي، وأبو عوانة، وخلق كثير. قال موسى بن إسحاق: "ما رأيت أحفظ من أبي حاتم". وقال أحمد بن سلمة: "ما رأيت بعد محمد بن يحيى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم". (ت ٢٧٧). انظر تذكرة الحفاظ للذهبي^(١١٢/٢)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٥٩).

^(٩٠) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم^(١٥٧/٦).

^(٩١) الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص ٧٥).

^(٩٢) انظر الضعفاء للبخاري (ص ٩٨).

^(٩٣) انظر الفروع لابن مفلح^(١٨٠/٩)، شرح الزرقاني على الموطأ^(٢١٤/٣)، السنن الكبرى للبيهقي^(٢٥٧/٧)، الجامع الصغير للسيوطي^(٤٠٠/٢)، التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي^(٥٠٤/٢)، فيض التقدير للمناوي^(٤٤٧/٦).

^(٩٤) المجروحين لابن حبان^(٦/٢-٧).

^(٩٥) شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكنانى البوصيري، سمع الكثير من البرهان التنوخي والعراقي والهيتمي، وغني بفن الحديث، وألف وخرَّج، وله التصانيف الحسنة، فمنها: زوائد المسانيد على الكتب الستة، وزوائد سنن ابن ماجه، وزوائد سنن البيهقي، ولم يزل مكباً على الحديث وتخرجه إلى وفاته. (ت ٨٤٠). انظر الضوء اللامع للسخاوي^(٢٥١/١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٥٥١).

^(٩٦) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه^(١٢٣/٢).

^(٩٧) (٤٠٠/٢).

^(٩٨) سعيد بن عمر بن أشوع الهمداني الكوفي. فقيه كوفي ممن عاصر صغار التابعين روى له البخاري ومسلم (ت ١٢٠). انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم^(٥٠/٤)، تهذيب الكمال للمزي^(١٥/١).

وأما الآثار:

١- فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه "أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَطَأَ الرَّجُلُ أُمَةً إِذَا فَجَرَتْ، وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ تَحْصِينٌ لَهَا" (١٠٤).

٢- وروي أن سعيد بن المسيب "وَقَعَ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ قَدْ فَجَرَتْ" (١٠٥).

٣- وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا، تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَهَا ابْنَةٌ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَهُ ابْنٌ مِنْ غَيْرِهَا، فَفَجَرَ الْغُلَامُ بِالْجَارِيَةِ فَظَهَرَ بِهَا حَبْلٌ، فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رضي الله عنه عَنْهُ مَكَّةَ فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُمَا فَأَعْتَرَفَا، فَجَلَدَهُمَا عُمَرُ الْحَدَّ، وَحَرَصَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا فَأَبَى الْغُلَامُ (١٠٦).

وجه الدلالة:

دل الأثر أن عمر رضي الله عنه لم يكن يرى أن عليها عدة من الزنا ولا مخالف له من الصحابة (١٠٧).

وأما المعقول فقالوا:

١- إنه ليس لتحريم جماعها وجه أصلاً، مع الحكم بانعقاد النكاح، وقد ظهر أن ماء الزاني لا حرمة له (١٠٨).

قال الإمام أحمد، وقيل: إنه من قول ابن عباس (٩٩).

الثاني: "الحديث غير مجرى على ظاهره، فإن كثيراً من الحرام يُحَرِّمُ الحلال، كما إذا وقعت قطرة من خمر في الماء، وكالوطء بالشبهة، ووطء الأمة المشتركة، ووطء الأب جارية الابن، هذا كله حرام حرم الحلال" (١٠٠).

ويوهم بأن: من وطئ أمته أو امرأته حائضاً، أو إحداهما: محرم، أو معتكف، أو في نهار رمضان، أو أمته الوثنية، أو ذمية، عمداً، ذاكراً، فإنه وطئ حراماً ولا خلاف في أنه وطئ محرم لأمرها وابنتها، ومحرم لها على آبائه، وبنيه، فكذلك كل وطئ حرام؟ (١٠١).

٤. عن أبي هريرة: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ" (١٠٢).

وجه الدلالة:

الشرع ما جعل للزاني إلا الحجر وليس في الزنا استبراء ولا عدة (١٠٣).

(١٠٣) انظر المبسوط للرخسي (١٥٢/١٣)، حاشية ابن عابدين (٣٨٠/٦).
(١٠٤) رواه ابن أبي شيبة (١٦٣٣٦).
(١٠٥) رواه عبدالرزاق (١٦٣٣٧).
(١٠٦) روى الأثر الشافعي في مسنده (٣٨)، وابن أبي شيبة (١٦٧٧٨)، والبيهقي (١٣٨٧٥).
(١٠٧) انظر الاستذكار لابن عبدالبر (٥١٢/٧)، البيان للعمراني (٢٧١/٩).

(٩٩) المغني (١١٨/٧).
(١٠٠) البناءة للعيني (٣٦/٥).
(١٠١) انظر المحلى بالآثار (١٤٩/٩).
(١٠٢) رواه البخاري (٦٨١٨)، ومسلم (٣٦٨٨).

حرمة، فكيف يجوز اجتماعه مع ماء الزاني في رحم واحد؟^(١١٤).

أما قولهم أن العدة إنما وجبت لحفظ النسب فاعتُرض عليه: بأنه لو وجبت العدة لذلك لما وجب على الملاعنة المنفي ولدها، والآيسة، والصغيرة، ولما وجب استبراء الأمة التي لا يلحق ولدها بالبائع، ولو وجب كذلك كان استبراء الأمة على البائع، ثم لو ثبت أنها وجبت لذلك، فالحاجة إليها داعية؛ فإن المزني بها إذا لم تعتد اشتبه ولد الزوج بالولد من الزنا فلا يحصل حفظ النسب^(١١٥).

٤- إن وجوب العدة في الأصل باعتبار حق النكاح أو الفراش، وبين النكاح والسفاح منافاة فبانعدام الفراش ينعدم السبب الموجب للعدة^(١١٦).

٥. إنه لما انتفى عن الزنا سائر أحكام الوطء الحلال من المهر والنسب والإحسان والإحلال للزوج الأول انتفى عنه حكمه في العدة^(١١٧).

٦. صحة نكاح الزانية أمانة الفراغ في المحتمل فلا موجب للاستبراء والحكم لا يثبت بلا سبب^(١١٨).

وأعتُرض عليه بأن: ماء الزاني وإن كان لا حرمة له، فماء الزوج محترم، فلا يجوز له خلطه بغيره، ولأن هذا مخالف لسنة الله في تمييز الخبيث من الطيب، وتخليصه منه، وإلحاق كل قسم بمجانسه ومشاكله^(١١٩).

٢- إن الزانية لا عدة لها إنما العدة من قبل النكاح الذي يثبت نسب الولد فيه^(١٢٠).

٣- إن وجوب العدة من الماء إنما يكون لحرمة ولحوق النسب به ولا حرمة لهذا الماء تقضي لحوق النسب، فلم تجب منه العدة^(١٢١).

وأعتُرض على قولهم: إن ماء الزاني لا حرمة له، بأن ماء الزاني وإن لم يكن له حرمة فماء الزوج محترم، فكيف يسوغ له أن يخلطه بماء الفجور؟^(١٢٢).

قال ابن القيم^(١٢٣): "من جوَّز أن يتزوجها ويوطأها الليلة وقد وطئها الزاني البارحة، وقال: ماء الزاني لا حرمة له، فهب أن الأمر كذلك، فماء الزوج له

^(١٠٨) انظر نهاية المطلب للجويني (٢٢٠/١٢). ٥٥٥٦٠٠٢٠٢.

^(١٠٩) انظر زاد المعاد لابن القيم (٦٤٦/٥).

^(١١٠) انظر الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن (٢٧٠/٣)، (٢٧١).

^(١١١) انظر المبسوط للسرخسي (١٥٢/١٣)، حاشية ابن عابدين (٥٢٧/٣)، البحر الرائق لابن نجيم (١١٤/٣)، الحاوي الكبير للماوردي (٩١١/٩)، المغني لابن قدامة (١٤١/٧).

^(١١٢) انظر المبسوط للسرخسي (١٥٣/١٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١١٢/٣٢).

^(١١٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، أبو عبدالله شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، هذب كتب شيخ الإسلام ونشرها، له: "إعلام الموقعين" و"زاد المعاد في هدي خير العباد". (ت ٧٥١). انظر أعيان العصر للصفدي (٣٦٦/٤)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١٧٠/٥)، المقصد الأرشد لابن مفلح (٣٨٤/٢).

^(١١٤) إغاثة اللهفان (٦٧/١).

^(١١٥) انظر المغني لابن قدامة (٩٨/٨)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩)، (١٣١).

^(١١٦) انظر المبسوط للسرخسي (٢٠٥/٤)، البيانة للعيني (٣٦/٥).

^(١١٧) انظر الحاوي الكبير للماوردي (٩١١/٩)، شرح السنة للبيهقي (٢٩٠/٩).

^(١١٨) انظر شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤٦/٣).

الأول: النهي إنما هو عن وطء الحامل المتحقق حملها دون الموهوم؛ لأن الفرق بين المحقق والموهوم في الشغل الحرام ثابت شرعاً لورود عموم النهي في المحقق^(١٢٣)؛ لأنه قبل الحمل لا يكون زرعاً بل هو ماء مسفوحاً، ولهذا قالوا: لو تزوج حبلى من زنا لا يقربها حتى تضع حملها؛ لئلا يسقي زرع غيره؛ لأن به يزداد سمع الولد وبصره حدة^(١٢٤)

الثاني: إنه إنما ورد للتفجير عن وطء المسبية الحامل؛ لأن حملها محترم، فحرم الوطء لأجل احترامه بخلاف حمل الزنا فإنه لا حرمة له تقتضي تحريم الوطء^(١٢٥).

٢. فما رواه أبو سعيد الخدري^(١٢٦) أن رسول الله ﷺ قال في سبأيا أوطاس^(١٢٧): "لا توطأ حَامِلٌ حتى تَضَعَ، ولا غيرُ ذاتِ حَمَلٍ حتَّى تحيضَ حَيْضَةً"^(١٢٨).

وجه الدلالة:

^(١٢٣) انظر تبين الحقائق للزيلعي (١١٣/٢).
^(١٢٤) انظر حاشية ابن عابدين (٥٢٧/٣).
^(١٢٥) انظر الفتاوى الفقهية الكبرى للهيتمي (٩٤/٤).
^(١٢٦) سعد بن مالك بن سنان الحارثي الخزرجي الأنصاري الخُدري، استصغره النبي ﷺ بأحد، واستشهد أبوه بها، وغزا ما بعدها، كان من أفضه أحداث الصحابة (ت ٧٤) وقيل غير ذلك. انظر الاستيعاب لابن عبد البر (٤٧/٢)، الإصابة لابن حجر (٨٥/٣)، (٨٦).
^(١٢٧) أوطاس: واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين. معجم البلدان للحموي (٢٨١/١).
^(١٢٨) رواه الإمام أحمد (١١٥٩٦)، وأبو داود (٢١٥٧)، وقال الحاكم (٢٧٩٠): "صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وسكت عنه الذهبي، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير: إسناده حسن (٤٤١/١) وكذا ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٤١٥/١).

قلت: يُعترض عليه بأن نكاح الزانية مختلف في صحته فلا يحتج به^(١١٩).

ثانياً: أدلة القائلين بأنه يحرم على الزوج جماع زوجته عقب وقوعها في الزنا ومناقشتها، استدلووا لقولهم بالسنة والأثر:

أما السنة:

١_ فحديث رُوِيَ عَنْ بَنِي ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ^(١٢٠)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ عَامَ حَيِّبَر: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَسْقِينُ مَاءَهُ وَلَدَ غَيْرِهِ"^(١٢١).

وجه الدلالة:

النهي يعم الزرع الطيب والزرع الخبيث، كما أن صيانة ماء الواطئ عن الماء الخبيث حتى لا يختلط به أولى من صيانته عن الماء الطيب^(١٢٢).

وأُعترض عليه من وجهين:

^(١١٩) يقول بجواز نكاح الزانية الحنفية والمالكية والشافعية. انظر حاشية رد المحتار لابن عابدين (٥٠/٣)، البحر الرائق لابن نجيم (١١٤/٢)، شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤٦/٣)، مواهب الجليل للحطاب (٤١٣/٣)، الشرح الكبير للدردير (٢٢٠/٢)، الشرح الصغير للدردير (٣٤٩/٢)، مغني المحتاج للشربيني (١٧٨/٣)، تكملة المجموع للمطيعي (٢١٩/١٦)، وزاد المالكية: أنه يكره إذا كانت مشهورة بالزنا. انظر المراجع السابقة.
^(١٢٠) روي عن بن ثابت بن السكن الأنصاري، من بني النجار، صحب النبي ﷺ وسكن مصر وولي إمرة برقة وبها مات (٥٦). انظر تهذيب الكمال للمزي (٢٥٤/٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (٤٠٧/٢)، الإصابة لابن حجر (٤١٦/٢).
^(١٢١) رواه الإمام أحمد (١٦٩٩٠)، وأبو داود (٢١٥٥)، وابن حبان (٤٨٥٠)، وابن أبي شيبة (١٧٧٤٩)، وقال الأنووط في تعليقه على مسند الإمام أحمد صحيح بطرقه وشواهد (١٩٩/٢٨).
^(١٢٢) انظر زاد المعاد لابن القيم (٦٤٦/٥).

قال ابن القيم: "ونهى النبي ﷺ أن توطأ المسبية الحامل حتى تضع، مع أن حملها مملوك له، فالحامل من الزنا أولى ألا توطأ حتى تضع" (١٢٩).

وأعترض عليه: "بأنه وارد في سبي أوطاس وكن منكوحات، ولإيماء حكم يخالف الحرائر في الاستبراء" (١٣٠).

وأجيب عنه بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (١٣١)، ويؤيد العموم حديث سعيد بن المسيب عن نضرة (١٣٢) رجل من الأنصار، قال: "تزوجت امرأة بكرة في سترها، فدخلت عليها، فإذا هي حُبلى"، فقال النبي ﷺ: "لها الصداق بما استحلت من فرجها، والولد عبد لك، فإذا ولدت قال الحسن: (فاجلدوها) وقال ابن أبي السري: (فاجلدوها) أو قال: (فحدوها)" (١٣٣) (١٣٤).

أما الأثر:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "إذا رأى أحدكم امرأته، أو أم ولدٍ على فاحشة، فلا يقربها" (١٣٥).

وأما أدلتهم على ما يلزم الزوجة التي وقعت في الزنا من العدة أو الاستبراء فكما يلي:

استدل القائلون بأن عليها الاستبراء بثلاث حيض بالمعقول فقالوا:

١- إنه وطء يقتضي شغل الرحم فوجبت العدة منه كالوطء في النكاح الصحيح (١٣٦)، وكوطء الشبهة (١٣٧)، وكالمفسوخ نكاحها الفاسد (١٣٨).

٢- قالوا إن عدتها كعدة المطلقة؛ لأنه استبراء لحره فلا يكون بأقل من ثلاث حيض، أشبه عدة المطلقة (١٣٩).

وأعترض عليه بما يلي:

١- أن ما شرع له الاستبراء - وهو حصول العلم بطهارة الرحم - يحصل بحيضة واحدة، فكان ينبغي ألا يشترط العدد في عدة المطلقة أيضًا، إلا أن

(١٢٩) حاشية ابن القيم (تهذيب سنن أبي داود) (١١٩/٦).

(١٣٠) الحاوي الكبير للماوردي (١٩٢/٩).

(١٣١) انظر سبل السلام للصنعاني (٣٠٣/٢)، تلخيص الحبير لابن حجر (٤٩٦/٣)، وانظر لقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي (٢٦٥/٣)، البحر المحيط للزركشي (٣٥٢/٢)، شرح الكوكب المنير لابن النجار (١٧٧/٣). (١٣٢) نضرة بن أكرم الخزاعي، ويقال الأنصاري. انظر أسد الغابة لابن الأثير (٣٠٣/٥).

(١٣٣) تلخيص الحبير لابن حجر (٤٩٦/٣)، (٤٩٧).

(١٣٤) رواه أبو داود (٢١٣١)، والبيهقي (١٤٢٦٣)، وفي إسناده عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، ثقة عابد إلا أنه مدلس، ولا يقبل حديثه إلا إن صرح بالتحديث ولم يفعل هاهنا، فالسند ضعيف. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٤٠٢/٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢٥/٦).

(١٣٥) رواه ابن أبي شيبة (١٦٣٤٧)، والأثر رجاله ثقات رجال الصحيحين. (١٣٦) انظر الاستذكار لابن عبد البر (٩٥/٦) و(٥٢١/٧)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٢٠٠/٣)، الروض المربع للبهوتي (ص ٦٠٩)، مطالب أولي النهى للرحياني (٦٧٤/٢). (١٣٧) انظر المغني لابن قدامة (٩٨/٨)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩)، المبدع لابن مفلح (٩٤/٧). (١٣٨) انظر الاستذكار لابن عبد البر (٥١٢/٧). (١٣٩) انظر الاستذكار لابن عبد البر (٥١٢/٧)، الكافي لابن قدامة (٢٠١/٣)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٢٠٠/٣)، الروض المربع للبهوتي (ص ٦٠٩)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩).

لأي الواطئين. وحق المرأة لما لها من النفقة زمن العدة لكونها زوجة ترث وتورث، ويدل على أن العدة حق للزوج قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسِرَّهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا] [سورة الأحزاب، آية ٤٩: (١٤٤)]، فعلى هذا إذا أمرت أن تتربص ثلاثة قروء لحق الزوج؛ ليتمكن من ارتجاعها في تلك المدة: كان هذا مناسبا وكان له في طول العدة حق، أما غير المطلقة إذا لم يكن لها نفقة ولا سكنى ولا متاع ولا للزوج الحق برجعته؛ فالتأكد من براءة الرحم تحصل بحيضة واحدة كما يحصل في المملوكات (١٤٥).

٢- إذا كانت الزوجة المختلعة من زوجها تعدد بحيضة واحدة، وليس عليها عدة المطلقة، فالمرزني بها التي ليست زوجة أصلاً لا تجب عليها عدة الطلاق من باب أولى، وإنما يُستبرأ رحمها بحيضة فقط (١٤٦).

قلت ويُجاب عنه: بأنه قياس على مسألة مختلف فيها؛ لأن جمهور العلماء يرون أن عدة المختلعة ثلاثة قروء كعدة المطلقة (١٤٧).

النص ورد بأن المطلقة تعدد ثلاثة قروء، فيقتصر على مورد النص (١٤٨)، "وكونها حرة لا أثر له بدليل أن أم الولد تعدد بعد وفاة زوجها بحيضة عند أكثر الفقهاء كما هو قول ابن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة" (١٤٩).

قال ابن القيم: "إنه موجب السنة وقضاء رسول الله ﷺ وموافق لأقوال الصحابة فهو مقتضى القياس، فإنه استبراء لمجرد العلم ببراءة الرحم فكفت فيه حيضة كالمسبية والأمة المستبرأة والحرة والمهاجرة.. وقد تقدم أن الشارع من تمام حكمته جعل عدة الرجعية ثلاثة قروء لمصلحة المطلق والمرأة ليطول زمان الرجعة" (١٥٠).

فقياس عدة الزانية على عدة المطلقة قياس فاسد، لوجود الفرق الظاهر بينهما، لأن الحكمة من جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء ليست مجرد التأكد من براءة الرحم، وإنما لحفظ حق الزوج أيضاً، ليكون لديه فرصة للمراجعة خلال مدة العدة، وهذه الحكمة غير موجودة في الزانية، لأنه لا حق للزاني في مراجعتها، لأنه لم يعقد عليها أصلاً، ولذلك فإن هذا القياس من أبعد القياس وأفسده (١٥١)، وزاد ابن القيم على هذا الحكم فقال: "وحق الولد لئلا يضيع نسبه، ولا يُدري

(١٤٤) زاد المعاد لابن القيم (٥/٥٩١).

(١٤٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٠، ٣٤١).

(١٤٦) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٠).

(١٤٧) قال ابن قدامة: "وأكثر أهل العلم يقولون: عدة المختلعة عدة المطلقة؛ منهم سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله، وعروة، وسليمان بن يسار، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، والشعبي، والنخعي، والزهري، وقتادة وخلاس بن عمرو، وأبو عياض، ومالك، والليث، والأوزاعي، والشافعي،

(١٤٠) انظر بدائع الصنائع للكاظمي (٥/٢٥٥).

(١٤١) انظر فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٠، ٣٤١).

(١٤٢) زاد المعاد لابن القيم (٥/٦٠٢).

(١٤٣) انظر زاد المعاد لابن القيم (٥/٥٨٩)، إعلام الموقعين لابن القيم (٢/٥٤).

وأعترض عليه: بأن الصحيح في المسألة أن عدتها حيضة واحدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت بدلالة الكتاب، وصريح السنة، وأقوال الصحابة: أن المختلة ليس عليها إلا الاستبراء بحيضة، لا عدة كعدة المطلقة، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وقول عثمان بن عفان، وابن عباس، وابن عمر في آخر قوله، وذكر مكي^(١٤٨): أنه إجماع الصحابة، وهو قول قبيصة بن ذؤيب^(١٤٩)، وإسحاق بن راهويه، وابن المنذر^(١٥٠)، وغيرهم من فقهاء الحديث، ... فإذا كانت المختلة لكونها ليست مطلقة ليس عليها عدة المطلقة بل الاستبراء - ويسمى الاستبراء عدة - فالموطوءة بشبهة أولى، والزانية أولى"^(١٥١).

٣- تلزمها العدة؛ لأن العدة تجب لاستبراء الرحم، وحفظاً عن اختلاط المياه واشتباها الأنساب، ولو لم

تجب العدة، لاختلط ماء الواطئ بماء الزوج، ولم يُعلم لمن الولد منهما، فيحصل الاشتباه^(١٥٢).

واستدل القائلون بأنها تستبرأ بحيضة بالسنة والمعقول:

أما السنة:

فحديث: "لا تَوَطَّأ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ حَمَلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً" وسبق مناقشته^(١٥٣).

وأما المعقول فقالوا:

١- القياس على المختلة والموطوءة بشبهة قال ابن تيمية: "فإذا مضت السُّنَّةُ بأن المختلة إنما عليها الاعتداد بحيضة، الذي هو استبراء، فالموطوءة بشبهة والمزني بها أولى"^(١٥٤).

٢- إنه ليس ثَمَّ نكاح، ولا شبهة نكاح^(١٥٥).

٣- إن النسب لا يلحق الزاني، وإنما المقصود معرفة براءة رحمها، فكان بحيضة كاستبراء الأمة وأم الولد إذا مات سيدها أو أعتقها^(١٥٦).

الترجيح:

^(١٥٢) انظر الكافي لابن قدامة (٢/٣)، المبدع لابن مفلح (٩٤/٧)، كشف القناع للبهوتي (٥٢٤/٥).
^(١٥٣) انظر ص ٥٠ من البحث.
^(١٥٤) مجموع الفتاوى (٣٢/٣٤٠).
^(١٥٥) انظر المغني لابن قدامة (١٤٢/٧).
^(١٥٦) انظر الكافي لابن قدامة (٢٠١/٣)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩).

وروي عن عثمان بن عفان، وابن عمر، وابن عباس، وأبان بن عثمان، وإسحاق، وابن المنذر، أن عدة المختلة حيضة. ورواه ابن القاسم عن أحمد". المغني (٩٧/٨).

^(١٤٨) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي القرطبي، مقرئ مفسر فقيه مالكي مصنف؛ من كتبه: "مشكل إعراب القرآن"، و"التبصرة في القراءات"، و"المنتقى". (ت ٤٣٧). انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٤/٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (٥٦٩/٩).

^(١٤٩) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي له رؤية، كان فقيهاً إماماً كبيراً، روى له الستة، توفي بعد الثمانين. انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥٠/٤٩)، تهذيب الكمال للمزي (٤٧٦/٢٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٢/٤).

^(١٥٠) محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر، الحافظ الفقيه المجتهد، بدور مع الدليل، روى عن الربيع بن سليمان، ومحمد الصائغ. روى عنه أبو بكر بن المقرئ، ومحمد الدماطي، وصنف مصنفاً عظيمة؛ منها: "الإشراف" في اختلاف العلماء، و"الإجماع"، و"المبسوط". (ت ٣١٨). انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٥/٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٠/١٤) - (٤٩٢).

^(١٥١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١٠/٣٢، ١١١).

القول الثاني:

يرى القائلون به أن يجب على الزوج طلاقها وإلى هذا ذهب الإمام أحمد في رواية^(١٥٩)، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية^(١٦٠).

الأدلة:

أولاً: أدلة القول الأول القائل بأنه يستحب طلاقها، ومناقشتها استدلووا لذلك بالسنة والمعقول:

أما السنة:

١- فحديث: "إن امرأتي لا ترد يد لامس" فقال النبي ﷺ: "طلقها...".

وجه الدلالة:

قوله ﷺ: "طلقها" أمر، والأمر للاستحباب يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لما أن قال له: "إنني أحبها: أمسكها"^(١٦١).

وقد سبق مناقشته^(١٦٢).

^(١٥٩) انظر كشف القناع للبهوتي (٢٣٢/٥)، الإنصاف للمرداوي (٤٢٩/٨، ٤٣٠)، الإقناع للحجاوي (٢/٤)، المغني لابن قدامة (٣٦٤/٧)، الكافي لابن قدامة (١٠٦/٣)، الشرح الكبير لابن قدامة (٢٣٥/٨).

^(١٦٠) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤١/٣٢).

^(١٦١) انظر إرشاد الساري لابن حجر (١٢٧/٨).

^(١٦٢) انظر من ٣٩- ٤٤ من البحث.

الراجح والله أعلم هو المذهب القائل بتحريم جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا إلى أن تستبرأ بحيضة؛ منعاً من اختلاط الأنساب، ولأن الحكمة التي من أجلها وجب استبراء الزانية، هو التأكد من خلو الرحم من الولد، ويكفي في ذلك حيضة.

المطلب الثالث: في حكم طلاق الزوجة غير العفيفة

اختلف الفقهاء في حكم طلاق الزوجة غير العفيفة على قولين:

القول الأول:

يرى القائلون به أنه يستحب للزوج أن يطلقها وإلى هذا ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والصحيح من مذهب الحنابلة الذي عليه أكثر الأصحاب^(١٥٧)، واستثنى المالكية من ذلك أن يكون مبتلى بحبها، واستثنى الشافعية من ذلك إذا خشي الفجور بها، أو حصول مشقة له بفراقها تؤدي إلى مبيح تيمم^(١٥٨).

^(١٥٧) انظر حاشية ابن عابدين (٣٢٨/٩) مختصر خليل (ص ٩٦)، التاج والإكليل للمواق (٤٢/٥)، الشرح الكبير للدردير (٢٢٠/٢)، الشرح الصغير للدردير (٣٤٩/٢)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (٨٠/٢)، شرح مختصر خليل للخرشي (١٧٢/٣)، الذخيرة للقرافي (٢٥٩/٤)، الفواكه الدواني للنفاوي (٤٢/٢)، نهاية المحتاج للرملي (٤٢٣/٦)، روضة الطالبين للنووي (٣/٨)، مغني المحتاج للشربيني (٤٩٧/٤)، المهذب للشيرازي (٥/٣)، البيان للعمراني (٧٧/١٠)، تحفة المحتاج للهيتمي (٢/٨)، أسنى المطالب لذكريا الأنصاري (٢٦٣/٣)، الإنصاف للمرداوي (٤٢٩/٨، ٤٣٠)، الإقناع للحجاوي (٢/٤)، المبدع لابن مفلح (١٣٨/٦)، المغني لابن قدامة (٣٦٤/٧)، الشرح الكبير لابن قدامة (٢٣٤/٨)، كشف القناع للبهوتي (٢٣٢/٥).

^(١٥٨) انظر شرح مختصر خليل للخرشي (١٧٢/٣)، الذخيرة للقرافي (٢٥٩/٤)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (٨٠/٢)، الفواكه الدواني للنفاوي (٣١/٢)، نهاية المحتاج للرملي (٤٢٣/٦)، تحفة المحتاج للهيتمي (٢/٨).

٢. وحديث: "إِذَا زَنَتَ أَمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا" ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: "فَلْيَبِغْهَا وَلَوْ بِصَفِيرٍ".

وجه الدلالة:

يدل الحديث على كراهية إمساك الزوجة غير العفيفة التي اعتادت الزنا^(١٦٣).

وأما المعقول فقالوا:

١. إنه لا يأمن أن تفسد عليه الفراش وتلحق به نسباً ليس منه^(١٦٤).

٢. في إمساكها نقصاً ودناءة^(١٦٥).

واستدل المالكية والشافعية لما ذهبوا من استثناء من ابتلي بحبها أو كان يخشى الفجور بها، أو حصول مشقة له بفراقها بالسنة:

روى جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال: "يا رسول الله، إن امرأتي لا ترد يد لامس"، فقال: "طلقها"، فقال: "إني أحبها"، قال: "أمسكها".

وجه الدلالة:

أمر النبي ﷺ الرجل بإمساكها خشية الفجور بها^(١٦٦)^(١٦٧).

ثانياً: أدلة القول الثاني القائل بوجوب طلاقها إذا زنت، استدلو لقولهم بالكتاب والسنة والمعقول:

أما الكتاب:

فقوله تعالى: [الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] [سورة النور، آية: ٣].

وجه الدلالة:

إذا كان الاستمرار على نكاح الزانية كابتنائه كانت الآية دليلاً على تحريم إمساك من زنت ووجوب تطليقها^(١٦٨).

أما السنة :

فَعَنْ عَمَّارٍ رضي الله عنه (١٦٩) ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَبُوثٌ، وَلَا مُدْمِنٌ خَمْرٍ، وَلَا رَجُلٌ نِسَاءً" (١٧٠).

^(١٦٦) تحفة المحتاج للهيتمي (٢/٨).

^(١٦٧) قال ملا قاري: "هذا الحديث يدل على أن تطليق مثل هذه المرأة أولى، لأنه عليه الصلاة والسلام قدم الطلاق على الإمساك، فلو لم يتيسر تطليقها بأن يكون يحبها، أو يكون له منها ولد يشق مفارقة الولد الأم، أو يكون لها عليه دين لم يتيسر له قضاؤه، فحينئذ يجوز أن لا يطلقها، ولكن بشرط أن تمنعها عن الفاحشة، فإذا لم يمكنه أن يمنعها عن الفاحشة يعصي بترك تطليقها". مرقاة المفاتيح (٢١٧١/٥).

^(١٦٨) انظر السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني (ص ٣٧٧).

^(١٦٩) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة العنسي، أبو البقطان وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو حليف بني مخزوم، وأمه سمية، وهي أول من استشهد في سبيل الله عز وجل وهو، وأبوه، وأمه من السابقين، وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين، وهو ممن عذب في الله. واختلف في هجرته إلى الحبشة، شهد المشاهد كلها، ثم شهد الإمامة فقتلت أذنه بها، استعمله عمر رضي الله عنه على الكوفة وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية، قتل مع علي رضي الله عنه عنه بصفين

^(١٦٣) انظر مختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٣٦٩/٢).

^(١٦٤) انظر المذهب للشيرازي (٥/٣)، جواهر العقود للمنهاجي (١٠١/٢)، الكافي لابن قدامة (١٠٦/٣)، المغني لابن قدامة (١٤٣/٧).

^(١٦٥) انظر جواهر العقود للمنهاجي (١٠١/٢)، تحفة المحتاج للهيتمي (٢/٨)، كشف القناع للبهوتي (٢٣٢/٥)، المغني لابن قدامة (٣٦٤/٧)، الكافي لابن قدامة (١٠٦/٣).

وجه الدلالة:

قال الشيخ نقي الدين: "إذا كانت تزني لم يكن له إمساكها على تلك الحال بل يفارقها وإلا كان ديوثاً" (١٧١)، والديوث لعنه رسول الله ﷺ واللعن من علامات الكبيرة فلهذا وجب الفراق وحرمت العشرة (١٧٢).

وأما المعقول:

فقالوا: "إن الزانية فيها إفساد فراش الرجل، وفي مناكحتها معاشرة الفاجرة دائماً ومصاحبته، والله قد أمر بهجر السوء وأهله ما داموا عليه" (١٧٣).

الترجيح:

الراجح، والله أعلم، هو القول الثاني القائل بوجوب طلاقها؛ لقوة تعليلهم، ولما في إبقائها معه من نقص دينه، ولما فيه من الخوف على إفساد فراشه، وأن تدخل في نسبه ما ليس منه، وإذا كان الله تعالى قد اشترط لحل النكاح من الكتابية العفة فكيف بالمسلمة ؟

جاء في الفقه على المذاهب الأربعة: "فإذا كانت قواعد الإسلام مبنية على الغيرة على الأعراض واحتقار الديوث وحرمانه من رضوان الله، فكيف يكون طلاق فاسدة الأخلاق مندوباً فقط؟! لا شك أنه واجب وإمساكها محرم، وليس من الشهامة أن يصبر الإنسان على عضو فاسد حتى يفسد جميع بدنه خوفاً من التألم الذي يلحقه عند بتره" (١٧٤).

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي به وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وبعد ففي ختام هذا البحث أسوق أهم النتائج التي توصلت إليها فأقول:

١. اتفق الأئمة الأربعة على أن الزوجة إذا وقعت في الزنا لم يفسخ النكاح بذلك وبه قال عامة الصحابة.
٢. اختلف الفقهاء في حكم جماع الزوج لزوجته عقب وقوعها في الزنا إلى قولين: الأول: يرى القائلون به أنه يجوز وطؤها عقب الزنا، ولا يجب عليها العدة، وإلى هذا ذهب الحنفية على المفتي به . عدا زفر. والأصح عند الشافعية، وزاد الشافعية أن تركه أولى، والثاني: يرى القائلون به أنه لا يحل له جماع الزوجة

(١٧٤) الجزيري (٢٨١ / ٤).

(٨٧). انظر أسد الغابة لابن الأثير (٤ / ١٢٢)، الإصابة لابن حجر (٤ / ٢٧٣، ٢٧٤).

(١٧٠) الحديث بهذا اللفظ رواه معمر في "الجامع" (٢٠٤٣٧)، عن رجل لم يسم، أرسله، ورواه الطيالسي (٦٤٢)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٨٦٥/٢)، وفي إسناده راو لم يسم، وله شاهد من حديث ابن عمر سبق ص ٤١ من هذا البحث.

(١٧١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤١/٣٢).

(١٧٢) انظر كشاف القناع للبهوتي (٢٣٣/٥)، مطالب أولي النهى

للرحبياني (٣٢٠/٥).

(١٧٣) مجموع الفتاوى (٣١٦/١٥).

عقب وقوعها في الزنا، وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية والمالكية والحنابلة، واستثنى المالكية من ذلك ما لو زنت الزوجة وهي ظاهرة الحمل فيباح لزواجها جماعها مع الكراهة، ثم اختلفوا بعد ذلك فيما يلزمها من العدة أو الاستبراء إلى قولين:

الأول: يرى القائلون به أن عليها الاستبراء قدر العدة فذات الأقراء ثلاثة قروء، وذات الأشهر ثلاثة أشهر، والمرتبة سنة، وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية والمالكية على المعتمد والحنابلة على المذهب، وبه قال ربيعة، والأوزاعي وإسحاق، والحسن البصري، والنخعي.

والثاني: يرى القائلون به أنها تستبرأ بحيضة وإلى هذا ذهب الإمام مالك في قول والإمام أحمد في رواية، والراجح هو القول الثاني القائل بتحريم جماعها حتى يستبرئها بحيضة منعاً لاختلاط الأنساب لقوة أدلتهم، وسلامتها من المعارضة الصحيحة، ولأن الحكمة التي من أجلها وجب استبراء الزانية، وهو التأكد من خلو الرحم من الولد، ويكفي في ذلك حيضة واحدة.

٣. الواجب على المسلم إذا بلغه عن رسول الله ﷺ حديثاً، أن يحمله على أحسن المحامل ويظن به الذي هو أهياه، وأهداه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٤. اختلف الفقهاء في حكم طلاق الزوج لزوجته غير العفيفة إلى قولين: الأول: يرى القائلون به أنه يستحب طلاقها، وإلى هذا ذهب المالكية والشافعية والصحيح من مذهب الحنابلة الذي عليه أكثر الأصحاب، واستثنى المالكية من ذلك أن يكون مبتلى بحبها، واستثنى الشافعية من ذلك إذا خشي الفجور بها، أو حصول مشقة له بفراقها تؤدي إلى مبيح تيمم. الثاني: يرى القائلون به أن يجب على الزوج طلاقها، وإلى هذا ذهب الحنابلة في رواية واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية، والراجح هو القول الثاني القائل بوجوب طلاقها؛ لقوة التعليل؛ ولما في إبقائها معه من نقص دينه، مع ما فيه من الخوف على إفساد فراشه، وأن تدخل في نسبه ما ليس منه.

وفي الختام الله أسأل القبول والغفران وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المصادر والمراجع

ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (١٤٠٩ هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت.
ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم

البيهقي: أحمد بن الحسين بن موسى (١٣٤٤هـ)
السنن الكبرى، الطبعة الأولى، مجلس دائرة
المعارف النظامية الكائنة في الهند، حيدر آباد.

البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
(١٤١٠هـ) السنن الصغير، تحقيق: عبد
المعطي أمين قلجبي، الطبعة الأولى، جامعة
الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان.

الترمذي: محمد بن عيسى (د.ت.) الجامع الصحيح
(سنن الترمذي) تحقيق: أحمد محمد شاكر
وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
الحراني (١٤١٦هـ) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد
الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،
المملكة العربية السعودية.

الجزيري: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري
(١٤٢٤هـ) الفقه على المذاهب الأربعة، الطبعة
الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن الجوزي: جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن
الجوزي (١٤١٥هـ) التحقيق في مسائل الخلاف،
تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الجوزي: جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن
الجوزي (١٣٨٦هـ) الموضوعات، تحقيق:

الشيباني الجزري، (١٣٩٩هـ) النهاية في غريب
الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود
الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

الأنصاري: زكريا (١٤٢٢هـ) أسنى المطالب في
شرح روض الطالب، تحقيق: د. محمد تامر،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (١٤٠٧هـ)
الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى
ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير،
اليمامة، بيروت.

محمد بن إسماعيل البخاري (١٤٢٦هـ) الضعفاء،
تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي
العينين، الطبعة الأولى، مكتبة ابن عباس.

البغوي: حسين بن مسعود (١٤٠٣هـ) شرح السنة،
تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش،
الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، دمشق،
بيروت.

البهوتي: منصور بن يونس (د.ت.) الروض المربع
الروض المربع شرح زاد المستتقع في اختصار
المقنع، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر،
بيروت.

البهوتي: منصور بن يونس (١٤١٤هـ) شرح منتهى
الإرادات، الطبعة الأولى، عالم الكتب.

البهوتي: منصور بن يونس (د.ت.) كشف القناع
عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت

عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، المكتبة السلفية، بالمدينة المنورة.

الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري (١٤٠٧ هـ) الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت.

الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد (١٤٢٨ هـ) نهاية المطلب في دراية المذهب: الجويني، تحقيق: أ. د. عبد العظيم محمود الديب، الطبعة الأولى، دار المنهاج.

ابن أبي حاتم: محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (١٢٧١ هـ) الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بجيدر آباد، الدكن، الهند.

ابن حبان: محمد بن حبان التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (١٤٠٨ هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: علاء الدين ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن حبان: محمد بن حبان التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (١٣٩٦ هـ) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، دار الوعي، حلب.

الحجاوي: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم، أبو النجا (د.ت.) الإقناع في فقه

الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت، لبنان. ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٤٠٦ هـ) تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، دار الرشيد، سوريا. ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٤١٩ هـ) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (د.ت.) الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣٩٢ هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٤٠٦ هـ) لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر (١٤١٢ هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت.

الخرشي: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (د.ت.) شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت.

ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (١٤١٤هـ) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان، الطبعة الخامسة، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض.

الخطيب البغدادي: أحمد بن علي أبو بكر (١٤١٧هـ) تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلكان: أحمد بن محمد بن خلكان (د.ت.) وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

خليل: بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي (١٤٢٦هـ) مختصر العلامة خليل، تحقيق: أحمد جاد، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة.

الدارقطني: علي بن عمر (د.ت.) سنن الدارقطني، مطبعة فالكن، لاهور.

داماد أفندي: عبدالرحمن بن محمد بن سليمان، (١٤١٩هـ) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (١٤٣٠هـ) سنن أبي داود، تحقيق:

ابن حزم: محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (د.ت.) المحلى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الحطاب: محمد بن محمد المغربي المعروف بالحطاب (١٤١٢هـ) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت.

الحميدي: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي (١٤١٥هـ) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، القاهرة، مصر.

ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١٤٠١هـ) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت.

ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١٤٢١هـ) مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الخرائطي: محمد بن جعفر (١٤٢١هـ) اعتلال القلوب، تحقيق: حمدي الدمرداش، الطبعة الثانية، نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض.

تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت.

ابن رجب : عبدالرحمن بن أحمد بن رجب (١٤١٧هـ) الذيل على طبقات الحنابلة، خرج أحاديثه: أبو حازم أسامة بن حسن، وأبو الزهراء حازم علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرحيباني: مصطفى السيوطي (١٤١٥هـ) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مطبوع معه تجريد زوائد العناية والشرح للشيخ حسن الشطي، الطبعة الثانية، بيروت.

ابن رشد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (١٣٩٥هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة الرابعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

ابن رشد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (١٤٠٨هـ) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق: د. محمد حجي وآخرون، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

الرملي: محمد بن أبي العباس أحمد (١٤٠٤هـ) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، بيروت.

الزبيدي: محمد بن محمد الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (د.ت.)، تاج العروس

شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قره بللي، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية.

الدردير: أحمد بن محمد (د.ت.) الشرح الصغير، دار المعارف، مصر.

الدردير: أحمد بن محمد (د.ت.) الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت.

الذهبي: محمد بن أحمد (٢٠٠٣م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي.

الذهبي: محمد بن أحمد (١٤١٩هـ) تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

الذهبي: محمد بن أحمد (١٤٢١هـ) تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض.

الذهبي: محمد بن أحمد (١٤٠٥هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الذهبي: محمد بن أحمد (١٣٨٢هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن بن خالد (١٤٠٤هـ) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي،

الأصول للبيضاوي، تحقيق: جماعة من العلماء،
دار الكتب العلمية، بيروت.

السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد
الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن
محمد، (د.ت.) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.

السرخسي: محمد بن أحمد السرخسي (١٤٠٩ هـ)
المبسوط: دار المعرفة، بيروت.

سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء
(١٩٦٨م) الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان
عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

السعدي: عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٤٢٠ هـ)
تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان) ، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا
اللوحيق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة،
بيروت.

سعيد بن منصور أبو عثمان (١٤٠٣ هـ) سنن سعيد
بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،
الطبعة الأولى، الدار السلفية، الهند.

السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن
إبراهيم سلفه الأصبهاني، انتخابها من أصول: أبو
الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي
الطيوري (١٤٢٥ هـ) الطيوريات ، دراسة
وتحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر

من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من
المحققين، دار الهداية.

الزرقاني: محمد بن عبد الباقي الزرقاني (١٤١١ هـ)
شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب
العلمية، بيروت.

الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله
(١٤٢١ هـ) البحر المحيط في أصول الفقه،
تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب
العلمية، لبنان، بيروت.

الزركلي: خير الدين (١٩٩٠م) الأعلام ، الخامسة
عشر، دار العلم للملايين.

الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد (د.ت.) الفائق
في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد
البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة
الثانية، دار المعرفة، لبنان.

الزيلعي: عثمان بن علي بن محجن البارعي
(١٣١٣ هـ) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق،
الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق،
القاهرة.

السبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين (١٤١٣ هـ)
طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد
الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة
الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

السبكي: علي بن عبد الكافي (١٤٠٤ هـ) الإبهاج في
شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم

- الحسن، الطبعة الأولى، مكتبة أضواء السلف، الرياض.
- السيوطي: جلال الدين السيوطي (١٤٠٣هـ) طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي: جلال الدين السيوطي (د.ت.) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر، بيروت.
- السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر (١٣٩٦هـ) طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة.
- الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبدالله (١٣٩٣هـ) الأم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت.
- الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبدالله (١٣٧٠هـ) مسند الشافعي، ترتيب: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الشربيني: محمد بن أحمد الخطيب (١٤١٥هـ) مغني المحتاج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشربيني: محمد بن أحمد الشربيني (د.ت.) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت.
- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار (١٤١٥هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (١٤٠٥هـ) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشيباني: محمد بن الحسن (١٤١٠هـ) الأصل، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت.
- الشيباني: محمد بن الحسن (١٤٠٣هـ) الحجة على أهل المدينة، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت.
- ابن أبي شيبة: أبو بكر عبدالله بن محمد الكوفي (١٤٠٩هـ) مُصنّف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض.
- الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق (١٤١٢هـ) المذهب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: د. محمد الزحيلي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية.
- الشيرازي: إبراهيم بن علي الشيرازي (١٩٧٠) طبقات الفقهاء، هذبة: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق،
مراجعته د. يوسف المرعشلي، الطبعة الأولى،
عالم الكتب.

الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة
الأزدي (١٤١٧هـ) مختصر اختلاف العلماء،
تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، الطبعة الثانية،
دار البشائر الإسلامية، بيروت.

الطيالسي: سليمان بن داود الفارسي البصري
(د.ت.) مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة،
بيروت.

ابن عابدين: محمد أمين (١٤١٢هـ) حاشية ابن
عابدين (رد المحتار على الدر المختار شرح
تتوير الأبصار)، الطبعة الثانية، دار الفكر،
بيروت.

ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن عبد البر
النمري (١٤٢١هـ) الاستذكار تحقيق: سالم محمد
عطا ومحمد علي معوض، الطبعة الأولى، دار
الكتب العلمية، بيروت.

ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري
(١٤١٢هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب،
تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار
الجيل، بيروت،

عبدالرزاق: بن همام الحميري الصنعاني (١٤٠٣هـ)
مصنف عبدالرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن
الأعظمي، الطبعة الثانية، المجلس العلمي،
الهند، المكتب الإسلامي، بيروت.

الصاوي: أحمد بن محمد الصاوي (١٣٩٢هـ) حاشية
الصاوي على الشرح الصغير، دار المعارف،
مصر.

ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمر (١٤٠٦هـ)
معرفة أنواع علوم الحديث، (ويعرف
بمقدمة ابن الصلاح) تحقيق: نور الدين عتر،
دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (١٤١٨هـ)
أعيان العصر وأعيان النصر، تحقيق: د. علي
أبو زيد، د. نبيل أبو عشمة، د. محمد موعود، د.
محمود سالم محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر
المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق،
سوريا.

الصنعاني: محمد بن إسماعيل الأمير (١٣٧٩هـ)
سبل السلام، الطبعة الرابعة، مكتبة
مصطفى البابي الحلبي،

الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي
(١٤١٥هـ) المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن
عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم
الحسيني، دار الحرمين، القاهرة،

الطبري: محمد بن جرير الطبري (د.ت.) تفسير
الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن للطبري)
تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر، الطبعة
الأولى، دار هجر.

الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة
الأزدي (١٤١٤هـ) شرح معاني الآثار، تحقيق:

ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (١٤١٥هـ)
تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة
العمروي، دار الفكر، بيروت.
العمراني: يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني
(١٤٢١هـ) البيان في مذهب الإمام الشافعي،
تحقيق: قاسم محمد النوري، الطبعة الأولى، دار
المنهاج، جدة.

العيني: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن
حسين الغيتابي (١٤٢٠هـ) البناية شرح الهداية،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان.

ابن فارس: أحمد بن فارس (١٣٩٩هـ) مقاييس
اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار
الفكر، بيروت.

ابن قدامة: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد
المقدسي (د.ت.) الشرح الكبير على متن المقنع،
دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
ابن قدامة: عبدالله بن أحمد المقدسي (١٤٠٥هـ)
المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة
الأولى، دار الفكر، بيروت.

ابن قدامة: عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي
(١٤١٤هـ) الكافي في فقه الإمام أحمد، الطبعة
الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
القرافي: أحمد بن إدريس (١٩٩٤م) الذخيرة، تحقيق:
محمد حجي، دار الغرب، بيروت.

ابن عبدالهادي: محمد بن أحمد (١٤٢٨هـ) تنقيح
التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق: سامي بن
محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر
الخباني، الطبعة الأولى، دار أضواء السلف،
الرياض.

أبو عبيد: القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي
البغدادي، (١٤١٨هـ) الناسخ والمنسوخ في
القرآن العزيز وما فيه من الفرائض، تحقيق:
محمد بن صالح المديفر، الطبعة الثانية، مكتبه
الرشد، الرياض.

أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي
البغدادي (١٣٨٤هـ) غريب الحديث، تحقيق: د.
محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، مطبعة
دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

العدوي: علي بن أحمد بن مكرم
الصعيد (١٤١٤هـ) حاشية العدوي على شرح
كفاية الطالب الرباني، تحقيق: يوسف الشيخ
محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت.

ابن عدي: أحمد عبد الله الجرجاني (١٩٩٧م) الكامل
في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث،
تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد
معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،
بيروت.

القرشي: عبدالقادر بن محمد بن نصر الله، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١١هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (د.ت.) إغاثة اللهفان إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١٥هـ) حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١٥هـ) زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي البصري (د.ت.) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي البصري (١٤٢٠هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع.

كحالة: عمر بن رضا (د.ت.) معجم المؤلفين مكتبة المثني، ودار إحياء التراث العربي، بيروت. الكرمي: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد (١٤٠٦هـ) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الكناني: علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني، (١٣٩٩هـ) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (د.ت.) سنن ابن ماجه: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

ابن مازة: محمود بن أحمد البخاري (١٤٢٤) المحيط البرهاني في الفقه النعماني، تحقيق: عبد الكريم الجندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن مفلح : إبراهيم بن محمد (١٤١٠هـ) المقصد
الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق:
عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى، مكتبة
الرشد، الرياض.

ملا قاري: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور
الدين الملا الهروي القاري (١٤٢٢هـ) مرقاة
المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الطبعة الأولى،
دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي
الشافعي (١٤٢٥هـ) البدر المنير في تخريج
الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير،
تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان
وياسر بن كمال، الطبعة الأولى، دار الهجرة،
الرياض.

المنائي: محمد عبدالرؤوف (١٤٠٨هـ) التيسير بشرح
الجامع الصغير، الطبعة الثالثة، مكتبة الإمام
الشافعي، الرياض.

المنائي: محمد عبدالرؤوف (١٤١٥هـ) فيض القدير
شرح الجامع الصغير، الطبعة الأولى، دار الكتب
العلمية، بيروت.

ابن المنذر: محمد بن إبراهيم النيسابوري (١٤٣٠هـ)
الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف، راجعه
أحمد بن سليمان بن أيوب، تحقيق: مجموعة من
المحققين، الطبعة الأولى، دار الفلاح.

المنذري: عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري
(١٤٣١هـ) مختصر سنن أبي داود، تحقيق:

الماوردي: علي بن محمد بن محمد بن
حبيب (١٤١٤هـ) الحاوي الكبير في فقه الشافعي،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

المرداوي: علي بن سليمان (١٤١٩هـ) الإنصاف في
معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام
أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث
العربي، بيروت.

المزي: يوسف بن عبد الرحمن (١٤٠٠هـ) تهذيب
الكمال في أسماء الرجال المزي، تحقيق: د. بشار
عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة،
بيروت.

مسلم : بن الحجاج القشيري النيسابوري (د.ت.)
الجامع الصحيح، دار الجيل بيروت، دار الأفاق
الجديدة، بيروت.

المطيعي: محمد نجيب المطيعي (د.ت.) تكملة
المجموع، دار الفكر، بيروت.

معمر: بن أبي عمرو راشد الأزدي مولا هم (١٤٠٣هـ)
(هـ) الجامع، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،
الطبعة الثانية، المجلس العلمي بباكستان، توزيع
المكتب الإسلامي، بيروت.

ابن مفلح: محمد بن مفلح (١٤٢٤هـ) الفروع تحقيق:
د. عبدالله التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة
الرسالة، بيروت.

ابن مفلح : إبراهيم بن محمد (١٣٩٩هـ) المبدع في
شرح المقنع، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي،
دمشق.

النسائي: أحمد بن شعيب بن علي
الخرساني (١٣٩٦هـ) الضعفاء والمتروكون،
تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، دار
الوعي، حلب.

ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (د.ت.) سنن ابن
ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء
الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

النفراوي: أحمد بن غنيم (د.ت.) الفواكه الدواني
على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق: رضا
فرحات، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية.
ابن نقطة: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن
شجاع الحنبلي (١٤٠٨ هـ) التقييد لمعرفة رواة
السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

النووي: يحيى بن شرف النووي (١٤٠٥ هـ) التقریب
والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول
الحديث، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الطبعة
الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن الهمام: محمد السيواسي (د.ت.) شرح فتح القدير،
دار الفكر، بيروت.

الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر
الهيتمي (١٣٥٧هـ) تحفة المحتاج في شرح
المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

صبحي حلاق، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف،
الرياض.

المنهاجي: محمد بن أحمد الاسيوطي (١٤١٧هـ)
جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود،
تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان.

المواق: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف
العبدري الغرناطي (١٤١٢هـ) التاج والإكليل
لمختصر خليل للمواق، الطبعة الثالثة، دار
الفكر، بيروت.

ابن ناجي: قاسم بن عيسى التنوخي (١٤٢٨هـ) شرح
ابن ناجي على متن الرسالة، تحقيق: أحمد فريد
المزيدي، الطبعة الأولى.

ابن النجار: محمد بن أحمد الفتوحي (١٤١٨هـ)
شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي
ونزيه حماد، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان،
الرياض.

ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم بن محمد (١٤١٣هـ)
البحر الرائق شرح كنز الدقائق، الطبعة الثالثة،
دار المعرفة، بيروت.

النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخرساني
(١٤٢١ هـ) السنن الكبرى تحقيق: حسن عبد
المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، الطبعة
الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن أبي يعلى: محمد بن محمد أبو الحسين (د.ت.) طبقات الحنابلة ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي(د.ت.) الفتاوى الكبرى الفقهية، دار الفكر.

الواحدي: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (١٤١٥هـ) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد

The Effect of Wife's Adultery on Marital Life Comparative Fiqh Study (English Abstract)

Dr. Fatimah Bint Owaid Aljalsi Alharbi

Associate Professor of Fiqh and Islamic Studies – Faculty of Arts and Humanities
King AbdulAziz University

Abstract Praise be to Allah alone, and prayers and peace be upon who we do not have a prophet after him, and on his family and companions.

This study examines the effect of marital adultery on the marital Life in terms of the possibility of continuing it. Is it permissible for a husband to have intercourse with the wife after she has committed adultery, or does she have to prepare or recover after adultery? Should the husband divorce her or not? Among the most important findings of the research is that the wife's adultery (zina) does not invalidate marriage according to the agreement of the four imams, and it is not permissible for the husband to have intercourse with the wife after she has committed adultery(zina) unless she is sure that the uterus is innocent. God knows best and highest.

May Allah bless and bestow peace upon our Prophet Muhammad and his family and disciples.

تباين الرؤى حول كتاب البديع لابن المعتز دراسة في آراء الباحثين المعاصرين

عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب

الكلية الجامعية بالقنفذة - جامعة أم القرى

مستخلص يدرس هذا البحث قضايا كتاب البديع لابن المعتز التي تباين فهمها لدى الباحثين المعاصرين. درس المبحث الأول: قضية تصنيف الكتاب، والثاني: دواعي تأليفه، والثالث: تقسيم الكتاب، والرابع: الأثر اليوناني. وانتهى البحث في نتائجه إلى أنَّ لهذا التباين أسباباً منها: وقوع الكتاب في طور بداية انتقال الثقافة العربية من الشفاهية إلى الكتابة، وطبيعة لغة الكتاب الموجزة، وتعدد خلفيات الباحثين المعاصرين الفكرية والعلمية. الكلمات المفتاحية: ابن المعتز، البديع، شعر المحدثين.

مقدمة

تجمع معظم الدراسات المعاصرة التي تناولت كتاب البديع لعبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) على أهميته وأسبقيته. وعلى الرغم من هذا الإجماع تعرّضت بعض مسائل الكتاب وقضاياها لتباين في الفهم في تلك الدراسات، يصل هذا التباين في بعض مناحيه إلى التناقض.

ويحاول هذا البحث الوقوف على هذه القضايا التي تعرّضت لهذا التباين في الفهم. ورصدَ البحث أربع قضايا وقع فيها هذا التباين. تتعلق الأولى بتصنيف حقل الكتاب العلمي، والثانية بدواعي تأليفه، والثالثة بتقسيم الكتاب، والرابعة بعلاقة الكتاب بالثقافة اليونانية. واقتضى ذلك أن يجيء البحث في أربعة مباحث، يدرس كلُّ مبحثٍ قضيةً من تلك القضايا، يسبق هذه المباحث مقدّمةٌ تبين أهمية

البحث وأقسامه والنهج الذي سار عليه، ويتلوها خاتمة تبرز أهم النتائج.

واتخذ البحث نهجاً يقوم على تقسيم كلِّ مبحثٍ من تلك المباحث الأربعة إلى جزئين. يعرض الجزء الأول آراء الباحثين المعاصرين حول القضية التي اختصَّ بها المبحث، ورصد ما وقع في تلك الآراء من تباين. وأمّا الجزء الآخر فيناقش هذه الآراء، ويحاول تقديم تفسيرٍ لهذا التباين، ومُنشئيه، والأسباب التي قادت إليه، إذ الغرض الذي يقصده البحث ليس تقديم حلولٍ لهذه القضايا التي وقع فيها التباين، بل محاولة فهمه وتفسيره.

المبحث الأول : التصنيف

لم يتفق الدارسون المعاصرون على تصنيف واحدٍ لكتاب البديع لابن المعتز، فتارةً يُصنّف ضمن كتب البلاغة، وأخرى ضمن كتب النقد. فهو "أول كتاب في البلاغة العربيّة بالمعنى الصحيح"^(١)، ولم يخلص "كتابٌ للبلاغة قبل هذا الكتاب"^(٢)، وهو "أول كتاب استقرّت فيه صياغة نظرية لبعض فنون البلاغة"^(٣)، ويمثّل "بداية استقلال البلاغة"^(٤)، ويعدّ

"محاولة رائدة لوضع خلايا لعلم البلاغة العربيّة"^(٥)، وكان "السباق إلى تشييد معلمة بلاغية من أعماق التراث العربي، فقد أراد مؤلفه أن يؤلّف أول كتاب في البلاغة العربيّة"^(٦).

إنّ هذه الآراء التي صنّف بها الدارسون المعاصرون كتاب البديع ضمن كتب البلاغة، وعدّه رائداً وسابقاً في ذلك، تقابلها آراء أخرى تصنّفه ضمن كتب النقد، فهو كتابٌ "ساعد على خلق النقد المنهجي بتحديد خصائص مذهب البديع"^(٧)، ويعدّ "ذا أهمية بالغة في النقد العربي وتطوّره؛ لأنّه في رأيهم أول من شقّ هذا الطريق في التأليف"^(٨)، وانتقل "النقد العربي به إلى طور جديد، طور العناية بدراسة العبارة ونقدها، على حين كان الاهتمام مركّزاً أكثر على نقد الأفكار والمعاني"^(٩)، والكتاب "نواة لمقياس بديعي جديد في النقد الأدبي"^(١٠)، ويدلّ "على رغبة أكيدة في اتباع النقد المنهجي للشعر من

(٥) عبّاس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ط١، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٣٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٢٥.

(٧) د.محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص٦١.

(٨) د.محمد زغول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص١٦٢.

(٩) د.عبدالعزیز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٤، بيروت، دار النهضة العربيّة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٩٩.

(١٠) د.خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ط١، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١١٠.

(١) د.بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ط٧، جدة، دار المنار للنشر والتوزيع - الرياض، دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٣) د.مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ط١، دمشق، دار الفكر، ص٦٨.

(٤) د.علي عشري زايد، البلاغة العربيّة تاريخها مصادرها مناهجها، مكتبة الشباب، ص١٩٨٢، ص١٠٨.

- ٧ - كتاب : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها للدكتور محمد العمري^(٨).
- فإن كتب تاريخ النقد أو ما نحت هذا المنحى صنفته أيضًا ضمنها، من مثل:
- ١ - كتاب : النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور^(٩).
- ٢ - كتاب : أثر القرآن في تطوّر النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري للدكتور محمد زغلول سلام^(١٠).
- ٣ - كتاب : تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس^(١١).
- ٤ - كتاب : تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور عبدالعزيز عتيق^(١٢).
- ٥ - كتاب : في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب للدكتور خالد يوسف^(١٣).
- ٦ - كتاب : النقد الأدبي ومدارسه عند العرب للدكتور قصي الحسين^(١٤).

- أجل التجويد والتحسين في اللفظ والمعنى على حدّ سواء^(١).
- وإذا كانت كتب تاريخ البلاغة أو ما نحت هذا المنحى تصنّف كتاب البديع ضمنها، من مثل:
- ١ - كتاب : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها لأحمد مصطفى المراغي^(٢).
- ٢ - كتاب : البلاغة تطوّر وتاريخ للدكتور شوقي ضيف^(٣).
- ٣ - كتاب : في تاريخ البلاغة العربية للدكتور عبدالعزيز عتيق^(٤).
- ٤ - كتاب : الموجز في تاريخ البلاغة للدكتور مازن المبارك^(٥).
- ٥ - كتاب : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس "مشروع قراءة" للدكتور حمّادي صمود^(٦).
- ٦ - كتاب : المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور عبدالقادر حسين^(٧).

(٧) د. عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ط١، بيروت - القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٩٧.

(٨) د. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، الدار البيضاء - بيروت، أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م، ص ٥٩.

(٩) د. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص ٦٠.

(١٠) د. محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطوّر النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ص ٢٢٣.

(١١) د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتّى القرن الثامن الهجري، ط٤، بيروت، دار الثقافة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ١٢٠.

(١٢) د. عبدالعزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٣٩٣.

(١٣) د. خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص ١١٠.

(١٤) د. قصي الحسين، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب،

(١) د. قصي الحسين، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، بيروت، دار ومكتبة الهلال - جدة، دار الشروق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ١٠٣.

(٢) أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ط١، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص ١٠.

(٣) شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط١٥، القاهرة، دار المعارف، ص ٦٨.

(٤) د. عبدالعزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص ٤٥.

(٥) د. مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص ٦٨.

(٦) حمّادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس "مشروع قراءة"، ط٣، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م، ص ٣٣٤.

ولعلّ هذا السرد للكتب يكشف بوضوح ما وَقَعَ لكتاب البديع من ازدواجيّة في التصنيف عند الدارسين المعاصرين الذين اضطلعوا بعبء التأريخ لعلمي البلاغة والنقد، ولا أدلّ على هذه الازدواجيّة من أنّنا رأينا أحدهم، وهو الدكتور عبدالعزيز عتيق، يصنّف كتاب البديع مرة في كتابه المختصّ بتاريخ البلاغة، ومرة في كتابه المختصّ بتاريخ النقد. وهناك من الكتب ما جمع التأريخ للنقد والبلاغة معاً، ككتاب د. محمّد زغلول سلام: (تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتّى آخر القرن الرابع الهجري)، وكان كتاب البديع لابن المعتزّ خير ممثّل لكتب القرن الثالث الهجري في هذا الكتاب^(١)، وسبق أن رأينا المؤلّف يسوق كتاب البديع على أنّه أحد كتب النقد التي للدراسات القرآنيّة أثّر فيها "غير خافٍ، وإنّ كان غير مباشر، وابن المعتزّ يهتم بوجود فنون البديع أو عدم وجودها في القرآن، فإنّه لا شك كان مستحضراً لبعض ما نجم منها في الدراسات القرآنيّة السابقة عندما ألّف كتابه"^(٢).

وإذا تركنا كتب التأريخ البلاغي والنقدي، فإنّنا نجد كتاب (البديع) يرد مرّة في الكتب التي اختصّت بدراسة موضوعات بلاغيّة، مثل:

- ١ - كتاب : الصبغ البديعي في اللغة العربيّة للدكتور أحمد إبراهيم موسى^(٣).
- ٢ - كتاب : بحوث بلاغيّة للدكتور أحمد مطلوب^(٤).
- ٣ - كتاب : المجاز في البلاغة العربيّة للدكتور مهدي صالح السامرائي^(٥).
- ٤ - البديع بين المتقدّمين والمتأخّرين للدكتور إبراهيم عبدالحميد السيد التلب^(٦).
- ومرّة في الكتب التي اختصّت بدراسة موضوعات نقديّة، مثل:
- ١ - كتاب : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث للدكتور محمّد زكي العشماوي^(٧).
- ٢ - كتاب : في قضايا النقد الأدبي عند العرب للدكتور عبدالحميد جيله^(٨).
- ٣ - كتاب : قراءة التراث النقدي للدكتور جابر عصفور^(٩).

(٣) د. أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربيّة، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص ١٢٩.

(٤) د. أحمد مطلوب، بحوث بلاغيّة، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٢٢ وص ١٧٧.

(٥) د. مهدي صالح السامرائي، المجاز في البلاغة العربيّة، ط ١، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٦٩.

(٦) د. إبراهيم عبدالحميد السيد التلب، البديع بين المتقدّمين والمتأخّرين، ط ١، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٨م، ص ٣٥.

(٧) د. محمّد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، بيروت، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ص ٢٨٣.

(٨) د. عبدالحميد جيله، في قضايا النقد الأدبي عند العرب، طرابلس، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص ٩٧.

(١) د. محمّد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتّى آخر القرن الرابع الهجري، ص ١٦٢.

(٢) د. محمّد زغلول سلام، أثر القرآن في تطوّر النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص ٢٢٥.

مناقشة ومحاولة تفسير

ليس كتاب البديع لابن المعتز هو الكتاب الوحيد الذي تعرّض لهذه الازدواجية في التصنيف بين البلاغة والنقد عند الدارسين المعاصرين، فقد يشاركه في ذلك بعض كتب التراث البلاغي والنقدي، و نعتقد أن كتاب البديع قد حظي باهتمام واسع من قبل الدارسين المعاصرين ، وما ذكرناه من تلك الدراسات إنّما هو على سبيل التمثيل لا الحصر والاستقصاء.

ولعلّ من الأسباب التي قادت إلى ذلك، هو وقوع كتاب البديع لابن المعتز في طور النشأة الأولى لاستقلال البحث البلاغي والنقدي، إذ كانت مباحث الحقلين البلاغي والنقدي قبل ابن المعتز لم تأخذ استقلالها، حيث كانت ترد ضمن كتب معاني القرآن واللغة والأدب. والكتب التي سبقت ابن المعتز كطبقات ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، كانت لا تزال مثله تتلمّس الطريق نحو ذلك الاستقلال، فمقاييس الكتاب الأول في توزيع الطبقات لا يوضّحها المؤلف، بل

كانت رهينة محاولات استنباط من قبل الدارسين المعاصرين، فليس في الكتاب بيان نظريّ يطرح من خلاله المؤلف رؤاه النقدية، وهذا أمرٌ عادةً ما تتسم به كتب التأسيس الأولى. وأمّا كتاب ابن قتيبة فإنّ رؤاه النقدية لا تُستجلى من الكتاب، بل من مقدّمته، إذ اتّخذ الكتاب سبيل الترجمة لأعلام الشعر.

٤ - كتاب : قراءة في النقد القديم للدكتور

بسيوني فيود^(٢).

وإذا كان كتاب البديع يظهر في الدراسات التي اختصت بالموضوعات البلاغية، وفي الدراسات التي اختصت بالموضوعات النقدية، فلا غرو أن يظهر في الدراسات التي جاءت جامعة الحقلين البلاغي والنقدي معاً، مثل:

١ - كتاب : من قضايا النقد والبلاغة

للدكتور توفيق الفيل^(٣).

٢ - كتاب : النقد الأدبي والبلاغة في

القرنين الثالث والرابع (المصادر والقضايا) للدكتور علي عشري زايد^(٤).

٣ - كتاب : الصورة الشعرية في الخطاب

البلاغي والنقدي للولي محمد^(٥).

٤ - ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين

دراسة بلاغية نقدية للدكتور محمد الواسطي^(٦).

(١) د. جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، القاهرة، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤م، ص ٢١٠.

(٢) د. بسيوني عبدالفتاح فيود، قراءة في النقد القديم، ط ١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١٣٦.

(٣) د. توفيق الفيل، من قضايا النقد والبلاغة، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٩م، ص ٢١.

(٤) د. علي عشري زايد، النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع، ط ٢، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٦٥.

(٥) الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط ١، بيروت - الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م، ص ٣٣.

(٦) د. محمد الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، ط ١، الرباط، دار نشر المعرفة، ٢٠٠٣م، ص ٣٤.

ولذلك لم يكن من اليسير على كتاب البديع وهو يشارك في مهمة تخلص مباحث البلاغة والنقد من كتب العلوم الأخرى أن يفصل تداخلهما الذي جاء عليه في تلك الكتب، فجاء الكتاب حاملاً شيئاً من آثار هذا التداخل، فأوقع ذلك الدارسين المعاصرين في ازدواجية تصنيفه، ولم تُنجز مهمة الاستقلال إلا عند بلاغي القرنين الرابع والخمس الهجريين ونقّادهما (بعد هذا المهاد الذي قدّمه أعلام القرن الثالث الهجري).

وإذا كان كتاب البديع لابن المعتز دار حول ثمانية عشر فناً ستعدّ فيما بعد من فنون البلاغة ممّا يجعله أقرب إلى أن يكون كتاباً بلاغياً أكثر منه نقدياً، فإنه حدا ببعض المعاصرين إلى القول: بأنّ "ابن المعتز هو واضع أساس علم البديع"^(١)، وبأنّ كتاب البديع "هو اللبنة الأولى في بناء علم البديع مستقلاً عن علمي البيان والمعاني، وعلى حذوه هذا الخالفون المتأخرون في التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة العربيّة"^(٢) فإنّ الذي يجب ألا ننساه هو أنّ هذه الفنون التي حاول رصدها ابن المعتز كانت هي مادّة المعركة النقدية التي نشبت حول شعر المحدثين في العصر العباسي، وما أسرفوا فيه من استخدام لتلك الفنون، جعلت طريقتهم الشعرية بين مستهجن

ومشجّع، وفي ظلال هذه الأجواء، وبوحي من هذه المعركة النقدية كتب ابن المعتز كتابه، وكان صدّي لها، حيث إنّ "الروح التي أملت الكتاب كانت تمثّل جانباً من الحركة النقدية في القرن الثالث"^(٣). وهذا ما جعل الكتاب قابلاً لازدواجية التصنيف. فإنّ نُظر إلى الفنون التي اشتمل عليها الكتاب بوصفها فنوناً بلاغية قد بدأ البحث عنها يأخذ صفة الاستقلال كان الكتاب أقرب إلى التصنيف البلاغي، وإنّ نُظر إلى تلك الفنون بوصفها مادّة معركة نقدية غدّت النقد العربي كان الكتاب ملائماً لتصنيفه كتاباً نقدياً. وبهذا أضحي الكتاب "شهادة ناصعة لتمازج اختصاصين...هما: النقد من جهة، والبلاغة من جهة أخرى"^(٤).

وساعد على وجود هذه الازدواجية في التصنيف طبيعة اللغة التي كتب بها ابن المعتز كتابه، إذ جاءت حاملة سمات الكتب التي تشقّ طريقاً جديداً في التأليف، فغلب عليها الإيجاز، وعدم بسط الحديث حول الشواهد الكثيرة التي ساقها فيه، والمسائل المتعلقة بها، حتّى يكاد الكتاب "يكون شواهد كلّها، ولك أنّ تستثني منه الصفحات الثلاث الأولى، ثمّ من أوّل قوله: (قد قدّمنا أبواب البديع الخمسة) ص ٥٧ إلى قوله: (فله اختياره) ص ٥٨ أي ما يساوي صفحة واحدة، وما عدا هذه الصفحات

(١) د. عبدالعزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربيّة، ص ٤٥.

(٢) د. جليل رشيد فالح، "قراءة في كتاب البديع لابن المعتز دراسة وتقويم"، مجلّة آداب الرافدين، الموصل، كليّة الآداب بجامعة الموصل، العدد (٢٥)، (١٩٩٣م)، ص ٢٦.

(٣) د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ١٢١.

(٤) حمّادي صمّود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٣٥٠.

بجديد) و(ليس بديعكم بمخترع)، وإنما نجده عند الأوائل من الشعراء وغيرهم، ونجده أيضاً في (الكتاب) وفي (الحديث)"^(٥).

واجهة ابن المعتز ادعاء المحدثين بالسبق إلى اختراع البديع فانبرى "يفند دعواهم، ويثبت أصالة العرب في البديع، وإن كان للمحدثين شيء من البديع فإنما هو مغالاتهم به، وإسرافهم في استعماله"^(٦)، وجهّد في "أن يدحض هذه الفرية، ويفند هذا الزعم، ويثبت للعلماء والشعراء والنقاد أنّ البديع لم يكن من ابتكار المحدثين، وإنما هو شيء سبق إليه السابقون من الشعراء منذ العصر الجاهلي، ومنذ أن قرض الشعر، كما نلاحظ البديع في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وكلام الصحابة"^(٧)، فكتاب البديع خُصّص "للرد على أصحاب المذهب الجديد في الصنعة الشعرية"^(٨)، وجاء على "أثر هذه الضجة التي أثارها أصحاب المذهب الجديد مدّعين أنّهم قومٌ أبدعوا في الصياغة الشعرية والتجويد الفني، وأنهم حقّقوا ما لم يحقّقه القدماء في استعمال المجاز والاستعارة ومحسنات القول"^(٩)، وما كان من ابن المعتز إلا إنكار ذلك، وكان "هذا الإنكار غرضه من

الأربع شواهد متتابعة في كلّ فنٍّ من فنونه الثمانية عشرة"^(١٠). لقد أسهم غيابُ البيان النظري الموسّع عن الكتاب في تعرّضه لازدواجيّة التصنيف، وقابليته للتأرجح بين البلاغة والنقد.

المبحث الثاني : دواعي التأليف

اختلف الدارسون المعاصرون في تحديد الدافع الذي دفع ابن المعتز إلى تأليف كتابه، ووصل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض، إذ ذهب فريق من المعاصرين إلى أنّ ابن المعتز ألّف كتابه انتصاراً للقدماء وردّاً على دعوى المحدثين بأنهم سبقوا إلى اختراع البديع، وذهب فريق آخر إلى أنّ ابن المعتز ألّف كتابه انتصاراً للمحدثين ومذهبهم الشعريّ الجديد.

فابن المعتز عند الفريق الأول ألّف كتابه كي "يعيد الفضل إلى أصحابه، ويدحض باطل المجدّدين وأنصارهم، ويكشف زيف ما يدّعون من اختراع البديع"^(١١)، وليكون الكتاب "دفاعاً عن القدماء، وذلك بإرجاع الفضل إليهم فيما ادّعاه المحدثون لأنفسهم من سبق إلى فنون البديع"^(١٢)، فغايتة من الكتاب "التي يعلنها فيه إعلاناً دون مواربة هي أنّ يثبت أنّ المحدثين لم ي اخترعوا البديع الذي يلهجون به"^(١٣). وليقول "لهؤلاء المحدثين: (ليس جديكم

(٥) د.إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو، المصرية، ١٩٥٢م، ص٩٩.

(٦) د.بدوي طبانة، البيان العربيّ دراسة في تطوّر الفكرة البلاغيّة عند العرب، ص١١٨.

(٧) د.عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ص٩٧.

(٨) د.محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص٢٨٣.

(٩) المصدر نفسه، ص٢٨٣.

(١٠) د.سلامه جمعه داود، من مصادر البحث البلاغي، مطبعة الشروق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٣٧.

(١١) د.مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص٦٩.

(١٢) د.عبدالعزیز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٣٩٦.

(١٣) شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص٦٧.

العرب ممن يزعمون أنَّ البديع من ابتكار المحدثين، وأنه بضاعة أجنبية^(٦)، فالقائل بسبق المحدثين "لا يخلو" من أحد اثنين: إما متفلسف متعصب لم يتعمق الأدب العربي وأصوله، وإما شعوبي ممن يغمطون العرب القدماء حقهم، وينكرون عليهم كل فضل^(٧).

وجعل أحد الدارسين انتصار ابن المعتز للقديما مرتباً بسياق سياسي إيديولوجي، إذ تشمل صفة القديما أنصار الاتباع وأهل النقل، وتشمل صفة المحدثين أنصار الابتداء وأهل العقل. ويأتي ابن المعتز في مرحلة انحياز الخلافة العباسية إلى أنصار الاتباع من القديما منذ عهد جدّه المتوكل لتأكيد الحق المقدس في الحكم، عبر تأويل يحول الحق في هذا الميراث إلى تنزيه مطلق للحاكم في علاقته بالمحكوم، وتبرير للاتباع المطلق من المحكوم في علاقته بالحاكم. ويغدو في هذا السياق مصطلح (البديع) وثيق الصلة - في دلالاته - بالبدعة، ولكن البدعة في سياق الكتاب بدعتان: بدعة هدى ترتبط بالابتداء على مثال الأصل الأول، وبدعة ضلالة ترتبط بالابتداء الذي انقطع عن هذا الأصل^(٨).

الكتاب^(١)، وكانت غايته "تكمين في الإعلاء من شأن المتقدمين"^(٢).

وهناك من أصحاب هذا الفريق من رأى أن ابن المعتز ألف كتابه البديع "إنصافاً للشعر القديم، ورداً على بعض ادعاءات الشعراء والنقاد المحدثين"^(٣)، ولكنه "عدل عن موقفه هذا، بعد ذلك، وتعاطف تعاطفاً قوياً مع الشعر المحدث، وأنصفه. ويتضح هذا من تأليفه لكتابه طبقات الشعراء المحدثين"^(٤).

وهناك من أصحاب هذا الفريق من ربط انتصار ابن المعتز للقديما بالمواجهة التي قامت ضدّ دعوى الشعوبيين، إذ قضى ابن المعتز من خلال كتابه البديع "على آمال المدّعين والشعوبيين حتّى لا يفخر أحد منهم بابتكار فنّ عربيّ جديد، أو يفخر أحدهم العرب باختراع فنّ في كلامهم لم يكونوا هم السباقين إليه. إنّ البديع فنّ قديم، وليس لأحد من المحدثين فيه أدنى فضل"^(٥)، ورام أن يفند "دعوى الشعوبيين، وكلّ من سوّلت له نفسه النيل من تراث

(١) د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص ١٥.

(٢) د. سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين، ط١، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ٢٧.

(٣) د. عثمان موافي، الخصومة بين القديما والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، ط٢، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م، ص ٣٨، ٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩، ٤٠.

(٥) د. مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص ٧٠.

(٦) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص ٣١٧.

(٧) شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص ٦٧.

(٨) ينظر: د. جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، ص ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ٢١٢، ٢١٣.

فيه أنَّ البديع معروفٌ في العربيَّة منذ العهد القديم^(٢)، وحين يشير إلى القدماء فلا ينبغي أن يفهم "أنَّه كان من أنصار القديم، فهو بشعره وبفكره البلاغي والنقدي من كبار المجدِّدين في ذلك العصر، ولم يخل شعره حتَّى من ذلك الإسراف في استخدام البديع الذي أخذه على أبي تمام"^(٣). لقد كان "ابن المعتز من أنصار مذهب المحدثين وأولع بالبديع، والتشبيه خاصَّة حتَّى وسم به. وكان الصولي من أشدَّ أنصار أبي تمام، وكان نصيرًا كذلك لابن المعتز ومقدِّمًا له. وأدَّى انتصار ابن المعتز لمذهب المحدثين إلى تأليف كتابين، أحدهما (طبقات الشعراء المحدثين)، والثاني (البديع)"^(٤).

ولقي ما ذهب إليه بعض دارسي الفريق الأوَّل من رُبِّ انتصار ابن المعتز للقدماء بمواجهة الشعويَّة منازعةً وعدم تسليم من بعض دارسي الفريق الآخر، إذ يعلِّق معترض على هذا الربط قائلاً: "ولا أحسب أنَّ الخلاف في هذه المسألة حول دعاوى المحدثين من الشعراء من أنَّهم أصحاب هذا المذهب ومبتكروه شيء يتصل بالشعويَّة أو الرغبة في إنكار فضل العرب الأوائل في اصطناع البديع أو معرفتهم له في أشعارهم، فضلاً عن أنَّ ابن المعتز عرض للأمر بعيداً عن الإشارة إلى وجود

ذلك عَرَضٌ لبعض أقوال الفريق الأوَّل الذي رأى أنَّ ابن المعتز ألَّف كتابه البديع إنصافاً للقدماء، وردًّا على دَعْوَى المحدثين بالسبق واختراع البديع.

ويقابل هذا الفريق، فريق آخر رأى أنَّ ابن المعتز ألَّف كتابه انتصاراً للمحدثين، وشعرهم الجديد. وعندهم أنَّ إشارة ابن المعتز إلى القدماء في الكتاب ليست من باب الانتصار لهم، ولكنَّها من باب تأصيل المذهب الجديد، والبحث عن جذور له. لقد "وقف ابن المعتز بين مذهبين في البيان متناقضين: مذهب المحدثين الذي يؤثِّره... ومذهب القدماء المتعصِّبين للقديم الذين كانوا يزدرون نهج المحدثين وقصدهم وتكلِّفهم للبديع، ولكنَّه انتصر بفطرته وذوقه للمذهب الأوَّل الذي أحبه وشغف به، فأخذ يدافع عنه، وألَّف في ذلك كتابه البديع الذي أثبت فيه أنَّ ألوان البديع كانت معروفةً عند الشعراء القدامى والإسلاميين، وألَمُوا بها في شعرهم كما ألَمَ بها المحدثون، فهي ليست غريبة على الشعر الجاهلي والإسلامي، وليست جديدة على أساليب البيان في شعر المحدثين، وليست بدعاً جديداً في الأدب والشعر كما ذهب إليه مَنْ تعصَّبوا للأدب القديم، واعتزَّوا بفحولة الشعر الجاهلي وجزالته، وأنكروا مذاهب المحدثين في صناعة الشعر وسهولته وتكلَّف البديع فيه"^(١). فابن المعتز نافح "عن المحدثين، واحتجَّ للبديعيين بهذا الكتاب الذي أثبت

(٢) د. أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربيَّة، ص ١٢٩.

(٣) د. علي عشري زايد، البلاغة العربيَّة تاريخها مصادرها مناهجها، ص ١١٠.

(٤) د. محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري، ص ١٦٣.

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٥٧٥.

هذه الرغبة، أو تلك النزعة...ولو كان ثمة ملامح تشي بكيدٍ أو سوء منزحٍ فإنَّ ابن المعتزَّ أولى الناس بأنَّ يتحدث عن ذلك بصريح القول، ويتصدَّى لهذا الضرب من المحاولات بالدفاع المستميت، فهو الخليفة العربي الذي يحمي بيضة العروبة ويردّ غوائل الكيد عن تراث العرب وحضارتهم وعقيدتهم. وإذا ما كان اسم بشَّار وأبي نواس يرد في سياق الشعراء المحدثين (وهما من يرميان بالشعوبية) فإنَّ ثمة شعراء آخرين هم عرب خلَّص لم يؤثر عنهم ما يصل أسبابهم بأسباب الشعوبية ولا سيَّما الشاعر العربي الكبير أبو تمام الطائي^(١).

كما لقي أيضًا ما ذهب إليه بعض دارسي الفريق الأول من رَبط انتصار ابن المعتزَّ للقدمات بدوافع سياسية إيديولوجية عدم قبولٍ عند آخرين. يقول أحد الدارسين معترضًا على صاحب هذا الربط: "ومن الجليِّ هنا أنَّ ابن المعتزَّ ينصر أقرانه من الشعراء المحدثين على مناوئتهم من علماء اللغة والشعر القديم، ولست أدري كيف سها الدكتور جابر عصفور، وخفي عليه ذلك - مع فرط ظهوره - فأثبت أنَّ ابن المعتزَّ نصر المتقدمين أو أهل السلف والأثر على المتأدبين أو أهل العقل"^(٢).

وهناك من أضاف دافعًا آخر لتأليف كتاب البديع، وهو رغبة ابن المعتزَّ إحراز قصب السبق في التأليف في موضوع البديع، إذ أنَّ "حبَّ السبق، وكشف آفاقٍ جديدة أغرى ابن المعتزَّ بهذا التأليف الفني"^(٣)، وكان حفيًّا بأن يكون له فضل "السبق إلى بلورة جماليَّات التعبير الأدبي"^(٤)، وأضحت قضية السبق إلى أبواب البديع "الباعث الذي أهاج ابن المعتزَّ على تأليف الكتاب إهاجة، وحمله عليه حملاً"^(٥).

ولا إشكال في الجمع بين هذا الدافع وأحد القولين السابقين؛ لأنَّ المؤلف قد يدفعه أكثر من دافعٍ إلى تأليف كتابه. ولذا سنقتصر في محاولة التفسير على بحث الأسباب التي قادت إلى انقسام المعاصرين إلى فريقين متناقضين، فريق القول بأنَّ ابن المعتزَّ ألَّف كتابه انتصارًا للقدمات وردًّا على ادعاء المحدثين بأنهم أتوا بجديد، وفريق القول بأنَّ ابن المعتزَّ ألَّف كتابه انتصارًا لشعر المحدثين.

مناقشة ومحاولة تفسير

استند الفريق الأول القائلون: إنَّ ابن المعتزَّ ألَّف كتابه البديع انتصارًا للقدمات ضدَّ دعوى المحدثين بأسبقيتهم إلى البديع إلى عدَّة نصوص في كتاب البديع. منها ما جاء في مفتتح الكتاب وهو

(٣) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ٩٨.

(٤) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص ٣١٨.

(٥) د.سلامه جمعه داود، من مصادر البحث البلاغي، ص ٢٢٨.

(١) د.جليل رشيد فالج، قراءة في كتاب البديع لابن المعتزَّ دراسة وتقويم، ص ١٤، ١٥.

(٢) د.سلامه جمعه داود، من مصادر البحث البلاغي، ص ٢٣١.

بعض ذلك، وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط، وثمره الإسراف، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيتٌ بديعٌ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً، ويزداد حظوةً بين الكلام المرسل. وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبدالقُدوس في الأمثال، ويقول: لو أن صالحاً نثر أمثاله في شعره، وجعل بينها فصولاً من كلامه، لسبق أهل زمانه، وغلب على مدِّ ميدانه، وهذا أعدل كلامٍ سمعته في هذا المعنى^(٣).

إنَّ كلَّ ذلك دلالاتٍ قويّة تؤكّد فهم الفريق الأوّل، وتبيّن وجهة ما استندوا إليه. وعلى الرغم من ذلك، بقيت هناك أمورٌ نازعت هذا الفهم، وأدت إلى عدم التسليم به، وحملت فريقاً آخر من المعاصرين على فهمٍ مغاير، وهو أنَّ ابن المعتز ألف كتابه انتصاراً للمحدثين ومذهبهم الشعري الجديد. من هذه الأمور:

- قد تكون إشارة ابن المعتز إلى القدماء لا من باب النصر لهم، ولكن من باب تأصيل المذهب الجديد، لتأكيد عمق هذا المذهب، واتّصاله بجذورٍ راسخة، فالغاية ليست قطع الأواصر بما سبق، وإنّما تجديدٌ يصل الحاضر بالماضي، دون الوقوع تحت

قوله: "قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن، واللغة، وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه)، وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سمّاه المحدثون البديع؛ ليُعلم أنَّ بشّاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم، وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنّه كثر في أشعارهم فُعرف في زمانهم حتّى سمّي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه"^(١).

ولا شك أنَّ مجيء هذا النصّ في مفتتح الكتاب يعصّد ما ذهب إليه الفريق الأوّل، إذ عادةً ما يفتتح المؤلّفون كتبهم بأهمّ ما ابتغوا إيصاله إلى القارئ.

ومن أظهر النصوص التي استند إليها هذا الفريق قول ابن المعتز: "وإنّما غرضنا في هذا الكتاب تعريف النَّاس أنَّ المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيءٍ من أبواب البديع"^(٢).

ويعرّز موقف هذا الفريق بالإضافة إلى هذين النصّين مؤاخذه ابن المعتز على أبي تمام - أحد أكبر ممثلي المذهب الشعري الجديد - إسرافه في جلب البديع، ودعوة ابن المعتز إلى القصد والاعتدال، وترك الإفراط في ذلك. يقول ابن المعتز: "ثمَّ إنَّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتّى غلب عليه، وتفرّغ فيه، وأكثر منه، فأحسن في

(١) عبدالله بن المعتز، كتاب البديع، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: إغناطيوس كراتشكوفسكي، ط٣، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١، ٢.

سلطة الانبهار بهذا الماضي والتوقف عند إنجازه، ودون هدم جسور الصلة به.

- مذهب ابن المعتز الشعري، فهو معدود في الشعراء المحدثين، ولم يخل شعره كما يقول أنصار الفريق الآخر من استخدام البديع بالقدر الذي شاع عند شعراء عصره من أعلام البديع، وإن كان عند بعضهم "الطفهم صنعة، وأحسنهم بديعاً" (١). وهناك من رأى أن ابن المعتز "مفرط في البديع، مولع به، وقد لا نعدو الصواب إذا ما وضعناه بعد أبي تمام مباشرة بالنسبة لسابقه، معاصريه" (٢). ولهذا كان ابن المعتز "ذا مذهب شعري ذي سمات ذاتية خاصة قد تحول بينه وبين تذوق الأشعار التي تباين مذهبه" (٣). إن هذا المذهب الشعري لابن المعتز أوحى للفريق الآخر تبني القول بأن ابن المعتز كان ينصر المحدثين، وأنه كتب كتابه تحت هذا الداعي.

- إذا كانت شواهد ابن المعتز في كتابه من القرآن الكريم وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكلام الصحابة، وبلغاء الأعراب، وأدباء الكتاب، وأشعار المتقدمين، فإن كتابه جاء أيضاً حافلاً بشواهد من شعر المحدثين، ومستزيداً منها، إذ نراه يكثر من إيراد شعر المحدثين، إلى حدّ المبالغة

أحياناً، فيطوّل الشاهد طويلاً لا مبرر له إلا إعجابه بهم وتقديمه للجيد من أشعارهم" (٤). ولم يكن من الغريب "أن ترجح كفة المحدثين في الاستشهاد، فالبديع في أشعارهم أكثر، وهم أشدّ تعلقاً به من غيرهم" (٥)، ومن ذلك على سبيل المثال أنه أورد في باب "الاستعارة ما يزيد على الستين بيتاً للمحدثين، بينما كان حظّ القدماء نصف ذلك المقدار تقريباً" (٦).

بين دلالة النصوص الصريحة التي استند إليها أصحاب الفريق الأول، وبين قرائن أخرى لم يكن من اليسير إغفالها اتكأ عليها أصحاب الفريق الآخر، جاء كتاب البديع لابن المعتز مقلّماً في تحديد دافع تأليفه، وحاملاً لهذا التذبذب بين موقفَي الفريقين. فهذا التذبذب يعود إلى طبيعة الكتاب نفسه بما حمله من نصوصٍ نظريّة صريحة، وبما انتهجه من نهجٍ في شواهد التطبيقية لم يكن مطابقاً تماماً لدلالة تلك النصوص النظرية، بل كان أقرب إلى ما اتّسم به مذهب ابن المعتز الشعري. ممّا يطرح سؤالاً مؤداه: أكان ينزع ابن المعتز في نصوصه النظرية نحو القوّة الناقدة المتأثرة برواسب الثقافة العربية القديمة، بينما كان ينزع في عرض الشواهد والجانب التطبيقيّ نحو القوّة الشاعرة المتأثرة بالمذهب الشعريّ الجديد ممّا يجعل الكتاب حاملاً لصراع القوتين؟ لقد

(١) د. أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، ص ١٢٩.

(٢) خليفة الوقيان، "ابن المعتز وكتابه البديع"، مجلة البيان، الكويت، العدد (٤٩)، (أبريل ١٩٧٠م)، ص ٧٠.

(٣) د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ١١٧.

(٤) حمّادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٣٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

وبعد أن فرغ من تعريف هذه الفنون الخمسة وضرب الشواهد لها، بدأ في القسم الآخر وأطلق على فنونه اسم (محاسن الكلام)، وكانت عدتها ثلاثة عشر فناً هي: الالتفات، واعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، والرجوع، وحسن الخروج من معنى إلى معنى، وتأكيد مدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، وهزل يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض، والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعانات الشاعر نفسه في القوافي، وحسن الابتداءات. وتساءل الدارسون المعاصرون عن أسباب هذا التقسيم، ولماذا فصل ابن المعتز بين هذه الفنون؟ ولم قصر إطلاق مصطلح البديع على فنون القسم الأول الخمسة؟ ولم يطلقه على فنون القسم الآخر مكتفياً عوضاً عن ذلك بمصطلح (محاسن الكلام). وذهبوا في ذلك إلى آراء مختلفة، ولم يتفقوا على تفسير واحد لتقسيم الكتاب هذين القسمين.

فهناك من فسّر هذا التقسيم بأن "القسم الأول، يغلب وجوده في الأسلوب الشعري، أما القسم الثاني فعامٌّ بين الشعر والنثر، ولعلّ في هذا شيئاً من السرّ لهذا التقسيم العلمي الذي حدّد به ابن المعتز طريقته في تأليفه"^(١). فصاحب هذا التفسير يجعل سبب التقسيم كامناً في غلبة توافر الفنّ البديعي في الجنس البياني، فلما كانت فنون القسم الأول الخمسة يغلب وجودها في الشعر ويقلّ في النثر، وكانت

جاء انقسام المعاصرين حول تحديد الدافع نتيجةً لكلّ ذلك، لنصوص الكتاب النظرية، ولجانبه التطبيقي، ولصراعٍ محتمل بين تلك القوتين لدى ابن المعتز.

وهناك أمرٌ آخر، وهو وقوع كتاب البديع في طور بداية انتقال الثقافة العربية من الشفاهية إلى الكتابة. فلم تكن تقاليد الكتابة قد أخذت في هذا الطور صفة الرسوخ والثبات، وما تزال هذه المرحلة تحمل شيئاً من صفات الشفاهية، ولم تتخلص منها كلياً، ولذلك غلب على كتاب البديع اللوحة والإشارة أكثر من البسط والتفصيل، فتعاريفه للفنون مقتضبة، وتعليقاته على الشواهد نادرة، وهي على ندرتها لا تعدو أن تكون كلماتٍ سريعة تعبر عن الانطباع بعيداً عن التحليل والتعليل. ولا شك أن هذا من آثار وقوع الكتاب في هذه المرحلة المتأرجحة بين طوري الشفاهية والكتابة. ولذلك جاء الكتاب مُلبساً في تحديد الغاية من تأليفه، والدافع الذي ساقه إلى ذلك، ولو جاء الكتاب في مرحلة متأخرة لربما كانت دواعي تأليفه أبين ظهوراً، وأكثر تفصيلاً، وأبعد من الوقوع في هذا اللبس الذي جعل المعاصرين يتقاسمون موقفين متغايرين في تحديدها.

المبحث الثالث : تقسيم الكتاب

من المعلوم أن ابن المعتز قسم كتابه (البديع) قسمين، جعل القسم الأول منه خاصاً بفنون البديع، وهي خمسة فنون: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردُّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها، والمذهب الكلامي.

(١) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ١٣٤.

فنون القسم الآخر يعم وجودها الشعر والنثر معاً دون غلبة لأحد الجنسين فصل ابن المعتز بين القسمين. وهناك تفسير ثانٍ يجعل سبب التقسيم أن فنون القسم الأول هي ممّا سبق إليه ابن المعتز، وأمّا فنون القسم الآخر فهي من اختراعه وحده، يقول أحد الدارسين: "وشيء ثانٍ يمكن أن يجلي السر في التقسيم: ذلك أن الأصناف الخمسة الأولى عرفها الشعراء، وعرفها الجاحظ قبل ابن المعتز، فالاستعارة والتطبيق والتجنيس وردّ العجز إلى الصدر والمذهب الكلامي هي أوائل أصناف البديع التي ظهرت في شعر الشعراء من أمثال مسلم والعتّابي وبشار وأبي نواس وغيرهم، فليس لابن المعتز في العثور عليها من فضلٍ إلا ردّها إلى الشعر القديم؛ ليردّ على الشعراء المجدّدين دعوتهم في التجديد. أما صنوف القسم الثاني فمن اختراعه وحده، وقف عليها لمّا تتبّع أشعار القدامى والمحدثين، ودونها قبل أن يدونها غيره، وأطلق عليها أسماء لم تكن كلّها معروفة قبله في مصطلحات البلاغة وفي مصطلحات البلاغيين؛ لذلك فصل بين القسمين ليقول: هذا لكم، وهذا لي، وهذا منكم، وهذا منّي"^(١).

ورأى تفسير ثالث أن سبب الفصل بين فنون القسمين هو أن فنون القسم الأول الخمسة كانت

"أكثر دوراً في الأدب من محاسن الكلام، وأقدم استعملاً واستخراجاً"^(٢).

ويوجد تفسير رابع يرى سبب قسمة الكتاب قسمين هو "أن ابن المعتز لم يؤلف كتابه في وقت واحد، بل ألفه على مرحلتين، وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع... وبعد دراسة هذه الفنون وقف عندها وأنهى كتابه، وكتب خاتمة التي اعتاد أكثر المؤلفين أن ينهوا بها كتاباتهم. وهي: (ألفته سنة أربع وسبعين ومائتين، وأول من نسخه منّي علي بن هارون بن أبي يحيى بن أبي المنصور المنجم). ولعل ابن المعتز سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتتبعين اعتراضاً على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى، وأنهم رأوا البديع أكثر من ذلك، فأقرّهم على دعواهم، وكتب بقية المحسنات، وضمّها إلى الفنون الخمسة، لينفي عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية، وقال في ذلك: (نحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنهما كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها...) وهذا كلام واضح صريح يكشف عن العلة في فصل البديع عن محاسن

(٢) نقلاً عن : ديدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب، ص ١١٩.

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

والجمال، ولا شك أن الجمال والحسن أقل قيمة من الإبداع^(٥).

وهناك تفسير ثامن علل هذا التقسيم بأن "يكون الكتاب في الأصل رسالتين منفصلتين جمع بينهما رواية الكتاب"^(٦).

هذا بالإضافة إلى أن هناك عددًا من الدارسين أثاره هذا التقسيم للكتاب، لكنه اكتفى بإثارة التساؤل حوله دون أن يقدم تفسيرًا له^(٧).

مناقشة ومحاولة تفسير

فيما يتعلق بالتفسير الأول وهو غلبة وجود فنون القسم الأول في الشعر، وأن فنون القسم الآخر تعم الشعر و أن النثر يحتاج إلى استقراء شامل، وإحصاء دقيق للتسليم به، فإنه يبقى "دعوى لا دليل عليها، وغير معزوة بسند علمي"^(٨)، وهذا ما دعا أحد الدارسين إلى الرد على صاحب هذا التفسير قائلاً: "وما ذكره الدكتور سلامه لا يقنع الباحث؛ لأنّ اللونين يأتيان في الشعر والنثر، ولا نستطيع أن نقرر أنّ هذا اللون أكثر استعمالاً، وذلك أقلّ شيوعاً إلاّ

الكلام"^(١). وتبع هذا الرأي القائل بأن ابن المعتز ألف كتابه على مرحلتين عدد من الدارسين^(٢).

وهناك تفسير خامس يوافق التفسير السابق بأن الكتاب ألف على مرحلتين لكنه يضيف تعليلاً آخر وهو أن فنون المرحلة الأولى أو القسم الأول "كانت أكثر وروداً في الشعر وغيره من فنون القول"^(٣).

ورأى تفسير سادس أن اختصاص ابن المعتز الفنون الخمسة الأولى باسم البديع يعود إلى أنها "الفنون التي كانت موضع أخذ ورد بين أصحاب البلاغة العربية الخالصة، وبين طوائف المتفلسفة ومن ينزعون نحو التجديد المسرف"^(٤).

ورأى تفسير سابع أن سبب تقسيم الكتاب قسمين هو أن فنون القسم الأول الخمسة التي خصها ابن المعتز باسم البديع قائمة على الابتكار. يقول أحد الدارسين: "ولعله قصد إلى ذلك ليبين أن هذه الأنواع الخمسة التي تحمل اسم البديع يقصد بها الابتكار، اشتقاقاً من كلمة الإبداع مصدرًا لأبداع، على حين أن الأنواع الثلاثة عشر الأخرى التي تحمل اسم محاسن الكلام، لا يقصد بها إلا الحسن

(٥) د. عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ص ٩٩، ١٠٠.

(٦) نقلاً عن: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٣٤٣.

(٧) ينظر: د. علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها مصادرهما مناهجها، ص ١١١، ١١٢.

د. سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين، ص ٢٧.

(٨) د. جليل رشيد فالح، قراءة في كتاب البديع لابن المعتز دراسة وتقويم، ص ٢٠.

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) ينظر على سبيل المثال: خليفة الوقيان، ابن المعتز وكتابه البديع، ص ٧١.

(٣) د. محمد الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، ص ٣٨.

(٤) شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص ٦٩، ٧٠.

وينظر: د. أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، ط ١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣، ص ١٢٨.

من بعد استقراء واسع، ونظرة إلى الشواهد التي ذكرها ابن المعتز في القسمين لا تؤيد ما ذهب إليه^(١). وأما التفسير الثاني الذي رأى أن سبب التقسيم هو أن فنون القسم الأول مما سبق إليها ابن المعتز، وأن فنون القسم الآخر هي من اختراعه وحده، فأيضاً لا يمكن التسليم به؛ لأن عددًا من فنون القسم الآخر سبق إليها ابن المعتز، فقد سبقه على سبيل المثال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) إلى التشبيه^(٢)، والكناية^(٣)، والالتفات^(٤)، وفيما يتصل بالتفسير الثالث القائل أن سبب التقسيم هو أن فنون القسم الأول أكثر دورانًا في الأدب من فنون القسم الأول فيحتاج أيضًا إلى استقراء واسع، والحكم به مفتقر إلى دليل، بل إن النظر في كتب الأدب قد يُخرج لنا حكمًا مغايرًا، وهو أن بعض فنون القسم الأول - البديع - قد تقل أهمية عند الأدباء من بعض فنون محاسن الكلام،

فليس التجنيس ولا رد أعجاز الكلام على ما تقدّمها ولا المذهب الكلامي بأهم عندهم من التشبيه أو الكناية، بل إن فن التشبيه يبدو أكثر استعمالًا في أساليب الأدباء من أسلوب الاستعارة نفسها عند الأدباء قداماهم ومحدثيهم^(٥).

وأما التفسير الرابع الذي رأى أن سبب الفصل هو أن ابن المعتز ألف كتابه على مرحلتين فيبقى افتراضًا يحتاج إلى دليل علمي قاطع، وما سيق من أدلة لا تنقله إلى درجة التسليم الذي لا يناع. فالحديث عن محاسن الكلام جاء معطوفًا على الحديث عن تاريخ التأليف وأول من نسخ الكتاب من ابن المعتز، فكيف يكون الحديث عن التاريخ والناسخ هو خاتمة المرحلة الأولى، ثم يجيء الحديث عن القسم الآخر معطوفًا عليه. وإذا كان ابن المعتز قد أشار إلى تاريخ المرحلة الأولى من التأليف، فلماذا لم يشر إلى تاريخ المرحلة الأخرى؟ كل ذلك يجعل هذا التفسير مجرد افتراض يعوزه البرهان القاطع.

وفيما يتعلّق بالتفسير الخامس الذي رأى أن سبب التقسيم هو أن فنون القسم الأول أكثر ورودًا في الشعر وغيره من أجناس القول، فهو مثل بعض التفسيرات السابقة يحتاج إلى استقراء شامل دقيق، وهل يتصور أن يكون رد أعجاز الكلام على ما

(١) د. أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، ص ١٢٦.

(٢) ينظر: محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م، ١٢٨/١، ١٣٤.

أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، حققه وعلّق عليه وصنع فهرسه: د. محمد أحمد الدالي، ط ٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٩٢٢/٢.

(٣) ينظر: محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مختلف الحديث والرد على من يريب في الأخبار المدعى عليها التناقض، حققه وضبط نصّه وخزج أحاديثه وأثاره وعلّق عليه: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري، الرياض، ط ٢، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٣١١، ٣١٢.

أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، ٨٥٥/٢.

(٤) ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، ٩١٠/٢.

(٥) د. بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب، ص ١١٩، ١٢٠.

إن طبيعة لغة الكتاب المقتضبة التي لم تصرّح بأسباب هذا الفصل بين قسمي الكتاب، ووقوع الكتاب في مرحلة لم تستقرّ فيه لكتب البلاغة والنقد تقاليد واضحة للكتابة، إذ هو يقع في مفتتح هذا النوع من التأليف، أدّى إلى هذا التعدّد في التفسير من قبل الباحثين المعاصرين، فمادام الدليل الحاسم غائباً فإنّ مجال التأويل سيظل مفتوحاً لمزيد من التفسيرات.

وفي ظلّ عدم وجود الدليل الحاسم حول سبب هذا التقسيم فإنّ هذا التعدّد في التفسير ذو ارتباط بتعدّد خلفيات الدارسين الفكرية ومنطلقاتهم العلمية؛ لأنّ عملية التفسير لا تنفصل عن ذاتية الدارس والإطار الثقافي والعلمي الذي يوجّهه أثناء قراءة كتاب البديع.

المبحث الرابع : الأثر اليوناني

اختلف الباحثون المعاصرون حول تأثر ابن المعتز في كتابه البديع بالثقافة اليونانية، والأرسطية بصفة خاصة، فقال فريق بوجود التأثير، ونفى فريق آخر هذا التأثير ورأى أنّ الكتاب يمثل ثقافة عربية خالصة. وسنعرض أولاً آراء القائلين بالأثر، ثم نتلو ذلك بآراء النافين له.

يرى أحد دارسي الفريق الأول أنّ أنواع البديع الثمانية عشر التي أوردها ابن المعتز في كتابه البديع تأثر فيها بكتابة الخطابة لأرسطو. يقول في ذلك: "لم أطلع على كتاب البديع هذا، ولكنّ الذين نقلوا عنه أكثروا من ذكره كثرة تمكّنا من تصوّره، فهو عبارة عن تعداد لأنواع البديع مع

تقدّمها والمذهب الكلامي أكثر وروداً في الكلام من التشبيه؟ وأنّ تكون الاستعارة القائمة على التشبيه أكثر وروداً من التشبيه؟

وأما التفسير السادس الذي رأى أنّ اختصاص فنون القسم الأول باسم البديع لكونها الفنون التي كانت موضع نقاش بين أصحاب البلاغة العربية الخالصة وأصحاب التفلسف والتجديد المسرف فهو أيضاً مفتقر إلى دليل يقطع بذلك، فباستثناء الإغراب في الاستعارة فإنّ النقاش الدائر لم يكن منصباً على أنواع محدّدة من الفنون بقدر ما كان منصباً على الإسراف في استخدامها.

وفيما يتعلّق بالتفسير السابع الذي رأى سبب الفصل هو قيام فنون القسم الأول على الابتكار فإنّ الواقع البياني ينقضه، فإذا كانت الاستعارة قائمة على الابتكار فكيف لا يكون أساسها التشبيه كذلك؟ وما الذي يمنع الابتكار في الكناية وكتب الأدب في كل عصرٍ تمدّنا بعددٍ من الكنايات الجديدة، والكناية من أكثر الفنون التصاقاً بالعصر وطبيعة المجتمع وأعرافه وتقاليده ممّا يجعل كلّ عصرٍ ينتج كناياته المتوائمة معه؟

وأما التفسير الثامن الذي رأى أنّ الكتاب في الأصل رسالتان منفصلتان فلا دليل يقطع به، ويظلّ مجرد تخمين إن لم يكن تخميناً بعيداً لا يؤيده اتّصال القسمين على مستوى التركيب والصياغة كما أشرنا سلفاً إلى مسألة العطف.

الاستشهاد لكل نوع منها بشواهد من كلام القدماء والمعاصرين لابن المعتز، مع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها وبعض. وهم يقولون: إن ابن المعتز أحصى في كتابه ثمانية عشر نوعاً من أنواع البديع، من يدرسها في كتاب معاصره قدامة بن جعفر يلحظ فيها لا محالة أثراً بيّناً للفصل الثالث من كتاب (الخطابة). نعم إنهم تحاشوا أن ينقلوا عن المعلم الأول جميع الأمثلة التي كان يمثل بها، لا لشيء أكثر من أنهم لم يفهموا هذه الأمثلة... والواقع أن علماء البيان من العرب برغم سخطهم على كتاب الخطابة لم يكفوا عن أن يعنوا به ويحرصوا عليه غاية الحرص^(١).

إن ابن المعتز - بحسب هذا الفريق - حاول أن يجمع في نظام واحد شتات الملاحظات التي أبداه بعض اللغويين المتأثرين بالفلسفة اليونانية في ما يتصل بالبديع^(٢)، وبهذا يغدو "لا محلّ للتفكير في كتاب البديع دون ربطه بالسوابق الإغريقية، فالمجازات الخمسة التي هي في نظر ابن المعتز قوام البديع ذات أرومة إغريقية كلّها بلا استثناء، وهي: الاستعارة، والمقابلة، والجناس، وردّ

العجز على الصدر، ثم يجيء على سبيل عجيب من سوء الفهم: القياس أو بمعنى أدق المذهب الكلامي وهي غلطة سرعان ما عدل عنها الذين جاؤوا بعده. ومن المحاسن التي يدخلها ابن المعتز: التشبيه الذي استمرّ العرب على تمييزه من الاستعارة طبقاً لتعريف أرسطو للمصطلحين كليهما، إلى حدّ استعمالهم المثل الذي كان يضربه، دون فارقٍ إلّا استبدال زيد الموجود دوماً في أمثلة النحو بأخيل. ومن ثمّ فإنهم يعلنون مع الفيلسوف الأسطاجيري أن قولهم: (زيد كالأسد) تشبيه في حين أنّهم إن قالوا: (زيد أسد) فذلك استعارة^(٣). ويؤكد ذلك دارس آخر فيرى أن أربعة فنون - الاستعارة والطباق والجناس وردّ الأعجاز على ما تقدّمها - من فنون القسم الأول الخمسة تابع فيها ابن المعتز كتاب الخطابة لأرسطو، وأمّا الخامس - المذهب الكلامي - فيرى أن ابن المعتز أخذه عن الجاحظ^(٤).

ويقول أحد الدارسين بعد أن قارن بين نصّ من فنّ الشعر لأرسطو ونصّ لابن المعتز من كتاب البديع: "ألا ترى معي أنّ عبارة أرسطو كأنما تُرجمت ترجمة صحيحة، وأنّ الحكمين المستفادين من النصين واحد... كما أنّ نهج ابن المعتز في تأليف كتابه يقارب نهج أرسطو في تأليف كتابيه. فابن

(١) طه حسين، تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، ترجمة: عبد الحميد العبادي، ضمن كتاب:

قدامة بن جعفر، نقد النثر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٢، ١٣.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس - منبر البعلبكي، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٣) جوستاف جرونباوم، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: عبدالعزيز توفيق جاويد، راجعه: عبد الحميد العبادي، القاهرة، مكتبة مصر، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ص ٤١٥، ٤١٦.

(٤) ينظر: د. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص ٦٢.

"أصل في البلاغة العربية، وهذه البلاغة التي قدمها تتّصف بالأصالة"^(٥)، وهو في معظم أنواع البديع التي رصدها كان يتكئ على ثقافة عربية، فإذا قورن تعريفه للاستعارة - على سبيل المثال - بتعريف أرسطو تبين أن ابن المعتز "في تدوين البلاغة العربية كان يعتمد على نفسه، وعلى ذوقه شاعراً درّاً للمعاني وللتصرف فيها، كما كان يعتمد على ذوق اللغة العربية التي أمّته بكثير من الشواهد والأمثلة"^(٦)، كما أن بحثه للجناس لا نرى فيه "اتصالاً تفكيرياً أو تقريرياً يسمح لنا بالقول بأن ابن المعتز عرف الجناس اليوناني على النحو الذي قرره أرسطو للفرق الواسع بين ما عرضه العالم العربي، وما عرضه المعلم الأول"^(٧)، وقُل ذلك عن بقيّة معظم أنواع البديع التي بحثها.

ولذا كان "من التعسف ومجانبة القصد أن يقال: إن ابن المعتز لم يكن أصيلاً في تأليفه البديع، وأنه أخذه عن اليونان، أو اقتدى بما كتبه أرسطو في كتابه الخطابة"^(٨)، فلون الثقافة الشائعة في كتاب البديع "هو الثقافة العربية الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى... ولذلك فهو نتاج عربي خالص سبق فترة التلقيح التي مرّت على تطوّر البيان العربي

المعتز يبدأ بالكلام على الفنّ من الفنون البديعية، فيعرفه إن أتيح له ذلك، ثم يأتي بالأمثلة الكثيرة له، ثم يذكر أمثلة لما يعاب منه. وأرسطو يفعل ذلك إلا أن الفرق بينهما فرق ما بين المبتدئ وبين البالغ غايته. فأرسطو يعلّل. وابن المعتز لا يعلّل. وأرسطو شامل النظرة، دقيق المقصد. أما ابن المعتز فقريب النظر متعزّز في جديده أحياناً"^(٩). ويقول أحد الباحثين من هذا الفريق: "وإنما نظنّ الآن أن كتاب البديع قد تأثر بشيء من خطابة أرسطو؛ لأنّه كان أوّل محاولة منتظمة للخروج من أفق النقد الجزئي إلى أفق التقنين والتعميم"^(١٠).

وأما الفريق الآخر النافي للأثر اليوناني فيرى أننا "لا نستطيع أن نجد في المؤلفات العربية التي تتناول البديع أي أثر لآراء أرسطو، فهذه المؤلفات تختلف جدّاً عن مؤلفات الفيلسوف اليوناني معنّى ومبنى"^(١١)، ومن الصعب "إيجاد آثار للنفوذ اليوناني في نشوء البديع العربي، فقد ولد هذا في بيئة تختلف عن البيئة التي نشأ فيها البديع اليوناني كلّ الاختلاف"^(١٢). فابن المعتز عند أحد الدارسين

(١) نجيب محمّد البهبهتي، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٩٧.

(٢) أرسطوطاليس، كتاب أرسطوطاليس في الشعر، نقل: أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي، حقّقه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية: د. شكري محمّد عبّاد، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، دراسة المحقّق: ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) إغناطيوس كراتشكوفسكي، دراسات في تاريخ الأدب العربي "منتخبات"، فصل: "البديع في القرن التاسع"، ترجمة: محمّد المعصراني، موسكو، دار علم، ١٩٦٥م، ص ٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٥) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ١٤٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٨) د. بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، ط ٥، بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص ٢٧٢.

مناقشة ومحاولة تفسير

أول ما يلفت الانتباه في عرض آراء الفريقين القائلين بتأثر ابن المعتز بالثقافة اليونانية والنافين له أن معظم الحديث دار حول كتاب (الخطابة) لأرسطو، وقليلًا ما ذكر كتابه الآخر (في الشعر)، وربما كان السبب في ذلك تأخر وفاة مترجم كتاب في الشعر متى بن يونس القنائي (٣٢٨هـ) عن وفاة ابن المعتز، بينما تُنسب ترجمة كتاب (الخطابة) إلى معاصره إسحاق بن حنين (ت ٢٩٨هـ)، ولمّا جاء في الفصل الذي خصّصه أرسطو في هذا الكتاب للعبارة.

والذين نسبوا ترجمة كتاب الخطابة إلى إسحاق بن حنين اعتمدوا في ذلك على قول ابن النديم: "الكلام على ريطوريقا: ومعناه الخطابة يصاب بنقلٍ قديم، وقيل: إنَّ إسحاق نقله إلى العربي. ونقله إبراهيم بن عبد الله. وفسره الفارابي، أبو نصر. رأيت بخط أحمد بن الطيّب هذا الكتاب، نحو مائة ورقة بنقلٍ قديم" (٨). وشكك بعض الدارسين في نسبة هذه الترجمة لإسحاق، ورأوا أن هناك نقلًا قديمًا للكتاب، وترجمة مبكرة للكتاب مجهول صاحبها، إذ يقول محقق كتاب الخطابة معلقًا على ابن النديم: "وأما قوله: (إنَّ إسحاق نقله إلى العربي) - ويقصد هنا إسحاق بن حنين - فأمرٌ يدعو إلى كثيرٍ من

بعد عهد ابن المعتز" (١). وكتاب البديع ألف "مقاومةً لمن يلتمسون قواعد البلاغة في المصنّفات اليونانية" (٢)، إذ كان "من غايات ابن المعتز، في دفاعه عن أصالة الأدب العربي، الردّ على من راح يلتمس قواعد البلاغة في كتب اليونان، ليواجه الشعوبيين والمفتونين باليونانيات" (٣)، فالآراء القائلة بتأثر ابن المعتز بأرسطو لا سند علمي لها؛ لأنَّ "نظرةً عابرةً في كتاب البديع تردّ هذه الآراء وتنقضها، فكلّ ما فيه عربيّ صميم" (٤)، فلقد كانت حلقات "الدرس البلاغي والنقدي تتكاتف في خطّ عربيّ خلال هذه السنين التي تمتدّ بين وفاة الجاحظ ووفاة ابن المعتز، وتغطّي القرن الثالث ومنتصفه" (٥)، فكان "من الطبيعي أن يكتب ابن المعتز في البديع لا عن تأثرٍ بما كتب أرسطو، بل بدافعٍ عربيّ خالص" (٦)، فالبديع "فنّ عربيّ أصيلٌ نشأ في أحضان الدراسة اللغوية والأدبية، ومن هذه الدراسة استقى ابن المعتز مصطلحاته وموضوعاته" (٧).

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، ص ٥٩٨.

(٢) شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص ٧٠.

(٣) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص ٣١٧.

(٤) د. أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، ص ١٢٥.

(٥) د. كامل حسن البصير، بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٣٠.

(٦) رجاء عيد، المذهب البديعي في الشعر والنقد، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص ٣٧.

(٧) الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، ص ٣٥.

(٨) ابن النديم، الفهرست، تحقيق: د. ناهد عباس عثمان، ط ١، الدوحة، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م، ص ٥١٣.

الترجمة وفسادها بصورة بارزة جدًا تقضي على المعنى كله. وما ذكرنا هذه التنبيهات على مواضع السقم إلا على سبيل التمثيل، فهذه التنبيهات أن يتم حصرها وهي لا تحصى^(٤). ويقول دارس آخر عن هذه الترجمة: "ليس هناك ذكاء بشري يستطيع أن يفقه معنىً للألفاظ المرصوفة التي نجدها في الترجمة العربية كما وصلت إلينا"^(٥). وهذا ما يجعلنا نضع محاذير حول إفادة ابن المعتز من هذه الترجمة التي أساءت فهم كتاب الخطابة، وليس ذلك بدافع نزعة تحاول ردّ الإفادة من الثقافات الأخرى، ولكن الوقائع العلمية لا تساعد على قبول فرضية التأثير، فبالإضافة إلى ما سبق نورد الآتي:

- يذكر أول الباحثين المعاصرين القائمين بتأثير ابن المعتز بالثقافة اليونانية الذين نقلنا نصوصهم سابقاً أنه لم يتح له أن يطلع على كتاب البديع، واعتمد في حكمه على ما نُقل عن الكتاب في كتب أخرى. والحكم بتأثير كتاب لا يكفي فيه هذا الاطلاع، بل يجب أن يكون وفق فحص دقيق، يسبر غور الكتاب، ويتتبع فيه حركة الأفكار ونموها ضمن بنية الكتاب نفسه، لا خارجها، لتتيسر سبل ردّها إلى مصادرها، ومعرفة ما أضافه الكاتب، وما أفاده من الآخرين.

الشك؛ لأنه لو كان قد ترجمه لكان ابن السمع، الذي عنه نقلت الترجمة التي بين أيدينا، قد لجأ إلى نسخه بدلاً من هذه الترجمة السقيمة جداً^(١)، ويقول دارس آخر: "ونجد ابن النديم يشكك في الترجمة الثانية المنسوبة إلى إسحاق بن حنين، فهو يتردد في قبول هذه الرواية التي يصدرها بكلمة (قيل)"^(٢).

وإذا ما رحنا نبحث عن حال هذه الترجمة القديمة وجدنا محققها يقول عنها: "والترجمة العربية التي نقدّمها جاءت ويا للأسف سقيمة، انحرفت عن معاني النصّ وأساءت فهمه، وعبر المترجم - المجهول لنا - عما فهمه أو بالأحرى أساء فهمه بألفاظ واصطلاحات غريبة يعسر على المرء أن يفهم السرّ في التجائه إليها: أذلك لأنّ هذه الترجمة ترجع إلى المرحلة الأقدم في ترجمة مؤلفات أرسطو المنطقية، أم لأنّ المترجم كان بعيداً عن المنطق ومصطلحاته فكان يترجم ترجمة لغوية حرفية؟"^(٣)، ويضيف أيضاً قائلاً: "وجدنا السقم يشمل كلّ صفحة تقريباً، لذا لم نتعقب كلّ موضع من مواضع الترجمة بالتنبيه عليه في الهامش وإيراد ترجمة صحيحة للنص السقيم، وإلا لكان علينا أولى من هذا كله أن نعيد إصلاحه كله عبارة عبارة. ولهذا لم يكن في وسعنا إلا التنبيه على بعض المواضع التي يلوح سقم

(١) أرسطوطاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، حقّقه وعلّق عليه: عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م، مقدّمة المحقّق: ص ٢.

(٢) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص ٢٢٨.

(٣) أرسطوطاليس، الخطابة، مقدّمة المحقّق: ص أ.

(٤) المصدر نفسه، ص ك.

(٥) ابن سينا، الخطابة من كتاب الشفاء، ط ١، حقّقه: د. محمد سليم سالم، تصدير ومراجعة: إبراهيم مذكور، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م، مقدّمة المحقّق: ص ٢٠.

- عول اثنان من الباحثين المعاصرين على توارد بعض فنون البديع بين خطابة أرسطو وبديع ابن المعتز. وفي حقيقة الأمر أنَّ طبيعة هذه الفنون في كتاب الخطابة مغايرة لطبيعة مجيئها في كتاب البديع. فهي تأتي في كتاب الخطابة ضمن سياق الإقناع "وبديهي أن يكون التحسين اللغوي هامشيًا ما دام الإقناع هو الأساس، وهو المتحكّم من هذا الجنس من القول"^(١)، في حين أنَّ الشعر العربي الذي اتكأ عليه ابن المعتز كثيرًا في رصد المحسنات "لا يستهدف أساسًا الإقناع إذ إنّه ليس خطابة، كما أنّه لا يستهدف السرد؛ لأنّه ليس فنًا قصصيًا، إنّه شعرٌ غنائي يجعل من الأداة الثانوية في الخطابة والتراجيديا أداته الأساسية المميّزة"^(٢).

- ويزيد ذلك تأكيدًا أننا وجدنا أحد أكثر الدارسين العرب د. إبراهيم سلامه - حماسةً لربط البلاغة العربيّة ببلاغة أرسطو يقف في صفّ الفريق النافي لتأثر ابن المعتز، فقد تناول فنون البديع التي ذكرها ابن المعتز مثبتًا في كلّ فنٍّ أصالة ابن المعتز^(٣)، ومثّلنا أثناء عرض الآراء ببعض آرائه في ذلك. واستثنى هذا الدارس فنًا واحدًا وهو (المذهب الكلامي)، وحتىّ هذا الفن الذي استثناه لم يجعله

متأثرًا بالبلاغة اليونانيّة، بل بالمنطق اليوناني. يقول في سياق ذلك: "فكثرة إرجاع الروابط إلى متعلقاتها، وقيام العلم مقام الشاهد العدل، وهذا العلم يجادل ويحتجّ، ولها أمورٌ جاءتهم من المنطق اليوناني لا من البلاغة اليونانيّة"^(٤).

- لقد أغرت القائلين بالأثر معاصرة ابن المعتز لإسحاق بن حنين، ولكنّ ترجمة إسحاق لخطابة أرسطو يحوم حولها شكٌ كبير كما أسلفنا، وسوء الترجمة العربيّة القديمة وركاكتها يجعل التعويل عليها في الحكم بالتأثر صعبًا.

- قلّ الحديث عن تأثر ابن المعتز بكتاب (في الشعر) بسبب تأخر وفاة مترجمه، ويضاف إلى ذلك أنَّ هذا الكتاب لم يبحث تلك الأساليب التي يُظنّ مشابهتها لفنون البديع، فهو "لا يذكر من هذه الأساليب إلّا الاستعارة"^(٥)، ولذلك فإنّ محقّق الكتاب عندما قال بتأثر ابن المعتز بأرسطو لم يجعل هذا التأثر من خلال هذا الكتاب، بل جعله من خلال كتاب الخطابة، مع ملاحظة أنّه بنى حكم التأثر بخطابة أرسطو على الظن لا اليقين^(٦) كما يتّضح في رأيه الذي نقلناه أثناء عرض الآراء، وهذا ما يعزّز صعوبة إثبات الأثر.

(١) الولي محمّد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) ينظر: إبراهيم سلامه، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ١١٠ - ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٥) أرسطوطاليس، كتاب أرسطوطاليس في الشعر، دراسة المحقّق: ص ٢٣٢.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

● وقوع كتاب البديع في بدايات استقلال البحث البلاغي والنقدي، وتخليص مباحثهما من تبعية العلوم الأخرى. فلم تكن في هذه المرحلة مباحث الحقلين البلاغي والنقدي قد أخذت استقلالهما التام، فجاء الكتاب معبراً عن هذه المرحلة التي تتشد استقلال الحقلين عن تبعية العلوم الأخرى، ولكن حدود الفصل بينهما لم تكن قد استقرت.

● مجيء كتاب البديع في طور بداية انتقال الثقافة العربية من الشفاهية إلى الكتابة حين لم تكن تقاليد الكتابة نالت حظها من التداول والثبات، فجاء الكتاب حاملاً بعض صفات المرحلة السابقة، إذ لم يكن من اليسير التخلّص منها كلياً في هذا الطور. وأظهر ما يدلّ على ذلك قلة النصوص النظرية في الكتاب التي لا تعدو بضع صفحات لا يُستبان فيها خطة الكتاب، وسير العمل فيه، وأسس تبويبه.

● طبيعة لغة الكتاب الموجزة، فبالإضافة إلى قلة التنظير على مستوى تقاليد الكتابة وصناعتها فإنّ تعريف الفنون به مقتضب، والتعليق على الشواهد نادرٌ يعبر عن الانطباع أكثر من التحليل والتعليل.

● المفارقة بين دلالة النصوص النظرية والجانب التطبيقي في الكتاب، فلم يكن التطبيق مجلياً لدلالة تلك النصوص، بل كان يجيء في أكثر من حينٍ مغايراً لها، فالنصوص النظرية تنزع نحو ترسيخ التقاليد الثقافية العربية القديمة، والجانب التطبيقي ينزع نحو شعر المحدثين، ولهذا ربّما حمل

- إنّ ما قدّمه أحد الدارسين^(١) من مقارنة بين نصّ من كتاب (في الشعر) لأرسطو ونصّ من كتاب (البديع) لابن المعتز لا يعدو أن يكون من المشابهة العامة^(٢)، إذ إنّ معظم الفنون الإنسانية تطلب الاعتدال والاتزان دون مغالاة وإسراف، فهذه المقارنة لا تنهض دليلاً كافياً على معرفة ابن المعتز لكتاب (في الشعر).

خاتمة

وبعد هذه الدراسة لتباين الباحثين المعاصرين حول تصنيف كتاب البديع لابن المعتز، ودواعي تأليفه، وتقسيمه، وعلاقته بالثقافة اليونانية، نخلص إلى أنّ أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التباين هي:

(١) نجيب محمّد البهيتي، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، ص١٩٦، ١٩٧.

(٢) النصّان هما:

- يقول أرسطو في كتابه الشعر: "وإذا اصطنع الإنسان الاستعارات، والصيغ المنحوتة، والصور الأخرى المغيرة، دون مراعاة للاعتدال، وقع في نفس ما بيّناه سابقاً من إضحاك القارئ من نفسه. ولكن لتقدير فعل تلك الصيغ الشعرية حين يستخدمها الإنسان في اعتدال، يكفي أن يدخلها في بيت واحد. وأمّا عن العبارات الغريبة، والاستعارات والصيغ الأخرى، فسترى صحّة ملاحظتنا حين تستبدل بها الكلمات الدالة على الحقيقة".

- يقول ابن المعتز في مقدّمة كتابه البديع: "قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن، واللغة، وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه)، وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سمّاه المحدثون البديع؛ ليُعْلَمَ أنّ بشّاراً ومسلماً وأباً نواس ومن تقبلهم، وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنّه كثر في أشعارهم فغرف في زمانهم حتّى سمّي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه. ثمّ إنّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتّى غلب عليه، وتفرّع فيه، وأكثر منه... وإنّما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربّما قرنت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيتٌ بديع، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً، ويزداد حظوةً بين الكلام المرسل".

الكتاب صراعاً محتملاً في نفس ابن المعتز بين القوة الناقد النازعة نحو تأصيل النقد عبر البحث عن جذور راسخة له، والقوة الشاعرة المتصلة بحركة الإبداع في عصره.

● تعدّد خلفيات الباحثين المعاصرين الفكرية؛ لأنّ تفسير الكتاب يرتبط بذاتية الباحث وبالإطار الثقافي والعلمي الذي يوجّهه أثناء قراءة الكتاب، وبالمنطلقات التي يركز عليها في فهم الكتاب. ولهذا نجد عدداً من الباحثين المعاصرين النافين لتأثر ابن المعتز بالثقافة اليونانية في المبحث الرابع هم ممّن قال في المبحث الثاني: إنّ ابن المعتز ألّف كتابه بداعي الدفاع عن القدماء ضدّ دعوى المحدثين بسبقهم إلى البديع. وما ذلك إلّا لتشابه المنطلقات في تحديد الغاية المنشودة عندهم، وهي إثبات أصالة الكتاب واعتماده على ثقافة عربية خالصة.

المصادر والمراجع

● أرحيلة، عباس، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ط١، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

● أرسطوطاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، حقّقه وعلّق عليه: عبدالرحمن بدوي، د.ط، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م.

كتاب أرسطوطاليس في الشعر، نقل: أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي، حقّقه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية: د. شكري محمد عياد، د.ط، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

● بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس - منير البعلبكي، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

● البصير، د.كامل حسن، بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق، د.ط، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

● البهيتي، نجيب محمد، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، د.ط، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

● التلب، د.إبراهيم عبدالحميد السيد، البديع بين المتقدمين والمتأخرين، ط١، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٨م.

● جرونيباوم، جوستاف، حضارة الإسلام، د.ط، نقله إلى العربية: عبدالعزيز توفيق جاويد، راجعه: عبدالحميد العبادي، القاهرة، مكتبة مصر، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.

● ابن جعفر، أبو الفرج قدامة (ت٣٣٧هـ)، نقد النثر، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- **جيده، د. عبد الحميد، في قضايا النقد الأدبي عند العرب، د. ط، طرابلس، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.**
- **حسين، د. عبد القادر، المختصر في تاريخ البلاغة، ط١، بيروت - القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.**
- **الحسين، د. قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، د. ط، بيروت، دار ومكتبة الهلال - جدة، دار الشروق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.**
- **خفاجي، د. محمد عبد المنعم، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، د. ط، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م.**
- **داود، د. سلامه جمعه، من مصادر البحث البلاغي، د. ط، مطبعة الشروق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.**
- **زايد، د. علي عشري، البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها، د. ط، مكتبة الشباب، ص ١٩٨٢.**
- النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع، ط٢، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.**
- **السامرائي، د. مهدي صالح، المجاز في البلاغة العربية، ط١، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.**
- **سلامه، د. إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢م.**
- **سلام، د. محمد زغلول، ١- أثر القرآن في تطوّر النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، القاهرة، دار المعارف، د. ت.**
- ٢ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، الإسكندرية، منشأة المعارف، د. ت.
- **ابن سينا، الخطابة من كتاب الشفاء، ط١، حقّقه: د. محمد سليم سالم، تصدير ومراجعة: إبراهيم مذكور، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م.**
- **صمود، حمّادي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس "مشروع قراءة"، ط٣، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م.**
- **ضيف، شوقي، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط١٥، القاهرة، دار المعارف، د. ت.**
- **طبانة، د. بدوي، البيان العربي دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب ومنهجها ومصادرها الكبرى، ط٧، جدة، دار المنار للنشر والتوزيع - الرياض، دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.**
- دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، ط٥، بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.**
- **عبّاس، د. إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط٤، بيروت، دار الثقافة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.**

- عتيق، د. عبدالعزيز، في تاريخ البلاغة العربية، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٤، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م،
- العشماوي، د.محمد زكي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.
- عصفور، د.جابر، قراءة التراث النقدي، القاهرة، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤م.
- العمري، د.محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، الدار البيضاء - بيروت، أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.
- العوادي، د.سعيد، حركية البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين، ط١، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- عيد، رجاء، المذهب البديعي في الشعر والنقد، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت.
- فالح، د.جليل رشيد، "قراءة في كتاب البديع لابن المعتز دراسة وتقويم"، مجلة آداب الرافدين، الموصل، كلية الآداب بجامعة الموصل، العدد (٢٥)، (١٩٩٣م).
- الفيل، د.توفيق، من قضايا النقد والبلاغة، د.ط، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٩م.
- فيود، د.بسيوني عبدالفتاح، قراءة في النقد القديم، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ابن قتيبة، محمد بن عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث والرد على من يريب في الأخبار المدعى عليها التناقض، حقه وضبط نصه وخرج أحاديثه وآثاره وعلق عليه: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري، الرياض، ط٢، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، د.ط، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م.
- كراتشكوفسكي، إغناطيوس، دراسات في تاريخ الأدب العربي "منتخبات"، فصل: "البديع في القرن التاسع"، ترجمة: محمد المعصراني، د.ط، موسكو، دار علم، ١٩٦٥م.
- المبارك، د.مازن، الموجز في تاريخ البلاغة، ط١، دمشق، دار الفكر، د.ت.
- عبد المجيد، د.جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، الكامل، حقه وعلق عليه وصنع

- **فهارسه: د. محمد أحمد الدالي، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.**
- **محمد، الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط١، بيروت - الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.**
- **المراغي، أحمد مصطفى، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ط١، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.**
- **مطلوب، د. أحمد، بحوث بلاغية، د. ط، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.**
- **مناهج بلاغية، ط١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣.**
- **ابن المعتز، عبدالله (ت ٢٩٦هـ)، كتاب البديع، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: إغناطيوس كراتشكوفسكي، ط٣، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.**
- **مندور، د. محمد، النقد المنهجي عند العرب، د. ط، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.**
- **موافى، د. عثمان، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، ط٢، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م.**
- **موسى، د. أحمد إبراهيم، الصبغ البديعي في اللغة العربية، القاهرة، د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.**
- **ابن النديم، الفهرست، تحقيق: د. ناهد عباس عثمان، ط١، الدوحة، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م.**
- **الواسطي، د. محمد، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، ط١، الرباط، دار نشر المعرفة، ٢٠٠٣م.**
- **الوقيان، خليفة، "ابن المعتز وكتابه البديع"، مجلة البيان، الكويت، العدد (٤٩)، (أبريل ١٩٧٠م).**
- **يوسف، د. خالد، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.**

Disparity of Views Concerning (*Al-Badie*) book by Ibn Al-Moa'taz A Study of Contemporary Researchers' Opinions (English Abstract)

Abdulla Abdorahman Banqeeb

University College in Al-Qunfedah - Umm Al-Qura University Branch

Abstract. This research studies the issues related to, Al-Badie book by Ibn Al-Moa'taz, upon which there were opposing opinions by contemporary researchers on how it should be understood. The first part of this research has tackled the issue of classifying this book. Secondly, the research looked at the reasons behind authoring this book. Thirdly, the research has discussed the book's chapters. Finally, our research also studied the Greek influence. This research has concluded that this disparity of views is due to several reasons such as: the book was authored at the beginning stage of Arabic culture shifting from oral mode to writing mode, the nature of the brief language used in this book and the contemporary researchers' academic backgrounds and their various intellectual streams.

Key words: Ibn Al-Moa'taz – Al-Badie Book – poetry of al-muhdatheen poets

رسالة الأشباه برفع الاشتباه في علل النحاة

محمد بن عيسى بن كنان الخلوتي الصالحي الدمشقي

(١٠٧٤هـ-١١٥٣هـ): دراسة وتحقيق

إعداد: أحمد بن نزال الشمري - الكويت

مستخلص. يتناول هذا البحث بالدراسة إحدى رسائل التراث العربي القيمة والنفيسة؛ لكونها عن العلل النحوية. وهذا الموضوع من الموضوعات النادرة التي وصلتنا من التراث اللغوي العربي. والرسالة التي يدرسها البحث ويحققها بعنوان (الأشباه برفع الاشتباه في علل النحاة)، وهي لأحد أبرز علماء الشام في عصره خاصة في علم التاريخ، وهو محمد بن عيسى بن كنان الخلوتي (ت١١٥٣هـ)، وتُمثل الجانب النظري للعلل النحوية؛ إذ تناولت الحديث عن نوعي التعليل عند النحاة، وأنواع العلل النحوية الأكثر دوراً عند النحاة، كما عدت خمسين علة، مع التمثيل لكل علة، وخُتمت بالحديث عن يرى ضعف علل النحاة، والزّد عليهم، ثم ذكرت الفرق بين علل النحاة وعلل كل من المتفهمين وعلماء الكلام. وقد سبق تحقيق الرسالة بدراسة للمؤلف تقصّت اسمه ونشأته وشيوخه وحياته العلمية وتلامذته ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة مع ذكر أماكن نسخها فيما أتيح للباحث من مصادر، ثم خصّت الدراسة بعد ذلك الرسالة (موضوع التحقيق)، فعرضت لموضوعها ومنهج المؤلف فيها ومصادره وقيمتها العلمية مع تسجيل بعض الملحوظات حول الرسالة، ثم وثّقت نسبتها إلى مؤلفها ووصفت النسخة الخطية للرسالة، ذاكرة منهج التحقيق المتبع فيها. وختم ذلك كله بذكر قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة. الكلمات المفتاحية: العلل النحوية - المخطوطات العربية - رسالة الأشباه.

مقدمة

رسالة (الأشباه برفع الاشتباه في علل النحاة)

رسالة قيمة، ونفيسة من نفائس ذخائر تراثنا العربي

والإسلامي، ونادرة من نواذر المصنّفات في علم

الحمد لله وحده مستحق الحمد، والصلاة

والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد...

النحو العربي عمومًا، وعلى وجه الخصوص في علم أصول النحو، لمؤلفها: محمد بن عيسى بن كنان الخلوتي الصالحى، المتوفى سنة ١١٥٣هـ؛ ذلك لأنها تتناول جانبًا من الجوانب المهمة في علم النحو العربي، وهو التعليل النحوي.

وقد دفعني إلى تحقيق هذه الرسالة وإخراجها للقرءاء ما يأتي:

١- أن هذه الرسالة في موضوع التعليل النحوي، وفي العلة النحوية، وهو موضوع قام النحاة بإخلاص التأليف فيه؛ لما له من أهمية كبرى في تأصيل التقعيد النحوي، غير أن ما وصل إلينا من هذه المؤلفات قليل، مع العلم أن التأليف فيها بدأ منذ مرحلة مبكرة.

٢- أن ما وصل إلينا من تراثنا العربي والإسلامي من تأليف في التعليل والعلة النحوية من الجانب النظري قل فيه التنظير الخالص للغة النحوية إذا ما استثنينا الأحاديث المتفرقة في بطون الكتب النحوية الخالصة للأبواب النحوية والصرفية كحديث ابن السراج (ت ٣١٦هـ) عن تقسيم العلل في بداية كتابه (الأصول في النحو)، وأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) في كتابه (الإيضاح في علل النحو) [مع أنه ذكر في مقدمته أن غاية التأليف هي علل النحو، إلا أن لم يتقص العلل، وتناول مسائل أخرى غير التعليل والعلة]، والدينوري (ت ٤٩٠هـ) في كتابه (نمار الصناعة)، أو الأحاديث المتفرقة في بطون الكتب النحوية الخالصة لأبواب أخرى ليس

التنظير للتعليل والعلة غاية خالصة للتأليف فيها، كحديث ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في خصائصه، وأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) في رسالته (لمع الأدلة)، وابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه (الرد على النحاة)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه (الاقتراح).

٣- غالب ما وصل إلينا في الحديث عن العلل النحوية يمثل الجانب التطبيقي - نسبيًا - ونعني بها تعليل الأحكام في الأبواب النحوية، ككتاب العلل في النحو لأبي الحسن الوزاق (ت ٣٨١هـ)، وشرح عيون الإعراب لأبي الحسن المجاشعي (ت ٤٧٩هـ) وأسرار العربية لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ).

٤- هذه الرسالة تمثل الجانب النظري للتعليل والعلة عند النحاة، بتناول أنواع التعليل والعلل، وجوانب أخرى تتعلق بالغة عند النحاة، وهو الجانب الذي لم يصل إلينا ما خلص من مؤلفات في التصنيف فيه.

٥- نشر التراث العربي بين أيدي القراء .

٦- استكمال الفائدة فيما كتب عن العلل النحوية ليكتمل عقدها.

وقد قُسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام، هي:

أولاً: ترجمة المؤلف: وقد تناول البحث فيه اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته ونشأته وشيوخه وحياته العلمية وتلامذته ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ووفاته .

الخلوتية التي كان شيخاً فيها خَلَفًا لأبيه الشيخ عيسى الملقَّب بزين التِّقاة، وإلى الحنفيَّة مذهباً، وقد يُنسب إلى جدِّه كَنَّان، فيقال: الكَنَّاني^(٤)، أو إلى مدينة دمشق^(٥).

وقد يُنسب في كثير من الأحيان إلى المذهب الحنبلي، وممن نسبته إلى المذهب الحنبليَّ المرادي (ت ١٢٠٦هـ) في (سلك الدرر)، والبغدادي (١٣٩٩هـ) في (هدية العارفين) و(إيضاح المكنون)، وعمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين)، وخير الدين الزركلي في (الأعلام)، وغيرهم.

وقد ورد في ترجمة ابن كَنَّان في فهرس التَّيموريَّة ما يدلُّ على إخلاص نسبته إلى المذهب الحنبلي، وتخطئة ما عداه^(٦)، وهو قول المفهرس: "تنبيه: جاء في الرسالة المشتملة المذكورة مَنعوتاً بالحنفي، وهو خطأ من النَّاسخ"^(٧).

غير أنَّ ذلك ليس فيه دليل على احتمال خطأ النَّاسخ؛ فقد وردت نسبته إلى المذهب الحنفي في أكثر من مخطوط لابن كَنَّان، فلا يُتصوَّر اتِّفاق النَّاسخ على الخطأ^(٨).

ثانياً: دراسة الرسالة: وقد تناول فيه موضوع الرسالة وأقسامها ومنهج المؤلف وأسلوبه ومصادره وقيمتها من بين كتب علل النحو وأهميتها، ذاكرةً أهم الملحوظات عليها، موثقاً عنوان الرسالة ونسبتها إلى مؤلِّفها، واصفاً النسخة الخطيَّة منها، عارضاً منهج التَّحقيق المتَّبَع فيها، ونماذج من النسخة المخطوطة. ثالثاً: النَّصَّ المحقَّق .

وقد انتهى البحث بذكر قائمة للمصادر والمراجع المعتمدة في الدِّراسة والتَّحقيق.

أولاً: ترجمة المؤلف^(١)

اسمه ونسبه ولقبه:

هو محمَّد بن زين التِّقاة عيسى بن محمود بن محمَّد بن محمَّد بن كَنَّان^(٢) الصَّالحيَّ الخلوتيِّ الحنفي، نسبةً إلى قرية الصَّالحيَّة^(٣) في مدينة دمشق، وهي القرية التي وُلِد فيها، وإلى الطَّريقة الصَّوفيَّة

(١) ينظر في ترجمة ابن كَنَّان مثلاً: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الدرر، ٨٥/٤ - ٨٦، والغزالي (١٢١٤هـ)، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٧٩-٢٨٠، والبغدادي، هدية العارفين، ٣٢٥/٢، والزركلي، الأعلام، ٣٢٣/٦، وصلاح الدين المنجد، معجم المؤرخين الدمشقيين وأثارهم المخطوطة والمطبوعة، ص ٣٤٣-٣٤٥، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٥٧٥-٥٧٦، ورجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربيَّة، ٣٢٥-٣٢٦، ومحمَّد أديب الحصني، منتخبات التواريخ لدمشق، ٢/٢٣٩، ومحمد مطيع ونزار أباطة، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري، ٢٤٦/٢-٢٥١.

(٢) (كَنَّان) -يفتح الكاف والنون المشددة- كذا ضبطها أكثر المحقِّقين والمترجمين والمفهرسين لكتبه.

وذكر الشيخ محمَّد أحمد دهمان أنَّ تشديد النون لهذا الاسم هو المعروف عند أهل الصَّالحيَّة، وقد ورد في أصل كتاب (المروج السندسيَّة) المخطوط بتشديد النون. ينظر: ابن كَنَّان، المروج السندسيَّة الفسحة في تلخيص تاريخ الصَّالحيَّة، مقدِّمة المحقِّق (هـ)، حاشية رقم (١). وقد أكد على ذلك ودلل عليه أيضاً في ملاحق الكتاب، ص ١١٨.

ونصَّ ابن كَنَّان نفسه في كتابه (المروج السندسيَّة) على تشديد النون، وذلك حينما ذكر ثُجَّار الصَّالحيَّة، وعدَّ منهم عائلته بني كَنَّان بقوله: "وَأَبْنُو كَنَّان-بالتَّشْدِيد-". ينظر: ابن كَنَّان، المروج السندسيَّة الفسحة في تلخيص تاريخ الصَّالحيَّة، ص ٦٤.

(٣) الصَّالحيَّة قرية كبيرة من قرى دمشق، فيها قبور لصالحين، وأكثر أهلها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

وهناك أكثر من مكان يُسمَّى بالصَّالحيَّة، أشهرها التي قرب الرِّها من أرض الجزيرة. ينظر: ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ٣/٣٨٩-٣٩٠، وابن كَنَّان، المواكب الإسلاميَّة في المحاسن الشَّاميَّة، ١/٣٨٠.

(٤) ينظر: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الدرر، ٨٥/٤.

(٥) ينظر مثلاً: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الدرر، ٨٥/٤، ورجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربيَّة، ٣/٣٢٥.

وقد تفرد كارل بروكلمان بنسبته إلى العباس (العباسي) بالإضافة إلى الحنبلي. ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٨/٩٩.

(٦) ناهيك عن أنَّ من المترجمين من أخلصوا نسبة ابن كَنَّان إلى المذهب الحنفي. ينظر على سبيل المثال: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٨/٩٩، وأكرم العلبي محقِّق كتاب (الحوادث اليوميَّة)، ص ٢٨ (مقدِّمة المحقِّق). وقد جمع محمد مطيع ود. نزار أباطة بين المذهبين في النسبة، فذكر أنَّه حنبلي حنفي. ينظر: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري، ٢/٢٤٦.

(٧) فهرس الخزَّانة التَّيموريَّة، ٣/٢٥٩.

(٨) منها نسخة برلين، رقم (٧٢٨٣) من رسالة ابن كَنَّان المسماة بـ (الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة).

وذكر حكمت إسماعيل محقق كتاب (المواكب الإسلامية) أنّه ربّما تحنّف فيما بعد^(٩).

مولده وأسرته ونشأته:

وُلد الشيخ محمّد سنة ١٠٧٤هـ في دمشق في قرية معروفة فيها يُقال لها الصّالحيّة^(١٠)، قد تُضاف إلى دمشق، فيقال لها: صالحيّة دمشق؛ تفريقاً بينها وبين غيرها من المحالّ.

وأُسرة الشيخ محمّد أسرة مشهورة بالصّلاح والتّدين والعلم؛ لأنّهم أصحاب طريقة صوفيّة اشتهرت في أكثر من بلد إسلاميٍّ، منها دمشق، وهي الطّريقة الخلوتيّة، يدّلك على ذلك تولّي الشيخ محمّد مشيخة الطّريقة الخلوتيّة بعد وفاة والده، ثمّ تولّى ابن الشيخ محمّد مشيخة الطّريقة بعد وفاته^(١١).

نشأ ابن كنان في كنف والده عيسى الملقّب بزَيْن النّقاة^(١٢)، وهو أحد أشهر شيوخ الطّريقة الخلوتيّة الصّوفيّة في عصره، وقد أخذها عنه، ونهل

(٩) ينظر: ابن كنان، المواكب الإسلامية في المحاسن الشّاميّة، ١/ ١٣٢، (مقدمة المحقق).

(١٠) ينظر بتفاوت بين المصادر في تاريخ مولده ومكانه مثلاً: المراديّ (١٢٠٦هـ)، سلك الدّر، ٤/ ٨٥، والبغداديّ، هديّة العارفين، ٢/ ٣٢٥، و كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ٨/ ٩٩، ورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربيّة، ٣/ ٣٢٥.

(١١) هو الشيخ محمّد سعيد. ينظر في تولّيه المشيخة بعد والده، وتولي والده بعد جده: المراديّ، سلك الدّر، ٤/ ٨٥-٨٦. هذا وقد ترجم الميدانيّ لأحد أبناء الشيخ محمّد، وهو الشيخ عبد الله، المشهور بالكُنانيّ، وذكر أنّه شيخ الطّريقة الخلوتيّة، وقد أخذ المشيخة عن جده الشيخ عيسى. ينظر: الميدانيّ (١٣٣٥هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ص ١٠٠٧.

(١٢) هو عيسى بن محمود بن محمّد بن كنان الحنبليّ الصالحيّ الخلوتيّ، أحد أصحاب الطّريقة الخلوتيّة الصّوفيّة. وُلد سنة (١٠٤٢هـ) في صالحيّة دمشق، نشأ فيها ودفن، سافر مع والده إلى مصر أكثر من مرّة، فأخذ الفقه عن ابن بلبان وابن مرعيّ الكرّميّ والتّقّي عبد الباقي الحنبليّ وغيرهم، وعاد إلى دمشق، فأخذ الطّريقة عن أحد أبرز شيوخها في زمانه، وهو: محمّد العبّاسيّ، ثمّ أخذ عن الشيخ عيسى خلق كثير. توفي سنة (١٠٩٣هـ)، ودفن في الصّالحيّة. ينظر في ترجمته: المحبّي (١١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣/ ٢٤٣-٢٤٤، والغزّي (١٢١٤هـ)، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٥٠-٢٥٢، وقد ترجّم له ابنه قتيّبه: يوميات شاميّة، والمراديّ (١٢٠٦هـ)، سلك الدّر، ١/ ١٣٢، ٤/ ٢٤٩.

علومًا متنوّعة من أشهر علماء دمشق، كما قصد بيت الله الحرام حاجًا، والتقى فيها بأشهر علماء الحديث الشّريف، ثمّ عاد إلى دمشق، وتولّى مشيخة الطّريقة الخلوتيّة بعد وفاة والده الشيخ عيسى إلى أن توفاه الله^(١٣).

شيوخه:

أشار ابن كنان في كتابه (الحوادث اليوميّة) إلى كثير من شيوخه، من أشهرهم والده الشيخ عيسى ابن محمود الصّالحيّ (ت ١٠٩٣هـ)، أخذ عنه التّصوف والطّريقة، وعثمان بن محمود الكفرسوسيّ، الشّهير بالقطن (ت ١١١٥هـ)^(١٤)، لازمه بالجامع الأمويّ مدّة، وحضر عنده إقراء شرح (جمع الجوامع) عليه، وإبراهيم بن حسن الكورانيّ (ت ١١٠١هـ)^(١٥)، لقيه حينما مرّ بالمدينة المنورة في حجّته، وقد أخذ عنه الحديث الشّريف، و خليل بن عبد الرّحمن بن أبي الفضل الموصليّ (ت ١١١٤هـ)^(١٦)، قرأ عليه جزءًا من (جمع الجوامع) في أصول الفقه، ورسالة (الأندلسيّة) في علم العروض، وعبد الرّحيم بن محمّد الكابليّ (ت ١١٣٥هـ)^(١٧)، أخذ عنه جزءًا من المنطق والفلك.

كما ذكر ابن كنان كثيرًا من شيوخه في كتابه (المواكب الإسلامية) دون تنصيب على العلم الّذي

(١٣) ينظر: المراديّ (١٢٠٦هـ)، سلك الدّر، ٤/ ٨٥.

(١٤) ينظر ترجمته: ابن كنان، الحوادث اليوميّة، ص ٨٤-٨٥، والمراديّ (١٢٠٦هـ)، سلك الدّر، ٣/ ١٦٧-١٧٠.

(١٥) ينظر ترجمته: المراديّ (١٢٠٦هـ)، سلك الدّر، ١/ ٥-٦، والشوكانيّ (١٢٥٠هـ)، البدر الطّالع، ١/ ١١-١٢.

(١٦) ينظر ترجمته: ابن كنان، الحوادث اليوميّة، ص ٥٧، والمراديّ (١٢٠٦هـ)، سلك الدّر، ٢/ ٩٨.

(١٧) ينظر ترجمته: المراديّ (١٢٠٦هـ)، سلك الدّر، ٣/ ٩-١٠.

بن محمّد بن سليم الشّافعي الصّالحيّ (ت ١٢٠٠هـ)،
المشهور بالسّليميّ^(٢٥)، وغيرهما^(٢٦).

مؤلفاته:

أولاً: المؤلفات المطبوعة:

المروج السّنديّة الفسيحة في تلخيص تاريخ
الصّالحيّة^(٢٧)، والمواكب الإسلاميّة في الممالك
والمحاسن الشّاميّة^(٢٨)، والزّهور البهيّة في أصول
العلوم الفقهيّة^(٢٩)، وحقائق الياسمين في ذكر قوانين
الخلفاء والسّلاطين^(٣٠)، والحوادث اليوميّة من تاريخ
إحدى عشرة وألف وميّة^(٣١)، والرّسالة المفردة في
أربعين حديثاً مسندة^(٣٢).

أخذه^(١٨)، ومنهم من يذكره في كتبه على أنّه كتب له
تقريباً على بعض مؤلفاته^(١٩).

حياته العلميّة:

كان ابن كنان محبّاً للعلم، فقد كان ملازماً أباه
في بداية عمره، طالباً العلم من أشهر علماء عصره
في دمشق، ولقي في حجّته إبراهيم الكورانيّ
(ت ١١٠١هـ)، فأخذ عنه الحديث الشّريف.

وكتاب (المواكب الإسلاميّة) يعكس لنا مدى
الثّقافة الواسعة الّتي كان يحملها ابن كنان^(٢٠)، وفي
كتابه (الحوادث اليوميّة) يحكي لنا جلساته العلميّة مع
شيوخه وأصحابه وتلاميذه في منزله، ومن هذه
العلوم: علوم الحديث والفقّه وأصوله والنّحو والأدب
وغيرها^(٢١)، وقد درّس في المدرسة الخديجيّة
المرشدية^(٢٢).

تلاميذه:

لما كان ابن كنان مقصد طلاب العلم، وخلفاً
لأبيه في مشيخة الطّريقيّة الخلوتيّة، كثر طلابه
ومريده^(٢٣)، فمنهم على سبيل المثال: محمد بن عبد
المحسن الحنفيّ الصّالحيّ (ت ١١١٥هـ)^(٢٤)، وعليّ

(٢٥) ينظر في ترجمته وأخذه العلم عن ابن كنان السابق، ٣/ ٢١٩.
(٢٦) ينظر مثلاً: السابق، ٣/ ١٠-١١، ٢/ ٣٠٤-٣٠٨، والغزّي
(١٢١٤هـ)، النعت الأكمل، ص ٣١١-٣١٤.

(٢٧) بتحقيق: الشّيخ محمّد أحمد دهمان. وقد نشرته مديريّة الآثار القديمة
في دمشق، سنة ١٩٤٧م، وهو كتاب في تاريخ الصّالحيّة.

(٢٨) حقّق الشّيخ محمّد أحمد دهمان جزءاً يسيراً، ونشره مع تحقيقه
لكتاب: إعلام الوري لابن طولون (ت ٨٥٣هـ). وقد طبع في دار الفكر
بدمشق طبعتين، ١٩٦٤م، و ١٩٨٤م، ويقع في الطّبعة الثّانية في
ص ٣٢٥ إلى ص ٣٣١ من الكتاب المحقّق، وقد طبع كاملاً بتحقيقين،
نشرة وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، سنة ١٩٩٢م، ونشرة
دار الآفاق العربيّة في القاهرة، سنة ٢٠٠١م.

(٢٩) حقّقه بهذا الاسم أسامة أحمد كحيل، ونال به درجة الماجستير من
كلية الشريعة، جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٨٣م، وقد سجّل هذا
الكتاب قبل أكثر من سنتين في جامعتين رسالة لنيل درجة الماجستير،
الأولى: الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة، سنة ٢٠١٣م، للطّالب: محمّد
بن صالح بن محمّد، والثّانية جامعة القصيم، سنة ٢٠١٣م، للطّالب: سعد
بن عبيد الشّمريّ.

(٣٠) بتحقيق: عبّاس صباغ. وقد نشرته دار النفائس في بيروت، سنة
١٩٩١م، وهو كتاب تاريخي لغويّ. وقد ذكر محقق كتاب (المواكب
الإسلاميّة، ١/ ١٢٣) أنّ محمّد دهمان ألحق جزءاً منه بكتاب (إعلام
الوري) لابن طولون السالف الذّكر في طبعته الأولى.

(٣١) بتحقيق: أكرم العليّ. والكتاب منشور في دار الطّبّاع في دمشق،
سنة ١٩٩٤م، وهو كتاب مذكرات وتاريخ.

(٣٢) تحقيق: مضايي نايف المطيريّ. وهي رسالة جامعيّة نالت بها درجة
الماجستير من كلية الشريعة، جامعة الكويت، سنة ٢٠٠٩م.

(١٨) منهم ابن العماد الحنبلي. ينظر: ابن كنان، المواكب الإسلاميّة،
٤١١/١-٤١٢.

(١٩) منهم ملا إلياس الكورانيّ، وحقي أفندي، فقد كتبوا له تقريباً على
نسخة مخطوط (الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة).

(٢٠) ثقافته التاريخيّة لابن كنان واضحة من جلّ ما في كتابه، أمّا الأدبيّة
واللغويّة فتتمثّل في النصف الأخير من الجزء الثّاني للكتاب.

(٢١) ينظر في هذه الجلسات على سبيل المثال: ابن كنان، الحوادث
اليوميّة، ص ٩، ١٢، ٢١-٢٢.

(٢٢) صرّح الشّيخ محمّد بذلك في كتابه: يوميات شامية، والمدرسة
المرشدية هي إحدى مدارس الحنفيّة. ينظر: ابن كنان، حقائق الياسمين في
ذكر قوانين الخلفاء والسّلاطين، ص ١٥٢.

(٢٣) ينظر فيمن أخذ عن ابن كنان من العلماء: المراديّ (١٢٠٦هـ)،
سلك الذّرر، ٨/ ١، ١٣٢.

(٢٤) ينظر في ترجمته وأخذه العلم عن ابن كنان السابق، ٤/ ٦٤.

ثانيا: المؤلفات المخطوطة والمفقودة^(٣٣):

رسالة الاستغاثة على قوله - عليه السلام -
في صلاة الليل: يا لها من صلاة^(٣٤)، وشرح قصيدة
باننت سعاد^(٣٥)، وزهر البان في نعوت الحيوان^(٣٦)،
وقصائد غرامية^(٣٧)، وأبيات على طريقة مقصورة ابن
دُرِيد مع شرحها^(٣٨)، والمحاسن المرضية في شرح
المنظومة البديعية^(٣٩)، والمعاني المرضية على
الشَّعْمة المضية^(٤٠)، ورسالة الأشباه برفع الاشتباه في
علل النحاة^(٤١)، والرسالة المشتعلة على أنواع البديع
في البسمة^(٤٢)، وزهر الربيع في علم المعاني والبيان
والبديع^(٤٣)، ولسان النظام في شرح منظومة ابن
الشَّيْخنة الهمام^(٤٤)، والتبئية على غلط الجاهل

والتبئية^(٤٥)، وتاريخ معاهد العلم في دمشق^(٤٦)،
والاكتفاء في ذكر مصطلح الملوك والخلفاء^(٤٧)،
وكوكب الملك في دولة الترك^(٤٨)، والدَّر المنصَّد في
ذكر أصحاب الإمام أحمد^(٤٩)، والمحاسن المرتبة في
الأدوية المجربة^(٥٠)، والبيان والصراحة في مختصر
الملاحه في علم الفلاحة^(٥١)، والإمام فيما يتعلق
بالحيوان من الأحكام^(٥٢)، ورسالة عن الحصان
وخصائصه^(٥٣)، ومكارم الخلاق لأهل مكارم
الأخلاق^(٥٤)، ونزهة النفوس ودفتر العلم وروضة

(٤٥) ذكره البغدادِي في: هدية العارفين، ٣٢٥/٢، ولم يذكره غيره من المترجمين. وهناك إشارة إليه في نسخة مخطوطة من فهرس برلين، رقم (٦٧٧٨) مجموع، الكتاب رقم (٦).

(٤٦) منه نسخة مخطوطة في برلين تحت رقم (٦٠٨٩).

(٤٧) منه نسخة مخطوطة في برلين تحت رقم (٥٦٣٢).

(٤٨) ذكره البغدادِي في: هدية العارفين، ٣٢٥/٢، وفي (كشف الظنون) ذكر لكتاب بعنوان (كوكب الملك وموكب الترك) غير منسوب إلى أحد. ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٥٢٣/٢.

وقد بين محقق كتاب (حدائق الياسمين) أن هذا الكتاب لمجهول؛ إذ ذكر ابن كنان في مقدمة كتابه (حدائق الياسمين) أنه قد ظفر بهذا الكتاب، أي: كوكب الملك، فأخذ منه مراده (ينظر: حدائق الياسمين ص ٢٠، ٤٩)، كذلك ذكر في (ص ٢٠) خطأ وليم الورد في قرأته لمخطوط آخر ورد في إحدى حواشيه اسم هذا الكتاب، فثبت الورد أنه اسم آخر لكتاب (حدائق الياسمين).

(٤٩) من الكتاب نسخة مخطوطة في المكتبة الأحمديّة بحلب، رقم (٢٤٦)، وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات، رقم (٦٥٢) تاريخ. ينظر: صلاح الدين المنجد في: معجم المؤرخين الدمشقيين، ص ٣٤٤، ومعجم التراث العربي الإسلامي في مكتبات العالم، ٣٠٢٠/٤.

(٥٠) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٦٤٥٠).

(٥١) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٦٢١١). وهو اختصار لكتاب الملاحه للرّضِي الغزّي (ت ٩٣٥هـ).

(٥٢) منه نسخة خطية في برلين، رقم (٦١٧٧)، وهو معجم لأسماء الحيوان مع وصف موجز للأحكام الشرعية المتصلة به.

(٥٣) لم يذكر أحد ممن ترجم لابن كنان هذه الرسالة سوى بروكلمان الذي أشار إلى الكتاب دون تسميته، فذكر أن لابن كنان كراساً من كتاب عن الخيل وصفاتها، وأشار أيضاً إلى وجود نسخة منه في برلين، تحت رقم (٨١٨٤). ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٠٠/٨، وقد نقله عنه محقق كتاب (المواكب الإسلامية)، ١٠١/١.

وما نقله بروكلمان بحاجة إلى مراجعة، فالرقم الذي أشار إليه ليس فيه ذكر للرسالة ولا لابن كنان، غير أن هناك نسخة خطية في برلين تحت رقم (٦١٨٤) لعلها هي الرسالة المرادة لابن كنان، فقد ذكر الورد محتويات الرسالة، ثم ذكر ابن كنان. ينظر:

Ahlwardt, W. Verzeichniss der arabischen handschriften der Königlichen bibliothek zu Berlin, 5 P. 471.

(٥٤) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٣٣١٥).

(٣٣) ينبغي التبئية هنا على أن فهرس المكتبة الملكية في برلين الذي أعده وليم الورد قد تردد فيه اسم ابن كنان كثيراً؛ مما يعني أن مؤلفاته المخطوطة أكثر مما عده السابقون من العلماء والمحققين ومما سيذكر هنا، غير أنه لم يتيسر التأكد من نسبتها جميعاً إليه.

(٣٤) لم يذكرها أحد. بحسب من وقف عليهم في هذا البحث. ممن ترجم لابن كنان، ومنها نسخة بخطه كما يبدو - في مكتبة جامعة لايبزيك، من مجموع يحوي كتابين، رقم (١٠٩)، ثانيهما هذه الرسالة المكونة من صفحتين.

(٣٥) ذكره البغدادِي في: هدية العارفين، ٣٢٥/٢.

(٣٦) منه نسخة خطية في برلين، رقم (٦١٧٤).

(٣٧) منه نسخة مخطوطة في برلين ضمن مجموع رقم (١٧٤٠ we ٨٠٣٣)، وهو الكتاب الأول منه.

(٣٨) ذكره وليم الورد بهذا الوصف دون ذكر لعنوان، وهو الكتاب الثاني ضمن مجموع رقم (١٩٦٢ we ٨٠٣٣)، غير أنه لم يجزم بأنه لابن كنان، فقال: "لابن كنان نفسه كما يبدو". ينظر:

Ahlwardt, W. Verzeichniss der arabischen handschriften der Königlichen bibliothek zu Berlin, 7 P. 157.

(٣٩) لم يُشر أحد من المترجمين لابن كنان ومن تبعهم من المحققين لكتبه إلى هذا الكتاب سوى علي الرضا وأحمد طوران في: معجم التراث العربي الإسلامي في مكتبات العالم، ٣٠٢٠/٤، وقد ذكره وليم الورد، ومنه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٧٣٦٦).

(٤٠) هو شرح على رسالة في النحو لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في النحو أسماها (الشَّعْمة المضية في علم العربية)، وقد وقف على ثلاث نسخ مخطوطة للشرح، برلين رقم (٦٧٧٠)، و (٦٧٧١)، و دار الكتب المصرية، رقم (٥٨٢) نحو تيمورية.

(٤١) وهي موضوع البحث، وسيأتي التفصيل فيها، ولم يوقف إلا على نسخة مخطوطة واحدة في برلين، رقم (٦٨٥٣).

(٤٢) منها ثلاث نسخ خطية، برلين، رقم (٧٢٨٣)، ودار الكتب المصرية، رقم (٣٥٥)، و دار الكتب الظاهرية، رقم (١١٠٧٧).

(٤٣) منه نسختان مخطوطتان في برلين تحت رقم (٧٢٦١)، و (٨٣٦٨).

(٤٤) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٧٢٦٠).

ثانيا: دراسة رسالة الأشباه برفع الاشتباه في علل النحاة:

موضوع الرسالة وأقسامها:

يتناول موضوع هذه الرسالة الصغيرة العلل النحوية، وهي تتألف من مقدّمة وموضوع وخاتمة. وقبل الحديث عن موضوع الرسالة ينبغي الإشارة إلى أنّ كارل بروكلمان لم يصف موضوع المخطوط من هذه الرسالة الذي في المكتبة الملكية في برلين وصفاً صحيحاً، فقد قال عنه: "الاشتباه برُفَع الاشتباه، يضمُّ أربعة وعشرين قاعدة صرّفية"^(٥٩).

ولا شك بأنّ هذه الرسالة لعلّ لها بعلم الصّرف ولا بقواعده، فالعدد المذكور متعلّق بعدد العلل التي ذكرها ابن كنان في رسالته، وهي العلل التي من القسم الأول كما سيأتي بيانها.

ولعلّ السبب الذي أوهم كارل بروكلمان في وصف موضوع الرسالة وصفاً غير صحيح يعود إلى التمثيل لكثير من العلل النحوية التي يذكرها ابن كنان، فبعض أمثله كانت من مسائل صرّفية، كتمثيله لعلّة الاستتقال، وعلّة الإشعار، مع أنّ الغالب أنّه كان يمثّل من أحكام نحوية لا صرّفية.

عموماً، فقد بدأ ابن كنان رسالته بمقدّمة صغيرة وموجزة، ذكر فيها بعد حمد الله والتّناء عليه والصّلاة السّلام على نبيّه وآله وصحبه موضوع الرسالة، والتّناء عليها، وذكر اسمها، ثمّ شرح بالحدث عن

العروس^(٥٥)، والأنوار المبتهجة على منظومة المنفرجة^(٥٦).

وفاته:

أجمع من ترجم له العلماء على أنّ وفاته كانت سنة ألف ومائة وثلاث وخمسين من الهجرة (١١٥٣هـ) وقد دُفن بالروضة بسفح جبل قاسيون في قريته الصّالحية^(٥٧).

وقد رجّح أكرم العلبي أنّ تكون وفاة ابن كنان في أحد الجمادين من سنة ١١٥٣هـ؛ ذلك لأنّ ابن كنان دَوّن آخر ما في كتابه (الحوادث اليومية) في شهر ربيع الآخر، وكان يشعر بمرض شديد - كما صرّح ابن كنان نفسه -، وقد وقف أكرم العلبي على وثيقة تقرّر فيها قيام ابني ابن كنان بالتدريس في المدرسة المرشدية في الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ١١٥٣هـ^(٥٨)، وهذا يعني أنّ ابن كنان قد غلبه المرض وأقعده في هذه الشّهر، فوفاته تكون ما بعد هذا التاريخ.

وهذا المرّجح الذي بنى عليه أكرم العلبي التّردّد بين إحدى الجمادين غير قاطع؛ إذ من المحتمل أن يكون توفي في أواخر شهر ربيع الآخر.

(٥٥) ذكره البغداديّ في: هدية العارفين، ٢/ ٣٢٥، ولم يذكره الآخرون، ولم يُوقف في هذا البحث على هذا الكتاب مخطوطاً.
(٥٦) من هذا الكتاب نسختان خطّيتان في برلين تحت رقم (٧٦٤٨)، و (٧٦٤٩).
(٥٧) ينظر في يوم وفاته ومكان دفنه: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الدّرر، ٨٦/٤، و محمد مطيع و نزار أباطة، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثّاني عشر الهجري، ٢/ ٢٥١.
(٥٨) ينظر: ابن كنان، الحوادث اليومية، ص ٢٨ (مقدّمة المحقّق).

(٥٩) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٠٠/٨. وقوله (أربعة) كذا في المطبوع، مع أنّ تذكير العدد هنا هو الوجه الصّحيح.

تعليل النّحاة، فقسّمه إلى قسمين بحسب الغاية والفائدة التي تظهر من تعليلاتهم، ثم ذكر تفصيل أنواع القسم الأوّل من أقسام هذه التّعليلات^(٦٠)، مستغرقاً في هذا التفصيل أغلب صفحات الرّسالة، فكان يذكر اسم كلّ علّة على حدة، مع ضرب مثال لها من تعليلات النّحاة التّطبيقية.

وبعد أن انتهى من ذكر العلل قام بوضع خاتمة تناول فيها الرّد على من يزعم ضعف العلل النّحوية، فأثنى على علل النّحاة من جهة الوثاقة، ثمّ ذكر دليل من زعم ضعف هذه العلل، وردّ هذا الدّليل بالحجج العقلية، ثمّ انتقل في خاتمة الرّسالة إلى الحديث عن علل النّحاة من جهة التّفريق بينها وبين علل الفقهاء والمتكلّمين، وقد كان هذا الحديث نهاية الرّسالة.

منهج المؤلّف وأسلوبه في الرّسالة:

رسالة ابن كنان في العلل قائمة على الإيجاز والاختصار في العرض، وهذا يعني أنّ المؤلّف يميل إلى الاختصار والإيجاز في هذه الرّسالة دون الإطالة والاستطراد.

فقد عرض لتقسيم تعليل النّحويتين إلى قسمين مع بيان الغاية من كلّ قسم، ثمّ ذكر بعد ذلك مقدار أنواع العلل التي من النّوع الأوّل، وهي التي نصّ على أنّها أكثر استعمالاً عند النّحويتين، فاكتمى بذلك كلّ علّة مع التمثيل بإيجاز، وقد استقصى فيها ذكر خمس وعشرين علّة.

(٦٠) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النّحو، (ق/٨٨/ب).

ولا شك أنّ علل النّحويين أكثر من ذلك، ومن ذكر أنّها ثلاثة وعشرون نوعاً، أو أربعة وعشرون، لم يقصد حصرها، إنّما أراد من ذلك بيان أشهرها، وهو ما نصّ عليه أبو عبد الله الحسين بن موسى الدّينوريّ (ت ٤٩٠هـ) الملقّب بالجليس^(٦١) في كتابه (ثمار الصّناعة)^(٦٢).

ويظهر الإيجاز في أسلوب ابن كنان أيضاً عند تعرضه للرّد على من يرى الضّعف في علل النّحويتين، فلم يطل كثيراً في الرّد، كذا عند حديثه عن الفرق بين علل النّحاة وعلل الفقه وعلل الكلام. وقد دفع الإيجاز ابن كنان إلى الابتعاد عن ذكر المسائل الخلافية فيما يتعلّق بعلل النّحويتين؛ فمثلاً هناك خلاف مشهور بين البصريين والكوفيّين

(٦١) هو أبو عبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله الدّينوريّ، الشّهير بالجليس، لم تذكر كتب التراجم والطبقات شيئاً عن حياته، وقد ذكر الفيروزآبادي والسيوطيّ أنّ له كتاباً في النّحو اسمه (ثمار الصّناعة)، وذكر ما قاله منه عن علل النّحو، وزاد السيوطيّ أنّ أبا حيان الأندلسيّ في تذكرته أكثر عنه النّقل، ولم يذكر سنة وفاته، غير أنّ البغداديّ (ت ١٣٩٩هـ)، وتبعه حنّا جميل حداد محقّق كتاب (ثمار الصّناعة) ذكر أنّه في حدود سنة (٤٩٠هـ). ينظر في ترجمته: الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، البلغة في تراجم أئمّة النّحو واللغة، ص ٩١-٩٢، والسيوطيّ (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاة، ٥٤١/١، والخوانساري (ت ١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسّادات، ٣/ ١٧٤-١٧٥ البغداديّ (ت ١٣٩٩هـ)، هديّة العارفين، ٣١١/١.

(٦٢) ينظر: أبا عبد الله الدّينوريّ (٤٩٠هـ)، ثمار الصّناعة، ص ٣٤. وهذا العدد لأنواع العلل نقله الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) عن الدّينوريّ حينما ترجم له في كتابه: البلغة في تراجم أئمّة النّحو واللغة، ص ٩٢. وينبغي التنبيه هنا على أنّ السيوطيّ (ت ٩١١هـ) في الاقتراح (ص ٢٥٦) و (بغية الوعاة ٥٤١/١) قد نقل كلام الدّينوريّ بتصرف يسير، نصّ فيهما على أنّ العلل أربعة وعشرون نوعاً، وقد تبعه شارحا الاقتراح، ابن علان الصّدقيّ (ت ١٠٥٧هـ) في (داعي الفلاح لمختبرات الاقتراح، ص ٤٤٥)، وابن الطيّب الفاسيّ (ت ١١٧٠هـ) في (فيض نشر الانسراح من روض طيّ الاقتراح، ٨٦٠/٢)، وتبعه أيضاً أبو زكريّا الشّاوي (ت ١٠٩٦هـ) في (ارتقاء السّيادة في علم أصول النّحو، ص ١٠٤).

وفي (بغية الوعاة) نقل كلام الدّينوريّ عن ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) في تذكرته، مع أنّه نصّ على نقله من كتاب (ثمار الصّناعة) في (الاقتراح) في موضعين، أحدهما المشار إليه هنا، وهو حديثه عن العلل؛ ممّا جعل الخوانساريّ ينصّ على أنّ السيوطيّ لم يظفر بنسخة من كتاب (ثمار الصّناعة). ينظر: الخوانساريّ (ت ١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسّادات، ٣/ ١٧٤.

والكلام هنا عن مصدر السيوطيّ مهم؛ إذ زيادة علّة على ما ذكره الدّينوريّ تُحتمل أنّها من عند ابن مكتوم في تذكرته.

ثم وضع خاتمة تحدّث فيها عن أمرين، الأول منهما الرّد على من ذهب إلى أنّ علل النحويّين واهية، والثاني منهما التّفريق بين علل النحو، وبين علل الفقه وعلل الكلام^(٦٨).

مصادر المؤلّف:

لم يُشر ابن كُتّان إلى مصادر رسالته ألبتة سوى موضع واحد، أسند فيه النّقل - كما ذكرنا - إلى ابن الخشّاب البغداديّ (ت ٥٦٧هـ).

لكنّ المطّلع على كتب التّراث الّتي تناولت الحديث عن علل النحويّين بصورة نظريّة، وذلك من جهة تقسيمها، وتعدد أنواعها، وخصائصها وغيرها، لا يشكّ أدنى شكّ في أنّ ابن كُتّان أفاد من جلال الدّين السيوطيّ (ت ٩١١هـ) في مسألتين تناولهما في كتابه (الاقتراح)، متّبعا ما اتّبعه السيوطيّ من الأخذ من مصادر متفرّقة، ولكنّ الفرق بينهما أنّ جلال الدّين السيوطيّ (ت ٩١١هـ) قد صرّح بأسماء من أخذ عنهم؛ فكان ينقل حديثهم عن العلل، ويسوقه مساق النّاقل، بخلاف ابن كُتّان الّذي لم يذكر أيّ مصدر أو مؤلّف نقل عنه، فكان يسوق الكلام مساق المؤلّف، الّذي لم يعتمد على غيره من التّرتيب والتّعليل والتّقسيم، ولكنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع.

وما يأتي بيان المسألتين مع ذكر مصادر السيوطيّ (ت ٩١١هـ) فيهما كما صرّح فيها بنفسه في كتابه (الاقتراح):

في علّة إعراب الفعل المضارع^(٦٣)، وابن كُتّان ساق رأي البصريّين^(٦٤)، ولم يذكر الخلاف في العلّة بين النحويّين، ولم ينبّه على وجود خلاف فيما بينهم.

كما ابتعد ابن كُتّان عن ذكر المصادر والسند فيما ينقله عن النحويّين في مجمل الرسالة، سوى موضع واحد أسند النّقل فيه إلى ابن الخشّاب البغداديّ (ت ٥٦٧هـ)^(٦٥)، وهو تمثيل ابن الخشّاب لعلّة التّحليل عند النحويّين^(٦٦)، مع أنّ محتوى رسالته منقول من مصدر واحد كما سنرى عند الحديث لاحقا عن مصادر المؤلّف، ولم يُشر ابن كُتّان لا إلى المصدر الذي أخذ منه، ولا إلى مؤلّفه.

ولم يعتمد ابن كُتّان إلى تقسيم رسالته، أو إلى وضع عناوين فرعيّة موضّحة، فجاء القسم الأوّل من الرسالة - كما رأينا - مقسّمًا أنواع التّعليل عند النحويّين إلى قسمين، منبّها على الغاية من كلّ قسم، ثمّ استغرق في تعداد أنواع القسم الأوّل من التّعليل، مع التّمثيل لكلّ نوع من هذه الأنواع^(٦٧).

(٦٣) ينظر في هذه المسألة الخلافية مثلا: الزّجاجيّ (٣٣٧هـ)، الإيضاح في علل النحو، ص ٨٠-٨٢، والأنباريّ (٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف، ٥٤٩/٢-٥٥٠، وناظر الجيش (٧٧٨هـ)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ٢٣٠/١-٢٣٤.

(٦٤) ينظر: ابن كُتّان، الأشباه برُفَعِ الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٨/ب). (٦٥) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد البغداديّ، المعروف بابن الخشّاب، فقيه حنبليّ ونحويّ، عالم بعلوم شتّى، وقد كان يُفضّل على الفارسيّ في علم العربيّة، أخذ عن الجواليقيّ، وابن الشّجري، وغيرهما، ومن تلاميذه العماد الأصفهانيّ، وابن الزّاهدة، وابن قدامة المقدسيّ، وغيرهم. من مصنّفاته: المرتجل، والرّد على ابن بابشاذ، وشرح اللّمع، والرّد على أمالي ابن الشّجري، وقد توفي سنة (٥٦٧هـ). ينظر: القفطيّ (٦٤٦هـ)، إنباء الزّواة ٩٩/٢، وابن خلكان (٦٨١هـ)، وفیات الأعيان ١٠٢/٢، والذهبيّ (٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء ٢٣٠/١٥، والصّفديّ (٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ١١/١٧، والفيروزآباديّ (٨١٧هـ)، البلغة، ص ١٦٦، والسيوطيّ (٩١١هـ)، بغية الوعاة ٢٩/٢، وابن العماد الحنبليّ (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب ٣٦٥/٦.

(٦٦) ينظر: ابن كُتّان، الأشباه برُفَعِ الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩/ب).

(٦٧) ينظر السّابق، (ق ٨٨/ب - ٨٩/ب).

(٦٨) ينظر السّابق، (ق ٨٩/ب - ٩٠/أ).

١- المسألة الثانية وضعها السيوطي (ت ٩١١هـ) تحت عنوان (في أقسام العلل) ^(٦٩)، نقل في بدايتها عن أبي عبد الله الحسين بن موسى الدينوري (ت ٤٩٠هـ) الملقب بالجليس في كتابه (ثمار الصناعة) تقسيمه لتعليل النحويين إلى قسمين، والإشارة إلى أن النحويين أكثر استعمالاً للنوع الأول، ثم عدّد العلل التي من النوع الأول من التعليل دون أن يُسمّيها ^(٧٠).

وهذا التقسيم بدأ به ابن كنان رسالته دون أي عزو إلى أحد المصدرين السابقين ^(٧١).

٢- في المسألة الثانية نفسها نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) شرح ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) ^(٧٢) لأنواع العلل التي عددها الدينوري (ت ٤٩٠هـ)، وذلك من كتاب لابن مكتوم مفقود اسمه (التذكّرة).

كذلك نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) في آخر شرح هذه العلل عن شمس الدين ابن الصائغ (ت ٧٧٦هـ) ^(٧٣) ما قاله عمّا رآه في كتب المحققين

كابن الخشاب البغدادي (ت ٥٦٧هـ) ^(٧٤) في تمثيله لعلّة التحليل عند النحويين، وهي العلّة التي لم يشرحها التاج ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) ^(٧٥).

وقد فعل ابن كنان الفعل نفسه كما سبق، فكان يذكر كلّ علّة بحسب ما نقله السيوطي (ت ٩١١هـ) عن التاج ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) من شرحه على مذكره الدينوري (ت ٤٩٠هـ) من علل، مع التمثيل لها من تعليقات النحاة التطبيقية، ولم يبق بالعزو إلى أي مصدر من المصادر، ولا إلى أي مؤلف، سوى العلّة الأخيرة، وهي علّة التحليل، فقد عزا القول في شرحها والتمثيل لها إلى ابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ) ^(٧٦) دون السيوطي (ت ٩١١هـ) الذي عزا نقل شرح علّة التحليل إلى ابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ)، وإلى ابن الصائغ (ت ٧٧٦هـ).

٣- المسألة الأولى، وقد بدأ بها السيوطي (ت ٩١١هـ) الفصل الرابع الذي خصّه للعلّة التي هي الركن الرابع من أركان القياس النحوي ^(٧٧).

قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، ودرّس في الجامع الطولوني. من مصنفاته: شرح ألفية ابن مالك، والتذكّرة النحوية، والاستدراك على مغني ابن هشام، وغيرها. وقد توفي سنة ٧٧٦هـ. ينظر في ترجمته: الصفدي (٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٠٠، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥/ ٢٤٨، والسيوطي (٩١١هـ)، بغية الوعاة ١/ ١٥٥، وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، ٨/ ٤٢٧.

(٧٤) كلام ابن الخشاب في كتابه (المرتجل) حول الاستدلال على اسمية (كيف) يختلف نوعاً ما. عمّا نقله السيوطي ومن تابعه. ينظر: ابن الخشاب البغدادي (٥٦٧هـ)، المرتجل، ص ٢٤-٢٥.

(٧٥) ينظر في نقل السيوطي لشرح ابن مكتوم لأنواع العلل وشرح ابن الخشاب لعلّة التحليل: السيوطي (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٥٧-٢٦٦، وابن علقان الصديقي (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختبرات الاقتراح، ص ٤٤٥-٤٥٩، وابن الطيّب الفاسي (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٢/ ٨٦٥-٨٨١.

(٧٦) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٨/ب).

(٧٧) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٤٩-٢٥١، وابن علقان الصديقي (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختبرات الاقتراح، ص ٤٣٢-٤٣٤، وابن الطيّب الفاسي (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٢/ ٨٤٣-٨٤٦.

(٦٩) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٥٦، وابن علقان الصديقي (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختبرات الاقتراح، ص ٤٤٥، وابن الطيّب الفاسي (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٢/ ٨٦٠.

(٧٠) ينظر: الدينوري (٤٩٠هـ)، ثمار الصناعة، ص ٣٤. هذا مع التنبيه -كما ذكرنا سابقاً- على الاختلاف فيما بين الدينوري والسيوطي وابن كنان وغيرهم في عدد هذه العلل.

(٧١) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٨/ب).

(٧٢) هو تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي، أخذ النحو عن بهاء الدين بن النحاس والدمياطي، ولازم أبا حيان الأندلسي طويلاً، كذلك سمع الحديث عن أصحاب ابن النجيب وابن علقان، وكان ابن مكتوم مقدّماً في الفقه والنحو واللغة. من مصنفاته: شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح شافية ابن الحاجب، وشرح الفصيح، والذر اللقيط من البحر المحيط، والتذكّرة (قيد الأوابد)، وغيرها، وقد توفي بالطاعون في القاهرة سنة ٧٤٩هـ. ينظر في ترجمته: الصفدي (٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ٧/ ٤٨، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ١/ ٢٠٤، والسيوطي (٩١١هـ)، بغية الوعاة ١/ ٣٢٦-٣٣٠، وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، ٨/ ٢٧٣، والزركلّي، الأعلام، ١/ ١٥٣.

(٧٣) هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي، أخذ النحو عن أبي حيان الأندلسي، ولازمه طويلاً، وعن ابن المرحّل، وغيرهما، وسمع الحديث عن الدبوسي وابن الشحنة وغيرهما، وقد ولي

نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) في بدايتها - بتصرف - عن صاحب كتاب (المستوفى في النحو)، وهو أبو سعد علي بن مسعود الفرغاني الملقب بـ (الفرخان) ^(٧٨) حديثه عن علل النحو، في الثناء عليها، والرّد على من يرى أنّ علل النحو واهية ^(٧٩).

وقام ابن كنان بنقل كلام الفرخان بعدما نقل شرح العلل مباشرة بتصرف كبير في جزء من رسالته، وضعه تحت عنوان (خاتمة) دونما إشارة إلى السيوطي (ت ٩١١هـ)، أو إلى مصدره ^(٨٠).

وفي المسألة الأولى نفسها نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) بعد نقله السابق مباشرة كلاماً لابن جني (ت ٣٩٢هـ) - بتصرف كبير - في الفرق بين علل النحويين وعلل المتكلمين وعلل المتفقيين ^(٨١)، وهو من كتاب (الخصائص) في باب (ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية) ^(٨٢).

(٧٨) هو القاضي كمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرغاني الفرخان. ليست له ترجمة - فيما وُقف عليه في هذا البحث - سوى ما ذكره السيوطي في (بغية الوعاة)، وقد زاد بأنه صاحب (المستوفى في النحو)، وأن أبا حيان أكثر من النقل عنه، وأن النّاج ابن مكتوم ذكره اسمه هكذا - من دون نسبته إلى فرغانة -، ولم يذكر السيوطي سنة وفاته.

وذكر محمد بدوي المخنون محقق كتاب (المستوفى في النحو) أنّه قد عاش في أواخر القرن السادس الهجري ومنتصف القرن السابع؛ ذلك لأنّه يتعرّض كثيراً في كتابه بالرّد على الباقولي المتوفى سنة (٥٤٣هـ). ينظر في ترجمته: السيوطي (٩١١هـ)، بغية الوعاة، ٢/ ٢٠٦، وابن مسعود الفرخان، المستوفى في النحو، مقدّمة المحقق (١/ ١١ - ١٤)، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١٦٧٥/٢.

(٧٩) ينظر في كلام ابن مسعود الفرخان عن العلل: ابن مسعود الفرخان، المستوفى في النحو، قسم التحقيق (٨/ ١).

(٨٠) ينظر: ابن كنان، الأشباه برّفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩/ب). (٨١) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٥١ - ٢٥٢، وابن علان الصنّدي (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمخبرات الاقتراح، ص ٤٣٤ - ٤٣٦، وابن الطيّب الفاسي (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٨٤٦/٢ - ٨٤٨.

(٨٢) ينظر في الباب كله: ابن جني (٣٩٢هـ)، الخصائص، ١/ ٤٨ - ٩٦.

وابن كنان بعد نقله السابق في بداية خاتمة أعقبه بنقل ما نقله السيوطي (ت ٩١١هـ) عن ابن جني (ت ٣٩٢هـ) بتصرف كبير جدّاً دون إشارة أيضاً إلى أحد منهما أو عزو ^(٨٣).

قيمة الرسالة من بين كتب علل النحو، وأهميتها: تكمن أهمية هذه الرسالة في أنّها أفردت خاتمة لتتناول العلل النحوية بصورة نظرية بحتة لا تمس التطبيق إلا بالتمثيل لأنواع العلل التي من النوع الأول من أنواع التعليل النحوي.

والصورة النظرية التي عرض لها ابن كنان تتمثل في تقسيمه التعليل النحوي إلى قسمين، مع بيان الغاية من كلّ قسم، وما يكثر عند النحويين من هذين القسمين استعمالاً، وتعداد أنواعه، ثم بعد ذلك الرّد على متهمي العلة النحوية بالضعف، والتفريق بينها وبين علل الفقه وعلم الكلام.

وهذا التناول النظري للعلل النحوية عموماً قد سبق به ابن كنان بحسب ما وصل إلينا من التراث النحوي، غير أنّ هذا التناول قد كان - في الغالب - أحاديث متفرقة أتت عرضاً في التناول الأساس، كما في تناول ابن مسعود الفرخان للعلة النحوية حينما ردّ على من زعم ضعف العلة النحوية في كتابه (المستوفى في النحو) ^(٨٤)، وتناول الدّينوري (ت ٤٩٠هـ) في كتابه (ثمار الصناعة) حينما قسم تعليل النحويين إلى قسمين، مشيراً إلى أنّ النحويين

(٨٣) ينظر: ابن كنان، الأشباه برّفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٩٠/أ).

(٨٤) ينظر: ابن مسعود الفرخان، المستوفى في النحو، قسم التحقيق (١/ ٨).

أكثر استعمالاً للقسم الأول، ثم قام بذكر أنواع القسم الأول من التعليل^(٨٥).

هذا بالإضافة إلى ما تناوله ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في خصائصه من أبواب عديدة من الجزء الأول خصّها في الحديث عن العلة النحويّة من عدّة جوانب، وذلك من مثل: باب ذكر علل العربيّة أكلاميّة هي أم فقهية؟، وباب في تخصيص العلل، وباب في الفرق بين العلة الموجبة وبين العلة المجوّزة، وباب في تعارض العلل، وباب في أنّ العلة إذا لم تتعدّ لم تصحّ، وباب في العلة وعلة العلة، وباب في حكم المعلول بعلتين، إلخ. . .^(٨٦).

ويقرب من تناول ابن جني (ت ٣٩٢هـ) للعلّة ما تناوله أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) في رسالته (لمع الأدلّة في أصول النحو) حينما خصّ فصولاً منه للحديث عن العلة بوصفها ركناً رابعاً من أركان القياس النحويّ، فتناول - مثلاً - في الفصل السابع عشر من رسالته كون الطرد شرطاً في العلة، وفي الفصل الثامن عشر كون العكس شرطاً في العلة، وفي الفصل التاسع عشر جواز تعليل الحكم بعلتين فصاعداً، وفي الفصل الثالث والعشرين إلحاق الوصف بالعلّة مع عدم الإخالة^(٨٧).

وكان ابن السّراج (ت ٣١٦هـ) قبلُ قد تعرض في بداية كتابه (الأصول في النحو) إلى تقسيم تعليل

النّحاة إلى قسمين بحسب الغاية والفائدة من كلّ قسم^(٨٨).

أمّا أبو القاسم الرّجّاجي (ت ٣٣٧هـ)، فقد تعرض في كتابه (الإيضاح في علل النّحو) إلى تقسيم علل النّحو إلى ثلاثة أقسام: علل تعليميّة، وعلل قياسيةّة، وعلل جدليّة نظريّة. ثمّ بعد ذلك شرح هذه العلل ومثّل لها، وبين غاية كلّ قسم، ولم يعم باستقصاء أنواعها^(٨٩).

وقد وصل إلينا أيضًا ما تعرض له ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه (الرّد على النّحاة) من حديث عن العلل النّحويّة عمومًا، وذلك حينما دعا فيه إلى إسقاط نوعين من أنواع هذه العلل؛ لأسباب يراها دافعة لذلك، وكان أيضًا قد قسم العلل إلى ثلاثة أقسام^(٩٠).

ثمّ أتى - فيما وصل إلينا من التّراث النّحويّ - جلال الدّين السيوطي (ت ٩١١هـ) ومن تبعه في كتابه (الاقتراح)^(٩١) فجمع غالب ما تفرّق، بالإضافة إلى أخذه ممّن لم يصل إلينا من هذا التّراث.

(٨٨) ينظر: ابن السّراج (٣١٦هـ)، الأصول في النّحو، ١/ ٣٥.
(٨٩) ينظر: أبو القاسم الرّجّاجي (٣٣٧هـ)، الإيضاح في علل النّحو، ص ٦٤ - ٦٦.
(٩٠) ينظر: ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ)، الرّد على النّحاة، ص ١٣٠ - ١٣٤.

(٩١) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٤٩ - ٣٧٠، وابن علان الصّدقي (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمخبرات الاقتراح، ص ٤٣٢ - ٦٠٢، وابن الطّيب الفاسي (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٢/ ٨٤٣ - ١٠٥٠.
وممّن تبع السيوطي أيضًا في جُلّ ما سطره في (الاقتراح) دون إشارة إليه أبو زكريّا الشّاوي (ت ١٠٩٦هـ) في كتابه (ارتقاء السّيادة في علم أصول النّحو العربيّ)، ص ١٠٣ - ١٣٥.
وكنّت أظنّ أولاً أن ابن كنان في رسالة (الأشباه برفع الاشتباه في علل النّحو) قد أفاد من أبي زكريّا الشّاوي من كتابه (ارتقاء السّيادة)؛ لأنّ ابن كنان قد ذكر أبا زكريّا في كتابه (الحوادث اليومية) شيئاً يدرّس شرح التّسهيل؛ ممّا يعني معرفته التّامة بما ألفه، لولا أنّ هناك نصوصاً لم يذكرها أبو زكريّا الشّاوي في (ارتقاء السّيادة)، وأفاد منها ابن كنان في رسالته، وهذا يدلّ على أن ابن كنان قد أفاد من السيوطي في (الاقتراح) ومن تبعه.

(٨٥) ينظر: الدّينوري (٤٩٠هـ)، ثمار الصّناعة، ص ٣٤.
(٨٦) ينظر في ذلك: ابن جني (٣٩٢هـ)، الخصائص، ١/ ٤٨ - ١٨١.
(٨٧) ينظر: أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، لمع الأدلّة في أصول النّحو، ص ١١٢ - ١١٧، ١٢٥.

العلل التي من القسم الأول، ومن هذا الجانب تأتي أهميتها وقيمتها في تراثنا النحوي؛ لأن التأليف النظري - كذلك التطبيقي - في العلة النحوي قليل بحسب ما ظهر من هذا التراث النحوي.

ومما يُضاف على الأهمية السابقة للرسالة أن ابن كنان أضاف على العلل من الجانب النظري التطبيقي للعلة نوعاً من العلة لم يذكرها من سبقوه في ذلك - فيما وقف عليه من مصادر - وهي العلة التي أسماها ابن كنان بعلة الاقتصاد^(٩٥)، ومثل لها من الجانب التطبيقي بقاء الحركة في الاسم الذي لا ينصرف وحذف التثوين، والتثوين - كما هو معلوم - حرف، وهو نون ساكنة تُنطَق ولا تُكْتَب .

ملحوظات على الرسالة:

مع ما في رسالة (الأشباه برُفَع الاشتباه في علل النحاة) من قيمة علمية وأهمية كبرى في الدرس النحوي الأصولي على وجه التحديد، إلا أن ذلك لا يمنع من تسجيل ما يلاحظ على هذه الرسالة من مآخذ، وهذا - بلا شك - لا يقلل من القيمة العلمية للرسالة ولا من أهميتها.

ولعل من أهم هذه الملحوظات على الرسالة ما

يأتي:

١ - عدم عزو النصوص إلى أصحابها فيما ينقله ابن كنان من حديث عن العلة في جلّ الرسالة، فعلى الرغم من اعتماد المؤلف اعتماداً كلياً على ما سطره جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه

أما الصورة التطبيقية فهي مبثوثة في بطون المتون والشروح النحوية والصرفية، غير أن ما وصل إلينا مما أخلص التناول فيها للتأليف التطبيقي للعلة النحوية قليل إذا ما قورن بما ألف في العلة النحوية أو التعليل النحوي^(٩٢).

والذي وصل إلينا منها - فيما يُعلم - عدد محدود من المصنفات نذكر منها على سبيل المثال: كتاب العلل في النحو لأبي الحسن الورّاق (ت ٣٨١هـ)^(٩٣)، والثاني: شرح عيون الإعراب لأبي الحسن المجاشعي (ت ٤٧٩هـ)^(٩٤)، والثالث: أسرار العربية لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، والرابع: اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ).

وبصرف النظر عن اتباع ابن كنان في رسالته لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، فرسالة (الأشباه برُفَع الاشتباه في علل النحاة) تمثل الجانب النظري للعلة النحوية مع ما فيها من تمثيل تطبيقي لأنواع

(٩٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر في العلماء الذين لهم مصنف في التعليل النحوي أو العلة النحوية مما لم يصل إلينا: أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، نزّهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٧٧، والفقطي (٦٤٦هـ)، إنباه الرواة، ٢/ ٢٩٦، ٣/ ٤٣، ١٩٠، ٢٢٠، ٣٦١، والسيوطي (٩١١هـ)، بغية الوعاة، ١/ ١٧٧، ٢٤٣، ٤٥٦، ٢/ ١٩٤، ٣١٩. وينظر كذلك ما كتبه د. مازن المبارك في كتابه: النحو العربي (العلة النحوية نشأتها وتطورها)، ص ٦٩ - ٧١، ٩٤ - ٩٦.

(٩٣) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس البغدادي، المعروف بابن الورّاق، نحوي من نحاة بغداد، وهو ختن أبي سعيد السيرافي (زوج ابنته)، قرأ القرآن بروايات متعددة على ابن مقسم، وقد روى عنه من مصنفاته: علل النحو، وشرح مختصر الجرمي، وغيرها، وقد توفي سنة (٣٨١هـ). ينظر في ترجمته: أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، نزّهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٢٤٧، والفقطي (٦٤٦هـ)، إنباه الرواة، ٣/ ١٦٥، والسيوطي (٩١١هـ)، بغية الوعاة، ١/ ١٢٩.

(٩٤) هو أبو الحسن علي بن فضال بن علي الفرزدقي المجاشعي، نسبة إلى الشاعر الفرزدق المجاشعي التميمي أحد أجداده، نحوي لغوي مفسر، طاف بلداناً كثيرة ابتداء من مسقط رأسه المغرب، إلى أن استقر في نهاية المطاف في غزنة ثم في بغداد يُدرّس النحو واللغة، أخذ عن علماء المغرب، ومنهم مكي بن أبي طالب القيسي. من مصنفاته: إكسير الذهب، وشرح معاني الحروف، وشرح عيون الإعراب، ومقدمة في النحو، وتفسير القرآن المسمّى بـ (العميد)، وغيرها، وقد توفي سنة (٤٧٩هـ). ينظر في ترجمته: الفقطي (٦٤٦هـ)، إنباه الرواة، ٢/ ٢٩٩، والسيوطي (٩١١هـ)، بغية الوعاة، ٢/ ١٨٣، وابن العماد (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، ٥/ ٣٤٥.

(٩٥) ينظر: ابن كنان، الأشباه برُفَع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩/أ).

٤- الغموض في كثير من العبارات. وقد ظهر ذلك جلياً في الخاتمة التي تناول فيها موضوعين، مع أنه يهذب -كما عرفنا- ما في كتاب (الاقتراح)، إلا أن تصرفه الكبير وأسلوبه يجعلان العبارات غامضة جداً، ومن الصعب فهمها، كما سنرى لاحقاً.

توثيق عنوان الرسالة:

ذكر عدد غير قليل من العلماء هذه الرسالة ضمن مؤلفات ابن كنان، غير أنها قد وردت بأكثر من عنوان وقد يرجع هذا الاختلاف إلى احتمال العنوان عند قراءته لشكل من الأشكال التي أوردها العلماء سواء أكانت القراءة صحيحة أم خاطئة، أو إلى تحريف وتصحيف، وقد تضاف كلمة (رسالة) قبل العنوان، وقد لا تضاف. وهذه العنوانات هي:

١- الاشتباه برُفَع الاشتباه.

ذكره كارل بروكلمان بهذا الشكل^(٩٨) -بحسب ما تُرجم- وهو بلا شك خطأ في الرسم وتحريف بزيادة التاء في الكلمة الأولى، إذ المعنى والمحتوى العلمي لهذه الرسالة لا يمثله هذا العنوان.

٢- رسالة الأشباه برُفَع الاشتباه^(٩٩).

والعنوان يعني بذلك أن المؤلف ضم أشباهاً في هذه الرسالة بحيث أزال بها الشكّ والالتباس الواقع في العلل (من جهة تقسيمها وعدّها والتّمثيل لكلّ نوع منها، ومن جهة الرّد على من شكّك في قوّتها، والفرق بينها وبين علل المتكلمين والمتفقيين).

(الاقتراح)، حينما هذب مسألتين من مسائل الفصل الرابع من كتاب (الاقتراح) الذي تناول فيه السيوطي (ت ٩١١ هـ) العلة النّحوية، وهو من الكتاب الثالث الخاصّ بالقياس النّحويّ، إلا أنه لم يذكر السيوطي ولا كتابه (الاقتراح)، فكان من الواجب على ابن كنان تبيين ما نقله من كتاب (الاقتراح) بالعزو إليه، كي يميز حديثه من حديث من نقل عنهم جلال الدّين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، أو حتّى إرجاع الكلام إلى مظانه، فالسيوطي (ت ٩١١ هـ) كان يعزو -كما رأينا- الكلام إلى أصحابه.

٢- الرسالة تبدو كأنها مسوّدة للمؤلف؛ لذلك قد تؤخذ على المؤلّف بعض المآخذ العلميّة.

فمن ذلك أن ابن كنان ذكر أن عدد هذه العلل التي من القسم الأول من التّعليل أربعة وعشرون نوعاً^(٩٦)، بينما قام بشرح خمس وعشرين علة، وهو بهذا قد أضاف علة لم تكن عند السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ولا عند من نقل عنهم السيوطي (ت ٩١١ هـ)، وهي علة اقتصاد^(٩٧).

٣- عدم ذكر الغاية من هذه الرسالة في مقدّمها، كذلك عدم وضع تقسيمها تحت عناوين فرعيّة تكشف عمّا يريد الحديث عنه، سوى عنوان واحد، وهو (خاتمة) تناول فيها الرّد على من زعم ضعف علل النّحاة، كذلك قام فيها بالتّفريق بين علل النّحويّين وعلل المفقّهين وعلل المتكلمين.

(٩٨) ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٠٠/٨.
(٩٩) ينظر: محمد مطيع و نزار أباطة في: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثّاني عشر الهجري، ٢٤٧/٢، وابن كنان، حدائق الياسمين، مقدّمة التّحقيق، ص ٢٠.

(٩٦) ينظر: ابن كنان، الأشباه برُفَع الاشتباه في علل النّحو، (ق ٨٨/ب).
(٩٧) ينظر: ابن كنان، الأشباه برُفَع الاشتباه في علل النّحو، (ق ٨٩/أ).

واحد وبلون مداد واحد، وهي تؤكّد أيضًا صحّة العنوان المثبت هنا.

توثيق نسبة الرسالة إلى المؤلف:

لا ريب في أنّ رسالة (الأشباه برفع الاشتباه في علل النحاة) هي لابن كنان، وأدّل دليل على ذلك أنّ النسخة التي وقّف عليها في المكتبة الملكية في برلين هي بخط مؤلفها - كما سنعرف لاحقًا - أضف إلى ذلك ذكر اسم الرسالة ومؤلفها صراحة على صفحة عنوان النسخة المخطوطة^(١٠٢)، مع نسبة تأليفها إليه، وهو قوله: "عَلَّقَهَا لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ مُؤَلِّفُهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ، مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ الثَّقَاةِ عَيْسَى الْخَلَوَتِيُّ الصَّالِحِيُّ"^(١٠٣).

كذلك ممّا يؤثّق نسبة الرسالة لابن كنان أنّ كثيرًا من العلماء والمحقّقين نسب هذه الرسالة إلى ابن كنان دون أدنى شكّ في نسبتها، ومن أوائل هؤلاء العلماء: البغداديّ، وكارل بروكلمان، ووليم ألورد، وغيرهم^(١٠٤).

وصف نسخة مخطوط الرسالة:

وقّف على نسخة وحيدة لمخطوط هذه الرسالة، ولم يتيسّر الوقوف على نسخ أخرى لها بعد طول بحث وتنقيب في فهارس المخطوطات في المكتبات العربيّة والأجنبيّة.

٣- رسالة الأشباه برّفع الاشتباه^(١٠٠).

٤- الأشباه برّفع الإشتباه في النحو^(١٠١).

وهو من جهة اللغة قد يكون محتملاً؛ إذ (الإشباه) مصدر الفعل (أشبه) الرباعيّ المزيد، كـ(أعجم)، ومن معاني صيغة (أفعل) الإزالة، فهو بذلك يعني إزالة الشبه والإشكال الحاصل في العلل برفع الشكّ والارتباب عنها، غير أنّه لم يتبيّن قطع همزة مصدر الفعل (اشتبه)، والوجه وصلها كما هو معلوم، وهذا يؤكّد الخطأ المطبعيّ الواقع في هاتين الكلمتين في رسم الهمزة.

٥- الأشباه برّفع الإشتباه في علل النحاة.

هذا العنوان ورد في صفحة عنوانات المجموع، وورد أيضًا في عنوان المخطوط مع أنّ القطعة التي فوق همزة القطع غير مُراعاة في كتابة هذه الرسالة عمومًا، كذلك هذا العنوان هو الواقع في مقدّمة المؤلف، غير أنّ عبارة (في علل النحو) قد أضيفت على العنوان بلون مداد مخالف لما كتبت به صفحة العنوان، أمّا في المقدّمة فليست هذه الزيادة في أصل المتن، لكنّها أضيفت عليه في الهامش الأيسر من (ق/٨٨/ب)، وفي نهايتها كتبت (صح)، وهذا إثبات على أنّها من ضمن أصل المتن؛ ممّا يجعل العنوان المختار هنا هو العنوان الرَّاجح، أمّا في صفحة عنوانات المجموع فالزيادة من ضمن العنوان بخط

(١٠٢) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق/٨٨/أ).
(١٠٣) ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق/٩٠/أ).
(١٠٤) للتأكد من نسبة الرسالة لابن كنان ينظر في المصادر المذكورة في حواشي الجزئية السابقة من الدراسة (توثيق عنوان الرسالة).

(١٠٠) ينظر: البغداديّ، هدية العارفين، ٣٢٥/٢، وابن كنان: المواكب الإسلاميّة، مقدّمة التحقيق، ١٥١/١، والخطأ في رسم الهمزة بيّن كما يظهر من تتبع رسم الهمزة في الصفحة نفسها.
(١٠١) ينظر: عليّ الرضا وأحمد طوران، معجم التّراث العربيّ الإسلاميّ في مكتبات العالم، ٣٠٢٠/٤.

وهي مكتوبة في هوامش بعض صفحاتها، كلّ تعليق - في الغالب - محاط بخطّ بلون مداد أحمر بادئاً من المتن من الموضوع المراد التعليق عليه، وأغلب هذه التعليقات للمؤلف نفسه، وفيها نظام التعقيبية سوى صفحة واحدة، وقد نجد نقاطاً بلون مداد أحمر في ثنايا المتن، والمتن محاط بأطر بلون مداد أحمر، غير أنّه كنّز فيها السّقط في مواضع عدّة.

بدأت هذه النسخة بعد صفحة العنوان، وبعد البسملة بقوله: "الحمد لله حمداً يُوافي نعمة، ويُكافي مزيده، وصلى الله وسلّم على سيّدنا، وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد. . .

فهذه رسالة جامعة، ونجمة نيرة ساطعة، تتوقّد نوراً...^(١٠٧)، وانتهت بقوله: "...والجنّ والسيراط والميزان، فهذا ممّا لا مدخل للعقل فيه سوى النّقل. حقّق الله قلوبنا بالإيمان، وجعلنا مؤيّدين عنده بالبيان والبرهان، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله، وسلّم. علّقها لنفسه، ولمن شاء الله من بعده مؤلّفه العبد الفقير إلى مولاه، محمّد بن زين الثّقاة عيسى الخلوّتي الصّالحيّ. . ."^(١٠٨).

وقد كتبت هذه النسخة سنة ١١٥١هـ، وذلك في شهر جمادى الآخرة، ويعنى بذلك أنّها كتبت قبل وفاة المؤلّف بأقلّ من سنتين، لأنّه قد توفي سنة ١١٥٣هـ.

والنسخة يغلب على الظنّ أنّها بخطّ المؤلّف نفسه؛ يدلّ على ذلك أمران:

(١٠٧) ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النّحو، (ق/٨٨ب).
(١٠٨) ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النّحو، (ق/٩٠أ).

وهذه النسخة تُوجد في المكتبة الملكية في برلين (ألمانيا) تحت رقم (١٧٢٢. ٦٨٥٣we) ^(١٠٥)، والرسالة هي الكتاب الرابع ضمن مجموع يحمل ستة كتب (٦/٤)، وهذه الكتب هي:

الرسالة المفردة في أربعين حديثاً مسندة، والزّهور البهيّة في شرح رسالة الأصول الفقهيّة، والمعاني المرضيّة على الشّمة المضية، ورسالة الأشباه برفع الاشتباه في علل النّحا، والرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة، وإسناد المؤلّفين والمحدثين ^(١٠٦).

وعدد أوراق الرسالة ثلاث أوراق، في كلّ ورقة صفحتان، وهي واقعة من ترقيم المجموع من (ق/٨٨) إلى (ق/٩٠)، يتفاوت عدد الأسطر في كلّ صفحة منها ما بين (٢٦ - ٢٩) سطراً، وكذلك يتفاوت عدد الكلمات في كلّ سطر ما بين (٦ - ٩) كلمات، وقد كتبت بخطّ النسخ المعتاد، وروعي فيه الإعجام، ولم يراع المؤلّف الكتابة الصحيحة لرسم همزة القطع، وكذلك الهمزة المتطرفة بحسب قواعد الكتابة المتعارف عليها.

وهذه النسخة المعتمد عليها في التّحقيق تميّزت - في الغالب - بالوضوح وقلة التّصحيف والتّحريف، ووجود تعليقات توضّح مراد المؤلّف،

(١٠٥) ينظر: Ahlwardt, W. Verzeichniss der arabischen handschriften der Königlischen bibliothek zu Berlin, 6 P. 199.

(١٠٦) كذا ترتيب الكتب في صفحة عنوانات المجموع، والكتاب الأخير (إسناد المؤلّفين والمحدثين) يبدو أنّه لابن كنان؛ لأنّ جميع الكتب الموجودة في المجموع هي لابن كنان - كما عرفنا سابقاً - غير أنّه لم يتيسّر الوقوف على المجموع كاملاً حتّى يُطمأنّ إلى هذه النّسبة، ولم يوقف على هذا العنوان في فهرس المكتبة الملكية في برلين، ولا في غيره من المصادر والمراجع التي تناولت ابن كنان ومصنّفاته؛ لذا فلم يُورد هنا هذا الكتاب ضمن الحديث عن مؤلّفات ابن كنان.

وبعد بحث طويل^(١١٠) عما يرمز إليه هذا الحرف مع الشكل الذي فوقه تُوصِّل- فيما يُظن- إلى أنه رمز قد اصطلح عليه المؤلف للدلالة على أن هذا التعليق تعليقه، وحرف الميم يرمز إلى أول حرف من اسم المؤلف (محمد).

ولعل من أبرز القرائن التي ساعدت على الوصول إلى هذه النتيجة هو أن ابن كنان قال شارحاً إحدى عباراته في المتن: "أعني نون التَّنوين؛ لأنه حَرْفٌ قَطْعاً"^(١١١)، ثم أتبعه بالرمز السابق وتحتة حرف الميم.

وهذا يعني أن التعليق هو تعليق المؤلف نفسه حينما أسند الفعل للمتكلم.

أضف إلى ذلك أنه في إحدى مؤلفاته من المجموع نفسه الذي يحوي هذه الرسالة قد استخدم هذا الرمز بعد الانتهاء من تعليق له على المتن كاتباً تحتة (محمد)^(١١٢)، وفي مؤلف آخر من المجموع نفسه أيضاً كتب تحت الرمز (محمد)، ثم حرف (م)^(١١٣).

(١١٠) من صور البحث سؤال أهل التحقيق من ذوي الخبرة عن دلالة هذا الرمز، منهم الشيخ وائل بن عبد الله الزومى، والشيخ عبد الرؤوف بن محمد الكمالي، والشيخ محمد بن ناصر العجمي، وهم من أعلام المحققين المعاصرين في دولة الكويت، وقد تفضلوا عليّ بقبول مقابلة هذه النسخة بعد تحقيقها على النسخة الأصل تصحيحاً، فجزاهم الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

(١١١) ابن كنان، الأشباه برُفَع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩/أ)، وهو تعليقه الثالث في الهامش الأيمن من الصفحة.

(١١٢) ابن كنان، الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسمة، (ق ٩٨/أ)، وهو تعليقه الوحيد في الهامش الأيمن من الصفحة. وهذا المخطوط من نسخة المكتبة الملكية في برلين، تحت رقم ١٧٢٢ we (٧٢٨٣).

(١١٣) ابن كنان، المعاني المرضية على الشئعة المضية، (ق ٦١/ب)، وهو تعليقه الأول في الهامش الأعلى.

وهذا المخطوط من نسخة المكتبة الملكية في برلين التي تحت رقم ١٧٢٢ we (٦٧٧١).

١- جاء في آخرها: "عَلَّقَهَا لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ مُؤَلِّفُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ، مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ الثَّقَاةِ عَيْسَى الْخُلُوتِيِّ الصَّالِحِيِّ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ، سَادِسِ عَشْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، الْكَائِنِ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ وَاحِدٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ"^(١٠٩).

وإن كان ما في هذه الخاتمة من الدلائل الاحتمالية على أن النسخة بخط المؤلف، وأن هذا التاريخ هو تاريخ النسخ لا التأليف إلا أن هناك ما يقطع بأن هذا التاريخ هو تاريخ التأليف والنسخ معاً، وأن هذه النسخة هي مسودة بخط مؤلفها، وهو ما سيأتي في النقطة التالية.

٢- أغلب التعليقات الموضحة للمتن (التي في هوامش الصفحات) هي للمؤلف، وبخطه، فشكل الخط واحد، ولون المداد للمكتوب في المتن وفي الهوامش ووضوحه كان واحداً وبدرجة واحدة.

ومن أقوى الدلائل على أن هذه التعليقات للمؤلف وبخطه تكرار رمز كان يكتب عند نهاية كل تعليق-في الغالب-، وهو رمز شبيه بما يكتب فوق الألف دالا على أن الهمزة ممدودة بالألف (~)، وتحت هذا الرمز يكتب حرف الميم المفردة (م)، وقد يكفي في بعض الأحيان بحرف الميم بعد نهاية التعليق دون الرمز، وهذا الرمز مع حرف الميم المفردة لا يدل كما يُظن لأول وهلة عند النظر إليه على التقديم أو الكلام المؤخر كما هو متعارف عليه عند أهل التحقيق.

(١٠٩) ابن كنان، الأشباه برُفَع الاشتباه في علل النحو، (ق ٩٠/أ).

- ٢- كتابة نص الرسالة وفق القواعد الإملائية الشائعة، مع الضبط الكامل بالتشكيل للكلمات.
- ٣- إثبات رقم ورقات الأصل في المتن بين قوسين معقوفين [] .
- ٤- محاولة معالجة السقط والتحريف والتصحيح الواقع في المتن، وذلك بالرجوع إلى من نقل عنهم المؤلف، مع التنبيه على ما غمض من عبارات المؤلف في الحاشية، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.
- ٥- توثيق ما نقله المؤلف بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الآراء أو الأقوال أو الشواهد النثرية من مظانه في الحاشية.
- ٦- كتابة الآيات الواردة في المتن بالرسم العثماني، مع تخريجها في الحاشية.
- ٧- لما خلت الرسالة من العناوين الفرعية التي تعين على بيان النص، أضيفت بعض العناوين بين القوسين المعقوفين []، ثم يُنبّه على أنها زيادة في الحاشية، كذلك زيدت أرقام قبل كلّ علة.

وعلى ذلك ففي هذه الرسالة لما اتفق خط المتن والخط الذي كتبت به التعليقات، مع اتفاق درجة الوضوح واللون، وما في الخاتمة التي خُتمت بها الرسالة، فقد دلّ كلّ ذلك على أنّ هذه النسخة بخط المؤلف نفسه، وأنها -كما يبدو- مسودة لوقوع بعض السقط والشطب فيها والهفات النحوية اليسيرة كما في كتابة تاريخ التأليف والنسخ الذي مرّ بنا في الصفحة السابقة.

ومع خطورة الاعتماد على النسخة الوحيدة في التحقيق عمومًا إلا أنّ نفاسة هذه النسخة مع أهمية الموضوع الذي تحويه كان من الواجب عدم إهمالها، وإصلاح ما وقع فيها من الهفات.

منهج التحقيق:

قد اتُّبع في تحقيق هذه الرسالة المنهج الآتي:

- ١- إظهار نص الرسالة كما أورده مؤلفه، مع تعديل الخطأ بحسب ما يقتضيه السياق؛ لأنّ به يكتمل مراد المؤلف، مع إيراد التوضيحات المهمة المصاحبة للنص في الحواشي.

نماذج من المخطوط:



صورة صفحة العنوان في المكتبة الملكية في برلين



صورة الصفحة الأولى (ق ٨٨/ب) من نسخة المكتبة الملكية في برلين



صورة الصفحة الأخيرة (ق ٩٠/أ) من نسخة المكتبة الملكية في برلين

ثالثاً: النصّ المحقّق:

الاشتباه، وسمّنتها برسالة: الأشباه برّفْع الاشتباه [في علل النّحاة]^(١١٨)، وهو حسبي.

[نوعا العلل عند النّحويّين والغاية منهما:]

اعلم أنّ اعتلال النّحويّين على قسمين: علّة تطرّد على كلام العرب، وتتّساق إلى قانون لغتهم، وعلّة تظهر حكمتهم، وتكشف عن صحّة أغراضهم ومقاصدهم. والأولى أكثر من الثانية.

[تعداد العلل الأولى وأنواعها:]

ومدار تلك العلل على وجه المقداريّة أربعة وعشرون نوعاً^(١١٩)، وهي:

- (١) علّة سماع، نحو: امرأة ثدياء^(١٢٠)، ولا يقال: رجل أئدى؛ ليس له علّة سوى السّماع.
- (٢) وعلّة تشبيه، مثل إعراب المضارع لمشابهته الاسم في وقوعه صفةً وصلّةً وحالا وخبراً، وعلّة بناء [الاسم]^(١٢١) لمشابهة الحرف بالوضع، [نحو: (من)

[٨٨/أ] رسالة الأشباه برّفْع الاشتباه في علل

النّحاة

تأليف العبد الفقير إلى مولاه العنّيّ محمد بن زين النّقا عيسى الخلوّتي الصّالحيّ الحنفيّ، عامّله المولى بلطفه الحفّي، وأجزّاه على برّه الحفّي، وهو حسبي، ونعم الوكيل. والحمد لله تعالى وحده.

[٨٨/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافي مزيده، وصلى^(١١٤) الله وسلّم على سيّدنا [محمد]^(١١٥)، وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد. . .

فهذه رسالة جامعة، ونجمة نيرة ساطعة، تتوقّد نوراً، وتوجب لحسنها سروراً وحبوراً، تنمّم^(١١٦) فيها علل النّحاة، ويزول لحسن لطفها شواكل^(١١٧)

ما فيها ما تشعب وتشتت من مواقف العلماء بسبب الشك والارتباب واللبس فيها كما ذكر في خاتمة الرسالة.

(١١٨) الزيادة هنا من الهامش الأيسر من (٨٨/ب)، وفي نهاية هذه العبارة كلمة (صح)، وكما هو معلوم يعني ذلك أنها ساقطة من المتن.

(١١٩) عدّ ابن كنان خمساً وعشرين علّة، فزاد علّة على هذا التّعداد.

(١٢٠) في الأصل (ثدي) بالياء، وهو تحريف. وما أثبت في المتن هنا قد ورد في كتب اللغة وفي الاقتراح، ص ٢٥٧، وفي شرحه يقول ابن الطيّب الفاسي: "قوله: (ثدياء) بفتح المثلثة وسكون الذال المهملة وفتح التّحتيّة، مقصوداً في نسخ (الاقتراح)، وممدوداً في الكتب الصّرفيّة (والقاموس) والصحاح، وهو الذي يقتضيه القياس، أي: عظيمة الثديين" (فيض نشر الانشراح، ٨٧٦/٢).

وامرأة ثدياء، أي: عظيمة الثديين، ولا يأتي من هذه الصّفة (أفعل) كما يأتي من غالب أفعال فعلاء كاحمر حمراء، وأدعج دعجاء. ينظر: الأزهرّي (٣٧٠هـ)، محمد، تهذيب اللغة، (مادة: ثدي)، ١٤/١٠٧، و الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، محمد، القاموس المحيط، (مادة: ثدي)، ١٢/٦٦، والزبيدي (١٢٠٥هـ)، مرتضى محمد، تاج العروس، (مادة: ثدي)، ٦٧/٢٣٨.

(١٢١) في الأصل سقطت (الاسم)، وما أثبت هنا في المتن هو المناسب للسياق، وقد ورد في (الاقتراح، ص ٢٥٨): "وعلّة تشبيه: مثل إعراب المضارع لمشابهته الاسم، وبناء بعض الأسماء لمشابهتها الحروف". وكلمة (علّة) في المتن معطوفة على (إعراب)، والتعليل هنا لبناء بعض الأسماء تابع لعلّة المشابهة، فهو مثال ثان لهذه العلّة بعد تمثيله لعلّة إعراب الفعل المضارع، وليس علّة مستقلة كما يبدو ظاهر قراءة الأصل.

(١١٤) في الأصل (صلي) بالياء المعجمة، ولعله أراد فعل الأمر، ولكنه أشبع كسرة اللام؛ فتولد منها الياء. وما أثبت في المتن يحتمله السياق أيضاً، فالأسلوب خبري خرج إلى معنى الدّعاء.

(١١٥) في الأصل سقطت كلمة (محمد)، وهذه الزيادة يقتضيهما السياق.

(١١٦) النّم: تزيين الكلام بالكذب (الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، محمد، القاموس المحيط، (مادة: نّم)، ١١/٦٤)، والفعل منه: نَمَّ يَنُمُّ. وهنا الفعل مبني لما لم يُسمّ فاعله، والتّضعيف للمبالغة.

ولعله أراد الفعل (تَنَمَّمَ) مبنيًا لما لم يُسمّ فاعله، فيكون في المثبت تحريف، وهذا الفعل بمعنى: تزيّن وتزخرف وترفّق وتخط.

ينظر: الجوهرّي (٣٩٣هـ) الصحاح، (مادة: نّم)، ٥/٢٠٤٦، ابن منظور (٧١١هـ)، ومحمد بن مكرم، لسان العرب، (مادة: نّم)، ١٢/٥٩٢، والزبيدي (١٢٠٥هـ)، مرتضى محمد، تاج العروس، (مادة: نّم)، ٣٤/١١.

(١١٧) في الأصل (سواكل)، ومن المعلوم أنّ الثّنين بخطّ النّسخ تُجمع، وقد كتبت هذه الرسالة بخطّ النّسخ، والثّنين المعجمة مطردة في كتابة باقي الرسالة. فلعلّ الصّواب ما أثبت هنا في المتن.

ولعلّ ما ثبت هنا هو المناسب للمعنى المراد، فـ (سواكل) جمع (شاكلة)، وهي تعني: النّاحية والطريقة، فيقال: هذا طريق ذو سواكل، أي: تشعب منه طرق (الأزهرّي (٣٧٠هـ)، محمد، تهذيب اللغة، (مادة: شكل)، ٦/٥٤، وابن منظور (٧١١هـ)، لسان العرب، (مادة: شكل)، ١١/٣٥٦).

فيصح مراد ابن كنان هنا أنّ هذه الرسالة بما تحويه من مادة علميّة متعلّقة بالعلل وتعيينها وترتيبها وفائدتها وغير ذلك ممّا ذكره يزول لحسن

(٩) وعلة نقيض، مثل: نصب النكرة [ب(لا)]^(١٢٧)، حملا على نقيضها، وهو (إن).

(١٠) وعلة حمل معنوي، مثل: ① فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ②^(١٢٨) [أ/٨٩]، ذكر فعل الموعظة، وهي مؤنثة، حملا على المعنى، وهو الوعظ.

(١١) وعلة مُشاكلة، كقوله^(١٢٩): ① سَلَا سِلَا ② وَأَغْلَا ③^(١٣٠).

(١٢) وعلة مُعادلة، مثل: جرهم ما لا ينصرف بالفتحة نيابة عن الكسرة حملا على النصب بالكسرة نيابة عن الفتحة في جمع المؤنث السالم.

(١٣) وعلة مجاورة، نحو قولهم^(١٣١): جُحِرُ ضَبٍّ حَرْبٍ^(١٣٢)، وكسر دال ① الحَمْدُ لله ②^(١٣٣)؛ لمجاورتها لام (لله).

المُؤْصُولِ^(١٣٤)، والافتقار، [كالموصول]^(١٣٥)، والتَّصْمُنُ^(١٣٦).

(٣) وعلة استغناء، كقولهم في (ودع): تَرَكَ^(١٣٧).

(٤) وعلة استتقال [كاستتقالهم الواو في (يعد)]^(١٣٨)؛ لوقوعها بين فتح وكسر بحذف الواو استتقالا؛ لوقوعها بين كسر وياء.

(٥) وعلة فَرَقٍ، كرفع الفاعل، ونصب المفعول، وفتح نون الجمع، وكسر نون التثنية.

(٦) وعلة تأكيد، مثل: إدخالهم نُونَ الخفيفة أو الثقلية في فعل الأمر.

(٧) وعلة تَعْوِيضٍ، مثل: تعويضهم الميم في (اللهم) عن حرف النداء.

(٨) وعلة تَظْهِيرٍ، مثل: كسرهم أَحَدَ الساكنين إذا التقيًا في الجزم حملا على الجر؛ لأنَّه نظيره.

(١٢٧) هذه الزيادة من (الاقتراح ص ٢٦٠)، وما في الهامش الأيسر من صفحة المخطوط يوضح أنَّ مراده (لا) النافية للجنس.

(١٢٨) سورة البقرة، آية: ٢٧٥. وقراءة التذكير في (جاءه) هي قراءة عامة القراء، وقرأ أبي بن كعب والحسن بتأنيث الفعل (جاءته). ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، ٣٤١/١، والكشاف، للزمخشري (٥٣٨هـ)، ٣٢١/١، والمحزر الوجيز، لابن عطية (٥٤٢هـ)، ٣٧٢/١، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، ٣٤٩/٢، والذر المصون، للسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، ٦٣٤/٢، ومعجم القراءات القرآنية، أحمد مختار، وعبد العال سالم، ١/٢١٥، ومعجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ١/٤٠٢.

(١٢٩) في الأصل (كقولهم) بالإضافة إلى ضمير الجمع، والصواب ما أثبت هنا في المتن؛ لأنَّ الضمير لله سبحانه وتعالى، ويحتمل ما أثبت في الأصل أن يكون مراده من الضمير هم القراء أصحاب هذه القراءة، فيكون ما أثبت في الأصل هو الصواب.

(١٣٠) سورة الإنسان، آية: ٤. ولهاتين الكلمتين أكثر من قراءة، والقراءة المقصودة هنا هي قراءة من قرأ بتنوين (سلا سلا) بالفتح وقفاً ووصلا، وممن قرأ بذلك من القراء: نافع والكسائي وأبو جعفر وأبو بكر عن عاصم وغيرهم. ينظر في هذه القراءة وغيرها من القراءات: معاني القرآن، للقرآن، ٢٠٧هـ، ٣/٢١٤، والسبعة في القراءات، لابن مجاهد (٣٢٤هـ)، ص ٦٦٣، وإعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، ٩٧/٥، والحجة في القراءات السبعة، لابن خالويه (٣٧٠هـ)، ص ٣٥٨، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ)، ٣٥١/٦، والكشاف، للزمخشري (٥٣٨هـ)، ٦٦٧/٤، والمحزر الوجيز، لابن عطية (٥٤٢هـ)، ٤٠٩/٥، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، ٣٨٧/٨، والذر المصون، للسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، ٥٩٦/١٠، ومعجم القراءات القرآنية، أحمد مختار، وعبد العال سالم، ١/٢٠، ومعجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ١/٢٠٧.

(١٣١) في الأصل (قولك) مضافة إلى ضمير المخاطب، والصواب ما أثبت هنا، لأنَّ القول الآتي قول ماثور عن العرب.

(١٣٢) هذا قول ماثور عن العرب تنقله اللغويون والنحاة، يقول القراء: "ومما يرويه نحويونا الأولون أنَّ العرب تقول: هذا جحر ضبٍّ

(١٢٢) هذه الزيادة مكتوبة بين السطرين، والذي رجَّح أنَّها في أصل المتن، وليست شرحاً أو تعليفاً، هو أنَّ الشرح والتعليق كتبهما المؤلف في هوامش الصفحات وحواشيها بصورة مطردة، فلو كانت هذه الزيادة شرحاً أو تعليفاً لكتبت في الهوامش والحواشي كسائر شروحه وتعليقاته وتوضيحاته.

(١٢٣) هذه الزيادة مكتوبة أيضاً بين السطرين، ورجَّح أنَّها من أصل المتن المرَّجَّح السابق للزيادة السابقة.

(١٢٤) علق في الهامش الأيسر من (٨٨/ب) تعليقين، الأول هو: "مثال الافتقار بناءً الموصول، نحو: الذين؛ لافتقاره إلى الصلة والعائد". وهذه العلة لبناء سائر الموصول، فليست مقتصرة على (الذين) فقط. أمَّا التعليق الثاني، فهو شرح لتمثيلة لعلَّ بناء الاسم لمشابهته الحرف من جهة التضمن، وهو: "مثل (كيف) في تضمن معنى الاستفهام".

(١٢٥) في الأصل تحريف، وعبارة الأصل: "كقولهم في (ودع): دَع". والمثبت هنا هو الصواب كما هو معلوم؛ إذ العرب استغنت بالفعل (تَرَكَ) عن (ودع) في الماضي. ينظر مثلاً: ابن السراج، الأصول في النحو، ٥٧/١، والفارسي، المسائل العسكرية، ص ٧٦، والرُّماني، شرح كتاب سيبويه، ١/٤٦١، وابن جني، الخصائص، ٩٩/١.

(١٢٦) في الأصل سقط ما بين القوسين، وهذه الزيادة من (الاقتراح) وشرحيه، وهي مناسبة للسياق؛ إذ لم يُمثل لهذه العلة، والشرح المثبت في الأصل يقتضي هذه الزيادة، ففي الأصل وردت العبارة بهذه الصورة: "ولة استتقال؛ لوقوعها بين فتح وكسر بحذف الواو استتقالا؛ لوقوعها بين كسر وياء".

وقد ورد توضيح في الهامش الأيمن من (٨٨/ب): "مثل: (يؤفي)، من (وفي)، فيه حذف الواو لوقوعها بين فتح وكسر، فقالوا: يفي، بحذف الواو لما قلنا". وقد كتبت الألف المقصورة (وفا) قائمة وليست على صورة الباء.

فَعَلَّلْنَاهُ بِمَا ذُكِرَ مِنْ ظُهُورِ الْحِكْمَةِ فِيهِ بِالنُّكْتِ
الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ^(١٤٧).
وظهورها^(١٤٨) كرامةً وَشَرَفٌ لِلِّسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ لِأَنَّهُ
أَشْرَفُ مَوْضُوعٍ فِي الْأَصْلِ الْمُبْنِيِّ عَلَى أَسْرَارٍ
وَدَقَائِقٍ^(١٤٩)، تَحِيرُ فِيهَا الْأَفْكَارُ، وَظَهَرَتْ كَالشَّمْسِ
فِي الرَّابِعَةِ مِنَ النَّهَارِ^(١٥٠).

فَكَانَتْ لَوَجْهِ مُسْتَعْمَلٍ^(١٥١) دُونَ غَيْرِهِ لِمَعْنَى
وَاسْتِثْنَاءٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَظْهَرْ شَرَفُهُ^(١٥٢)،
و[تِلْكَ]^(١٥٣) الْمَعَانِي وَالْأَسْرَارُ لَا تَظْهَرُ إِلَّا فِي هَذَا
اللِّسَانِ ذِي الْاِفْتِحَارِ.

وَلِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ، وَأَنْسُهُ وَمُنَاسَبَاتُهُ مِمَّا
لَا يُنَاسِبُ إِلَّا بِالْجِنَانِ^(١٥٤)، وَغَيْرُهُ لَا تُوجَدُ فِيهِ هَذِهِ

فَتَحَلَّلَ دَلِيلٌ إِلَى دَلِيلَيْنِ^(١٤٠)، وَدَلِيلُ الدَّلِيلِ كَالْعِلَّةِ
الْوَاحِدَةِ^(١٤١).

خاتمة: [الرّد على من يرى ضعف علل النحو:]

وَاعْلَمْ أَنَّ عِلَلَ النُّحَاةِ فِي غَايَةِ مِنَ الْوَثَاقَةِ،
إِذَا تَأَمَّلْتَ عِلَلَهَا عِلِمْتَ أَنَّهَا غَيْرُ مَذْخُولَةٍ.

وَأَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ -لَعَلَّهُ مَمَّنْ
لَا يَعْرِفُ النَّحْوَ- مِنْ أَنَّ عِلَلَ النَّحْوِ تَكُونُ وَاهِيَةً بَعْدَ
الْوُقُوعِ؛ فَهِيَ تَابِعَةٌ بَعْدَ وُجُودِ الشَّيْءِ^(١٤٢)، فَبَعِيدٌ عَنِ
الْحَقِّ، لَوْ دَقَّقَ الْفِكْرَ، وَرَيَّضَ الذِّهْنَ^(١٤٣)؛ لِأَنَّا إِذَا
تَأَمَّلْنَا الصِّعَّ وَالْأَوْضَاعَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَعَلِمْنَا
أَنَّ كُلَّهَا أَوْ بَعْضُهَا مِنْ وَضْعِ الْحَكِيمِ^(١٤٤)، طَلَبْنَا
وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْخَاصِّ بِالْحَالِ الَّتِي
عَلَيْهِ دُونَ اللَّفْظِ الَّذِي كَانَ يُمَكِّنُ اللَّفْظُ بِهِ فِي الْكَلَامِ،
وَيَفِيدُ الْمَعْنَى الْمَرَامَ^(١٤٥)، لَكِنْ اخْتَصَّ الِاسْتِعْمَالُ
بِهَذَا دُونَ الْآخِرِ لِحِكْمَةٍ، لِأَنَّ أَفْعَالَهُ وَضِعَتْ عَلَى
الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ^(١٤٦).

وذلك في كتابه: المستوفى في النحو، (٨/١)، وقد نقله أيضًا جلال الدين السيوطي معرّوًا إلى ابن الفَرَّخَانِ مُكْنًى عنه بقوله: (صاحب المستوفى) وذلك في بداية حديثه عن العلة في الفصل الرابع من الكتاب الثالث الذي خصّه للقياس النحوي. ينظر: الاقتراح، ص ٢٤٩-٢٥١، وداعي الفلاح لمختبات الاقتراح، ص ٤٣٢-٤٣٤، وفيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٨٤٣-٨٤٦. (١٤٧) في هذا الكلام إشارة إلى أن التعليل خاص باللسان العربي وحده، فلا يوجد في اللغات الأخرى. وهذه مصادرة مفتقرة إلى الاستقراء التام لسانر الألسن.

(١٤٨) الضمير (ها) عائد على الحكمة.
(١٤٩) هناك زيادة ليست في متن الأصل ختمت بـ(صح)؛ مما يدل على أنها من المتن، وهي في الهامش الأيمن من (٨٩/ب)، وهو قوله: "وفنون البلاغة التي في نوع المعاني والبديع". غير أنه قد غمض على الباحث موضعها هنا في المتن، فلم يلحقها به.
(١٥٠) لعل مراده أن إظهار الحكمة في الأوضاع الخاصة باللسان العربي هو شرف لها؛ لما لهذا اللسان من شرف، ولعله يقصد بالشرف الثاني المكانة التي اكتسبها اللسان العربي بسبب ما حواه من أسرار ودقائق وفنون من البلاغة التي تظهر في المعاني والبديع، فمن هذه الأسرار والدقائق معرفة الحكمة من اختيار اللفظ في الموضع الخاص.
(١٥١) الجملة فيها كلمة صعبت قراءتها، ولم يتضح لها وجه عند قراءتها إلا ما ثبت في المتن، ويكون المعنى عليها: أن العلة تكون للوجه المستعمل في اللسان العربي، أي أنها تبحث عن سر استعمال لفظه أو تركيب أو اختيارهما في موضع خاص دون غيرهما من الألفاظ والتراكيب غير المستعملة، أو غير المختارة في هذا الموضع الخاص.
(١٥٢) لعله يريد أن يقول: إن اختيار اللفظة أو التركيب في الموضع الخاص لم يكن اختيارًا اعتباطيًا، بل كان لمعنى ما مقصود، واستنادًا على أمر ما معتبر، يجعل هذا الاختيار من القوة والاعتبار بمكان.
(١٥٣) في الأصل تحريف (وذلك)، والمثبت هو على اعتبار الإشارة إلى (المعاني والأسرار).
والواو هنا تكون للاستئناف البياني.

(١٥٤) هذا ما تمكن من قراءة هذه العبارة، وعليه فمراده هنا ذكر خصيصه من خصائص اللسان العربي، وهو أنه لسان أهل الجنة؛ ذلك لما اختص به في كل ما سبق ذكره من مؤانسة ومناسبات وضعيّة جعلته

ويستعمل أيضًا مسلًا من مسالك العلة كما عند جلال الدين السيوطي ومن تبعه، وقد مثلوا لها بأكثر من مثال، منها الاستدلال على اسمية (كيف) كما ذكر هنا نقلًا عن ابن فلاح (٦٨٠هـ) في كتابه (المغني في النحو، ٨٤/٢)، مع أن ابن فلاح ذكر السير والتقسيم دليلًا من أدلة اسمية (كيف). ينظر: الاقتراح، ص ٣٢٢، وداعي الفلاح، ص ٥٣٦-٥٣٧، وفيض نشر الانشراح، ٩٨٠-٩٨٢، وارتقاء السيادة، ص ٨٠، مع التنبيه على أن الشاوي لم يتبع السيوطي في التمثيل سوى مثال اسمية (كيف)، فلم يذكره.
(١٤٠) أي: دليل نفي حرفيتها، ودليل نفي فعليتها.
(١٤١) أي أن دليلي نفي الحرفية عن (كيف) ونفي الفعلية ليسا مستقلين بالتعليل عن اسميتها، فالدليلان يعدان علة لاسمية (كيف).
(١٤٢) مراده أن النحاة عللوا الأحكام بعد وقوع هذه الأحكام باستنباطها من استقراء كلام العرب، فالعلل تابعة للأحكام؛ لأن العلة هي كالأشباب التي يكون وجود الشيء تابعًا لها.
(١٤٣) أي: دُلِّلَ ذهنه بالتدريب على إعماله، فالترويض لغة: التذليل. ينظر: لسان العرب، مادة (روض)، وتاج العروس، مادة (روض).
(١٤٤) الحكيم هو الله سبحانه وتعالى، وكلام ابن كُتَّان مبني على القول بالتوقيف في اللغة.

(١٤٥) يقصد هنا البحث عن علة استعمال لفظ دون آخر في موضع خاص، أي: في تركيب معين مقصود، مع أن كليهما قد يعبر عن المعنى المراد، واختيار أحد اللفظين في هذا الموضع الخاص يدفع إلى البحث عن وجه الحكمة في اختيار لفظ دون آخر؛ لأنه يعبر عن المعنى الذي دل عليه اللفظ المختار.

(١٤٦) كلام ابن كُتَّان في الخاتمة من قوله: (واعلم أن علل النحاة...) إلى قوله: (... على الحكمة البالغة) هو كلام ابن الفَرَّخَانِ بتصرف،

الخواص [٩٠/أ] [وَمَعَانِي الذِّكَا] ^(١٥٥) الخاص، وصار بهذا في غاية الأمل، ونهاية السؤل، مما لا يخفى من وصف هذا اللسان بالبيان والبلاغة والفصاحة دون غيره.

وبقية اللغات لم يظهر لها نكات موضوعة بالموضع الساذج ^(١٥٦)، وهذا من الأدب؛ حتى لا يرد في وضع نحو بين الرصفة؛ لُحِقَ اللَّفْظُ عَنِ النُّكَاتِ؛ لأنه مبني من حين الوضع على هذه النكات التي بيّنها لنا سبحانه، فلها شرفٌ وحيدٌ، ومقامٌ فريدٌ.

[الفرق بين علل النحويين وعلل المتكلمين والمتفقيين:]

قَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّانِ ^(١٥٧): إِنَّ عِلْلَ النُّحَاةِ أَقْرَبُ إِلَى الْمَعَانِي مِنْ عِلْلِ الْكَلَامِ وَالْفَقْهِ ^(١٥٨)؛ لِأَنَّ

المستحقّ لأن يكون لسان أهل الجنان، فهو المناسب لها كي يكون لساناً لأهلها.

والقول بأن لسان أهل الجنة عربي فيه خلاف مشهور عند المتأخرين من العلماء، غير أن من عين لغة تخاطب ما لأهل الجنة أو لأهل النار ليس على ما ذهب إليه دليل من جهة العقل أو النقل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٧٢٨هـ). ينظر: ابن تيمية ^(٧٢٨هـ)، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ٤/ ١٨٥.

وما روي من الأحاديث في هذا الشأن حكم عليها العلماء بالضعف أو الوضع، وذلك من نحو ما رواه الحاكم النيسابوري ^(٤٠٥هـ) في (المستدرک علی الصحیحین)، حديث رقم (٧٠٧٨)، ٤/ ١٨٣، والبيهقي ^(٤٥٨هـ) في (الجامع لشعب الإيمان)، حديث رقم (١٣٦٤)، ٣/ ٣٤٣، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "أحبوا العرب ثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي". ينظر: العراقي ^(٨٠٦هـ)، عبد الرحيم بن الحسين، حجة القرب إلى محبة العرب، ص ٨٩-٩٢، ٤٣٥-٤٣٦، والألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم ^(١٧٣هـ)، ص ٢٦.

^(١٥٥) سقطت الكلمتان من بداية (٩٠/أ)، وهما مثبتتان في تعقيبة (٨٩/ب).

^(١٥٦) (الساذج) البسيط أو الواضح. وظاهر الكلام بيدي معرفة ابن كنان باللغات الأخرى، فمعنى كلامه هنا أن باقي اللغات ليست كاللسان العربي في أنه ليس فيها نكات (تعليقات) في اختيار تركيب ما أو لفظة ما. ^(١٥٧) تحتمل كلمة (الشان) في المخطوط أن تكون (اللسان)، فيكون في اللفظ تحريف بسقوط اللام.

وهنا إشارة إلى ابن جني كما سنرى لاحقاً، فهو الذي تناول الفرق بين علل النحويين وبين علل المتكلمين والمتفقيين.

^(١٥٨) ما ذكره ابن جني، ونقله عنه جلال الدين السيوطي في (الاقتراح)، ومن تبعه من الشراح، هو الحديث عن أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين، لكن ابن كنان تصرف فيه بأن ساق مقارنة بين علل كل علم من جهة قربها إلى المعاني كما هو ظاهر من كلامه. فالذي نقله جلال الدين السيوطي عن ابن جني بتصرف يسير هو قوله: "اعلم أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين؛ وذلك أنهم إنما يحيلون على الحسن، ويحتجون فيه بثقل

النحاة يحيلون فيه إلى الحسن ^(١٥٩)، وليس كذلك علل الفقه؛ لأنها أعلام و أمارات لوقوع الأحكام ^(١٦٠) كما في علل الزكاة؛ لدفع حاجة الفقير، واستحباب الأذان؛ لما فيه من الإعلام، وعلل المتكلمين عقلية.

وعلى ^(١٦١) قد يستغنى عنها ^(١٦٢)، ويكون تعديداً، لا يعقل معناه ^(١٦٣)، وذلك في كثير من الركعات؛ لأنها تعبدية وإيمانية ^(١٦٤)، والتعبدية ليس إلا فيه الامتثال لا غير.

والتعبدية: كما في السعي بين الصفا والمروة والتجرد ^(١٦٥)، والإيماني: التكليف بالإيمان، وهو التصديق بما غاب عنا مع بُعد العقل عنه، كالعذاب

الحال أو خفيها على النفس، وليس كذلك علل الفقه" (الاقتراح، ص ٢٥١)

^(١٥٩) في الأصل (لأن الباني يحيلون...)، فلعل مراده بـ(الباني) النحوي الباني للأحكام بهذه العلل، وعليه لا وجه لضمير الجمع في (يحيلون). ولعل الصواب هو ما أثبت هنا (لأن النحاة يحيلون...)، وهو ما يفهم من ابن جني في خصائصه (٤٨/١)، وما نقله عنه السيوطي في (الاقتراح، ص ٢٥١)، والمناسب أيضاً للسياق، وعود ضمير الجمع في (يحيلون).

^(١٦٠) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق، فالواضح أن هنا سقطاً؛ إذ التعليان الأتيان من التعليقات الفقهية لا الكلامية، أضف إلى ذلك أن ابن كنان يفرق بين علل النحويين والمتفقيين والمتكلمين، ولم يذكر المتفقيين. فلعل المناسب للمعنى أن يكون هذا التقدير كما في (الخصائص، ٤٨/١، والاقتراح، ص ٢٥١).

^(١٦١) الظاهر أن (علل) اسم معطوف على (أعلام) في قوله (لأنها أعلام وأمارات لوقوع الأحكام...)، فابن كنان يقسم العلل الفقهية إلى قسمين. ^(١٦٢) في الأصل (عنه)، ولعل المناسب ما أثبت هنا (عنها)؛ لأنه - فيما يبدو - يعود على العلل. ومعنى كلامه: أن هناك نوعاً من علل الفقه يستغنى عنها لجعلها بها، وهي علل كثير من الأحكام التعبدية.

^(١٦٣) ظاهر كلام علماء أصول الفقه أن علل الشرع منها ما يكون أمارات للأحكام، ومنها ما لا يعقل معناها، والعلل التي لا يعقل معناها ليست أمارات للأحكام، وقد يختلفون في تسمية كل نوع. ينظر: الخصائص (٣٧٠هـ)، أحمد بن علي، الفصول في الأصول، ٤/ ١٤١، والزركشي (٧٩٤هـ)، محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، ٤/ ١٠٢. ^(١٦٤) أي أن جعل الصلوات المفروضة خمس صلوات، وتخصيص كل صلاة بعدد من الركعات ممّا لا يعرف علته. ينظر: ابن جني (٣٩٢هـ)، الخصائص، ٤٨/١.

^(١٦٥) يقصد به (التجرد) هنا تجرد الإحرام في الحج والعمرة، وهو نزاع كل ليس مخيط للمحرم، وهو من واجبات الإحرام. ينظر مثلاً: القزويني (٦٢٣هـ)، عبد الكريم بن محمد، فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير)، ٣/ ٣٨٠، والأنصاري (٩٢٦هـ)، زكريا بن محمد، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ١/ ٤٧٢.

عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، القاهرة،
١٩٦١م.

—، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد
الأفغاني، ط١، مطبوعات الجامعة السورية،
دمشق، ١٩٥٧م.

—، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: د.
إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، عمان،
١٩٨٥م.

الأنصاري (٩٢٦هـ)، زكريا بن محمد، أسنى
المطالب في شرح روض الطالب
(وبهامشه: حاشية الرملّي تجريد الشوبري،
تحقيق: محمد الزهري الغمراوي، الطبعة الميمنية،
القاهرة، ١٣١٣هـ).

بروكلمان، كارل تاريخ الأدب العربي، أشرف على
ترجمته: محمود فهمي حجازي، بالتعاون مع: د.
صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

البغداديّ (١٣٩٩هـ)، إسماعيل بن محمد، هدية
العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،
بغناية: وكالة المعارف الجليّة بإستانبول،
١٩٥١م، أعادت طبعه: دار إحياء التراث،
بيروت.

الجصاص (٣٧٠هـ)، أحمد بن علي، الفصول في
الأصول، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، ط٢، وزارة
الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٤م.

والنَّعِيمِ وكلامِ اللهِ وسؤالِ الأمواتِ والجِنِّ والسرَّاطِ
والميزانِ^(١٦٦).

فهذا ممّا لا مدخلَ للعقلِ فيه، سوى النقلِ
والإيمانِ به^(١٦٧).

حقَّقَ اللهُ قلوبنا بالإيمانِ، وجعلنا مؤيِّدينَ عندهُ
بالبَيانِ والبُرْهَانِ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ،
وسَلَّمَ.

عَلَّقَهَا لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ مُؤَلِّفُهُ
العَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ الثَّقَاةِ عِيْسَى
الْخُلَوْتِيِّ الصَّالِحِيِّ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ، سَادِسَ عَشَرَ
جُمَادَى الْآخِرَةِ، الْكَائِنُ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ وَاحِدٍ وَخَمْسِينَ
وَمِائَةً وَأَلْفٍ.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: العربيّة:

الأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، سعيد بن مسعدة
المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمد
قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.
الأنباري (٥٧٧هـ)، عبد الرحمن بن محمد،
الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين
البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين

(١٦٦) الواضح أن ابن كنان جعل العلل الفقهيّة قسمين: علل هي أمارات
للأحكام، وعلل ليست أمارات للأحكام، بل يُجهل معناها. والنوع الثاني
ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تعبدية كما في السعي بين الصفا والمروة، وإيمانية
كما في العذاب والنعيم في الآخرة، وتعبدية إيمانية كما في الصلوات؛
لأنها فيها تعبد في أدائها، وفيها تصديق بعدد الركعات دون السؤال عن
الحكمة في كل ذلك.
(١٦٧) قوله من: "إن علل النحو أقرب... إلى قوله: "... سوى النقل
والإيمان به" هو يتصرف منه لمخلص كلام السبوطي في الاقتراح
لكلام ابن جني في (الخصائص)، باب: ذكر علل العربيّة، أعلاميّة هي أم
فقهية؟ ينظر: السبوطي (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٥١ - ٢٥٢، وابن
علان الصّدّيق (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمخبّئات الاقتراح، ص ٤٣٤ -
٤٣٦، وابن الطيّب الفاسي (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض
طي الاقتراح، ٨٤٦/٢ - ٨٤٨، وابن جني (٣٩٢هـ)، الخصائص، ١/
٩٦ - ٤٨.

الحموي (٦٢٦هـ)، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

أبو حيان (٧٤٥هـ)، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

ابن خالويه (٣٧٠هـ)، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.

—، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تحقيق: برجستراسر، مكتبة المتنبّي، القاهرة.

ابن الخشاب (٥٦٧هـ)، عبد الله بن أحمد، المرتجل، تحقيق: عطية لطفى، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٠١١م.

الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، ط١، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٠م.

ابن خلكان (٦٨١هـ)، أحمد بن محمد البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة دار إحياء التراث، بيروت.

الخوانساري (١٣١٣هـ)، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ط١، الدار الإسلامية بيروت، ١٩٩١م.

ابن جني (٣٩٢هـ)، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: علي محمد النجار، دار الكتب المصرية (المكتبة العلمية)، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.

—، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.

الجوهري (٣٩٣هـ)، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

الحافظ، محمد مطيع، وأبازة، نزار، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، بيروت، ودمشق، ١٩٩١م.

ابن حجر (٨٥٢هـ)، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، ١٩٧٢م.

—، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩م.

الحصني، محمد أديب، منتخبات التواريخ لدمشق، ط١، دار البيروتي، بيروت، ٢٠٠٢م.

الحلبي (٧٥٦هـ)، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد ١٩- الخراط ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م.

الزّركليّ (١٣٦٩هـ)، خير الدّين بن محمود،
الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت،
٢٠٠٢م.

الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، محمود بن عمر، الكشف عن
حقائق غوامض التّنزيل، وعيون الأقاويل في
وجوه التّأويل، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار
إحياء التّراث، بيروت.

زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، دار
الهلال، القاهرة، ١٩٥٧م.

السّخاويّ (٩٠٢هـ)، شمس الدّين محمّد بن عبد
الرّحمن، الصّوّء اللامع لأهل القرن التّاسع،
منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن السّراج (٣١٦هـ)، أبو بكر محمد، الأصول في
النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط٣،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

سيبويه (١٨٠هـ)، عمرو بن عثمان، الكتاب،
تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ١٩٨٨م.

السّيوطيّ (٩١١هـ)، جلال الدّين، الاقتراح في علم
أصول النّحو، تحقيق: د. محمود سليمان ياقوت،
ط١، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

____، جلال الدّين، بغية الوعاة في طبقات
اللّغويّين والنّحاة، تحقيق: د. محمّد أبو الفضل
إبراهيم، ط١، المكتبة العصريّة، بيروت،
٢٠٠٣م.

الخيمي، صلاح محمّد، فهرس مخطوطات دار
الكتب الظّاهريّة (علوم القرآن الكريم)، ط١،
مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ١٩٨٤م.
ابن دُرَيْد (٣٢١هـ)، أبو بكر بن دُرَيْد، جمهرة اللّغة،
تحقيق: رمزي بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين،
بيروت، ١٩٨٧م.

الدّينوريّ، الحسين بن موسى، ثمار الصّناعة في علم
العربيّة، تحقيق: حتّا جميل حدّاد، ط١، منشورات
وزارة الثّقافة الأردنيّة، عمّان، ١٩٩٤م.

الذهبيّ (٧٤٨هـ)، شمس الدّين، سير أعلام النبلاء،
تحقيق: مجموعة من الأساتذة، ط٣، مؤسّسة
الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

الزّمانيّ (٣٨٤هـ)، علي بن عيسى، رسالة الحدود،
تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفكر،
عمّان، ١٩٨٤م.

الزّبديّ (١٢٠٥)، محمّد مرتضى، تاج العروس من
جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الأساتذة،
ط٢، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب،
الكويت، ١٩٩٤م.

الزّجاجيّ (٣٣٧هـ)، عبد الرّحمن بن إسحاق،
الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن المبارك،
ط٣، دار النّفائس، بيروت، ١٩٧٩م.

الزّركشيّ (٧٩٤هـ)، محمد بن عبد الله، البحر
المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد تامر،
ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠١م.

ابن العماد (١٠٨٩هـ)، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

عمر (أحمد مختار)، ومكرم (عبدالعال سالم)، معجم القراءات القرآنية، ط٢، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨م.

الغزي (١٢١٤هـ)، محمد كمال الدين بن محمد، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ونزار أباطة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

الفارسي (٣٧٧هـ)، الحسين بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قوهجي، وبشير جويجاني، ط٢، دار المأمون، دمشق - بيروت، ١٩٩٣م.

الفاشي (١١٧٠هـ)، محمد بن الطيّب، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، تحقيق: محمود يوسف فجّال، ط٢، دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م.

الفراء (٢٠٧هـ)، يحيى بن زياد الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: محمد النجار، و أحمد نجاتي، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

الفرّخان، علي بن مسعود، المستوفى في النحو، تحقيق: د. محمد البدوي مختون، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.

الشّاوي (١٠٩٦هـ)، يحيى بن محمد، ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، تحقيق: عبد الرزاق عبد الرحمن السّعدي، ط١، دار الأنبار، بغداد، ١٩٩٠م.

الشّوكاني (١٢٥٠هـ)، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب العربي الإسلامي، القاهرة.

الصّفي (٧٦٤هـ)، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن طولون (٨٥٣هـ)، محمد، إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

ابن عطية (٥٤٢هـ)، عبد الحق بن غالب، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

العكبري (٦١٦هـ)، عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٦م.

ابن علان (١٠٥٧هـ)، محمد علي بن محمد، داعي الفلاح لمخبئات الاقتراح، تحقيق: أويس ياسين ويس، رسالة ماجستير، جامعة البعث بحمص، الجمهورية العربية السورية، ٢٠١١م.

ابن كنان (١١٥٣هـ)، محمد بن عيسى، الحوادث اليومية في تاريخ أحد عشر وألف ومئة، تحقيق: أكرم حسن العلي، دار الطباعة، دمشق، ١٩٩٥م.

ابن كنان (١١٥٣هـ)، محمد بن عيسى، الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة، مخطوط في المكتبة الملكية، برلين، تحت رقم we. ١٧٢٢. (٧٢٨٣).

—، المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مديرية الآثار القديمة العامة، دمشق، ١٩٤٧م.

—، المعاني المرضية على الشمعة المضية، مخطوط في المكتبة الملكية، برلين، تحت رقم we. ١٧٢٢ (٦٧٧١).

—، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق: حكمت إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م.

—، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، ط١، دار النقائس، بيروت، ١٩٩١م.

المبارك، مازن، النحو العربي (العلّة النحوية نشأتها وتطورها)، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

المبرد (٢٨٥هـ)، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.

ابن فلاح (٦٨٠هـ)، منصور، المغني في النحو (ابن فلاح النحوي (٦٨٠هـ) مع تحقيق الجزء الأول من كتابه المغني)، رسالة دكتوراه، إعداد: عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، جامعة أم القرى، سنة ١٩٨٤م.

فهرس الخزانة التيمورية (الجزء الأول: التفسير)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م.

الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، مجد الدين محمد، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ط١، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٠م.

قره بلوط، علي الرضا وأحمد طوران، معجم التراث العربي الإسلامي في مكتبات العالم، دار العقبة، تركيا، بلا ت.

القزويني (٦٢٣هـ)، عبد الكريم بن محمد، فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير)، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

القفطي (٦٤٦هـ)، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: عبد الله بن عمر الحاج، ط١، دار الفكر العربي، ومؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة، وبيروت، ١٩٨٦م.

كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

النَّحَّاس (٣٣٨هـ)، أحمد بن محمّد، إعراب القرآن،
تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب،
القاهرة، ١٩٨٥م.

ثانياً: الأجنبيّة:

Ahlwardt, W. (1894). Verzeichniss der
arabischen handschriften der Königlichen
bibliothek zu Berlin .

ابن مجاهد (٣٢٤هـ)، أحمد بن موسى، السّبعة في
القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار
المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

المحبّي (١١١١هـ)، محمّد أمين بن فضل الله،
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،
دار صادر، بيروت، بلاط.

المراديّ (١٢٠٦هـ)، أبو الفضل محمد خليل بن
عليّ، سلك الدّرر في أعيان القرن الثاني عشر،
دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة.

ابن مضاء (٥٩٢هـ)، أحمد بن عبد الرّحمن، الرّدّ
على النّحاة، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار
المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

المنجّد، صلاح الدّين، معجم المؤرّخين الدّمَشقيّين
وأثارهم المخطوطة والمطبوعة، ط١، دار الكتاب
الجديد، بيروت، ١٩٧٨م.

ابن منظور (٧١١هـ)، محمّد بن أكرم، لسان العرب،
ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

الميدانيّ (١٣٣٥هـ)، عبد الرّزاق بن حسن، حلية
البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،
تحقيق: محمّد بهجة البيطار، ط٢، دار صادر،
بيروت، ١٩٩٣م.

ناظر الجيش (٧٧٨هـ)، محبّ الدّين محمّد، تمهيد
القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: أ. د. على
فاخر وآخرين، ط١، دار السّلام، القاهرة،
٢٠٠٧م.

The treatise entitled “ Al-ashbaah beraf ‘AL-Eshtebah fii ‘elal al-nuhah) ”The similarities in removing ambiguity in grammarians ’causes(Muhammad bin Esaa bin Kenan Al-Khalwaty) d .1135 A .H)(.English Abstract)

Alshammari Nazzal Bin Ahmad

Abstract. This paper studies one of the valuable and precious treatises in Arabic tradition because of its subject (grammatical causes). Although the subject of the treatise “grammatical causes” is a very important one, we only have received very few books about it.

The treatise studied and edited in this paper entitled “Al-ashbaah beraf AL-Eshtebah fii ‘elal al-nuhah” (The similarities in removing ambiguity in grammarians’ causes). It is written by Muhammad ben Esaa ben Kenan Al-Khalwaty (d. 1153 A. H.)one of the most Levantine historians. The treatise studied and edited in this paper is about the theoretical side of grammatical causes as it deals with the two categories of grammarians’ causes, the most frequent types of causes, and 25 causes. It gives examples for each one of them. It ends with a speech discussing the scholars who do not consider the grammatical causes and it also differentiates between the causes of grammarians and that of jurists and theologians.

The edited text of the treatise is preceded with a study deals with the author and his published and unpublished works. This study investigates the treatise itself as well.

Keywords: Grammatical causes - Arabic Manuscripts - Treatise of Ashabaah

صورة المرأة في مدح ابن حمديس دراسة موضوعية فنية

أنور يعقوب زمان

أستاذ مساعد جامعة طيبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مستخلص. جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين، تناولت في التمهيد الحديث عن غرضي المدح والغزل عند ابن حمديس، وهدفه من المدح، وغايته من الغزل، وما تميز به غزله. ثم تشرع الدراسة في الفصل الأول وهو الدراسة الموضوعية لصورة المرأة في قصائد مديح ابن حمديس، وهو عبارة عن مبحثين: الأول الأوصاف الحسية، والثاني الأوصاف المعنوية، فتناول في الأوصاف الحسية الشعر والعينين والجفون، والخد والفم وما يتعلق به، والرقبة ثم الخاصرة وما حولها، والساقين، والرائحة والقوام عموماً. وفي المبحث الثاني تم الحديث عن الأمور المعنوية التي وصف بها ابن حمديس المحبوبة في قصائد المديح، ومنها: الشوق لها، وعدم التمكن من الوصول إليها، وعتابها، وصودوها وتعذيبها، غرورها وغدرها، وغير ذلك من أمور. وفي الفصل الثاني انتقلت الدراسة للحديث عن الجوانب الفنية لصورة المرأة في قصائد مديح ابن حمديس، وبدأت بالحديث عن اللغة وما فيها من ألفاظ، وبيان ما استخدمه الشاعر في هذا المجال من ألفاظ من حيث الليونة والسهولة والألفة، وأنه استطاع توظيف الألفاظ حسب مقتضى المقام والسياق، وتم الحديث عن الألفاظ كذلك من حيث الغرابة والجزالة وما غلب عليه من وضوح إلا في مواضع اقتضى المقام خلافه. وفي المبحث الثاني: جرى الحديث عن التراكيب، وتم فيه الحديث عن التقديم والتأخير وما كان لهما من أثر فيما قصده الشاعر منهما.

وفي المبحث الثالث تم الحديث عن الأساليب، واندراج تحته مجموعة من العناوين: فبدأ الحديث عن الحوار وبيان ما فيه من تشويق وإثارة للمتلقي، ثم الحديث عن الأساليب الإنشائية من استفهام ونداء، وما كان للشاعر من براعة في استخدامها.

وفي المبحث الرابع جرى الحديث عن مصادر الصورة الفنية، ومنها الطبيعة بنوعها المتحركة والصامتة، ثم الحديث عن الموروث الثقافي وتوظيف ابن حمديس له في هذا الغرض، ثم تم الحديث عن وسائل تشكيل الصورة الشعرية، من تشخيص وتجسيد وتشبيه، فالحديث عن التكرار، ومن الجوانب التي تناولها مبحث الصورة المفارقة التصويرية وما فيها من طباق ومقابلة، وآخر ما تحدث عنه هذا المبحث التصوير بالحقيقة. وفي المبحث الخامس والأخير تم الحديث عن الموسيقى الداخلية عموماً، والجناس خصوصاً. وآخر ما تعرضه الدراسة النتائج والتوصيات.

المقدمة

الأدب العربي وهو الغزل، وارتبط هذا الغرض

بغرض آخر وأصبح شبه ملازم له وهو غرض

المديح، واتخذ بعض الشعراء صورة المرأة مدخلاً

جُبلت النفوس على حب النساء لما فيهن من

جمال ورقة ودلال، ولذلك وجد لهن غرض كامل في

عن المرأة، فتبدأ بالوصف الظاهري من الأعلى للأسفل، ثم تنتقل للحديث عن الأمور المعنوية. ويتحدث الفصل الثاني عن النواحي الفنية لصورة المرأة في مدائح ابن حمديس من حيث: اللغة، والتراكيب، والصور الفنية، والموسيقى. أما الخاتمة فيذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها البحث.

التمهيد:

أكثر ابن حمديس في ديوانه من المديح، حيث وصلت قصائد مديحه إلى حوالي ٥٠%، وهذا إذا عدنا المقدمات الخمرية والغزلية من المديح؛ لأنها وسيلة إليه، أما غزله الخاص بمقطوعاته وقصائده المستقلة فقد بلغت نسبته ٩%^(١)، وهذا البحث لا يتحدث عن الغزل وإنما يتناول صورة المرأة في تلك المدائح.

وتوزع مدحه على منطقتين: إفريقية والأندلس. ففي الأندلس لم يمدح إلا المعتمد وابنه الرشيد فقط^(٢).

وفي إفريقية اتصل ببني علفاس وبني زيري وبني خراسان^(٣)، واتصل بالأمير تميم^(٤)، وديوانه

للممدوح لنيل المراد منه، لذلك يقوم هذا البحث على بيان الصورة التي رسمها ابن حمديس للمرأة من خلال نوع محدد من الشعر، وهو شعر المديح. وما هدف إليه البحث هو بيان ما تميزت به صورة المرأة في المدائح الحمديسية، وأنها مختلفة عن تناولها في شعر الغزل.

والذي حفزني لاختيار هذا الموضوع:

- ❖ ارتباط ابن حمديس بمجموعة من النساء، مما ولد لديه نظرة خاصة للمرأة في حال من التوقر، وليس اللهو والعبث.
- ❖ كثرة القصائد المدحية التي تحدث فيها ابن حمديس عن المرأة.

والمصدر الرئيس في هذه الدراسة هو ديوان الشاعر، يلي ذلك ما كتب حوله من دراسات، وأهمها كتاب: من أدباء المغرب والأندلس: ابن حمديس الصقلي شاعراً، للدكتور سعد إسماعيل شلبي، إضافة إلى ما يتعلق بالنواحي النقدية، والحديث منها بالذات.

والمنهج الذي تسير عليه الدراسة هو المنهج التحليلي الفني، حيث تتم معالجة النصوص من خلاله ودراسة ما فيها من قيم فنية.

وستتكون هذه الدراسة من تمهيد وفصلين وخاتمة.

يتناول التمهيد المدح والغزل عند ابن حمديس. والفصل الأول عبارة عن دراسة موضوعية تتناول الجوانب التي ذكرها ابن حمديس في حديثه

(١) انظر: شلبي، سعد إسماعيل، من أدباء المغرب والأندلس: ابن حمديس الصقلي شاعراً، القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٩.

(٢) انظر: ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له: إحسان عباس، بيروت: دار صادر و دار بيروت، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، المقدمة، ص ٨.

(٣) انظر: نفسه، ص ١٢.

(٤) انظر: حمادة، محمد كمال سليمان، الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي-دراسة أسلوبية، ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، إشراف: أ.د. يوسف شحنت الكلوت، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ١٣.

يخلو من مدحه^(١)، لكنه مدح ابنه يحيى، فابنه علي وأكثر من مدحه، وكأنه أحس في موقفه ذلك تعويضاً عما فاتته من الدفاع عن صقلية^(٢)، وقد أكثر ابن حمديس من مدح العرب والفخر بهم ووصف حياتهم^(٣). يظهر من ذلك أنه كان يختار الرموز التي تمثل العزة والسموخ والتي يمكن أن تعيد له بلده صقلية.

وفي ضوء هذه النسبة الكبيرة من شعر المديح عند ابن حمديس يُعتقد أنه من الشعراء الذين أراقوا ماء وجههم في سبيل الكسب المادي، لكن الحقيقة أن هناك جانباً خُلقياً أرادته الشاعر: وهو رسم النموذج الكامل لما ينبغي أن تكون عليه الشخصية الفاضلة، فهو بذلك يدفع المجتمع إلى الأمام ورفع مستواه الخلفي والاجتماعي^(٤)، كما أنه كان يهدف إلى السمو والرفعة الأدبية^(٥)، ولا شك أن المنافسة قد حملته على تجويد قصائده ومدائحه في الأندلس^(٦). ومعلوم أنه كان دائم الشوق لصقلية، فكانه يبحث عن الحاكم القائد الذي يريد أن يستبي قلبه ليعينه على التخلص من النورمانديين الذين استولوا على بلده، ويعينه على طردهم منها. ولم تفارق صقلية ذهن الشاعر ولا خياله، وهذا ما يعرضه شعره

ويظهر في أغراضه كلها^(٧). فابن حمديس لم يمدح ويرق ماء وجهه إلا لغاية نبيلة يريدها وهي استعادة وطنه ونصرة عشيرته.

ويذكر سعد شلبي أن مما تميز به ابن حمديس في مديحه أنه أدخل في قصائد مدحه قصائد جديدة كالغزل والوصف والفخر، وبذلك يختلف مدحه عن مدح السابقين الذي يدعو إلى الملل^(٨). وحقيقة إن معظم الشعراء فعلوا ذلك، وسيحاول البحث إيضاح ذلك عند ابن حمديس من خلال بيان الصور التي ذكرها للمرأة في مدائحه مما كان يجذب إليه الأسماع، وبذلك يكون ما فعله مزية وليس عيباً.

واضطر ابن حمديس إلى سلوك فن المدح وأن ينهل منه وهو أبغض الموارد إليه، ولذلك وجد لزاماً على نفسه أن يجمل هذا المورد لنفسه وللناس من حوله، من خلال الإسراف في المقدمة الغزلية والخمرية، وليستثير نشاط نفسه^(٩). ولأنه يرى المديح صناعة، فلا يُستغرب افتتانه فيه، فيبدؤه ويجمله بالغزل^(١٠). ويعد هذا إبداع من الشاعر، حيث يستعمل الأسلوب الأرقى لغايته حيث يطلب ما يريد بحسن تطف وعرض جميل.

والحقيقة أن ابن حمديس لم يكن مطبوعاً -غالباً- عندما قال شعراً في المديح بل كان رجل

(١) انظر: نفسه، ص ٢٢.

(٢) انظر: الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، ص ١٠١.

(٣) انظر: الديوان، المقدمة، ص ١٤.

(٤) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ١٩-٢٠.

(٥) انظر: حمادة، سليمان، الخطاب الشعري عند ابن حمديس، ص ٢٠.

(٦) انظر: الديوان، المقدمة، ص ١١.

(٧) استبتي، رأفت محمد سعد، ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٧م، إشراف: أ.د. يحيى جبر، ص ١٥.

(٨) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠.

(٩) انظر: نفسه، ص ٢٢.

(١٠) انظر: نفسه، ص ٢٣.

صنعة، وذلك ليحقق هدفين: فحاول أن يغري نفسه من جهة لتقبل على المدح، ويطلع سامعيه على بواعثه الفنية من جهة أخرى، فذهب إلى ألوان من المقدمات حققت له هذين الهدفين^(١).

وتظهر شخصية ابن حمديس في مقدماته الغزلية شاكية متهالكة^(٢)، وهذا الغالب على مقدمات مدائحه الغزلية، ولعل السبب في ذلك هو أن يظهر نفسه محتاجاً لمعونة الآخرين وعطفهم، فيظهر تذله للممدوح ليُقبل عليه ويعينه على استرداد بلده المنكوب.

إن غزل ابن حمديس قسمان:

تقليدي، وهو ما يطلق عليه النسيب، وهو الذي يأتي في مقدمات قصائده.

والثاني؛ الغزل اللاهي أو الحسي^(٣)، الذي خصص له قصائد خاصة، وسيهتم البحث بالنوع الأول.

وهذان القسمان من غزل ابن حمديس توزعا

في ثلاثة مواضع:

في الشعر الذي أنشده للغزل، وغالباً ما يكون مقطوعات.

وفي بعض المقطوعات التي أنشدها في مجالس الأُنس واللّهو.

وفي بعض مقدمات المديح، وغالباً ما يسهب

فيها الشاعر في بيان عواطفه نحو المرأة^(٤).

والنسب الذي يذكره ابن حمديس في مقدمات مدائحه نوعان:

نوع تقليدي لا يقصد به التعبير عن عاطفته بقدر ما يقصد الوفاء للقيم الأدبية المعترف بها.

وقصائد تتم عن عاطفة رقيقة، أفصحت عن حبه الصادق للفتاة التي يهواها حقيقة، وهي الفتاة التي عشقها في صقلية، وإن تعددت الأسماء، وهذا يدل على أنه مر بتجربة حقيقية. ولكن هذه المقدمات المشتعلة شوقاً بدأت بصفة عامة تخدم جذورها وتنفذ شحناتها العاطفية شيئاً فشيئاً^(٥)، فعادت إلى النوع الأول.

ويظهر أن غزل ابن حمديس في مقدمات مدائحه يختلف كلياً عن غزله في القصائد الخاصة بذلك، فالنوع الثاني "وجدناه ينحو به منحىً حسيّاً"^(٦) وهذا لا ينطبق أبداً على غزله في مقدمات مدائحه.

ولعل من أسباب عدم انحطاط حديثه عن المرأة في مقدمات مدائحه إلى جانب احترامه وتوقيره للممدوح "رقي المجتمع وتطوره والارتقاء بالذوق ورقة المشاعر وتيسير سبيل الالتقاء"^(٧). فتحولت نظرة الرجل للمرأة من الشهوة والمتعة إلى أنها المشاركة في الهموم.

"إن إسراف ابن حمديس في النسب في مقدمات مدائحه دليل على رواسب حب في قلبه،

(١) انظر: نفسه، ص ٢٧.

(٢) انظر: نفسه، ص ٤٤.

(٣) انظر: نفسه، ص ٩٢.

(٤) انظر: نفسه، ص ٩٣.

(٥) انظر: نفسه، ص ٩٦-٩٧.

(٦) نفسه، ص ١٠٣.

(٧) نفسه، ص ١٠٦.

وَاسْتَوْتَقَّتْ مِنْ نِقَابٍ فَوْقَ وَجْنَتِهَا وَإِنَّمَا أَشْفَقَتْ
أَنْ أَلْتَمَّ الشَّقَقَا^(٤)

إن أكثر موضوع تحدث عنه ابن حمديس في المرأة هو عيناها، فالعيون أداة حرب قاتلة، فهي تارة أسهم تتتابع على الجرح مراراً، بل كأن هذه العيون داخلها رام من بني ثعل. ومن عجب رميها أنها ترمي سهمين من نصل واحد وكلا السهمين أصاب مقتلاً. ويرى الشاعر أن القاتل هو طرف المحب، وليس طرف المحبوبة الساحر، ودليل ذلك أن رامي السهام إذا أخطأ الرمية وعاد سهمه عليه فإن جرحه سيكون عظيماً:

وَإِذَا انْتَهَى سَهْمٌ عَلَى الرَّامِي بِهِ غَرَضاً لَهُ
فَالْجُرْحُ مِنْهُ جَبَّارٌ^(٥)

وهذه الحسنة تثبت نصل سهم عينيها لتقتل عاشقها بعيون ساحرة.

والعينان تارة رماح طاعنة لا ينفع معها مطاعنة، وتارة سيوف قاتلة لا ينفع معها حذر. وهذه الأسلحة فاتكة ولكن نظرات الجميلة أفتك منها وتصيب إصابات دقيقة.

ويخاطب اللاعب بجميع أنواع الأسلحة الماهر في استخدامها، بأن العيون الجميلة تلعب به وتفتك، فلا يغتر بقوته ومهارته.

مُلَاعِبَ الْبَيْضِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ تَلَاعِبَتْ
بِكَ حُورُ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ^(٦)

ويظهر أنها رواسب حبه لصقلية^(١)، وقد يطيل في ذلك النسيب^(٢). لشدة شوقه لبلده السليب.

الفصل الأول

الدراسة الموضوعية

الموضوعات التي تناولها ابن حمديس بالحديث عن المرأة في مدائحه ذات شقين: محسوسة ومعنوية، ولذلك ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين: أوصاف حسية، وأوصاف معنوية.

المبحث الأول: الوصف الحسي:

من الأمور المحسوسة التي ذكرها ابن حمديس عن المرأة، الشعر، حيث لم يكثر ابن حمديس الحديث عن شعر المرأة في مدائحه، فهو يصف هذا الشعر بشدة السواد، وهذا دليل على عدم كبر سنها:

وَكَاثِمًا خَاصَتْ ذَوَائِبُهَا مِنْ جَفْنِهَا فِي صِبْغَةِ
الْكَحْلِ^(٣)

وهذا الشعر لشدة سواده ليل، فالمحبة تجمع بين ضدين: شدة سواد الشعر، وشدة بياض الجبين، بل سواد شعرها يجعلها محسودة. ولا يكفي بوصف الشعر بالسواد فحسب، بل يصفه بالطول، وطيب الرائحة.

وتحدث عن جبين الموصوفة وشبهه بالشفق، وذكر أنها تستره بنقابها كي لا يظهر منه شيء فيقدم الشاعر على لثمه.

(١) نفسه، ص ١٠٨.

(٢) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ط ٢، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص ١٦٣.

(٣) الديوان، ص ٣٧٢.

(٤) الديوان، ص ٣٣٦.

(٥) الديوان، ص ٢٥٩.

(٦) الديوان، ص ٣٩١.

بل يرى أن أفتك القتلة هن النساء جميلات
العيون.

والعيون جميلة واسعة، تشبه ما تتركه في
قلوب الناظرين من جراح، والعيون وسيلة المرأة في
نقل سحرها، ساحرة في حال فتورها، فكيف في حال
تمام انفتاحها. وهذه العيون الساحرة تصيب الصحيح
فتمرضه ولا يأتيها المرض، وتسحر الحليم العاقل،
والعابد المتدين. ومن يحاول سحر العيون وصاحبها
فإن العيون الجميلة ترد السحر في نحر ساحرها، بل
إنها تسحر هاروت وماروت، وذلك كله بنظرة دون
حاجة إلى نفث أو غيره، وهذه العيون من شدة إتقانها
للسحر كأنها من أرض بابل:

وفي بُرْجِ الحسناء مقلّةٌ بها رُدّ كيذُ السحرِ في نحرِ
جؤذُرٍ بابلِهِ
ولو شام هاروت وماروت لما أصبَحَا إلّا قنِصِي
طَرْفُهُ. حَبَائِلُهُ^(١)

وعيونها ليست ساحرة فحسب بل مُسكرة
أيضاً، ويندر أن يفيق من سكرها أحد، فعيونها يمتزج
فيها السحر بالسكر، ومن يشرب من سكر العيون
الجميلة في صغر سنه ولهوه يبقى أسيراً لها طول
عمره، ولا يُفك من هذا القيد ولا يجد تفريجاً لهذا
الكر:

فَمَا تَرَى من شربها في الصِّبا في رِبْقَةِ السكرِ
فهل من سَرَّاح^(٢)

وعيناها لامعتان كالبرق، كما أن عيونها
الجميلة أداة صيد وشباك لأقوى الحيوانات الأسود،
بل في موقف آخر يذكر أنها تقنصه في حبها دون
أن تستخدم أي شرك إلا نظراتها. فعيناها فاتكة
بالأسود فكيف ببني البشر، فالظباء تقتل بلحظ
عيونها، ومع ذلك لا يُقتص منها ولا تجب عليها
دية، ولا يدرك الثأر منها.

كما أن عيون الجميلات تحلب دموع العشاق،
وتورثهم الكرب والهم.

وبلغة العيون يطلب منها الشاعر الوصل،
فتصدّه باللغة نفسها مشيرة بعينها رافضة ذلك
الوصل، وتلك العيون الحسان تجعل الجسم يضعف.
ونظراتها الساحرة تغور في العقول فلا ينفع
معها تعقل، فنظرة واحدة كافية لإطارة القلوب
والعقول، فالنظرة تقدم الصبوة واللهو وتأخذ العقل:
أظنّك لم تُفْتَحْ عليك نواظِرٌ إذا هي أعطت
صبوةً أخذت عقلاً^(٣)

ودموع المحبوبة كأنها در يجري على الورد
وهي خدودها.

ومن الصور الطريفة التي صور بها عيني
المحبوبة أنهما من سهام الميسر، وقلبه هو الجزور
التي ستتحر، فقلبه معذب من هاتين العينين
الحسناوين:

(٢) الديوان، ص ٩٨.
(٣) الديوان، ص ٣٧٥.

(١) الديوان، ص ٣٦٨-٣٦٩.

وهما المعلّى والرقيب وإنّما قلبي المعدّب منهما
أعشأ^(١)

وهذه الصورة من آثار الثقافة الجاهلية التي بقيت آثارها حتى ذلك الوقت.

ويرى الشاعر أن مما يضاعف من نشوة الخمر أن تقدمها نساء حسناوات العيون. وعيون الجميلات لحسنها وملاحتها يديم النظر إليها العاشقون.

ليست عيونها فقط المغرية فحسب، بل كذلك جفونها التي تغطي عينيها داعية للحب مؤثرة في القلوب، وما سموها جفوناً إلا تشبيهاً لها بجفن السيف، فالعيون سيوف جارحة تحتاج إلى ما يحجزها عن جرح الآخرين، ولذلك فإن أكثر السيوف ارتواء من دماء الناس التي يُحارب بها كثيراً، وكذلك أكثر العيون فتكا بالناس كثيرة نظر الناس إليها، ولذلك فالجفون لا يأمنها أحد.

وهي ترمي محبتها بنظرة تجعله يخذل ويندحر عند القرب منها، فهي نظرة تتم عن الهجر، ثم تذهب وتغط في سبات عميق من النوم غير مكترثة بعاشقها:

وَرَمَتْكَ بِمَقْلَةٍ خَاذِلَةٍ هَجَرْتُكَ وَعَاوَدْتُ الْوَسْنَ^(٢)

وتعرض ابن حمديس للحديث عن خد المحبوبة ووجنتها، فخدّها غض طري ناعم، يشبه شقائق النعمان، بل لشدة نعومتها لو أن مقبلاً قبله لجرحه، ولشق خدّها، ومع تشقق خدّها لا يخرج منه

دم ولا يصبح كريهاً، بل يصبح هذا الخد الناعم الجميل كالنبت طيب الرائحة (الأقاح). ويذكر سبباً آخر لاحمرار خدود المحبوبة كأنها الياقوت، وما ذاك إلا بسبب خجلها، بل إنه يراها محمرة بسبب كثرة الدماء، دماء العاشقين الذين لم يتمكنوا من الوصول لقلبها، وخاصة دمه هو.

وهي تهتم بجمال خدّها فتضع عليه خليطاً من الطيب يجمع بين الكافور والمسك.

تطوفُ بها مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ زَرَفَتْ
الكافور صُدْغاً مُعْطِفاً^(٣)

وهذه المرأة حريصة على تغطية خدّها الجميل، فتصبح صورتها مثل الشمس عندما تغطيها السحب. ووصف الخدود بالامتلاء، وشبهها بالورد، كما أن جمال هذه المرأة وحسنها يظهر في خدّها.

وفيما يتعلق بالحديث عن منطقة الفم عند الموصوفة، وهي من الأمور التي أكثر ابن حمديس الحديث عنها بعد العينين يتحدث عن أمور عدة أهمها:

وصف هذا الفم عموماً بالضياء كأنه شمس أو كوكب منير، يجذب الناس إلى النظر إليه. وهو الأقاح، الشجر طيب الرائحة.

كما يصف شفقتها بالسمرة والجمال:

لمياءُ تبدي الدّر من أَشْنَبٍ يحرق بالأنوار جُنْحَ
الظلم^(٤)

(٣) الديوان، ص ٣١٧.

(٤) الديوان، ص ٤٧٣.

(١) الديوان، ص ٢٥٩.

(٢) الديوان، ص ٥٠٩.

أما أسنانها فيصفها بأنها در وحصى وبرد،
ووصف الأسنان بالبياض، وهو بياض كبياض يد
كليم الله موسى #، وكبياض الزهر، ويصور هذه
الأسنان بأنها نبت الأقاح الطيب الرائحة، وأن هذه
الأسنان مضيئة، ولشدة بياضها فإنها تحرق الظلام
وتجعل الكون يشع نوراً، وشبه أسنانها بخطي در
منيرين كالبرق:

أما تَأَلَّقَ من سِمْطَي تَبَسُّمِها برقٌ إذا ما رآه
ناظرٌ برقاً^(١)

ومما وصفه ريقها ورضابها، وأنه طيب الطعم
حلو، يستطيع اجتناؤه، فطعمه كالخمر والعسل
يروى الظمان، بل إن من شرب منه لن يجد ظمأً
أبداً، وأن شربه من هذا الرضاب سيوقعه في العشق
والولع، وهذا سيجر عليه شراً دائماً وعذاباً، وسيصبح
غارماً مديناً من شرب رضابها، ويصف رضابها بأنه
شفاء للمريض، بل إنه حياة للناس فمن لم يشرب
منه يموت، وأنه ماء عذب زلال بارد، بارد حساً
وبارد على القلب يُدخل عليه السرور، ولا ينضب
أبداً، ويصف ريقها بأنه مثل الطل، وهو أضعف
المطر.

فأَمْسِيَتْ منها بماءِ اللّمي أُرَوِّي أواماً وأُشفي
سقماً^(٢)

بل إن ريقها ليعيد الحياة والنضارة للجمادات،
فلو استاكت بعود يعود مخضراً بسبب ملامسته للماء
العذب الذي هو كالعسل. بل يسميها في بعض

أشعاره (ريّاً) رغبة في أن يرتوي من رضابها، ولكنها
تضن به وتبخل على عاشقها.
وهذا الريق من أصفى الماء، فهو ندى خارج
من الأقاح.

ومما تعرض له القُبل التي تمنحها هذه
المحوبة، فهي لا تقدم إلا القبل، ولا تفي بما عليها
من ديون ومواعيد للعاشقين:

قُبَلِي ديونٌ ما اعترفتُ بها إلا لأَمْنَحَ مُجْتَنِي
قُبَلِي^(٣)

ومقبلها يخبر ببرودة وعذوبة ذلك التقبيل.
وعند الحديث عن كلامها يرى ابن حمديس أن
كلام هذه الموصوفة لعذوبته ورقته يسبي أهل
العقول، بل ينزل الطيور القوية التي تسكن في
الأماكن العالية، والتي لا تنزل إلا لأمر مهم، تنزل
من جبالها استعذاباً لهذا الصوت الرخيم والكلام
العذب. وهي لا تتكلف ولا تتغنج في هذا الكلام، بل
تتكلم بطبيعتها ومع ذلك يكون هذا الكلام عذباً فاتناً.
وكلامها لتنوعه وعذوبته كأنه البستان المرتوي
المليء بالأطاييب. بل إنه عندما وصف ركب النساء
صور حديثهن وعذوبته أن الحيوانات الشاردة النافرة
تتقرب منهن لتسمع هذا الحديث العذب. ووصف
حديثها بأنه ساحر لسامعه:

وَعَطْفُ قُلُوبٍ من دُمَاهَا بِمَنْطِقٍ كغَيْلٍ بِتَأْنِيْسٍ
الظباءِ الشواردِ^(٤)

(٣) الديوان، ص ٣٧٢.

(٤) الديوان، ص ١٣٤.

(١) الديوان، ص ٣٣٦.

(٢) الديوان، ص ٤٥٢.

وكثيراً ما جمع ابن حمديس الحديث عن الصدر والردف معاً، والجامع بينهما الامتلاء، ففي الصدر يذكر أنه ممتلئ بما يقتل القلوب، فهو مثل الرمان والتفاح، بل يصور قامتها شجرة وثمارها الرمان الذي على صدرها، فهي جنة وصدرها رمان لم تصل إليه يد الجن فضلاً عن الإنس، ويؤكد على حرصها ألا يمس أحد نهديها، فهما مثل قلبها إن لمسه لامس ماتت، ولذلك يتعجب من وجود شجرة تجد ألم القطف، حيث تتألم إن حاول أحد لمس نهديها.

يا لها من جنةٍ رمّائها ما دَرَّتْ ما لمسُهُ راحةً
جان^(٣)

يصف ابن حمديس جيد المرأة ويذكر نعومتها، حيث إن صغار الذر لو مر على جسمها لجرحه. وجلدها رقيق لو لبست أرق الملابس فإنه يؤثر فيه وإذا أريد النقش على جيدها استغربت، لعلمها أنه لا ينقش على الحرير لنعومته ورقته: يكاد وليدُ الذرٍ يجرُحُ جسمَهَا إذا صافحتُ منها أنامله الإيتبا^(٤)

وهي صورة نادرة في الشعر العربي عموماً. وهو ينظم في جيد المرأة الغزال أجمل الغزل. وهذا الجيد في لونه أبيض مصفر كالذهب. وخاصرتها ضامرة خفيفة اللحم لطيفة الجسم، فهي هيفاء، وهي لشدة ضمورها لا تثبت ملابسها عليها، والضمور من الصفات الجميلة المحبوبة عند

ومما تناوله ابن حمديس بالحديث النَّفْسُ، ووصفه بأنه شديد الطيب دائماً، بل حتى في الأوقات التي تُكره فيه هذه الرائحة وهو عند القيام من النوم، تكون أنفاسها زكية كأن فيه عطراً. بل إن نفسها يحمل أمراً معنوياً إلى جانب كونه طيب الريح كالمسك فإنه يُشعر بالأمن والسلام، ولطيب هذا النفس فإنه يدعو الناس إلى القرب منه وشمه.

كما وصف هذه المحبوبة في حال تبسمها وأن هذا التبسم منير يظهر وسط الظلام، وأنه يدخل الأمن والسكون على ناظره حتى لو كانت النعامة النافرة.

وندر حديثه عن رقبة المحبوبة، فوصفها بالبياض وجمال الرائحة، وأن المحب مريض القلب يشتهيها، فقال:

يا عليل القلب كم ذا تشتهي سوسن النحرِ
وعُتَابَ البنان^(١)

وتعرض ابن حمديس إلى وصف يد المحبوبة، فأطراف يدها تشبه الأغصان اللينة الجنية المثمرة. وهي طيبة الريح، ويصف بنانها بأنه أبيض جميل حتى في حال الحزن.

وأنه يشرب من يدها الخمر؛ لأنها خبيرة في تقديمها وسقيها، وهذه اليد لبياضها وجمالها كأنها حين تقدم الخمر مثل الأزرار البيض للثوب الأحمر. فتجلوهم أيدي السقااة عرائساً ترى الذرّ أزراراً
لأثوابها الخمر^(٢)

(٣) الديوان، ص ٥٠٢.

(٤) الديوان، ص ٥٠.

(١) الديوان، ص ٥٠٣.

(٢) الديوان، ص ٢١٤.

العرب. "ولقد كان التباين الظاهر بين الردف الثقيل والخصر النحيل أكبر مواضع جمال الجسد الأنثوي عند شعراء الأندلس"^(١)، ولذلك **فردفها** ممتلئ، فهو مثل كتيب الرمل (النقا)، وهذا الردف رداح ثقيل، واستطاع أن يجمع في بيت واحد وصف خاصرتها وردفها فقال:

وا رحمتا للصبّ من لوعةٍ بكلّ رياءٍ الحقف
صفر الوشاح^(٢)

وبالنزول في جسم الموصوفة أخيراً، نجده يصف **ساقِيها** بالجمال والضمور، ولكنه لا يركز على شكلها الظاهري بل يهتم كثيراً بطريقة مشيها، فمشيتها مشية متميزة فيها اختيال، فهي تشبه مشي الطيور وخاصة القطة، بل لجمال مشيتها ظهر مشي الطيور بجانبها قبيحاً:

يمشي اختيالُ التيه في مشيها فعَدَّ عن مَشْيِي
قطاة البطاح^(٣)

وأخيراً فقد وصف ابن حمديس المرأة بأنها **جميلة** عموماً، وحديث ابن حمديس عن الجمال وأثره في النفس جعله متميزاً في هذا المجال، حيث حاول الخروج من الوجدانيات إلى الكلام عما يجول في النفوس، لا من جهة الخيال وما به من الجمال لا غير، بل من جهة التفكير أيضاً وما يمر به الإنسان وما يشعر ويحس من حوادث الحياة وأشكالها^(٤)،

فصورتها الجميلة تحول العاقل من التعقل إلى الطيش، وترد التائب عن توبته، بل جمالها يمنع ناظرها من هجرها، والناظر إليها لا يرجع منها بعب، وهي جميلة كغصن الروضة، بل إنها مجمع الحسن فهي بستان متكامل، وجمالها كأنه يقول لناظره لا جناح ولا إثم على عابد الجمال، ولا ملام عليه، بل هي معجبة بجمالها. والجماليات لا غنى للمرء عن وصلهن، فهن كالماء لا ارتواء إلا بهن. وجمال جسمها يشبه الغزال، ولكنه ينبه إلى عدم التأمل في هذا الجمال؛ لأنه قاتل مثل الفراشة التي تقصد المصباح وفيه هلاكها:

لا تقتبس من نور وجنتها سناً إنَّ الفراشةَ حنَّها
المصباح^(٥)

وأجمل الجميّلات جوار الموصوفة كالنعل لها. كما وصف جسمها بأنه فضة، فالشاعر مفتون مقتول بهذا الجمال. والجماليات أغرقته في هم الحب.

أما **قوامها**، فقوامها غصن مستقيم، كعود الأراكه وحوله حصى مبتلة، لا بالماء وإنما بدموع المحبين، وجسمها خصب ممتلئ يؤدي إلى هزال ناظره، بض يودع محبه النحول:

ووقفه رودٍ بضّة الجسم غصّة لتوديع صبّ
شاحب الجسم ناحله^(٦)

وهذا الجسم يتثنى أثناء قيامه مما يغري ناظره، وهي **ممشوقة القوام**.

(١) بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: د. حسين مؤنس، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٦٤.

(٢) الديوان، ص٩٨.

(٣) الديوان، ص٩٩.

(٤) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ص١٥١.

(٥) الديوان، ص١٠٢.

(٦) الديوان، ص٣٩٨.

العصفور، وعلى الرغم من شوقه الشديد لها فإنه إذا التقى بها يسكت ولا يستطيع الكلام، ولكن شوقه متكلم أبداً، ولشدة شوقه لها أصابه الجنون، وسالت المياه من عينيه موقدة الشوق، وقلبه بين علو وانخفاض لشوقه إليها، ولشدة تعلقه بها لن ينشغل عن حبها. ويطلب من الريح أن تعلله، فهو ساهر والمحبوبة نائمة، والناس يلومونه على هذا الشوق رغم كبر سنه، لكن غرامه غرام الصغار:

قالوا صَبَاً يا مَنْ رأى مستهَامَ حِجَاهُ كَهَلٍّ وَهَوَاهُ
غُلَامٌ^(٣)

ويزداد شوقه كلما رأى بياض برق أو سمع صوت حمام أو شم رائحة بستان.

ومما ذكره عدم تمكنه من الوصول إليها، ورغم تقارب الدارين إلا أنه يحس بالبعد، فدونها أمواج البحار من المخاطر والرقباء والوشاة، ولكن على الرغم من ذلك تتواصل الأرواح، وسر الهوى مكتوم بين الشاعر والموصوفة:

تسافرُ الأرواحُ ما بيننا والسرّ فيما بيننا ذو
اكتتام^(٤)

ومما ذكره ابن حمديس من الأمور المعنوية عن الموصوفة عتابها له على حبه لها، حيث إن ذلك الحب سيقود إلى ذكرها والتوله بها، وهي امرأة تخشى مقالة الناس، بل إنه تمادى بإرسال الهدايا مما دفعها إلى رد هداياه وقادها إلى القوم بنفسها

وبالحديث عن رائحتها، فالموصوفة طيبة الريح، كأنها مغموسة في ماء ورد، وشبهها بالريحانة المعروفة بطيب الريح، وشبهها بالمسك، بل رائحتها تحيا بها النفوس:

ريحانةٌ في لطيفِ الروح قد غُرِسَتْ لها النسيمُ
الذي تُحيي به النّسَمُ^(١)

ورائحتها الطيبة تكشف عن مكان وجودها، فلا تستطيع أن تختبئ عن محبيها.

ومما ذكره في وصف النساء، وصف بنات الأعلاج السبايا، فمن صفاتهن أنهن بيض، كغصن البان، ووصف شعورهن بالعظيم من الحيات (أسود) لعبت بها مخالب الأسود:

هَلْ تَذْكُرُ الأعلاجُ سَبِيَّ بَطْبِي جُعِلْنَ قلائدَ الأجيادِ
بناتها تمشي كغُصْنِ البانَةِ المَيَادِ
مِنْ كُلِّ بِيضَاءِ الترائبِ عَبَّئَتْ بهنَّ برائشُ الأسادِ^(٢)
غادة مجذوبة بذوائب كأسود

المبحث الثاني: الوصف المعنوي:

وبعد هذا الوصف الحسي الجسدي لأعضاء محددة للموصوفة، نجد أن ابن حمديس ذكر أوصافاً **معنوية** مما يتعلق بالموصوفة من ذلك:

شوقه لها: فقلبه صار له أجنحة ويطير إلى ذلك الحسن، ولشدة شوقه لها يبكي، وبكاؤه يهيج

(٣) الديوان، ص ٤٥٩.

(٤) الديوان، ص ٤٦٠.

(١) الديوان، ص ٤٧٠.

(٢) الديوان، ص ١٤٦.

ويجيد اللهو، وأسبابه قريبة منه. ويرى في وصلها إبقاء لحياته، ولعلمها بذلك فإنها تتعمد الصدود عنه لتقتله.

صَدَّت البِيضُ عن البِيضِ أما
الشَّبِيهَيْنِ انجذاب^(٤)

وهي لا تصله بل تتابع الهجر، والهجر لا يُجنى منه الثمر، إنما يجنى الثمر في وقت الوصال. ومن أظهر صفاته النفسية تعاسة النفس والحنين، والسبب في ذلك اضطراره إلى الهجرة من وطنه، وأنه مهما حاول الخروج من ذلك فإنه يظهر على شعره^(٥). ولذلك أكثر من الحديث عن الهجر والحرمان. "فهو يشعر بتأنيب الضمير؛ لأنه ترك وطنه وهو في حالة حرب"^(٦) ولذلك يصور المحبوبة هاجرة له كما هجر هو وطنه، فيريد من الممدوح أن يعيد الوئام بينه وبين المحبوبة، يريده أن يعيد له وطنه.

وهي في إعراضها وصدودها مثل الأمانى، ولو جاءته بالوصل لجاءته الدنيا.

ويرى أن وصل الجميلات يجعل الوقت يمر سريعاً. ويرضى منها بالوصل حتى لو في المنام. ويتعجب أنها تغريه ثم تهجره. وهي تُعرض عنه وهو في حال من الذل، ويتلطف في قوله لعلها أن تشفق عليه.

وقرعه سمعه بعتابها، ولكن ذلك العتاب والقرع وقع على أذنه خفيفاً لطيفاً؛ لأنه صوت المحبوبة:

أقارعةً سمعي بِثَقْلِ عتابِها يخفّ على سمعي
سماحُ النَّقَائِلِ^(١)

ووصف إحدى النساء بأنها لا تعاتبه، ورأى في عدم العتاب انعدام المحبة، فهو يرجو منها العتاب ليكون دليلاً على حبها له: صَدَّتْ سليمي فما تأتي معاتبَةً ولا عتابَ إذا
حبُّ الهوى انصرما^(٢)

وذكر صدودها وإعراضها عنه، فالموصوفة لا تلتفت إلى حبه لها، فهي صعبة الوصال، ولذلك فهو يطلب منها أن تلتفت له التفات عطف وحنان كما تلتفت الظبية لولدها، "وعدد قليل من الشعراء التفت إلى حبيبته فأشار إلى حبها، ونقل صورة خاطفة من عاطفتها وألمح إلماحة خفيفة إلى غرامها"^(٣).

ولصدودها سبب، فهي تصد وتتفر من شبيهاها، حيث إنها بيضاء ومحبها أبيض الشعر، فالمفترض أن يكون بينهما انجذاب ولكن الواقع بالضد. وهذا دليل على كبر سنه، لذلك تعرض عنه. وكان اسوداد شعره في السابق يقودها إليه لكن المشيب قطع حبال الوصل. وتمنى لو كان هذا الهجر في وقت اسوداد شعر رأسه وشبابه، إذ إن الشيب لم يجعل له قيمة عند النساء، مثل الصفر المهمل، ففي شبابه كان يتقن الحديث للحسان،

(١) الديوان، ص ٣٩٤.

(٢) الديوان، ص ٤٧٠.

(٣) أمين، بكري شيخ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط ١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩م، ص ١٢٣.

(٤) الديوان، ص ٦٤.

(٥) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ص ١٤٨.

(٦) حمادة، محمد، الخطاب الشعري عند ابن حمديس، ص ١٧.

وتحدث ابن حمديس عن تعذيب المحبوبة لمحبها واستلذاذها بذلك، بل تنام قريرة العين غير ملتقطة لمن يبيت مريضاً من هذا الحب، ومع عذاب حب الجميلات فإنه يراه عذباً. وفي موطن آخر يتحول العذب إلى مر، وذلك بسبب صغر سنه.

حَرَجْتُ عَلَى حَدِّ الْقِيَاسِ مَعَ الْهَوَى فَقُلْ مَنْ
أَمَرَ الْكَأْسَ مِنْ بَعْدِ مَا أَحْلَى^(١)

ويسألها هل ستفدي قلب عميد هذه العشق أم هي فاتكة لا تخاف من قتل العباد ولا تخاف عقوبة المعبود.

ومما تناوله ابن حمديس بالحديث، ذكر دلالات الموصوفة وغنجها على عاشقها، فهي ترى في حسن خلقها مسوغاً لذلك الغنج، فهي تغتر وتختال بذلك الجمال، وتتدلل كالأطفال، وهي غيداء تمرض غيرها بحسنها ودلالها، ولا يتعجب منها أن تكون ظالمة، فالذي دفعها إلى ذلك نعومتها ودلالها. ورغم ظلمها البين له لا يجد ناصراً.

غِيدَاءُ يُسَقِّمُ بِالْمَلَاةِ دَلَّهَا جِسْمَ الْعَمِيدِ كَذَاكَ
دَلَّ الْغِيدِ^(٢)

وهذه الموصوفة مغرورة بحسنها وجمالها، ولذلك تخضع لها القلوب رغم صعوبة أخلاقها، ولغرورها بجمالها فإنها لا تتكرم بالالتفات إلى محبها ولا تصله، وبسبب غرورها بجمالها وحسن قوامها فإنه لا يحاول أن يحب ردفاً يصعب الوصول إليه.

فَمَا فُتِنْتُ بِرَدْفٍ غَيْرِ مُرْدَفٍ وَلَا جُنُنْتُ بِخَصْرِ
غَيْرِ مُحَنَصِرٍ^(٣)

وتناول بالحديث غدر المرأة، فهي سريعة الغدر، تتقلب من محبوب لآخر، وما ذلك إلا لثقتها بحسنها وجمالها، فالحسنات يحسن التودد والتلطف، فتعطي بلسانها ما ليس في قلبها، ولا تكتفي بالسكوت بل تدعي حبها له، وليس عليها شيء من آثار العشق:

يَا هَذِهِ تَدْعِي الْوَجْدَ عَارِيَةً مِنْ الضَّنَى فَدَعِي
الشُّكُوى لِمَنْ عَشِقَا^(٤)

وهي التي تعده ثم تخلف. لذلك يطلب من أهل الحزم والعقل ألا يأمنوا النساء في الحب، فهن يُدخلن الجنون على الإنسان ويخدعنه، يخدعن محبيهن بالوعد الكاذبة، بل هي التي ترسل له تقاحة قبيلتها وعضت جانباً منها تشويقاً له ثم تخون وتغدر. فهي تسقي الحب سماً ويظنه شاربه عسلاً.

وهي لا تفي بمواعيدها بل توجل وتماثل، وخلفها ذلك مستمر متتابع، ولو وفّت وزارت فإنها تكون زيارة خفيفة سريعة، كجلسة الخطيب بين الخطبتين:

وَإِنْ هِيَ زَارَتْ خَلَّتْهَا مُسْتَعِيرَةً لَهَا مِنْ حَاطِبِ
الْحَفْلِ جَلَسَتَهُ الْعَجَلَى^(٥)

كما تحدث ابن حمديس عن أمور أخرى مما يتعلق بوصف المرأة:

(٣) الديوان، ص ٢٠٥.

(٤) الديوان، ص ٣٣٦.

(٥) الديوان، ص ٣٧٦.

(١) الديوان، ص ٣٧٥.

(٢) الديوان، ص ١٢٩.

ففي بعض المواطن ذكر أن هذه الموصوفة
تزور ولا تخاف الرقيب، ولا يردعها لوم اللاتمين.

ورغم جلوسه معها أحياناً فإن نار الحب لا
تنطفئ وإنما تتقد وتزداد اشتعلاً، وعلى الرغم من
ذلك فإنه لم يفعل معها محرماً، مثل الصائم الظامئ،
إذا وُجد ماء في فمه فإنه لا يبتلع منه شيئاً.

كما وصف المرأة الساقية وأن ما في يدها
محرق لكل هم.

وإن لم يستطع أن يلقي محبوبته في أرض
الواقع فإنه يجتمع بها في أرض الأحلام ويحقق
أمانيه، ولا يستطيع أحد أن يلومه هناك، وإذا كاد أن
يصحو من منامه وصله بمنام آخر كي لا ينقطع
الوصل. بل إنه حتى في أحلامه عفيف لا يقرب
ذنباً.

وَمَرَّتْ لَطَائِفُ أَرْوَاجِنَا بَلَعُوْهُ الْهَوَى حَيْثُ مَرَّتْ
كراماً^(١)

وهو راضٍ بطيف المحبوبة ويشبهه بأنه مثل
الطيب إن لم تجد عينه فإنك واجد رائحته.

وقد يلتقي بطيف المحبوبة لا في منامه وإنما
في وهمه وخياله، وهذا الوهم والخيال يجعلها كأنها
متمثلة أمام عينيه، فلا يدري ما يراه صدقاً أم كذباً.
فذلك الخيال يصيبه بالأرق؛ لأنه مشتاق للقياء.
وحديث ابن حمديس عن طيف الخيال بكثرة أثر من
آثار معشوقته الصقلية، وكأنه وقد استعصى عليه أن

يزورها أو تزوره حقيقة يجد العوض عنها في طيف
خيالها^(٢).

ويصفها بالعفاف، ودليل ذلك أنها لا تعرف
من يحبها ممن لا يحبها.

وهي من العفة لم تَدْرِ مَنْ جُنَّ بِهَا دُونَ
الغواني وهام^(٣)

وهناك من يرى أنه لو ترك هذه المقدمات
الغزلية لكان خيراً له؛ لأنها لا تحمل من تجاربه
ومشاعره إلا القليل، وأنها ترداد لصفات العذل التي
توارثها الشعراء من قبل، وإن وجد فيها نزعة وجدانية
كان ذلك استجابة لماضييه وتأثراً به لا إخلاصاً
لحاضره واندماجاً في مفاته^(٤). وكما ذكر بكري شيخ
أمين أنه لا يكاد "شاعر من القدماء يشذ عن هذه
الأوصاف، ولعل الفرق الوحيد بين الشعراء أن منهم
من وصف الجسد كاملاً، ومنهم من اكتفى برسم
بعض أعضائها، أو تصوير حديثها أو خلقها
فاقتصر على أمور جزئية في الوقت الذي حاول
غيره أن يتعرض لأوصاف أكثر وأشمل وأعم"^(٥).

إن غزل ابن حمديس ووصفه يتسم بالعفة،
فهو من الغزل العذري، ولعل سبب ذلك أمران:
احترامه وتوقيره للمدوح، إذ إن مثل هذا الغزل
الفاحش لا يليق. والثاني: نظرتة وتقديره للمرأة، فهو
قد عرف المرأة ذات شرف ومكانة، فبعد أن فقد أمه

(٢) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) الديوان، ص ٤٦٠.

(٤) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٤.

(٥) أمين، بكري شيخ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ص ١١٩.

(١) الديوان، ص ٤٥٣.

وإمكاناتها، فالألفاظ والعبارات مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني^(٢)، والأسلوب هو طريقة التعبير، فيجب أن يكون العرض جميلاً وليس عرضاً جامداً للأفكار^(٣)، فالأسلوب الجميل مما يُظهر قوة عاطفة الشاعر وعمق تفكيره، والعكس بالعكس فالأسلوب الرديء يعيب هذه الأشياء^(٤)، والذي يحدد قيمة الألفاظ العاطفة أو الحركة التي يسبغها الشاعر عليها، فالشعر له لغته الخاصة، وليس عرضاً للأفكار فقط، بل هو عرض جميل^(٥).

ذهب النقاد إلى أن أفضل الألفاظ ما كان سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها^(٦)، والسهولة مع عدم الابتذال عنصر مهم في إبداع المبدعين^(٧)، وقد كان ابن حمديس حريصاً على الألفاظ العذبة الرقيقة التي يلائم بعضها بعضاً، وتتجاوز في نسق موسيقي أخاذ^(٨).

ويتسرب الجمال إلى اللفظ من الأصوات التي تتكون منها، ويسري من اللفظ إلى البيت ومن البيت إلى القصيدة إذا توافر بينها جميعاً حسن جوار،

في صغره تولت تربيته عمته التي كنّ لها غاية الاحترام والتبجيل، ثم تزوج بجارية عرفت حقوق الزوجية، لكنه فجع بغرقها، كما أنه رأى من البنات الوفاء والمحبة لأبيها، عندما أُشيع عنه أنه توفي فحزنت ابنته لذلك حزناً شديداً أودى بحياتها. لذلك كانت نظرتة للمرأة نظرة إجلال وإكبار.

وابن حمديس في مدائحه تلك عند حديثه عن المرأة، لا يُبين عن حقيقة هذه المرأة ومن هي، فهو لا يتغزل بامرأة بعينها، حتى عندما يتحدث عن مجموعة من النساء فإنهن لا يُعرفن، وإنما حديثه حديث عام.

الفصل الثاني الدراسة الفنية

إن مما يتعلق بالدراسة الفنية لصورة المرأة في مدائح ابن حمديس، أمور عدة وهي: اللغة، التراكيب، الأساليب، الصورة الفنية، الموسيقى. ونبدأ بالحديث عن:

المبحث الأول: اللغة:

الألفاظ:

إذا كانت العاطفة والخيال هما جوهر الصورة فإن اللغة بموسيقاها وكلماتها وصيغها وتراكيبها ودلالاتها هي الوسيلة التي تبرزهما^(١)، فالصورة الشعرية هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة

(٢) انظر: القط، عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، ص ٤٣٥.

(٣) انظر: أبو شارب، مصطفى، الشعراء المروانيون في الأندلس، ط١، الرياض: دار المفردات، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٢٩٠.

(٤) انظر: السلمي، عبد الرحمن بن رجاء الله، شعر الأسر بين أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد-دراسة موازنة، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٣/١٤٢٤هـ، إشراف: د: محمد فايد هيك، ص ٣٥٥.

(٥) نفسه، ص ٣٥٤.

(٦) انظر: الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري-دراسة في النظرية والتطبيق، ط١، الرياض: دار العلوم، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص ٢٢.

(٧) انظر: الهليل، عبد الرحمن، عمرو بن مسعدة-سيرته وتراثه النثري-دراسة وجمعاً وتوثيقاً، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٦٦.

(٨) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ١٩٧.

(١) انظر: الشوري، مصطفى عبد الشافي، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٣م، ص ٢٤٨.

وعندئذ تستدعي اللفظة صوراً تستطيع الإحياء الكامل^(١).

إذن فلكل شاعر هدف واحد في قصيدته، هو رصد الكلمات وبناء الجمل بها بطريقة تضمن لها الانسجام حتى لو كان العرف اللغوي يقف عند حدود معينة^(٢).

السهولة واللين والألفة:

الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه، فالرقيق يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملينات الاستعطاف^(٣). أي التعبير عن العواطف الرقيقة اللينة، ومن أهمها الغزل. وليس معنى الرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم^(٤). يقول ابن حمديس في مطلع قصيدة يمدح فيها المعتمد:

ورُدُّ الخدودِ ونرجسُ المُقَلِّ عَدَلَا بِسَامِعَتِي عَنِ الْعَدَلِ
ومواردُ الرِّشَفَاتِ مُرْوِيَّتِي حَيْثُ الْمِيَاهُ مَثِيرَةٌ غُلِّي
حَذَلْتُكَ بِاللَّحْظَاتِ خَاذِلَةً فِي الْإِجْلِ تَرْسُلُ أَسْهَمَ الْأَجْلِ
مِنْ مُقَلَّةٍ نَقَلْتُكَ قَهْوَتَهَا بِالسُّكَّرِ مِنْ حَبْلِ إِلَى حَبْلِ
وَلَقَلَّمَا يَصْحُو أَمْرُو حَكَمَتِ فِيهِ كُؤُوسُ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
إِنِّي أَمْرُو مَا زِلْتُ أَنْظُمُ فِي حَبِيدِ الْغَزَالِ قَلَانَدَ الْغَزْلِ
وَجَنِيَّةٍ صَنَنْتُ عَلَى نَظْرِي بِجَنِيٍّ وَرَدِ الْوَجَنَةِ الْخَصْلِ
صَبَعْتُ غَلَالَةَ خَدَّهَا بَدْمِي إِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِعِنْدَمِ الْخَجْلِ^(٥)

يفتح الشاعر قصيدته بلفظة (ورد) التي تدل على اللطف والجمال، وأضافها إلى الخد، ثم عطف عليها كلمة النرجس الموحية بالبرقة والجمال، ثم يتابع الشاعر التعبير برقة باستخدام (الرشفات مروييتي) وما فيهما من ترقق مؤثر على السامع، وما يدل على تلذذه بذلك إضافة التلذذ لضمير المتكلم. ورغم أن الشاعر انتقل للحديث عن الغدر والهجران إلا أنه لم يستخدم لفظة عنيفة، وإنما استخدم لفظة (لحظات) وما تدخله في نفس السامع من دلّ وغنج. ثم يتابع أن تلك المقلة تدخل السكر والخيل على الناظر. ويلاحظ على هذه الألفاظ رقتها وعدم ركاكتها فهي قادرة على "تجاوز سمع المتلقي إلى التغلغل في وجدانه وتحريك المشاعر والأحاسيس الغافية فيه"^(٦). فالألفاظ النص موحية بما يجده الشاعر من جمال لهذه الموصوفة وعشقه لها المؤثر في عقله وفكره، وعدم تمكنه من الوصول إليها.

(١) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠٢. نقلاً عن: الشعر والفنون الجميلة، ص ٢٠. (هكذا وجدته في الأصل، والأصل لا توجد فيه قائمة مراجع، ومؤلفه إبراهيم العريض، دار المعارف، ١٩٥٢م).

(٢) انظر: الشورى، مصطفى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي و د: بدوي طبانة، ط ٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٨٥/١.

(٤) نفسه، ١٨٥/١-١٨٦.

(٥) الديوان، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٦) سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة البيتيم في الشعر السعودي - دراسة تحليلية))، مجلة جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنورة: السنة: ١، العدد: ١، (شعبان ١٤٣٢هـ)، ص ٢١٩.

مُلاعِبَ البيض بين البيض تلاعبت بك حور الأعين
والأسل النجل
فخذ من الرمح في حرب المها فاطعن بالسمر غير الطعن
عوضاً بالمقل
كم للعلاقة من هيجا رأيت بها ضراغم الغيل قتلى من مها
وكم غزلة إنس أنحلت جسدي الكلل
ممشوقة ملئت عن حلمي إلى بالهجر حتى حكى ما رق
سفهى من غزل
تصد بالنفس عن سلوانها بهوى منها بقدم مقيم الحسن في
خداعة الصب بالآمال مرسله الميل
وناطق الوجد مني لا يكلمه عين تكحل فيها السحر
يا هذه وندائي دُميئة طمع بالكل
أرى سهام لحاظ منك ترشقني إلي بالعض في التفاح والقبل
بل صغف طرفك في سفك منها إذا ما التقينا ساكت
الدماء الملل
إني امرؤ في ودادي ذو في نطقها من فقيد اللب
محافظة. مختل
أفي جفونك رام من بني ثعل أضعاف ما للظبا والنبل
والأسل فما يرى في وفائي والخل من خلل^(٥).

فبعض ألفاظ النص فيها غرابة، معلوم أنه يفهم معناها من السياق ولكن تحتاج إلى معرفة دقيقة لدلالاتها، فمثلاً كلمة (الأسل) معطوفة على البيض وهي السيوف، إذن هي نوع من الأسلحة، ولكن ما هو؟! إنها الرماح، وكذلك (النجل). فالألفاظ بينها ألفة تجعل "استجابة السامع للشاعر سريعة لا يحول بينهما أن تكون الكلمة غير واضحة المعنى تحتاج

والسهولة معناها ألا تكون الكلمة مكونة من حروف متنافرة يصعب على اللسان النطق بها، والألفة أن تكون الكلمة واضحة المعنى لا تحتاج إلى بحث وتنقيب ليفهم السامع ماذا يريد الشاعر أن يقول^(١). ولذلك يقال عموماً في أبيات ابن حمديس عندما تحدث عن المرأة في مدائحه أن ألفاظها سهلة بينها ألفة، وتقل فيها الغرابة.

الغرابة^(*) والجزالة:

إن الغرابة الموجودة في الشعر الأندلسي في الغالب ليست من الحوشيات المغلقة التي يحتاج استبطان نصها إلى مطالعة المعاجم ولا يفلح السياق في حل مغاليقها^(٤). والغالب على الشعر المتعلق بالنساء الرقة والليونة والبساطة، وقد يخرج إلى الجزالة والقوة إذا اقتضى الموقف، وصياغة ابن حمديس تتردد بين البساطة والسهولة عندما يترك نفسه على سجيته، وبين الجنوح إلى الغريب عندما يقصد إلى التحسين والتجميل وتجلية براعته، وكثير ذلك في مدائحه وفي التمهيد لها خاصة^(٥). فابن حمديس لم يتجنب الغرابة أو الجزالة دائماً، حيث نراه يقول في مدح أبي الحسن علي بن يحيى عند ولايته سفاقس:

(١) انظر: بدوي، أحمد أحمد، أسس النقد عند العرب، القاهرة: دار نهضة مصر، ص ٤٥٨.

(*) اللفظ الغريب هو اللفظ غير المألوف والنادر المهجور. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبه، مجدي و كامل المهندس، ط ٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص ٣١٩.

(٤) انظر: الهرامة، عبد الحميد عبد الله، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري الظواهر والقضايا والأبنية، ط ٢، طرابلس: دار الكاتب، ١٤٢٩هـ-١٩٩٩م، ٢٩٦/٢.

(٥) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠٩.

(٥) الديوان، ص ٣٩١-٣٩٢.

إلى بحث وتقيب، ليفهم السامع ماذا يريد الشاعر أن يقول^(١).

وكذلك يستخدم الشاعر الجزالة في بعض الألفاظ، فكلمة (الطن-هيجا-الهجر) في هذا الموضوع جزلة. والجزل من الألفاظ ما يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك^(٢). وإن كان انتقل بعد ذلك للحديث عن الغزالة إلا أن الجزالة استمرت معه، فكلمة (العض-ترشقي-سفك الدماء) مشعرة بالقوة والعنف، فالموقف موقف قوة وولاية وهذا اقتضى مثل هذه الألفاظ. وفي عبارات الشاعر كثير من أصداء غربته عن وطنه وحزنه على فراق أهله^(٣)، وهذا ما جعله يستعمل أمثال هذه الألفاظ الجزلة.

وربما الذي دفعه إلى هذه الجزالة والغرابة هو ضعف عاطفته ف "المقدمات المشتعلة شوقاً وحباً بدأت بصفة عامة تخدم جذورها، وتفقد شحنتها العاطفية شيئاً فشيئاً على مدى الأيام، حتى أسلمتنا إلى ما سميناه النسيب الذي لا عاطفة وراءه"^(٤)، فيظهر أن الشاعر حاول أن يغطي ضعف عاطفته بهذه الألفاظ الجزلة الغريبة، كي يشغل السامع بها وبفهم معانيها عن تتبع العاطفة فيها.

وعلى الشاعر أن يهيئ للألفاظ نظاماً ونسقاً وجواً يسمح لها بأن تتسع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها مع

الجو الشعري الذي تريد أن ترسمه^(٥). وإذا فُقدت اللغة بألفاظها وتراكيبها عنصر الإيحاء هبطت دلالتها الفنية وأصبحت لغة إيصالية موضوعية أكثر منها تخيلية أو إيحائية فنية^(٦)، ومن أمثلة الكلمات الموحية عند ابن حمديس قوله في مدح القائد مهيب بن عبد الحكم الصقلي:

غَيَّرَتْهُ غَيْرُ الدَّهْرِ فَشَابَ ورمته كلُّ خود
باجتتاب^(٧)

يفتح الشاعر قصيدته بهذا البيت، وقد هياً الشاعر في استخدامه لكلمة (فشاب) ألفاظاً قبلها لتؤكد على دلالتها وهو التبدل والتغير فذكر (غَيَّرَتْهُ-غَيْرُ الدَّهْرِ)، وتسكين الشاعر لها يدل على العجز والضعف، فمن شاب لا يستطيع العمل والسعي، بل يدركه الضعف، ومن شاب تتبدل أحواله، وخاصة في العشق، فبعد أن كانت النساء يتوددن إليه ويتقربن، تبدلت الحال وأصبحن يبتعدن عنه، ذلك ما يوحي به لفظ (فشاب). وفي آخر أبيات الغزل بعد حوالي عشرين بيتاً ذكر الشيب والشباب، بعد أن ذكر كثيراً من الأمور والأحوال التي تبدلت بينه وبين من يعشقهن فقال:

كَيْفَ لَا أَبْكِي بِهَذَا كُلِّهِ وَأَنَا الْفَاقِدُ رِيْعَانَ الشَّبَابِ
صَدَّتِ الْبَيْضُ عَنْ كَانَ مَا بَيْنَ الشَّبِيهِينِ
الْبَيْضِ أَمَا انْجَذَابِ

(٥) انظر: نفسه، ص ١٠٧.

(٦) انظر: الهليل، أ.د. عبد الرحمن عثمان، الهمس في الشعر السعودي،

ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ١٠٣.

(٧) الديوان، ص ٦٣.

(١) بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص ٤٥٨.

(٢) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ١٨٥/١.

(٣) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢١٠.

(٤) نفسه، ص ٩٧.

كلما قامت تَنْتَى خَلَعَتْ مَيْلَ التيه على خُوطِ
قويم^(٣)

المبحث الثاني: التراكيب

إن تفاوت التفاضل بين الشعراء يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أعسر وأشق^(٤)، وسأقتصر على التقديم والتأخير لما تميز به هذا التركيب عند ابن حمديس في مدائحه وحديثه عن المرأة.

التقديم والتأخير:

أبرز التراكيب التي استخدمها ابن حمديس عند حديثه عن المرأة التقديم والتأخير، وهناك من يرى أن التقديم والتأخير "يؤدي إلى تعقيد الكلام تعقيداً تَضِلُّ فيه المعاني"^(٥)، ولكن ذلك لا يظهر في شعر ابن حمديس في هذا المجال، بل إن الشاعر في تقديمه وتأخيره يُظهر ما يهتم به ويشغل باله، يقول ابن حمديس في مدح الإمام أبي الحسن علي بن يحيى:

وأورَثَ الموتُ سرُّ البين حين فشا عِنْدِي وعند
حبيبٍ أَوْرَثَ الصمما^(٦)

يؤكد الشاعر جمود عاطفة الموصوفة تجاهه، وأنه بعد افتضاح سر محبته لها، وانتهاء تلك المحبة بالفراق أدرك الشاعر الموت، فقدم الشاعر المفعول

أفلا أبكي شباباً فَقَدُهُ
أخطأ الشيبُ طُباءً
لو رماها خَذَفَاتِ لأصاب^(١)
والصِّبا.

فهو يبكي ما فقد من جمال هؤلاء الحسنات بسبب فقده (ريعان الشباب)، وأعرض عنه البيض لبياض شعره. فإحياء كلمة الشيب وما ذكره من أمور تغيرت عليه، كل ذلك ليؤكد الشاعر حسرته وحزنه عن بعد الجميلات عنه، وساعد الشاعر على إيصال ذلك ما توجي به كلمة الشيب بداية والشباب من بعد.

ومما يتعلق بالألفاظ دقة الشاعر في اختيار ألفاظه لتؤدي المعنى الدقيق الذي يريده، فمن ذلك قول ابن حمديس عندما مدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز:

أَقْبَلْتُ تَسْعَى بِهَا خُمْصَانَةً عَمَّ مِنْهَا حُسْنُهَا
خُلُقاً عَمِيم^(٢)

فاختيار الشاعر لكلمة (خُمْصَانَةً) التي تدل على ضمور البطن ودقة خلقته، دون غيرها من الكلمات مثل النحالة أو الضالة، لما تشعران به من الفقر والحاجة، أما خمصانة فهي تشعر رغبة هذه الساقية أن تكون بهذا الوصف وحرصها على هذا الجمال في الخصر، وهذا الحسن رآه كثير من الناس لعشقهم له. واختيار الشاعر لخمصانة يمهّد لما يريده الشاعر في البيت الذي يليه وهو التثني والميل، الذي لا تتقنه البدينة، ولا تستطيعه الضعيفة:

(٣) الديوان، ص ٤٤٩.

(٤) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ١/١٦٦.

(٥) الجهني، زيد بن محمد بن غانم، شعر الحرب بين البحرّي والمتنبّي، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ، إشراف: أ.د. طه مصطفى أبو كريشة، ص ٤٣٩.

(٦) الديوان، ص ٤٧٠.

(١) الديوان، ص ٦٤.

(٢) الديوان، ص ٤٤٩.

ثم غطت بنقاب خدها من رأى الشمس توارت
بالحجاب^(٢)

فهذه الجميلة اختفى خدها عن ناظره، لكن المؤلم أنه اختفى بساتر مستمر مقصود وليس عارض زائل، فهي تعمدت إخفاء خدها بواسطة النقاب فقدمه على الخد، فقد يكون المانع من رؤية الخد أمر عارض كيدها أو ما تتحجب به، لكن المانع متعمد مقصود وهو النقاب. ويجعل مستمعه يشاركه الحسرة والألم بتستر هذه المرأة عنه بأن شبه الأمر والحال مثل اختفاء الشمس وضوئها رغم حاجة الناس لها.

ولأن الغالب على شعر الغزل والحديث عن المرأة أنه يعتمد على البساطة والبعد عن التعقيد فقد قلّ التقديم والتأخير في هذه الأشعار.

المبحث الثالث: الأساليب

إن الأسلوب يتكون من لبنات هي المفردات، وقف عندها نقاد العرب طويلاً، يتبينون الأسباب التي تهب الكلمة الجمال لتؤدي دورها في الأسلوب أداء كاملاً، ولتقوم بنصيبها في التأثير النفسي تأثيراً بالغاً^(٣).

الحوار:

استخدم ابن حمديس أسلوب الحوار في شعره الذي تحدث فيه عن المرأة، ولكنه لم يكن بتلك الكثرة، رغم أن الحوار فيه إخراج مكنون النفس من الهم والغم، وبذلك تُنقّس عما بداخلها فتجد راحة

به (الموت) لاهتمامه واغتمامه به؛ لأنه سيؤدي إلى بعده عن المحبوبة، فقدمه على الفاعل وتوابعه (سر البين حين فشا)، حيث إنه غير مكترث بكون المحبة سرّاً أو جهراً، ولكنه صدم أن هذا النبأ لم يؤثر في المحبوبة بل على العكس تغافلت عنه وتجاهلته.

فالتقديم أثر في المعنى تأثيراً فنياً وهو تركيز الشاعر على نتيجة البعد والفرق وهو الموت، ولكن الشاعر في الشطر الثاني حذف الفاعل المكروه إلى نفسه نهائياً (الموت)، وذكر المفعول الذي صدمه ولم يتوقع صدوره من المحبوبة وهو صممها وتجاهلها لهذا الخبر المريع، وقدم قبل ذلك الظرف الفضلة (وعند حبيب)؛ لانشغاله بهذا الحبيب، وليجعل نفسه (عندي) يقرب المحبوبة (وعند حبيب) حتى ولو في اللفظ.

وفي موطن آخر يتحسر ابن حمديس على ذهاب الحسنات عنه فيقول:

فغدا عند الغواني ساقطاً كسقوط الصفر

من عد الحساب^(١)

يذكر ابن حمديس اجتناب النساء الجميلات له بسبب شيبه، فالذي أثر فيه ليس سقوطه من الأعين والقلوب، بل آلمه هو سقوطه عند الغواني، لذلك قدمه لاهتمامه به.

وكذلك مما يؤلمه إلى جوار اجتناب النساء له احتجابهن عنه:

(٢) الديوان، ص ٦٤.

(٣) انظر: بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي، ص ٤٥٢.

(١) الديوان، ص ٦٣.

وَكَأَنَّما خَاصَّتْ ذَوَائِبُها
يا هَذِهِ اسْتَبَقِي على رَجُلٍ
لا تَسْأَلِيهِ عن الهَوَى وَسَلِي
عَطَفْتُ وَقَالَتْ رَبُّ ذِي أَمَلٍ
قَبْلِي دِيونٌ ما اعْتَرَفْتُ بها
من جَفْنِها في صِبْغَةِ
الكحلِ
أَفْحَمْتِهِ بِالْفاحِمِ الرَّجُلِ
عنه إِشارةً دَمْعِهِ الهَطْلِ
ظَفَرْتُ يَداهُ بِطائِلِ الأَمَلِ
إِلا لِأَمْنَحَ مُجْتَنِّي قُبْلِي^(٣)

يبدأ الشاعر مقطعه بالنداء الموجه إلى مخاطبة أمامه، لم يحدد اسمها وإنما حدد قربها (يا هذه)، يطلب منها ويستجديها أن تبقى على من يتصف بصفة الرجولة والقوة، ولكن أدركه الضعف والمهانة، لذلك هو يطلب ويسترحم، ويذكر شيئاً مما أدى إلى ضعفه أمام هذه المرأة وهو شعرها الأسود الطويل الجميل المرسل غير الشعث، فهذا الشعر منعه ودهشه عن قول الشعر لجمالها.

ثم ينهي الشاعر المخاطبة عن سؤاله عن عشقه وغرامه، فهو لا يستطيع الكلام لانشغاله بالبكاء، ولكن جواب السؤال واضح في دموعه المتتابعة من عينيه.

لقد كان حديث الشاعر كأنه متوجه إلى صخرة صماء، فهي لا تعير حديثه أي اعتبار، يتحدث إليها وهي معرضة، بدليل قوله (عطفت)، أي مالت والتفتت إليه بسرعة، ولذلك عبر بعدها بـ(وقالت)، فكأنها قالت على وجه السرعة، ثم ذكرت له حكمة تدل على راحة عقلها وعدم انشغالها

وسروراً، واتخذ الحوار ليظهر براعة ومهارة أمام المتلقي، ويوهمه بالجدة والابتكار، وهو حوار ممتع، فيه جمال الواقعية^(١). ومن ذلك قوله في مدح علي بن يحيى مهنئاً له بدخول عام:

قالت اللثم لا أراه خلاً
قلت هذا علمته غير أنني
فاجعلي اللحظ زاد جسم
سبقتي.

بيننا والعناق حظ كبير
أسأل اليوم منك ما لا
يضير
روحهُ في يدك ثم يسير^(٢)

إن الشاعر لا يستطيع الوصول إلى شيء من هذه المحبوبة، فيقدّر حواراً خفياً غير ظاهر يستشفه المتلقي من حديثهما، وهو أنه طلب منها أن يعانقها ويقبلها، ولكنها ترفض ذلك، وترى حرمة هذا العمل، بل الوصول إليه لا يناله إلا صاحب الخطوة، والعاشق ليس منهم، ويظهر أن العاشق عمد إلى حيلة، حيث طلب ما يعلم أنها ترفضه لينال منها شيئاً يصبره، فهو يعلم أنها لن تكرر الرفض فأتى لها بالأعظم لتعطيه الأدنى، ولذلك قال لها واعترف فقال (هذا علمته) فهو يقر بحرمة ذلك ورفضها له، ولذلك طلب منها ما لا يضرها. وعلة عدم وجود الضرر في ذلك أن التقبيل والعناق يظهر أمام الناس أن لها مشاركة فيه، أما اللحظ والرؤية فيكون دون علم منها ولا مشاركة، فلا يقع لوم عليها.

ومن نماذج المحاورة قوله في قصيدة مدح بها

المعتمد:

(١) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢١-٢٢.

(٢) الديوان، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) الديوان، ص ٣٧٢.

من الآلام، والتسلي عن الأحزان^(٤)، التي يجدها في نفسه والحرقة المكبوتة في صدره، فعندما يقول ابن حمديس:

أَوْ مَا عَلِمْتَ بَأَنَّ فُتَاكَ الْهُوَى حُورٌ تَكَافُحُ
بِالْعُيُونِ مِلَاحُ^(٥)

يريد المخاطبة والحديث والمشاركة في المصيبة التي نزلت به، وهي أن جميلات العيون هن الجريئات على العشق والغرام.

وتارة أخرى يسأل مخاطبه لبيان صفات جميلة تتعلق بالمحوبة، فيقول:

تُجْرِي الْأَرَاكَ عَلَى الْأَقَاخِ وَظَلْمُهَا رِيْقٌ أَذَقْتُ
الشَّهْدَ وَالْجَرِيَالَ^(٦)

يتحدث الشاعر عن جمال هذه المرأة، وكيف أنها تمرر أصابعها التي هي مثل شجر الأراك، تمررها على فمها الذي هو مثل ورد الأقاخ، وماء أسنانها البراقة عذب حتى لو لم تطعم شيئاً، ثم يريد أن يقرب الصورة لسامعه، ويريد منه المشاركة في اللذة والمتعة التي يجدها فيسأله ويخاطبه بتاء المخاطب للدلالة أن الخطاب له، فيسأله بالهمزة التي تفيد هنا التصديق لا التصور، ليجيب السامع: نعم أعرف طعم الشهد وأنه لذيذ. والذوق يكون بطرف اللسان وعلى وجه السرعة، هل ذقت العسل الذي في شمعته قبل أن يصقَى، فهو طازج لم تدخل فيه يد صنعة بعد، واختار الشاعر الشهد التي تذكر

بالعشق والهوى، وهي أنه من القليل النادر أن يفوز الإنسان بما يأمله ويظن فيه فائدته.

ثم توضح له استحالة وصوله إليها ونيله ما يريده منها بصورة جميلة، وهي أنها وعدت كثيراً من الناس بإعطائهم ما يريدون ولكنها جددت تلك الوعود.

فاستخدام الشاعر للحوار بينه وبين هذه المرأة ليظهر مكنون نفسه، وليلقي على لسانها حكمة عامة يستفيد منها أي سامع، وليعلل سبب إعراضها عنه، كل ذلك استطاع الشاعر أن يقدمه بصورة حوارية، وليست تقديماً مباشراً جافاً.

الأساليب الإنشائية الاستفهام:

إن تنقل الشاعر بين الأساليب الإنشائية من استفهام ونداء وأمر ونهي كأنه يريد أن ينقل المستمع من حال إلى حال حتى لا يتسرب السأم إلى نفس المتلقي^(١)، وإثارة السؤال سبيل إلى توطيد المعنى، ودفع للبس الذي قد يتبادر إلى الذهن، وهو وسيلة في الغوص على المعنى وتعمقه، وأغلب ما يكون استخدام الاستفهام فيما يكون ظاهره التناقض^(٢)، والاستفهام يحمل المستمع على التفكير والالتفات، فيمضي المستمع لهذا الشعر ولا تزال تلك الإثارات عالقة في نفسه^(٣)، وفي اللجوء إلى الاستفهام تخفيف

(١) انظر: الدش، محمد، أبو العتاهية: حياته وشعره، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص ٢٩٠.

(٢) انظر: عبد الرحيم، مصطفى عليان، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) انظر: أبو الأنوار، محمد، في تاريخ الأدب العباسي- الشعر والشعراء، المنيرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م، ص ١٧٦.

(٤) انظر: الهليل، عبد الرحمن عثمان، التكرار في شعر الخنساء دراسة فنية، ط١، الرياض: دار المؤيد، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص ١٠١.

(٥) الديوان، ص ١٠٢.

(٦) الديوان، ص ٣٨٧.

للدلالة على الإحاطة والشمول لكل جزء من عينيها وأنه قاتل، ونكر كلمة (رام) إشارة أن أي شخص من هذه القبيلة معروف بدقة الرمي.

وقد استخدم الشعراء قبل ابن حمديس ضرب المثل في دقة الرمي ببني ثعل، فهذا امرؤ القيس يقول:

بَنُو ثَعْلٍ جِيرَانُهَا وَحُمَاتُهَا وَتَمَنُّعٌ مِنْ رُمَاةٍ سَعِدِ
وَنَائِلٌ^(٤)

والبحتري يقول:

أَرْمِي بَطْنِي فَلَا أَعْدُو الْخَطَاءَ بِهِ اعْجَب
لِأَخْطَاءِ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ^(٥)

وغيرهما من الشعراء، لكن قليلاً من الشعراء وظف هذه الصورة في نظرات المرأة، وممن فعل ذلك قبل الشاعر، التهامي حيث يقول:

مَا بَالُ طَرَفِكَ لَا تَنْمِي رَمِيَّتَهُ كَأَنَّمَا هُوَ رَامٍ مِنْ
بَنِي ثَعْلٍ^(٦)

فالشاعر يذكر أنها تقتل بنظرتها مباشرة، وليس تجرح المصيد فقط.

والشريف المرتضى يقول:

نِسَاءً مِنْ بَنِي ثَعْلٍ بَنِ عَمْرٍو يَصْبِنُ هُنَاكَ
أَفْنَدَةَ الرِّجَالِ^(٧)

بالشهادة والمعاناة، فالإنسان لا يشهد على شيء إلا وهو متيقن منه ومتأكد، و"اشتراك الكلمات في أكثر حروف المادة يجعل إحداها عند سماعها تذكر بالأخرى"^(١). ويؤكد على لذة هذا الرضاب وجماله، وأنه مع طعمه اللذيذ فهو جميل اللون مثل الخمر. وفي أحيان أخرى يتوجه الشاعر باستفهامه

إلى المحبوبة نفسها، فيقول:

هَلْ أَنْتِ فَادِيَّةٌ فَوَادَ عَمِيدٍ مِنْ لَوْعَةٍ فِي الصَّدْرِ ذَاتِ
أَمْ أَنْتِ فِي الْفَتَكَاتِ لَا تَخْشِينَ وَقُودِ قَتَلَ الْعِبَادِ عُقُوبَةَ الْمَعْبُودِ^(٢).
في.

لقد افتتح الشاعر قصيدته بهذين البيتين، وبدأها بالسؤال المباشر للمرأة، ويطلب منها أن تعتق قلب صاحب المكانة العالية؛ لأن صدره مشتعل من حبها وغرامها. ثم يعقب بسؤال آخر وهو في حالة من الدهش أن هذه المرأة من الجرأة والقوة أنها لا تخاف من قتل الناس ولا ترى في ذلك من سينزل عليها عقوبة على ذلك القتل.

ويخاطبها بأنها قاتلة بنظراتها فيقول:

أَرَى سِهَامَ لِحَاظٍ مِنْكَ تَرَشُّقُنِي أَفِي جُفُونِكَ رَامٍ
مِنْ بَنِي ثَعْلٍ^(٣)

فنظرة وجيزة منها تنزل عليه سيلاً من السهام المستمرة، ولذلك عبر بالمضارع للدلالة على الدوام والاستمرار (ترشقني)، ثم يسألها: هل في عينيك رام للسهام من بني ثعل؟ وقدم الشاعر الجار والمجرور

(١) حسان، تمام، البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط٣، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ٢١٠/١.

(٢) الديوان، ص ١٢٩.

(٣) الديوان، ص ٣٩٢.

(٤) ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: أ/ مصطفى عبد الشافي، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ١٣٦.

(٥) ديوان البحتري، شرحه وعلق عليه: د/ محمد التونسي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، بيروت: دار الكتاب العربي، ص ١٠٢١.

(٦) الجراوي، أحمد بن عبد السلام، الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، ط١، دمشق: دار الفكر - بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ١٠٢٩.

(٧) الشريف المرتضى، الديوان، حققه: رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية، القسم الأول ص ٨٥.

فجعلهن نساء راميات من بني ثعل، فدقة
الرمي ليست عند الرجال فقط، بل حتى عند النساء،
ولكنهن يصببن القلوب بالعشق.

وصرد بن صربع يذكر أنه في عين كل
حسنة كنانة لبني ثعل، فيقول:

كأنما بين جَفْنَيَّ كُلِّ نَاطِرَةٍ ترنو كنانة رامٍ من
بني ثعل^(١)

وبعد ابن حمديس استخدمها لسان الدين ابن
الخطيب في الغزل بالمذكر فقال:

فَمِنْ ثَعْلِ الزُّوراءِ لَمَحَّةَ طَرْفِهِ وَمِنْ مُصْرِ
الْحَمراءِ صَفْحَةَ خَدِّهِ^(٢)

فإثارة السؤال سبيل إلى توطيد المعنى، ودفع
للبس الذي قد يتبادر إلى الذهن، وهو وسيلة في
الغوص على المعنى وتعمقه، وأغلب ما يكون
استخدام الاستفهام فيما يكون ظاهره التناقض^(٣)،
والاستفهام يحمل المستمع على التفكير والالتفات،
فيمضي المستمع لهذا الشعر ولا تزال تلك الإثارات
عالقة في نفسه^(٤).

عندما يخاطب الشاعر سامعه بالاستفهام لا
يريد منه الرد، وإنما يريد التخفف من بعض المعاناة
العاطفية^(٥)، فقد بدأ ابن حمديس إحدى قصائده

بخمسة أبيات استفهامية، وكأن الشحنة العاطفية لديه
كبيرة جداً فيقول في مدح أبي الحسن علي بن يحيى:
مَتَى صَدَرَتْ عَيْنَاكَ عَنْ أَرْضِ فَبَسَحْرُهَا فِي اللَّحْظِ بَادِي
بَابِلَ بَابِلَ
عَجِبْتُ لَرَامٍ كَيْفَ أَنْشَبَ مِنْهَا بِسَهْمَيْنِ نَصْلاً وَاحِداً فِي
أَنْتِ الَّتِي سَقَيْتَنِي سَمَّ حَيَّةٍ مَقَاتِلِي
فِيَا نَارَ وَجْدِي كَيْفَ عَشْتِ وَخَيْلَتِ عِنْدِي أَنَّهُ شَهْدُ عَاسِلِ
تَضَرَّماً بِمَاءٍ مِنَ الْأَجْفَانِ لِلنَّارِ قَاتِلِ
وَيَا رَفَعَ أَشْوَاقِي لِقَلْبِي وَخَفَضَهَا مَتَى كَانَ لِلْأَشْوَاقِ فَعْلُ
العوامل^(٦).

والصور المذكورة مكررة عند الشاعر من قبل،
ويظهر التلاعب بالألفاظ عند الشاعر حيث إن
الشاعر طابق بين أدوات الاستفهام، فالبيت الأول
والخامس (متى)، والثاني والرابع (كيف) والثالث
الوسط (الهمزة)، واستطاع الشاعر توظيفها ببراعة
وجمال.

النداء

لم يكثر استخدام أسلوب النداء عند ابن
حمديس عند حديثه عن النساء في قصائد المديح،
ولكن لما فيه من مد للصوت، وما يحمله هذا المد
من تفرغ لشحنة الحزن والألم المعتلجة في النفس،
كان سبباً وراء ظهوره في شعره، بالإضافة إلى ما
يقوم به النداء من وظيفة دلالية هي التفاعل بين
المنادي والمنادى عليه، تفاعلاً يبعث على إيجاد
حركة يكسر بها الشاعر وحشة الحزن وألمه^(٧)،

(١) صرد، الديوان، تحقيق ودراسة: د. محمد سيد عبد العال، ط١،
القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٣١.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، الديوان، حققه: د. محمد مفتاح، دار
البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ٨٤/١.

(٣) عبد الرحيم، مصطفى، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، ص١٩٢-
١٩٣.

(٤) أبو الأنوار، محمد، في تاريخ الأدب العباسي الشعر والشعراء
المنيرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م، ص١٧٦.

(٥) الهليل، عبد الرحمن، التكرار في شعر الخنساء، ص٧٣.

(٦) الديوان، ص٣٩٤.

(٧) انظر: السريحي، صلوح بنت مصلح، الصورة في شعر الرثاء
الجاهلي، دكتوراه، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م،
إشراف: أ.د. أحمد سيد محمد، ص٣٠٢.

ونداء الشاعر المحبوبة بـ(قارعة) يدل على علو مكانتها في قلبه، فالمقروع ذليل والقارع عزيز، ولذلك استخدمها بصيغة (فاعل) ليدلل على عزتها، وهي تضرب سمعه بقول غليظ شديد، ومع ذلك فإن هذا القول الثقيل خفيف على أذنه؛ لأنه صادر عن المحبوبة العزيزة.

المبحث الرابع: مصادر الصورة الفنية:

إن مصدر الصورة هو الشيء الذي يتكئ عليه الشاعر في إبداع صورته، وهذه الصور الفنية إما أن تكون محسوسة كالبيئة التي يعيش فيها الشاعر أو غير محسوسة كثقافة الشاعر وتجاربها^(٨).

وقد استأثرت الطبيعة بنوعيتها (المتحركة والساكنة) بمساحة واسعة في صور الشاعر^(٩)، ولعل مرد ذلك إلى ملائمة عناصر الطبيعة المختلفة للموضوع الذي انشغل به الشاعر، ومن جهة أخرى قدرة تلك العناصر على تجسيد المشاهد والأحاسيس التي يعبر عنها^(١٠).

الطبيعة بنوعيتها:

إن الطبيعة هي المصدر الأول للإلهام الشاعر، فهي أول ما يبصر الشاعر أمامه، وقد استفاد ابن حمديس من الطبيعة الأندلسية عند حديثه عن المرأة في مدائحها، فالصفة المشتركة بين كليهما

فالوصال والتفاعل هو رغبة الشاعر، ولذلك حرص على النداء.

وأكثر لفظة استخدمها في ذلك هو مناداة المرأة باسم الإشارة (هذه)، "سواء كانت راقصة أم غانية أم محبوبته"^(١)، فالنداء بالإشارة يدل على وجود المشار إليه أمام المشير حقيقة، أو حضوره في عقله وقلبه، فهو يتمنى أن تكون موجودة أمامه لتسمع كلامه ويسمع كلامها، وليتمتع برؤيتها، يقول:

أَيَا هَذِهِ اسْتَبْقِي عَلَى الْجِسْمِ إِنَّنِي كَثِيرٌ سَقَامِي
حَيْثُ قَلْتُ عَوَائِدِي^(٢)

يَا هَذِهِ لَا تَسْأَلِي عَنْ عَبْرَتِي عَيْنِي عَلَى عَيْنِي
عَلَيْكَ تَغَارُ^(٣)

يَا هَذِهِ تَدْعِينَ الْوَجْدَ عَارِيَةً مِنْ الضَّنَى فَدَعِي
الشَّكْوَى لِمَنْ عَشِقَا^(٤)

يَا هَذِهِ وَنِدَائِي دُمِيَّةٌ طَمَعٌ فِي نَطْقِهَا مِنْ فَقِيدِ
الَلْبِ مُحْتَبِلِ^(٥)

يَا هَذِهِ إِنَّ أَرَاكَ الدَّهْرَ فِي بَلَى فَجَدَّةُ النَّوْبِ
تَبْلَى كَلِمَا قَدُمَا^(٦)

ومما يلفت في استخدامه للنداء أن نادى المحبوبة بوصف غريب فقال:

أَقَارِعَةً سَمْعِي بِثَقْلِ عَتَابِهَا يَخْفَ عَلَى سَمْعِي
سَمَاعُ الثَّقَائِلِ^(٧)

(٨) الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي- مثال ونقد، ط١، القاهرة: الشركة العربية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٣٩.

(٩) توجد دراسة بعنوان: ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس، إعداد: رأفت محمد سعد استيتي، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٧م، إشراف: أ.د. يحيى جبر.

(١٠) سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي))، ص٢٤٣.

(١) حمادة، محمد، الخطاب الشعري عند ابن حمديس، ص١٤٥.

(٢) الديوان، ص١٣٥.

(٣) الديوان، ص٢٥٩.

(٤) الديوان، ص٣٣٦.

(٥) الديوان، ص٣٩٢.

(٦) الديوان، ص٤٧١.

(٧) الديوان، ص٣٩٤.

هي الجمال في أحيان كثيرة، والتعب والعناء في أحيان أخر.

وأبدأ بالحديث عن الطبيعة الصامتة، وقد ساعد الشاعر على التفوق والإبداع في حديثه عنها ما تتميز به الأندلس من طبيعة خلابة، تحدث فيها الشاعر عن: الطبيعة النباتية، والطبيعة البيئية، والطبيعة الجغرافية، فذكر أموراً كثيرة من الطبيعة النباتية منها: الثمار: كالتفاح والرمان، الروض والورود بأنواعها، ومن الطبيعة البيئية: الليل والنهار والشمس والقمر والأنجم، وغيرها. ومن الطبيعة الجغرافية: الماء المتفجر والبحر، الصحراء والحصى والدر وغيرها.

والغصن أكثر ما ذكره الشاعر في هذا الغرض، يقول:

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ التَّرَائِبِ غَادَةٍ تَمْشِي كَغُصْنِ
الْبَانَةِ الْمَيَادِ (١)

ويقول:

فَرِيدَةٌ حَسَنٌ تُخْجَلُ الْبَدْرُ بِالسَّنَا وَدِعْصَ النِّقَا
بِالرَّدْفِ وَالْغُصْنِ بِالْقَدِّ (٢)

ويقول:

فَالْقَوَامُ الْغُصْنُ وَالرَّدْفُ النَّقَا وَالْأَقَاخُ النَّعْرُ
وَالطَّلُّ الرُّضَابُ (٣)

يركز الشاعر على حسن قوامها الذي يجذب الناظر عن بُعد، والقوام أول ما يلفت في المرأة للوهلة

الأولى. فيصرح أنها تشبه الغصن، ولكن ليس أي غصن بل غصن شجر طيب الريح وهو (البان)، ويُدخل على الصورة حركة تقرب صورة هذه المرأة للذهن، فهي غصن متحرك (مياد) يلفت أنظار الناس إليه بحركته، وبهذه الحركة ينتشر عبقه أيضاً. وإذا كان الشاعر قد أفرد تشبيه المرأة بالغصن فقط في بيته الأول، فإنه قد شبهها بأمر عدة من الطبيعة من بينها الغصن، فقد جعل قامتها تشبه الغصن بعد أن ذكر أنّ جمالها وضيائها يجعل القمر المكتمل خجولاً ويرى نفسه قبيحاً أمامها، ثم ذكر أن مؤخرتها تشبه كثيب الرمل بامتلائها.

وكذلك في بيته الثالث لم يفرد الشاعر الحديث عن الغصن وإن كان جعله التشبيه الأول على عكس البيت الثاني حيث جعله الصورة الأخيرة، فقوامها يشبه في حسنه الغصن، ومؤخرتها تشبه الكثيب، وثغرها في طيبه يشبه نبت الأقاح الطيب الريح، ورضابها -ماء فمها- يشبه المطر الضعيف في عذوبته وجمال وقعه على الأرض.

كما أكثر من ذكر نبت الأقاح المعروف بطيب الرائحة، يقول:

وَإِذَا مَا لَأَيْمَ قَبَّلَهَا شَقَّ بِاللِّثَمِ شَقِيقاً عَنْ أَقَاخِ (٤)
لِلْأَقَاخِ بِفِيكَ نَوْرٌ وَنَوْرٌ مَا كَذَا تَسْنُحُ الْمَهَاءُ
النُّفُورُ (٥)

فهو يؤكد على طيب رائحتها كما طاب قوامها وقددها. فأشار الشاعر في بيته الأول إلى شدة

(٤) الديوان، ص ٩٥.

(٥) الديوان، ص ٢٤٤.

(١) الديوان، ص ١٤٦.

(٢) الديوان، ص ١٥٠.

(٣) الديوان، ص ٦٤.

والليل والنهار، يظهران حسن هذه المحبوبة. فشعرها شديد السواد، وجبينها شديد البياض. ومن الصور الجميلة التي ذكرها الشاعر في ذلك قوله:

السافراتُ شمساً كلما انتَقَبَتْ تبرَّجتْ مُشْبِهَاتُ
الأنجمِ الرَّهْرِ^(٣)

فهو يتحدث عن مجموعة من النسوة، ويذكر أنهن إذا كشفن وجوههن فهن شمس في الجمال، وإذا أردن التستر والحجاب فإنهن كذلك يفتن ويُزين متبرجات، وكلمة (انتقبت) على وزن افتعل، تدل على التكلف والمبالغة في التستر والتصون وعدم إظهار شيء من الجمال، ومع ذلك يظهر ذلك الجمال، وهن مثل النجوم المضيئة ليلاً فإنها تكون ظاهرة بارزة بيضاء.

والطبيعة المتحركة عند ابن حمديس فيما يتعلق بالمرأة في قصائد مدحه ذكر أموراً كثيرة، منها: الرياح، والعصم، والحمام، والقطاة، والخيول، والحيات، قال ابن حمديس:

بِكَلَامٍ يَسْتَبِي أَهْلَ النَّهْيِ وَيُحُطُّ الْعُصَمَ مِنْ شَمِّ
الهضاب^(٤)

يذكر الشاعر أن هذه الحسناء كلامها الرقيق الناعم ليس (يسبي) سامعه وإنما (يستبي) وهي على وزن يفتعل وهي صيغة تحمل في طياتها صفة التكلف في العمل والحرص، إلى جانب أنها جاءت على صيغة المضارع وما يحمله من دلالة على

نعومتها ورقتها، فلو أن أي (لائم) مقبل قبلها، ومعلوم أن القبله عادة تكون برقة وحنان، ومع ذلك لو قبلها فإنه يشق ويجرح خدها، والشق فيه عنف وقوة، والقاف في (شق) رغم أنها في الكتابة حرف واحد لكنها في النطق حرفان إشارة إلى أن المكتوب مثل خدها، ولكن المنطوق مثل الجرح الذي أصابه. وقد كرر الشاعر كلمة اللثم ليؤكد شدة وله ومحبة هذا المقبل، فهو حريص على عدم إيذاء المحبوبة ومع ذلك جرحها وجعل خدها محمراً خجلاً وصار كلون الشقيقة شديدة الحمرة.

وقد جمع الشاعر في البيت الثاني بين الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة، فجعل هذا النبات الطيب الرائحة في فمها مثيراً ومضياً، ثم شبه المرأة بالمهارة السانح التي تعرض وتتمر بالإنسان من اليسار إلى اليمين، وهي مما يتيمن به، فهو يتعجب كيف أنها نفور وتقترب منه.

ومما أكثر عنه ابن حمديس الحديث من الطبيعة الليل والصباح:

من كلِّ مُصْبِيَةٍ بِضِدِّيَ حَسْنَهَا فَالْفَرْعُ لَيْلٍ
والجبينُ صباح^(١)

شَرِقَ الظَّلامُ تَأَلَّقاً بِضِيَائِهَا فَكَأَنَّمَا شَرِبَ
الصُّبْحُ الْمُسْفَرَا^(٢)

فكما هو معروف أن الضد يظهر حسنه الضد، وكما أشار إليه الشاعر، فالضياء والظلام،

(٣) الديوان، ص ٢٠٤.

(٤) الديوان، ص ٦٤.

(١) الديوان، ص ١٠٢.

(٢) الديوان، ص ٢٣٢.

ومن الصور المقترنة بالأسد قوله:

فَلَا غَرَوْا إِنْ لَأَنْتَ لِطَبِي عَرِيكَتِي أَنَا صَائِدُ

الضُرْغَامِ وَالطَّبِي صَائِدِي^(٤)

مَا الَّذِي يُبْكِي بِحُزْنٍ طَبِيَّةً فَتَكُنْتُ مُقْلَتُهَا

بِالْأَسَدِ^(٥)

مَنْ كُلَّ خَوْدٍ كَالْغَزَالَةِ قَرْنُهَا أَسَدٌ أَذِلَّ وَإِنَّهَا

لَرَدَاخُ^(٦)

فهو يقرن بين الغزالة والأسد في صورة الصيد،

فهو يتعجب من نفسه وضعفه، فهو الشجاع القوي

القلب الذي لا يهاب من صيد الأسود، أسود البشر

وأسود الحيوان، ومع ذلك فقد وقع في أسر هذه

الطبية الحسنة، ولم يتم ذلك بهجومها عليه أو

ملاحقتها له، وإنما فقط بلحظها له. وأبدع الشاعر

بتكراره لكلمة الطبي، فهي مركز البيت، وقد جعل

الأولى نكرة والثانية معرفة، فهو يلين لأي حسنة،

وهذه الحسنة تصيده. كما كرر الشاعر كلمة صائد

وجعل الحيوانات بين اللفظتين المكررتين، فالصائد

وهو الإنسان مصيد من قبل الغزالة، والغزالة التي

هي في الأساس هدف للصائد صارت صائدة، فالكل

محصور بين صائد ومصيد.

وفي البيت الثاني يذكر الشاعر طريقة صيد

هذه الغزالة لفرائسها، فهي جريئة تعتمد قتل الناظر

إليها بدلها وغنجها في نظراتها.

الاستمرار والتجدد في الحدث. فهذا الكلام الغير

متكلف في التنجس والدلال يجبر سامعه أن يؤسر له،

وهذا الكلام رغم رقة ونعومته فإنه يصل إلى الغربان

في الأماكن المرتفعة ويجعلها تنحط وتنزل سريعاً

بشوق ولهفة لسماع هذا الصوت، فالصوت وصل

الغربان، وهي معروفة بنفرتها وبعدها عن الإنسان،

ورغم بعدها تسمعت وأصغت لهذا الصوت الرقيق

الناعم وأقبلت عليه، وهي التي كانت تأبى النزول

لأي عارض.

ويلاحظ أنه أكثر ما ذكر ابن حمديس من

الحيوان الغزال بمفرداته المختلفة، وأكثر هذه الصور

التي ذكرها له مقترنة بالأسد، فمن الصور المفردة

للغزال قوله:

وَالطَّبَاءُ الْخُورُ إِمَّا قَتَلْتُ لَحَظَاتُ الْعَيْنِ مِنْهَا لَا

تَدِي^(١)

مَهَاءُ تَكَاذُ الْعَيْنُ مِنْ لَيْنِ جِسْمِهَا تَرَى الْوَرَقَ

الْمُخْضَرَّ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ^(٢)

أَسْفَى لِفِرَاقِ زَمَانٍ صَبَا وَرَكُوبِي قَيْدَ مَهَا

الْخُرْدِ^(٣)

فهي طبية تقتل بنظراتها، ومع ذلك لا يقع

عليها قود بهذا القتل، وهي مهاة في جسمها.

كما أنه يأسف لأمرين: كبر سنه، ووقوعه

أسيراً للحسنات الحيات اللاتي هن في حسنهن

كالمهاة.

(٤) الديوان، ص ١٣٥.

(٥) الديوان، ص ١٣٨.

(٦) الديوان، ص ١٠٢.

(١) الديوان، ص ١٣٨.

(٢) الديوان، ص ١٥٠.

(٣) الديوان، ص ١٥٨.

وفي البيت الثالث جعل قرن الغزالة أسداً يصيد ويذل من حوله، ومع ذلك يضيف إلى صفة الإذلال صفة أخرى وهي امتلاء مؤخرتها، فامتلاء المؤخرة يجعل انغراز القرن قوياً وقاتلاً.

وهذه الصور التي صورها ابن حمديس للغزالة والأسد وما فيها من عنف وقوة إنما اكتسبها مما عاشه هو من حروب، فقد كان مقاتلاً مجاهداً شاهداً للمعارك والحروب، فتأثر بهذه الصور الحربية. فابن حمديس استعار "أجزاء صوره من ميدان الحرب وآلته؛ لأنها استولت على مشاعره وملكت عليه زمام نفسه، ويعد هذا نتيجة طبيعية لما استقر في منطقة اللاشعور من رواسب ماضية ... حتى الغزل جعل منه ميدان حرب ونزال. خلافاً لما ادعاه بعض الباحثين من أن هذا ناشئ عن تقليده لشعراء سبقوه في هذا المجال"^(١). وكان يغلب على شعره الذي قاله في عنفوان الشباب الفتك والطعن، والضرب والقوة، حتى في علاقاته الغرامية^(٢).

إن حديث الشاعر عن البيئة من حوله يدل على شدة تفاعله مع البيئة بجميع أشكالها من حوله.

الموروث الثقافي:

ومن الموروث الثقافي الذي استخدمه ابن حمديس في حديثه عن المرأة في قصائد مدحه، استخدامه لبعض الصور الدينية، فقد نشأ وترعرع

"في أسرة عرفت بالعلم والتقوى"^(٣)، وهذا يؤكد أن حديثه عن المرأة لم يكن فاحشاً، وإنما هو حديث عفيف أو معتدل، ولذلك استطاع إدخال الصور الدينية عليه، واستخدامه لهذه الصور دليل على سعة ثقافته الدينية "فهو من عائلة محافظة فيها وتر من التدين، وتر آخر من الثقافة الدينية والحكمية"^(٤)، ودليل كذلك على مهارته في توظيف هذه الصور التوظيف الذي يتناسب مع الموقف، وعموماً هذه الصور قليلة، منها قوله على لسان المحبوبة:

قَالَتْ لَمَنْشَدَهَا نَسِيْبِي مَا لُهُ لَيْسَ النَّسِيْبُ لِمِثْلِهِ بِنَسِيْبِ
فَلَا مَ يَنْشَدُنِي تَغَزَّلَ شَاعِرٍ مَا كَانَ أَوَّلَهُ بَوَعِظِ خَطِيْبٍ^(٥)

فهذه المرأة تخاطب من ينشد وينقل أشعار غزله فيها، وتخبره بأسلوب الاستفهام ثم النفي (ما له)، تتعجب من حاله، فشعر الغزل لا يناسب سنه ولا مكانته، فما يلائمه هو الوعظ والتذكير لا النسيب والغزل، فهي تراه واعظاً دينياً، ولا تراه يصلح لأمر الغزل والعشق.

ويذكر صورة وأسلوباً اعتاد الشعراء استخدامه وهو عبادة الجمال، والمراد بالعبارة هنا معناها اللغوي لا معناها الاصطلاحي، فالعبادة أي الحب الشديد:

وَكأنَّ الحُسْنَ مِنْهَا قَائِلٌ مَا عَلَى مَنْ عَبَدَ
الحُسْنَ جُنَاحٌ^(٦)

(٣) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٣.

(٤) الديوان، ص ٣.

(٥) الديوان، ص ٥٨.

(٦) الديوان، ص ٩٦.

(١) سلامه، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس- تطوره-موضوعاته وأشهر أعلامه، ط ١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م، ص ٩٧-٩٨.

(٢) نفسه: ص ٣٢٣.

فالشاعر جعل ذكر هذه العبارة على لسان جمالها وحسنها، وقدم العبارة جملة خبرية دلالة على تقريريتها وأنها لا تقبل النقاش أو الحوار، وجعلها جملة منفية، نافية لكل شك أو ريب في إيقاع العتب على عابد الجمال، ولكي لا يتهمة أحد في عقيدته أو يشك في تدينه فإنه خفف من صورة العبادة، حيث بدأ البيت بالتشبيه (كأن)، كي لا يُتهم بالمبالغة والكفر.

بل في صورة أخرى يشبه اللذة والمتعة التي يجدها من يرشف من رضابها العذب البارد، وأنه شيء جميل، يشبهه باللحظة التي انتصر فيها موسى # وأيده الله فيها بالآيات المعجزة التي ردت فرعون خاسئاً، يقول:

ورضابُ الماءِ بغيكِ جَرَى في جوهه عَرَضُ الصَّرَدِ
وَكَأَنَّ كَلِيمَ اللَّهِ بَدَا منه في الأفقِ بياضٌ يَدُ (١)

وفي صورة غريبة تدل على دقة ابن حمديس في استلهام الصور من واقعه الذي يعيشه وحياته الدينية، يقول مصوراً سرعة زيارة المحبوبة:

وإن هي زارتْ خلتها مستعيرةً لها من حُطْبِ
الحفلِ جَلَسَتْهُ العَجَلَى (٢)

يفترض الشاعر لو أن هذه المحبوبة زارته وهذا أمر مستحيل، ولذلك أكد ذلك بالضمير المنفصل (هي) لتأكيد أن المحبوبة هي التي زارت لا غيرها، ثم استعمل فعل الرجحان (خال) أي قرن مشابهة بين زيارتها السريعة وجلسة من يخطب

الناس المجتمعين للهو والمتعة فإنه لا يطيل المكوث عندهم وإنما يجلس قليلاً ويلقي خطبته سريعاً ثم يخرج من عندهم؛ كي لا يقطعهم عن متعتهم، وفي استخدام كلمة العجلى بحروفها وسكون وسطها ما يصور سرعة هذه الجلسة، فالعين حرف من آخر الحلق يشير إلى الجلسة، ثم السكون الذي يدل على استقرار اللسان واستقرار الجالس، ثم يرتفع اللسان بحرف اللام والمد ليدل على قيامه مرة أخرى.

ومن صورهِ الطريفة في ذلك قوله:

فباتَ يَشَبُّ النارَ في القلبِ حُبُّها على أنها
كالماء في فم صائم (٣)

وفي ذلك لفظة نفسية دقيقة، فحبها في قلبه مشتعل متقد، يزداد ولا يخمد، ومع ذلك فإن إيمانه يمنعه عن اقتراف المحرم، ويصور ذلك بصورة مألوفة شائعة عند أغلب المسلمين، وهي صورة الصائم عند الوضوء أو عند إرادة المسلم التبريد على نفسه بأن يجعل ماءً في فمه، فإن هذا الماء لا يصل إلى جوفه، ويسعى إلى عدم ذلك. واستخدامه لهذه الصورة المألوفة الشائعة للتأكيد أنه لا يمكن أن يقرب المحرم.

ولم يظهر في صورهِ الاقتباس المباشر من القرآن والسنة، حيث إنهما امتزجا في عقله واستطاع أن يخرج معانيهما في صور وأشكال جديدة.

(١) الديوان، ص ١٥٨.

(٢) الديوان، ص ٣٧٦.

(٣) الديوان، ص ٤٤٥.

الأعداد لم يكن له وزن، وكذلك الشاعر لشبيهه لم يعد
الجماليات الحسان يلتفتن إليه بل صرن يجتنبه.

وسائل تشكيل الصورة الشعرية:

اعتمد ابن حمديس في تجسيد صورة المرأة في
شعره المدحي مجموعة من الوسائل والأدوات، من
أبرزها وأقدرها على حمل تجربته ونقل عواطفه:
التشخيص والتجسيم، التشبيه، المفارقة التصويرية.

التشخيص والتجسيد(*) : والاعتماد على

الاستعارة باعتبارها وسيلة من وسائل التصوير التي
تعين على إبراز: التشخيص، والتجسيم^(٥)، ففيها
تشخيص للجملات وتجليد للمعنويات^(٦)، وهما أرقى
أنواع الخيال، وصورتها من أحيا أنواع الصور^(٧)،
وإن كانا قليلين جداً في هذا المجال عند ابن
حمديس، فمن التجسيد قوله:

قالوا صَبَا يا مَنْ رأى مستهَامَ حِجَاهُ كَهْلٌ وَهَوَاً
غُلَامٌ^(٨)

ومن موارثه الثقافي استخدامه بعض الصور
العلمية، فمن ذلك استخدامه التورية بأسماء الكتب،
حيث يقول:

لو حملت منه قلوبُ العدى جراحَ قلبٍ ما حَمَلْنَ الجراح
وجدي غريبٌ ما أرى شَرْحَهُ يُوجَدُ في العَيْنِ ولا في
الصَّاحِ^(١)

فقد ورَّى الشاعر في كلمة الصحاح، حيث ذكر في
البيت قبله الجراح.

وقد استخدم الشاعر علم النحو في صوره فقال:
فيا نارَ وجدي كيف عشتِ بماءٍ من الأجنان للنَّارِ قاتِلِ
تَضَرَّماً متى كان للأشواقِ فعلٌ
ويا رَفَعَ أشواقِي لقلبي وخَفَضَها العوامِلِ^(٢)

فشوقه يرفع قلبه ويخفضه، ويتعجب كيف أن
المحبة والشوق تعمل في الإنسان مثل العوامل في
النحو التي تؤثر في غيرها.

بل إن الشاعر لا يكتفي بالأخذ من الثقافة
الأدبية، بل يأخذ من الصورة العلمية فيقول:

غَيَّرَتْهُ غَيَّرَ الذَّهْرَ ورمته كلُّ خود باجتئاب
فغدا عند الغواني كسقوط الصَّفَرِ من عدَّ
ساقطاً الحساب^(٣)

فالشاعر يتحدث عن شبيهه، وأن الجميلات
هجرنه ولا يلتفتن إليه، وذلك مثل حال الرقم صفر،
فإنه إذا جاء مفرداً لا قيمة له، ولو جاء في يسار

(*) وهما نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف
بالحياة. وهيه، مجدي - كامل المهندس، معجم المصطلحات
العربية في اللغة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م،
ص١٠٢.

(٥) انظر: الرقيب، سلطان سعد عقيل، رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز
في العصر الحديث من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤٢٠هـ قضاياه
وتشكيلاته، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد
الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،
١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، إشراف: أ.د. يوسف عبد الله الأنصاري،
ص٢٦٦-٢٦٨.

(٦) انظر: الهرامة، عبد الحميد، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن
الهجري، ٣٧٢/٢.

(٧) انظر: الفتوي، وفاء عمر، قصيدة الرثاء عند ابن الرومي-دراسة
موضوعية، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد
الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،
إشراف: د: محمد مريسي الحارثي، ص٢٠٥.

(٨) الديوان، ص٤٥٩.

(١) الديوان، ص٩٩.

(٢) الديوان، ص٣٩٤.

(٣) الديوان، ص٦٣.

فجعل الشاعر الظلام شخصاً، والصباح
شخصاً آخر، وكل ذلك ليدل على شدة جمالها،
وتعلق القلوب والأبصار بها.
وهذا التجسيم والتشخيص ما هو إلا دليل على
رغبة الشاعر مشاركة هذه الأمور همه بفقد المحبوبة
وإبراز ما تتميز به فتعلق قلبه بها.

التشبيه:

إن الجانب الذي يجسد عبقرية الفنان والأديب
يبرز عن طريق التشبيه والاستعارة^(٣)، والتشبيه من
أشد ما يُكَلِّف الشاعر صعوبة، لما يحتاج إليه من
شاهد العقل، ولا ينبغي للشعر أن يكون خالياً من
هذه الحلي^(٤)، ولكن الاستعارة أكثر قدرة على جمع
المضادات من التشبيه^(٥)، وسبق الحديث عن شيء
من الاستعارة عند الحديث عن التشخيص والتجسيد،
أما التشبيه عند ابن حمديس فقد كثر استخدامه له،
فقد كان عقله "مياًلاً إلى إدراك الأشياء والمعاني
إدراك من يحاول فهم ما يرى ويفكر، فقد كان يرغب
دائماً في تشبيه المحسوسات بالمعقولات، والمعقولات
بالمحسوسات، وهذه طريقة من طرق المحاولة في
الإدراك، وأكثر اهتمامه في تشبيهاته موجه إلى
وصف المرئيات وإدراكها"^(٦)، فهو يشبه القد

فالصبوة والعشق لا تعرف عمراً، فرغم أن
تفكيره تفكير الكبار العقلاء، إلا أن عشقه عشق
الفتيان العاشقين، وقد حول الشاعر العقل إلى كهل
كبير في السن، فالواجب عليه التعقل في التصرفات،
ومع ذلك فقد وقع في الهوى، فحبه حب طائش
متهور كتهور الشباب وطيشهم.

وفي صورة أجمل، يبين فيها الشاعر غدر هذه
المرأة في مواعيدها وعدم وفائها بموعده:

غَادَةً إِنْ نَيْطَ مِنْهَا مَوْعِدٌ بَعْدَ فَرٍّ إِلَى بَعْدٍ غَدٍ^(١)
فهي امرأة جميلة ناعمة، وعلى فرض أنها
ضربت موعداً لعاشق من عشاقها -وهذا أمر
مستبعد- فإنها لن تفي به، وفي تجسيد الشاعر
للموعد بمن يفر تقرب للصورة للمتلقى، وكأنه يراها
عياناً أمامه، مثل الحيوان الذي يفر أو الإنسان الذي
يفر من ملاحقه، وذلك يوحي ويدل على ما يقصده
الشاعر من عدم وفائها بمواعيدها، وحزن الشاعر
على خُلف هذه المواعيد وعدم قدرته للوصول إليها.

ومن نماذج التشخيص التي استخدمها الشاعر
تصويره لجمال المرأة التي يتحدث عنها، فجمالها
الأخاذ المضيء يجعل الظلام يغص من ذلك
الجمال

شَرِقَ الظَّلامُ تَأَلِّقاً بَضِيائِهَا فَكَأَنَّمَا شَرِبَ

الصَّبَاخُ الْمُسْفَرَا^(٢)

(٣) انظر: عبدالرحيم، مصطفى، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، ص ٢٨٣.

(٤) انظر: ابن رشيق، الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: د عبد الحميد هندواوي، ط ١، بيروت-صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٢٥١/١.

(٥) انظر: الرباعي، عبدالقادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، ص ٩٦.

(٦) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ص ١٤٨.

(١) الديوان، ص ١٣٨.

(٢) الديوان، ص ٢٣٢.

تلاقَتْ صَواعِدُ أنْفاسِها فهل خامرَ الأَرِيَّ مِنْهُ المداما
فما رَجَّحَ مِنْها السِّلْوَ الغراما^(٤)

ويستمر الشاعر في هذا الوصف الصريح حتى يصل إلى حل الحزام، ولكن الشاعر بعد أن يرتفع هذا الارتفاع بمستמע، ويشوقه هذا التشويق الذي يتربقب المتلقي ما بعده، يعود ويؤكد أن ذلك كله:

ولما أتا من الانتباه دخلنا له بالوصال المناما
جعلنا تراوَرنا في الكرى فما نَنَقِّي من مَلومٍ مَلاما^(٥)

فكل ذلك كان طيفاً وخيالاً، وقد ذكر هو قبيل هذه الأبيات:

ومن صُورِ الفكر محبوبَةً يعودُ عليلاً بها
مستهاماً^(٦)

فقد صرح الشاعر أنه (من صور الفكر)، فهو خيال لا حقيقة، ولكنه في اثني عشر بيتاً أدخل سامعه في حالة وكأن الشاعر اقتترف تلك الأمور التي ذكرها.

والتشبيه تصوير يكشف عن حقيقة الموقف الشعوري أو الفني الذي عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع كما يرسم أبعاد ذلك الموقف عن طريق المقارنة بين طرفي التشبيه مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر، بل ترمي إلى الربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع يكشف جوهر الأشياء ويجعلها قادرة على نقل الحالة

بالقُصْب، ويشبه طرفها بالسحر، وشعرها الأسود كأنه مصبوغ في الكحل، وغير هذه من الصور.

والشاعر يستخدم التشبيه ليؤكد أنه لم يرتكب ما يشينه ولم يقرب محرماً، وإنما هذا كله خيال، فمما يقول في ذلك:

كَأَنَّ فيها عبيراً إذا تَفَجَّرَ النورُ وغار
الظلام^(١)

وتتمثل فائدة التشبيه في تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له^(٢)، فالشاعر يذكر طيب رائحة فمها ويشبهه (كأن) فمها فيه عبير، ولينفي عنه تهمة أن يكون قد اقترب منها اقتراباً شديداً حتى أنه شم رائحة فمها قال (كأن). والشاعر قبل هذا ببيتين قال:

يخبرُ من فاز بتقبيلها عن بَرْدٍ تنبُعُ منه مُدام^(٣)
فالشاعر ينفي عن نفسه تهمة اقترافه محذورا، فليس هو الذي يخبر عن تجربة، بل الشاعر ناقل، والمخبر بهذا الذي فاز بتقبيلها.

ولكن الشاعر يصدم قارئه في القصيدة التي مدح بها يحيى بن تميم بن المعز بما يخالف السابق فيقول:

لها عَنَمٌ في عُصُونِ البنان يَغَلَّ نَدَى أَقْحوانٍ بِشاما
تَرى نَضْرَةَ الحُسْنِ في حَدِّها تَمَيَّعَ ماءً وَتَذَكَّى ضِرَاما
تَرْتَجُّ بالبدرِ عُصْنًا رَطِيباً وترتجُّ في السيرِ دِعْصاً
فأَمْسِيَتْ مِنْها بِماءِ اللَّمى ركاما
حلا لي وأسكرني ريقها أروِّي أواماً وأشفي سقاما

(٤) الديوان، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٥) الديوان، ص ٤٥٣.

(٦) الديوان، ص ٤٥٢.

(١) الديوان، ص ٤٦٠.

(٢) انظر: ابن رشيق، العمدة، ٢٥٤/١.

(٣) الديوان، ص ٤٥٩.

الشعورية أو الخبرة الجمالية التي امتلكت ذات الشاعر وسيطرت على أدواته^(١). فابن حمديس عند قوله:

وَمِنْ الْفَوَاتِكِ بِالْوَرَى لَكَ غَادَةٌ كَحَلَّتْ بِمَثَلِ
السَّحَرِ طَرَفًا أَحْوَرًا^(٢)

فالشاعر يريد أن ينقل شدة تأثير جمال عينيها، فشبها بالسحر، وربط بين المشبه والمشبه به ليكشف ويدلل على تأثير هاتين العينين في الناظر إليهما.

التكرار:

"التكرار يعني تناوب الألفاظ وإعادة استخدامها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم"^(٣)، إن الفائدة العظمى من التكرار التقرير، لذلك قال العلماء: الكلام إذا تكرر تقرر^(٤)، والتكرار ظاهرة جمالية ودلالية^(٥)، وهو لا ينقص من درجة الصدق والإخلاص^(٦)، والنقاد يرون التكرار في حقيقته إلحاحاً على جهة هامة في العبارة، يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن

اهتمام المتكلم بها، فهنا تركيز واضح على الباعث النفسي للتكرار، مما جعله ذا دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه^(٧)، وتتناول الدراسة التكرار في مدائح ابن حمديس وحديثه عن المرأة فيها على مستوى قصائد المديح من جانبين، الأول تكرار بعض الألفاظ، وهذه الألفاظ هي التي تدل على الشقاء والعذاب، ومنها:

تعذيب: يقول ابن حمديس:

لياليّ تعذّيبني من الوجد مقلقي ورشفي اللمى
من عذبة الرّيق غارمي^(٨)

يذكر الشاعر أن عذابه ليس فترة وجيزة، وإنما هو مدد طويلة (ليالي)، وأكد شدة العذاب على نفسه حيث أضاف الضمير إلى نفسه (تعذّيبني)، وأن الحب أدخل على نفسه الحزن والقلق، وقد جعل التعذيب والقلق اسمين دلالة على استمرارهما ودوامهما وعدم انفكاكهما عنه وملازمتهما له. وأن امتصاصه وشربه من المرأة الطيبة الفم يوقعه في الدّين، ولا يقصد الدين المالي وإنما يريد أنه يأخذ المتعة واللذة ثم سيعيد سداد ذلك عذاباً وتعباً لقلبه.

وفي قصيدة أخرى يفتح ابن حمديس القصيدة

بقوله:

مَنْ كَانَ يَعْذُبُ عِنْدَهَا تَعَذِّبِي أَنَّى تَرَقَّ لِعِبْرَتِي
وَنَحْيِي^(٩)

ويقول في أخرى:

(١) انظر: سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي))، ص ٢٥٣. نقلاً عن: قاسم، عدنان حسين، التصوير الشعري، ط ١، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٠م، ص ٤٠.

(٢) الديوان، ص ٢٣٢.

(٣) هلال، ماهر مهدي، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، بغداد: دار الحرية، ١٩٨٠م، ص ٢٣٩.

(٤) انظر: العمري، أحمد جمال، ((التكرار في القرآن العظيم))، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: العدد: ٣٩، ذو الحجة ١٣٩٧، صفحات المقال من ٩-١٩.

(٥) انظر: السلمي، عبدالرحمن، ((شعر الأسر))، (ماجستير)، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٦) انظر: الهليل، عبدالرحمن، التكرار في شعر الخنساء، ص ٦٧.

(٧) انظر: نفسه، ص ١٩.

(٨) الديوان، ص ٤٤٣.

(٩) الديوان، ص ٥٨.

هَامَ لَا هَمَّتْ مِنَ الْغَيْدِ بَمَنْ حُبَّهَا عَذَّبُ وَإِنْ
كَانَ عَذَابُ^(١)

وقد جانس الشاعر بين كلمتي (يعذب) و (تعذبي)، مع شدة الفرق والتباين بين المعنيين، فقد جمع بينهما الجذر اللغوي، وكأن الشاعر يتعجب كيف أن المحبة والعشق ينتج عنها الألم والعذاب. ثم ينفي عنها الشاعر أن تتعطف وتحنن عليه وهو الدامع العين الرافع الصوت بالبكاء، واستخدم للدلالة على دوام جفوتها بالمضارع (ترق)، فهي لن تشفق عليه أبداً.

والجانب الثاني من أنواع التكرار هو تكرار الصور، فالشاعر قد يكرر بيتاً أو صورة معينة بألفاظها وصياغتها في غير موضع من شعره، والسبب في ذلك أن الشاعر يجد وقعاً خاصاً معيناً لمثل هذه الأبيات^(٢).

فمن الصور المتكررة في شعره المدحي عن المرأة، انجذاب المخلوقات إلى صوتها وحديثها، فيقول:

بِكَلَامٍ يَسْتَبِي أَهْلَ النَّهْيِ وَيُحِطُّ الْعُصَمَ مِنْ شَمِّ
الْهَضَابِ^(٣)

ويقول:

وَهِيَ لَا تَسْتَبِي بِلَفْظٍ رَخِيمٍ يُنْزِلُ الْعُصَمَ وَهِيَ
فِي الطُّودِ قُورُ^(٤)

فتكرار الشاعر لصورة أن صوت المحبوبة ينزل هذه الطيور المعتمدة بالجبل التي لا تنزل منه إلا للأمور المهمة، تنزل لتستمع بسماع صوتها وكلامها، كل ذلك يدل على إعجاب الشاعر بهذه الصورة، ولذلك كررها.

ومن الصور التي كررها أن هذه المرأة كالساحرة، يقول:

مَنْ تُوحِي السَّحَرُ بِنَاطِرَةٍ لَا تُتَّقَتْ مِنْهُ فِي
الْعُقْدِ^(٥)

ويقول:

سِحْرُ هَارُوتٍ وَمَارُوتٍ بِهَا فِي فُتُورِ اللَّحْظِ
وَاللَّفْظِ الرَّخِيمِ^(٦)

ويقول:

وَلَوْ شَامَ هَارُوتٌ وَمَارُوتَ طَرْفَهُ لَمَا أَصْبَحَا إِلَّا
قَنِيصِي حَبَائِلِهِ^(٧)

ويقول:

بِحَدِيثٍ يُسْحَرُ السَّحَرُ بِهِ يَتَمَنَّا مُعَاداً أَنْ
يَعُودَ^(٨)

ويقول:

لَهَا مِنْ فُتُونِ السَّحَرِ عَيْنٌ مَرِيضَةٌ تَحْلُبُ مِنْ
أَجْفَانِهَا الدَّمْعَ وَالْكَرْبَ^(٩) وغيرها كثير.

وهناك صور أخرى كثيرة كررها الشاعر، منها وصفه لعيون المحبوبة بالسهم، ووصفها بأنها ظبية تصيد الأسد، ووصف مؤخرتها بالكثيب، وغيرها من الصور التي كررها الشاعر لبالغ أهميتها في نفسه.

(١) الديوان، ص ٦٣.

(٢) انظر: حموده، سعد سليمان، لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ٣٧-٣٨.

(٣) الديوان، ص ٦٤.

(٤) الديوان، ص ٢٤٤.

(٥) الديوان، ص ١٥٨.

(٦) الديوان، ص ٤٤٩.

(٧) الديوان، ص ٣٦٩.

(٨) الديوان، ص ١٥٤.

(٩) الديوان، ص ٥٠.

المفارقة التصويرية:

وهي من الوسائل الفنية التي جنح إليها ابن حمديس في تصويره للمرأة في مدائحه، وهي عبارة عن إبراز التناقض بين طرفين أو وضعين كان المفروض أن لا يختلفا، أو أن يقع بينهما التناقض، والغاية من ذلك هي استنكار هذا التناقض أو التعجب منه أو تعميق الإحساس به^(١).

وأرى أن ما يعرف بالطباق والمقابلة جزء من هذه المفارقة.

الطباق^(*) والمقابلة^(**):

وهما من الموسيقى الداخلية^(٢)، والمطابقة من أكثر البديع دوراناً بعفوية في الشعر^(٣)، وهي سبيل لإيضاح المعنى؛ لأن عرض المتضادات يكشف أحوالها ويبرز الفوارق بينها^(٤)، فالجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً ويزيده بهاء^(٥)، والمفارقات تثير العواطف^(٦)، وابن حمديس يعتمد على بعض المحسنات البديعية من غير تكلف،

فيكثر من الطباق الذي يزيد معانيه وضوحاً، فضلاً عن الجمال الموسيقي^(٧).

وقد تمكن ابن حمديس من خلال ذلك تصوير الشدة التي يعانيتها من بُعد المحبوبة عنه، يقول:

في اقترابِ الدَّارِ أَشْكَو بُعْدَهَا واقترابُ الدَّارِ
بِالْهَجْرِ انْتِزَاحٌ^(٨)

ففي قربه من بيتها يخبر بما يجده من ألم بعدها، حيث إنها قريبة منه جسداً وروحاً ومع ذلك لا يستطيع الوصول إليها، والمفترض أن ينتج عن قربه من دارها وصلٌ، ولكن الواقع هو زيادة في الهجر والبعد. فالمعاناة التي يعانيتها الشاعر من عدم تمكنه للوصول إلى المحبوبة أظهرتها المفارقة بصورة جلية، فهو لا يقصد الوصول الحسي الجسدي فهو ممكن، ولكن يريد الوصول المعنوي العاطفي، ويكون الأمر أشد ألماً للنفس إذا كان يتمكن من رؤيتها ولا يستطيع الوصول إليها.

ومن المفارقات التي تعرض لها ابن حمديس المفارقة الشديدة بين حاله وحال المحبوبة، يقول:

وهي مِنْ عُجْبٍ وَمِنْ تِيهِ لَهَا كَبْدٌ تُرْحِمُ مِنْهَا
كَبْدِي^(٩)

فهي تترفع عليه وتتكبر، ومع ذلك فهو يستحق العطف والرحمة منها، ويرق ويعطف عليها، رغم أنه من المفترض أن يتعامل الإنسان مع من

(١) انظر: سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي))، ص ٢٥٦. نقلاً عن: حسين، عبد الباقي محمد، سيد قطب حياته وأدبه، ط ١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٢٤١.

(*) الجمع بين الشيء وضده. عتيق، علم البديع، ص ٧٧.
(**) أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب. عتيق، علم البديع، ص ٨٦.

(٢) انظر: انظر: بكار، د: يوسف حسين، بناء القصيدة العربية، القاهرة: دار الثقافة، ١٣٧٩هـ-١٩٧٩م، ص ٢٥٩.

(٣) انظر: عبدالرحيم، مصطفى، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، ص ١٧٤.

(٤) انظر: الغنيم، إبراهيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، ص ٢٦٢.

(٥) انظر: نفسه، ص ٢٦٨.

(٦) انظر: السلمي، عبدالرحمن، ((شعر الأسر))، (ماجستير)، ص ٢٨٩.

(٧) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠٧.

(٨) الديوان، ص ٩٦.

(٩) الديوان، ص ١٣٨.

وقالوا: قِفُوا كِي تَسْمَعُوا حَدْوً عيسهم
 وَفَقْنَا نُرَامِي بِالْهَوَى مَقْتَلِ الْهَوَى ونقرأ في الألفاظ وَخِي
 وَنَرَقِبُ سِرْباً فِي الْخَدُورِ غُفْلَنَا رسائله
 مبددةً للبين بين عقائله^(١)

يصور الشاعر شيئاً من البيئة الأندلسية التي كانت معروفة بشيء من التحرر، فقد اجتمع مجموعة من الشباب ليتسمعوا إلى غناء الركب المسافرين، مع علمهم أن ما سيرونه سيحرق قلوبهم ويقتلهم حال النظر إليه وبعد ذلك عند استرجاع تلك اللحظات لحظات الرؤية والمشاهدة.

والشاعر يجعل نفسه مشاركاً لهؤلاء الشباب العشاق، وكل منهم يفعل ما يفعله الشباب إلى اليوم بأن يقول لمرافقه: انظر إلى تلك الجميلة، بل انظر إلى الثانية، وانظر إلى الثالثة، وهكذا، فيرد عليه الأول: لا انظر إلى هذه، وانظر إلى تلك. وهذا ما فعله العشاق كل يدل الآخر على جميلة من الجميلات، ولذلك عبر الشاعر بـ(نرامي). والرمي تفيد أن الشيء يلقي فيرتمي وينساب بكل سهولة، فهم لا يتقصدون تتبع الحسنات، وإنما تنساق العيون إليها دون شعور أو إحساس. وهذا ما يدفع بهم إلى الموت والهلاك، ويرون علامات القتل والموت في أعين ونظرات الجميلات.

ويجتمع هؤلاء الفتية جميعاً يترصدون وينتظرون باهتمام وتأمل ركب الحسنات، رغم أنهم في الخدور، والغالب لا يظهر منهن شيء، ولكن

يترفع عليه أن يشمخ بأنفه هو أيضاً ولا يتذلل له، لكن لأنه عاشق محب يرق لها ويذل، رغبة في وصلها، ومما يدل على شدة ترفعها عليه أنه وصفها بصفتين من صفات الاستعلاء والتكبر (عجب، تيه) فالأولى تدل على الزهو بالنفس، والثانية تفيد التكبر والتمسك بالرأي. وقد عبر الشاعر بالكبد التي تدل على الرقة والعطف، وتوجه بالأولى للمحبة، ونكرها إشارة إلى شدة رحمته لها، وأطلق الثانية وأراد بها نفسه، وصرح بذلك بإضافتها إلى ياء المتكلم. وكلمة (كبد) من نفس مصدر (كَبَد) التي تدل على العناء والمشقة، فهو يجد تعباً في تكبر المحبة عليه وبعدها عنه، فيرجو أن يحصل على مقابل ذلك وهو الرقة والعطف التي تفيده (الكبد).

التصوير بالحقيقة:

استطاع ابن حمديس تصوير تجاربه وإثرائها بالإحياءات البالغة الغنى عن طريق ما يعرف بالتصوير بالحقيقة، ولعل ذلك يعود إلى أن التصوير بالحقيقة يعتمد على رسم منظر ديناميكي متحرك في شكل قصصي أو حوار درامي، تتجه أحداثه وخطوطه وتتقدم بشكل يجعلها قادرة على تجسيد تلك الإحساسات التي تطفح من معينات التجربة الشعرية^(١). والناظر لقول ابن حمديس:

(١) انظر: سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي))، ص ٢٥٩-٢٦٠. نقلاً عن: قاسم، عدنان، التصوير الشعري، ص ١٨٣.

تُظهر قدرة الشاعر على انتقاء كلماته والملاءمة بينها، وتُظهر اهتمامه بالجرس اللفظي للكلمات الذي تنبعث عنه النغمات الموسيقية العذبة الشجية. وعنصر الموسيقى الشعرية في القصيدة له شأن كبير في الدلالة على مدى تدعيم العلاقات الداخلية بعضها لبعض، كما أن له دوره الضخم في التعبير والتأثير^(٤)، والموسيقى الداخلية تقوم بتحديد دقيق لنوع الانفعال الذي يعتل داخل الشاعر والذي يريده أن ينتقل عبر عمله الأدبي، فموسيقى الشعر لم يضبط منها إلا ظاهرها وهو ما تضبطه قواعد علمي العروض والقافية، ووراء هذه الموسيقى الظاهرة موسيقى خفية تتبع من اختيار الشاعر لكلماته وما بينها من تلاؤم في الحروف والكلمات، فكأن للشاعر أذنًا داخلية وراء أذنه الظاهرة^(٥)، ولذلك فإن الموسيقى الداخلية هي التي تفرق بين بيت وبيت في قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة^(٦).

وقد سبق الحديث عن عنصرين منها في المفارقة التصويرية، وهما الطباق والمقابلة، وسيأتي الآن الحديث عن الجنس.

لعلهم يظفرون بظهور شيء. وهذا الترصّد يخرجهم عن حدّ التعقّل، فما يرونه من الجمال أطاش وأطار عقولهم.

المبحث الخامس: الموسيقى:

الموسيقى الداخلية:

إن "أبرز مظاهر الموسيقى الداخلية ما يعرف بالمحسنات اللفظية كالطباق والمقابلة والتقسيم، مما يساعد على إحكام بناء القصيدة وتوفير قدر كاف من الرنين"^(١)، فالموسيقى الداخلية أو الموسيقى الخفية "تتبع من انتقاء الألفاظ ومدى ملاءمتها للمعنى ومدى ما تضيفه من دلالات موحية تتغلغل وتتناغم مع أعماق النفس الإنسانية، فهي تضيف حسن الأداء وترابط الأفكار وجمال التصوير على العمل الأدبي بما يجعله يصل إلى حبات القلوب"^(٢). وهناك من يعرفها بأنها "اختيار الكلمات وترتيبها والمواءمة بينها وبين المعاني التي تدل عليها، والكشف عن إحياءاتها وإيقاعاتها المختلفة"^(٣).

إن الموسيقى الداخلية ذات أهمية كبرى فهي تكسب النص الشعري بعداً تأثيرياً قادراً على شد السامع والقارئ إليه، والإيقاعات الداخلية

(١) الشرفي، أحمد بن علي ناصر، شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة دراسة توثيقية موضوعية فنية، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، إشراف: د: صالح آدم بيلو، ص ٣٥٨.

(٢) أبو السعود، أبو السعود سلامه، الإيقاع في الشعر العربي، الإسكندرية: دار الوفاء، ص ١٠٣.

(٣) الشرفي، أحمد، شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ٣٥٧.

(٤) انظر: الشورى، مصطفى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، ص ٢٧٢.

(٥) انظر: ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٩٧.

(٦) انظر: نفسه، ص ١١٣.

الجناس(*):

تطرب الآذان للجناس؛ لأن له أثراً موسيقياً قوياً ينبع من ترديد الحروف وتقابل الألفاظ المتشابهة^(١)، فالتجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً تطرب له أوتار القلوب فتجاوب في تعاطف مع أصداء بنيتها^(٢)، ولا يقتصر جماله على اللفظ فقط بل هناك جمال مرجعه المعنى ودلالة الألفاظ^(٣).

وقد استخدمه ابن حمديس لإبراز جمال المحبوبة، وألمه الذي يعانيه من عدم تمكنه الوصول إليها، ولذلك فهو يرجو أن ترحمه وتصله، بل يتمنى دوام المحبة بينهما. يقول في جمالها:

والغواني لا غنى عن وصلها أبغير الماء يروى ذو
صفرت كفاي من صفر التياح
الوشاح وهفا حلمي بهيفاء
رداح^(٤)

فهي جميلة كاملة الجمال، مستغنية عما يتجمل به النساء ليصبحن جميلات، وكونها جميلة يجعل الإنسان محتاجاً إلى معرفتها وعمل علاقة معها، ثم وبأسلوب الاستفهام يؤكد الشاعر عدم ري

الإنسان الذي يعطش سريعاً إلا بشربه الماء، وكذلك الجميلة لا يستطيع الإنسان إلا أن يعشقها ويحبها. فإن كانت كلمتا (الغواني) و (غنى) بينهما تشابه والتباس، فإن الجميلة الحكم في حبها وعشقها مقطوع به، وهو أنه واجب لا يستغني الإنسان عنه.

ثم يتابع الشاعر وأنه فقد حلمه في الحياة، والسبب فقده لهذه الجميلة وعدم تمكنه من وصلها، فإن كان الشاعر أكد في البيت الأول أن تقارب اللفظتين لا يدل على تقارب المعنيين، فإنه هنا يؤكد كذلك على ذلك المعنى، فكونها هيفاء ضامرة الخصر، ثقيلة الأوراك تامة الخلق، وهذه الصفات الجميلة جعلت حلمه وتعقله يذهب في الهواء ويطير. والقيمة الصوتية لكلمة (هفا) تشعر بما آل إليه حلم الشاعر من خفة، فصار حتى لو أنه نفخ فيه لطار سريعاً، فالكلمة ابتدأت من أقصى الحلق، ثم احتبس الهواء مع حرف الفاء وتجمع، ثم انطلق بقوة بالمد، فأزال وأذهب حلمه.

واستخدم الشاعر الجناس للدلالة على رغبته في بقاء الود بينه وبين المحبوبة فيقول:

عسى بيننا يُبقي المودة بيننا ولا ينتهي منا إلى
أجلٍ عمر^(٥)

يبتدئ الشاعر بيته برجاء أن ما حصل بينه وبين المحبوبة من فراق وبعد، يؤدي إلى عكس ذلك وهو دوام وبقاء المحبة بينه وبينها (بيننا-بيننا)، وقد اختار الشاعر لفظة (المودة) التي تدل على الحب

(*) تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى. عتيق، علم البديع، ص ١٩٦.

(١) انظر: الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي-مثال ونقد، ط١، القاهرة: الشركة العربية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص ٢٦١.

(٢) انظر: فيود، بسيوني عبدالفتاح، علم البديع- دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط٢، القاهرة و الأحساء: مؤسسة المختار و دار المعالم الثقافية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٢٩٤.

(٣) انظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط٧، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٧م، ص ٤٥-٤٦.

(٤) الديوان، ص ٩٥.

(٥) الديوان، ص ٢٤١.

الذي يكون في جميع مداخل الخير، فهو يؤكد أن حبه ليس حباً جسدياً حسيّاً، وإنما هو حب ترتفع به النفوس عن شهوانيتها. ويلاحظ على البيت تركيز الشاعر فيه على ضمير المتكلمين (بيننا - بيننا - منا) فهذا المودة بينه وبين المحبوبة مترابطة متشابكة يرتضيها كل منهما مع الآخر.

الخاتمة

في خاتمة هذه الدراسة أعرض بإيجاز لأهم ما جاء فيها، والنتائج والتوصيات التي خلصت إليها: جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين، تناولت في التمهيد الحديث عن غرضي المدح والغزل عند ابن حمديس، وهدفه من المدح، وغايته من الغزل، وما تميز به غزله.

ثم تشرع الدراسة في الفصل الأول وهو الدراسة الموضوعية لصورة المرأة في قصائد مديح ابن حمديس، وهو عبارة عن بحثين: الأول الأوصاف الحسية، والثاني الأوصاف المعنوية، فتناول في الأوصاف الحسية الشعر والعينين والجفون، والخد والفم وما يتعلق به، والرقبة ثم الخصرة وما حولها، والساقين، والرائحة والقوام عموماً.

وفي المبحث الثاني تم الحديث عن الأمور المعنوية التي وصف بها ابن حمديس المحبوبة في قصائد المديح، ومنها: الشوق لها، وعدم التمكن من الوصول إليها، وعتابها، وصدودها وتعذيبها، غرورها وغدرها، وغير ذلك من أمور.

وفي الفصل الثاني انتقلت الدراسة للحديث عن الجوانب الفنية لصورة المرأة في قصائد مديح ابن حمديس، وبدأت بالحديث عن اللغة وما فيها من ألفاظ، وبيان ما استخدمه الشاعر في هذا المجال من ألفاظ من حيث الليونة والسهولة والألفة، وأنه استطاع توظيف الألفاظ حسب مقتضى المقام والسياق، وتم الحديث عن الألفاظ كذلك من حيث الغرابة والجزالة وما غلب عليه من وضوح إلا في مواضع اقتضى المقام خلافه.

وفي المبحث الثاني: جرى الحديث عن التراكيب، وتم فيه الحديث عن التقديم والتأخير وما كان لهما من أثر فيما قصده الشاعر منهما.

وفي المبحث الثالث تم الحديث عن الأساليب، واندراج تحته مجموعة من العناوين: فبدأ الحديث عن الحوار وبيان ما فيه من تشويق وإثارة للمتلقي، ثم الحديث عن الأساليب الإنشائية من استفهام ونداء، وما كان للشاعر من براعة في استخدامهما.

وفي المبحث الرابع جرى الحديث عن مصادر الصورة الفنية، ومنها الطبيعة بنوعها المتحركة والصامتة، ثم الحديث عن الموروث الثقافي وتوظيف ابن حمديس له في هذا الغرض، ثم تم الحديث عن وسائل تشكيل الصورة الشعرية، من تشخيص وتجسيد وتشبيه، فالحديث عن التكرار، ومن الجوانب التي تناولها مبحث الصورة المفارقة التصويرية وما فيها من طباق ومقابلة، وآخر ما تحدث عنه هذا المبحث التصوير بالحقيقة.

❖ اعتمد ابن حمديس في تشكيل صورته على التشخيص والتجسيد، والتشبيه والاستعارة، والتكرار.

❖ استخدم المفارقة التصويرية من طباق ومقابلة، كما استخدم التصوير بالحقيقة.

❖ في الموسيقى الداخلية لجأ ابن حمديس للجناس لما له من أثر في تحريك العقل والذهن.

التوصيات:

❖ يمكن إجراء دراسة تقارن بين صورة المرأة في غزل ابن حمديس وصورته في مدائحه.

❖ المجال خصب لدراسة علاقة صور المرأة في قصائده المدحية بصورة الممدوح ذاته.

وأخيراً أسأل الله أن أكون قد وفقت إلى تقديم هذه الدراسة بالشكل المناسب الذي يفيد القارئ والباحث، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع

١. ابن الأثير، المثل السائر، قدمه وعلق عليه: د أحمد الحوفي و د بدوي طبانة، ط٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٢. ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له: د إحسان عباس، بيروت: دار صادر و دار بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

وفي المبحث الخامس والأخير تم الحديث عن الموسيقى الداخلية عموماً، والجناس خصوصاً. وآخر ما تعرضه الدراسة النتائج والتوصيات:

النتائج

❖ أراد ابن حمديس من الغزل في مدائحه استمالة الممدوح عله يساعده في تخلص بلده من المحتلين.

❖ لم يقدم ابن حمديس صوراً للمرأة متميزة عن صور الشعراء السابقين له إلا في القليل النادر مثل تشبيهه رقة جيد المحبوبة بالنقش على الحرير. أما بقية صورته فهي مكرورة عند الشعراء السابقين من مشرقين وأندلسيين.

❖ تميز ابن حمديس عند حديثه عن المرأة بنظرته لها بكثير من التوقر والعفة، لا اللذة والمتعة.

❖ راح ابن حمديس في ألفاظه الغزلية في قصائد المدح بين السهولة واللين وبين الغرابة والجزالة، فالأولى ليفهم المتلقي، والثانية ليظهر مكانته ومقدرته، وإن كانت السهولة والليونة هي الأغلب.

❖ الأكثر استخداماً من أساليبه الإنشائية الاستفهام والنداء.

❖ كانت مصادر صورته الشعرية مستمدة من البيئة التي عاش فيها، سواء البيئة الطبيعية، أو البيئة الثقافية.

١٠. أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط٧، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م.

١١. بالنشيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: د حسين مؤنس، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٢. البحتري، الديوان، شرحه وعلق عليه: د محمد التونجي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٣. بدوي، أحمد أحمد، أسس النقد عند العرب، القاهرة: دار نهضة مصر.

١٤. بكار، د: يوسف حسين، بناء القصيدة العربية، القاهرة: دار الثقافة، ١٣٧٩هـ-١٩٧٩م.

١٥. الجراوي، أحمد بن عبد السلام، الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: د محمد رضوان الداية، ط١، دمشق: دار الفكر-بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٦. الجهني، زيد بن محمد بن غانم، شعر الحرب بين البحتري والمتنبي، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ، إشراف: أ.د. طه مصطفى أبو كريشة.

٣. ابن رشيق، الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: د عبد الحميد هنداي، ط١، بيروت-صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤. أبو الأنوار، محمد، في تاريخ الأدب العباسي-الشعر والشعراء، المنيرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م.

٥. أبو السعود، أبو السعود سلامه، الإيقاع في الشعر العربي، الإسكندرية: دار الوفاء.

٦. أبو شارب، مصطفى، الشعراء المروانيون في الأندلس، ط١، الرياض: دار المفردات، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧. استيتي، رأفت محمد سعد، ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٧م، إشراف: أ.د. يحيى جبر.

٨. امرئ القيس، الديوان، ضبطه وصححه: أ مصطفى عبد الشافي، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، بيروت: دار الكتب العلمية.

٩. أمين، بكري شيخ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩م.

١٧. حسان، تمام، البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط٣، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٨. حمادة، محمد كمال سليمان، الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي-دراسة أسلوبية، ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، إشراف: أ.د. يوسف شحنت الكحلوت، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
١٩. حموده، سعد سليمان، لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
٢٠. الدش، محمد، أبو العتاهية: حياته وشعره، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
٢١. الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري-دراسة في النظرية والتطبيق، ط١، الرياض: دار العلوم، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
٢٢. الرقيب، سلطان سعد عقيل، رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز في العصر الحديث من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤٢٠هـ قضاياها وتشكيلاته، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ-٢٠١٠م، إشراف: أ.د. يوسف عبد الله الأنصاري.
٢٣. الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، دار المعارف.
٢٤. السريحي، صلوح بنت مصلح، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، دكتوراه، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، إشراف: أ.د. أحمد سيد محمد.
٢٥. سلامه، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس-تطوره-موضوعاته وأشهر أعلامه، ط١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م.
٢٦. السلمي، عبد الرحمن بن رجاء الله، شعر الأسر بين أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد-دراسة موازنة، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٣/١٤٢٤هـ، إشراف: د محمد فايد هيكل.
٢٧. سيد، مفرح إدريس أحمد ، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي - دراسة تحليلية))، مجلة جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنورة: السنة: ١، العدد: ١، (شعبان ١٤٣٢هـ).
٢٨. الشرفي، أحمد بن علي ناصر، شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة دراسة

٣٦. عتيق، عبد العزيز، علم البديع، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٧. العمري، أحمد جمال، ((التكرار في القرآن العظيم))، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: العدد: ٣٩، ذو الحجة ١٣٩٧هـ، صفحات المقال من ٩-١٩.

٣٨. الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي-مثال ونقد، ط١، القاهرة: الشركة العربية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٩. الفتوي، وفاء عمر، قصيدة الرثاء عند ابن الرومي-دراسة موضوعية، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف: د محمد مريسي الحارثي.

٤٠. فيود، بسيوني عبدالفتاح، علم البديع-دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط٢، القاهرة و الأحساء: مؤسسة المختار و دار المعالم الثقافية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤١. القط، عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

توثيقية موضوعية فنية، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، إشراف: د صالح آدم بيلو.

٢٩. الشريف المرتضى، الديوان، حققه: رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية.

٣٠. شلبي، سعد إسماعيل، من أدباء المغرب والأندلس: ابن حمديس الصقلي شاعراً، القاهرة: دار الفكر العربي.

٣١. الشورى، مصطفى عبد الشافي، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٣م.

٣٢. صردر، الديوان، تحقيق ودراسة: د محمد سيد عبد العال، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٣٣. ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ط٢، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

٣٤. ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م.

٣٥. عبد الرحيم، مصطفى عليان، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤٢. لسان الدين بن الخطيب، الديوان، حققه: د محمد مفتاح، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٤٣. الهرامة، عبد الحميد عبد الله، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري الظواهر والقضايا والأبنية، ط٢، طرابلس: دار الكاتب، ١٤٢٩هـ-١٩٩٩م.
٤٤. هلال، ماهر مهدي، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، بغداد: دار الحرية، ١٩٨٠م.
٤٥. الهليل، عبد الرحمن عثمان، الهمس في الشعر السعودي، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤٦. الهليل، عبد الرحمن عثمان، التكرار في شعر الخنساء دراسة فنية، ط١، الرياض: دار المؤيد، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٤٧. الهليل، عبد الرحمن، عمرو بن مسعدة- سيرته وتراثه النثري-دراسة وجمعاً وتوثيقاً، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٤٨. وهبه، مجدي و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

مصادر نقلاً عن:

٤٩. الشعر والفنون الجميلة، لم تذكر بياناته في الأصل، ولم أستطع الحصول عليه.

٥٠. قاسم، عدنان حسين، التصوير الشعري، ط١، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٠م.
٥١. حسين، عبد الباقي محمد، سيد قطب حياته وأدبه، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

Image of the Woman in the Panegyrics of Ibn Ḥamdīs

(English Abstract)

Anwar Yaqub

Taibah University

Abstract. This study consists of an introduction, followed by two chapters: the introduction sheds light on the themes of panegyric and love poetry of Ibn Ḥamdīs, focusing on his works' goals and characteristics. Then, the first chapter contains two parts: the first highlights the poetry's description of the woman's physical appearance, such as her hair, eyes, eyelids, cheeks, lips and neck, while the other studies some moral attitudes, for example his passion and inability to win her heart, her admonition and neglect of him, besides her sweet arrogance.

The second chapter, which is divided into six parts, studies the technical aspects of the woman's image in Ibn Ḥamdīs poetry beginning by his poetic language; it shows how he tends to appropriately employ kind and soft words in the context. This section also analyses the poet tendency to choose uncomplicated words, except in some occasions. The second part of this chapter deals with the sentences, and the impact of anastrophe on the poet's intentions. Then comes the third part which discusses the poet's styles such as: using dialogue and questions to attract the readers, while the fourth part surveys the rhetorical image and its sources, for instance: the static and motion nature, and how Ibn Ḥamdīs relied on his cultural background to constitute his poetry imagery using similes, metaphor and metonymy. The final two parts deal with the structure of Ibn Ḥamdīs's poem and its internal rhythm (music), while the conclusion sums up the findings and recommendations of the study.

موضوعات علم المعاني في سورة القلم (دراسة بلاغية)

د. سارة بنت نجر العتيبي
/استاذ مساعد - جامعة شقراء

مستخلص. تناولت في هذه الدراسة :

١. توضيح بعض ما يتعلق بسورة القلم .
 ٢. ثم بدأت في تناول نظم السورة بدءاً بالجزء ، وهو الحرف، وضرب الأمثلة الممكنة عليه من السورة ثم بالكلمة، وذكر بعض أنواعها، وسبب اختيار صيغ معينة دون الأخرى، أو أفعال دون أخرى.
 ٣. ثم نمت البحث نمواً مطرداً، فبدأت البحث بالجملة وأنواعها وعلاقاتها الداخلية من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتعريف وتكثير وخبر وإنشاء.
 ٤. وبعد ذلك نظرت في تراكيب الجمل وما بينها من وصل وفصل، وما فيها من إيجاز وإطناب ومساواة.
- وقد حاولت في بحثي هذا التعريف بكل فن من علوم المعاني صادفني في السورة، واكتفيت بذكر بعض الشواهد، ولم أتطرق في شواهد الفن البلاغي في السورة جميعها.

المقدمة

وبعد فقد كثرت المؤلفات التي تسعى لبيان أوجه

الإعجاز في القرآن الكريم، واجتهد علماء المسلمين بحثاً في ذلك وتنقيباً، فكثرت المؤلفات، حتى لا يدركها حد، وما زالت المؤلفات مستمرة، وتأتي بجديد لم يُكتشف وغريب لم يُعرف وعجيب لم يُطرق.

الحمد لله الذي أنزل كتابه القرآن معجزاً لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائب، والصلاة والسلام على النبي الأمين الذي خصّه الله بالدين الخاتم والكتاب المعجز.

التمهيد

أ- البلاغة القرآنية:

البلاغة: لغة هي الوصول والانتهاء، من بَلَغ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبلاغاً^(١)، يقول أبو هلال العسكري: "البلاغة من قولهم بَلَغْتُ الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري، ومبلغُ الشيء ومنتهاه، فسميت البلاغة بلاغة؛ لأنها تُتَهِى المعنى إلى قلب السامع، فيفهمه"^(٢).

والبلاغة اصطلاحاً: البلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها^(٣).

ب- سورة القلم:

أ. تعريف عام بالسورة:

سورة القلم ثاني سورة نزلت في القرآن الكريم، وعدد آياتها اثنان وخمسون آية، وكلماتها ثلاثمائة كلمة، وحروفها ألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً^(٤)، وهي

ومن أوجه إعجاز القرآن ما فيه من جمال بياني وبلاغة رائعة لا ترقى إلى مثلها بلاغة ولا فصاحة، وقد أخذ هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم حقه من التأليف، حتى وضع العلماء علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبدیع)، ولا يزال الباحثون يستخرجون ويستكشفون من عناصر إعجاز القرآن ما لم يتوصل له السابقون. وقد أخترت لهذا البحث أن يكون مبحراً في بلاغة سورة القلم.

وكان المنهج المتبع في هذه الدراسة العودة لكتب التفسير لبيان معنى الآية ثم كتب البلاغة لتعريف الفن لغة واصطلاحاً وذكر أقوال بعض العلماء في الفن وقد اعتمدت في التعريف على الاستقراء الشامل ثم اختيار الأظهر منها. وبعدها استخرج الفن من الآية وبرز موطن الشاهد وأشرحه.

وكانت الدراسة مقسمة على النحو التالي:

١- تمهيد ويشمل:

أ. البلاغة القرآنية. ب - سورة القلم والتعريف بها ج. علم المعاني ومفهومه عند البلاغيين.

الفصل الأول: الحرف والكلمة في السورة.

الفصل الثاني: التراكيب:

أ. في الجملة. ب- بين الجمل.

الخاتمة وتشمل: أ- خلاصة البحث

٢- نتائج البحث

وأخيراً فهرس البحث.

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، مادة: ب ل غ.

(٢) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد اليحوي، محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ص ١٢.

(٣) انظر: الإيضاح، للقزويني، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، الطبعة السادسة، ج ١/ ص ٨٠- البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ج ١/ ص ٥٨.

(٤) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد محمد عبد الكريم الأشموني، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ص ٦٦٣- تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير، للخطيب الشربيني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ٣٤٩- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، محمد علي طه الدرة، منشورات دار الحكمة، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، الجزء الأخير: ٥٥.

أما عن المحور الذي تدور عليه السورة فهو إثبات نبوة النبي محمد ﷺ^(٢).

ومن أغراض السورة التي جاءت بها التحدي بمعجزة الأُمِّيَّة لقوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ القلم: ١، وأما ابتداء السورة بخطاب النبي ﷺ فتأنيساً له وتسليّة عما لقيه من أذى المشركين^(٣).

١- اسمها: سميت هذه السورة في معظم التفاسير وفي صحيح البخاري بـ "سورة ن والقلم" كما سماها الترمذي في جامعهِ وبعض المفسرين سورة "ن" بالاختصار على الحرف المرفد الذي فتحت به، وهي أول سورة نزلت مفتحة بحرف من حروف الهجاء^(٤).

وسميت بالقلم لافتتاحها بما أقسم الله به وهو القلم؛ وذلك تعظيماً له^(٥)، كما سميت بـ "ن والقلم" على حكاية اللفظين الواقعين في أول السورة.

معنى "ن":

أختلف في معنى هذا الحرف، كما اختلف في جميع الحروف المفتحة بها السور، فقل هو لوح من نور، وقيل هو لقب لحوت عظيم يحمل الأرض.

من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة والإيمان، نزلت في الفترة التي اشتدت فيها عداوة قريش للنبي ﷺ، لعجزهم عن تحديد في الإتيان بمثل هذا القرآن، وإيمان الناس به واتباعهم إيّاه.

وقد تناولت هذه السورة ثلاثة موضوعات أساسية، هي:

١. موضوع الرسالة والشُّبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد بن عبدالله ﷺ، واتهامهم إيّاه بالجنون، وتبرئة الله له من كل وصف لا يليق به، وإثبات كمالاته في الدنيا والآخرة.

٢. تحذير أهل مكة من غضب الله وإزالة النعم التي يرفلون فيها، وضرب الأمثلة لهم، كقصة أصحاب الجنة الذين بدلوا ما كان عليه أبوهم، فبدل الله ما هم فيه؛ لكفرهم بنعم الله.

٣. المقارنة بين أحوال المجرمين والمؤمنين، وتوبيخ المشركين على أحكامهم الفاسدة، كما هددت السورة المكذبين بالقرآن الكريم، وبرسالة محمد، ثم ذكرت الآخرة وأهوالها وشدائدها.

وقد ورد في آخر السورة أمر للنبي ﷺ بالصبر في تبليغ الدعوة وتلقي أذى قومه، وعدم الضجر من ذلك ضجراً يعاتبه الله عليه، كما عاتب فيه يونس عليه السلام^(١).

(٢) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، جزء تبارك، الجزء الأخير: ص ١٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ج ٢٩، ص ٥٩.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٥٧- نظرات حديثة في التفسير، ص ٧١- البحر المحيط، لابن حيان، ج ٦ ص ٣٠٤- التفسير المنير،

وهبة الزحيلي، ص ٤٩.

(٥) انظر: التفسير المنير، ص ٤٩.

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ٢٩: ٥٨.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النون هو الدواة التي يوضع فيها الحبر للكتابة، وعنه أيضاً أن نوناً حرفاً من حروف الرحمن. وقيل هو اسم للسورة^(١).

ويرى المحققون فيها أنها إشارة إلى إعجاز القرآن، حيث أعجز العرب بفصاحته، رغم تركيبه من هذه الحروف الهجائية التي يتألف منها كلام العرب^(٢).

وقيل إن الحرف أو الكلمة " ن " هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ثم الراسخون في العلم، هذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فإن لهذا الحرف أثره في شكل النظم التي جاءت عليه السورة، حيث كانت فواصلها تنتهي بمقطع أشبه بلفظ نون، أي أنه مقطع مكون من ثلاثة أحرف، أولها متحرك، وثانيها حرف مد ساكن، وثالثها حرف ساكن بالوقوف عليه، مما أدى إلى تناسب صوتي جميل في جَوِّ السورة العام^(٣)، وأكد الأقوال إنه حرف من حروف الهجاء.

القلم: هو اسم جنس شامل للأقلام التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنشور والمنظوم، فالقلم من آيات الله العظيمة التي تستحق أن يقسم بها^(٤).
نوع السورة وترتيبها: السورة مكية بالإجماع^(٥)، وهذه السورة هي التالية لسورة " تبارك " الذي بيده الملك " وهي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، حيث نزلت بعد سورة " العلق ".
ج- علم المعاني:

علم المعاني من المصطلحات التي اطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتكثير، أو قصر، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب^(٦)، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة "المعاني"، والبيان، والبدیع"، وهذه التقسيمات والمسميات جاءت لاحقاً عند المتأخرين، وقد كانت قبل ذلك وحدة شاملة متكاملة بلا تحديد ولا تمييز، وشيئاً فشيئاً أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال، فأخذت مسائل كل فن بلاغي تتبلور مستقلة، وذلك التخصص والاستقلال كان

(٤) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه: محمد زهري النجار، مطبعة المؤسسة السعيدية، بالرياض، ج٧/ ص٤٤٣.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/ ص٥٧- تفسير جزء تبارك، للصابوني، ص٢١- البحر المحيط، ص٣٠٧- نظرات حديثة في التفسير، ص٧٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥٨٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبته مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ج٤ ص٥٨٤.

(٦) انظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، ص٦٧.

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، ج/ص٥٥، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام الحافظ أبي القاسم الغرناطي، تحقيق: محمد التونسي، إبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة، ص٢٥٦.

(٢) انظر: صفوة التفاسير، تفسير جزء تبارك، ص٢٥.

(٣) انظر: التفسير القرآن للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ج٢٩/ ص١٠٧٦.

الفصل الأول

الحرف والكلمة

المبحث الأول:

الحرف

الحرف هو ما دلَّ على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسمٍ أو فعلٍ يصحبه ^(٣).

والحروف إما حروف مباني أو حروف معاني، وحروف المباني هي الحروف الهجائية عامة؛ وسميت بذلك لأن الكلمة تُبنى وتتكون صيغتها منها، وأما حروف المعاني فهي الحروف التي تقيد معنىً جديداً، أو ترد زائدة، أو مكررة للتوكيد ^(٤).

وللحرف في القرآن الكريم وظيفته البلاغية التي يؤديها بصورة مؤثرة وواضحة يقول ابن عباس: " الحمد لله الذي قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعون: ٥، ولم يقل في صلاتهم" ^(٥).

ومن حروف المباني التي وردت في السورة وظهرت مكانتها وأهميتها حرف النون الذي بدأت به السورة، وجاء مناسباً مع جنس ما ورد فيها، فقد ورد أكثر من مائة مرة، وانتهت معظم فواصل السورة بهذا الحرف، وفي كل هذا تحقيقٌ للتناسب التام، حيث تقاربت الأصوات، وغطى التناغم والتلاؤم على الجو العام

لأسباب منها إعجاز كتاب الله البلاغي، والتعرف على أسرار البلاغة والفصاحة في كلام العرب وأشعارهم.

أما أول من بدأ هذا التخصص في علم المعاني من حيث التسمية والتقسيم فقد قيل إن ابن فارس " ت ٣٩٥هـ" هو أول من سماه؛ لأنه عقد في كتابه "الصاحبي" باباً أسماه [معاني الكلام] ، وقال فيه:

" هي عند بعض أهل العلم عشرة: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمني وتعجب" ^(١).

ومن أوائل من وضع أسس وقواعد هذا العلم أيضاً عبد الفاهر الجرجاني في نظرية النظم التي وضعها في كتابه " دلائل الإعجاز".

أما علم المعاني عند الخطيب القزويني فهو يعرفه في كتابه " الإيضاح"، فيقول: " علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتض الحال" ^(٢). وقد حصر بحوث علم المعاني في ثمانية أبواب، هي: الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.

(٣) انظر: شرح المفصل، لموفق الدين ابن علي بن يعيش النحوي، مكتبة المتنبى، القاهرة، ج ٨/ ص ٢.

(٤) انظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ج ١/ ص ١٣، ٦٦.

(٥) الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣٩٤/٢.

(١) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، ص ٧٧، نقلاً عن الصاحبي، ١٧٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العربي، ص ٨٤.

وهذا التوافق جعل الجمل مؤتلفة متفقة، فجاء كلام الله فوق كل بيان، كما أن مجيئه كحرف عطف بين بعض الآيات دلّ على وجود جهة جامعة رابطة بينها، فناسب ذلك الجو العام في السورة.

ومن الحروف التي وردت في هذه السورة وكان لها وقع بلاغي مؤثر "كاف" الخطاب التي جاءت مضافة إلى رب في ثلاث آيات في السورة، وكان الخطاب فيها موجهاً إلى الرسول ﷺ ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ القلم: ٢، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القلم: ٧، وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ القلم: ٤٨.

فقد أضاف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم إلى ذاته المقدسة في تعبير يوحي بالقربى والمودة، وفيه عطف وإيناس وتكريم له ووعد بأن يحيطه بنعمته، وفيه تكريم وشرف بمخاطبته دون البشر، كما أن فيه دليلاً على عظمة مكانته عند الله، وعلو منزلته ((والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه في العلو إلى غاية لا غاية وراءها))^(١).

ومن حروف الجر التي وردت في السورة، وأثرت في المعنى حرف "الباء" في قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ القلم: ٢ ، حيث تفيد "الباء" المرتبطة في كلمة نعمة معاني كثيرة، منها

للسورة، فأحدث في النفس نوعاً من الاطمئنان والراحة النفسية للقارئ والسامع معاً، فيصبح الأثر في النفس كبيراً، وبالتالي يكون التأثير عميقاً.

وقد ورد حرف النون في السورة بأشكال مختلفة، حيث جاء نون إعرابٍ ونون ضميرٍ ونوناً أصليةً وغيرها، واشتملت السورة على صيغ كثيرة للتوكيد فأكد كثير من الآيات بـ "إِنَّ" المشبهة بالفعل، وبنون التوكيد، ولا يخفى ما في ذلك من المناسبة للجو العام في السورة.

ومن الحروف التي كثر ورودها في السورة حرف الواو الذي جاء حرفاً في المبنى كما جاء حرف معنى، فقد ورد حرف الواو في السورة حرف مدٍ قبل الحرف الأخير في الفاصلة، وغالباً ما يكون الميم أو النون، كما في قوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ القلم: ١ - ٣.

وقد أدى هذا التوافق في المقاطع إلى اتحاد النغم فيها، وأوجد تقارباً بينها ساعد على جعل نسق القول واحداً، ولما كانت هذه الكلمات: يسطرون، مجنون، ممنون، وغيرها في الآيات يوقف عليها بالسكون ومسبوقة بحرف المد "الواو" أصبح هناك وحدة في الجرس؛ لأن للسكون بعد المد وقعاً ترتاح له الأذن.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٢٤.

فصل من أول السورة وهذا تهيج والهيب للتصميم على معاصاتهم.

المبحث الثاني

الكلمة

الكلمة: هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف^(٤). وتنشأ الكلمة من انضمام الحروف بعضها إلى بعض، فإذا كانت الكلمة مفردة دلت على شيء جزئي، أما إذا تعددت الكلمات وانضمت فإنها توصلنا إلى المعنى الكلي.

والاسم: كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس. **والفعل:** ما دل على اقتران حدثٍ بزمان^(٥).

والحرف: وقد سبق الحديث عنه في مبحث الحرف.

والكلمة في النظم القرآني لها مكانتها العظيمة، فهي بمثابة واسطة العقد، ذلك أنها الأساس الذي يعتمد عليه التركيب، والنظم القرآني يختار الكلمة بعناية دقيقة، حتى أنه لا يمكن أن تحل مكانها كلمة مرادفة، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ الأعراف: ١٤١، تجده قد اختار الفعل ذبح، مصوراً به ما حدث، وضعف عينه

نفى التهمة عن الرسول؛ لأن الباء جاءت بعد النفي، والباء بعد النفي تفيد تأكيد هذا النفي، أي فأنت بسبب هذه النعمة بعيداً عن هذه التهمة^(١).

وأما " الباء " المرتبطة في كلمة مجنون فقد أقامت حجازاً فاصلاً بين النبي وبين إسناد الجنون إليه، فأضاف للحاجز الأول " ما أنت " حاجزاً جديداً هو حرف الجر، فنفي الجنون عنه ﷺ كان يتحقق مع عدم ذكر حرف الجر، بأن يجيء النظم هكذا " ما أنت مجنون " ، فإن فيه مواجهة للنبي بهذه الصفة التي هي أبعد الصفات منه ﷺ، لذلك جاء مع نفي الصفة عن النبي هذه المبادعة المادية بينه وبينها، وفي هذا تأكيد للحقيقة التي جاء بها القرآن، وهي بعد النبي بعداً معنوياً وحسياً عن أن يلم بحماه الكريم شيء يمس عقله^(٢).

وقد جاءت جملة " بنعمة ربك " معترضة؛ للإسراع في بيان أن تلك النفس المحمدية هي في حصن وسلامة من الآفات والنقائص بفضل الله ومنته ونعمته^(٣).

والفاء في قوله تعالى: (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ)

لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٦١/٢٩ - نظم الدرر، للبقاعي، ٩٥/٤.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ٢٩ / ص ١٠٧٩.

(٣) انظر: نظرات حديثة في التفسير، ص ٧٤.

(٤) انظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ج ١/ ص ١٨.

(٥) شرح المفصل، لابن يعيش، ج ٧/ ص ٢.

ولعل السبب الرئيس من كثرتها هو التأكيد على وجود هذه الصفات وثباتها حتى أصبحت علماً يعرف به عدو الله، ومن هذه الصيغ التي سنحاول - بإذن الله - تحليلها هي قوله تعالى: (هَمَّاز) ، حيث ورد في مقاييس اللغة: الهماز: العيَاب^(٣) ، وفي لسان العرب الهمَّاز: الذي خلف الناس من ورائهم، ويأكل لحومهم^(٤) .

والهَمْزة: الذي يهمز أخاه في قفاه بالغيب، وهمز الشيطان همزاً: أي همس في قلبه وسواساً، وأصل الهمز من الغمز باليد أو العصا في الرأس أو سائر البدن، ووجه المشابهة بين الكلمة وأصلها أن كليهما تضغطان وتؤثران وتتبهان المغموز والمهموز، وتتركبان أثراً في نفسه.

وقد جاء الهمز في الآية بهذه الصيغة تعبيراً عن شدتها في الموصوف، وتمكنها منه حتى كانت له علامة يُعرف بها، فأثر النظم القرآني لفظة همَّاز على لِمَاز رغم تقارب المعنى الأصلي بينهما لأغراض بلاغية ومعانٍ يستطيع المتأمل استخراجها بالتروي والتفكير، فالهمز نجده مخصوصاً بالغيبة، أما اللمز فمخصوص بالمواجهة^(٥) . وفي اللسان اللمز: كالغمز في الوجه، ورجلٌ لُمز: يعيبك في وجهك، والأصل في اللمز الإشارة بالعين والرأس

للدلالة على كثرة ما حدث من القتل في أبناء بني إسرائيل، ولا تجد ذلك مستفاداً إذا وضعنا مكانها كلمة يقتلون^(١) .

وقد تكاثفت أنواع الكلمة في هذه السورة، فخرجت متألّفة مترابطة في تأدية الغرض منها، ومن شواهد الكلمة في السورة:

١- الاسم: كثر ورود الاسم في هذه السورة، سواء أكان ذلك الاسم، أم صيغ الأسماء المشتقة التي على وزن فاعل أو مفعول أو فعيل أو غيرها من الصيغ المختلفة.

ومن الأسماء المشتقة التي ورد منها في السورة عدد غير قليل صيغة المبالغة.

وصيغة المبالغة: هي التي تدل على المعنى وصاحبه ودرجة الصفة فيه من حيث الكثرة والقوة^(٢) ، ومن شواهد في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيَذْهَبُونَ (٩) وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) ﴾ القلم: ٩ - ١٣، حيث وردت صيغة المبالغة في هذه الآيات القصيرة ست مرات على وزن فعال، منها أربع صيغ، هي " حَلَّافٍ - هَمَّازٍ - مَشَاءٍ - مَنَاعٍ"، واثنين على وزن فعيل، هما " أَثِيمٍ - زَنِيمٍ " .

(٣) مقاييس اللغة، لأبي الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د. عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالث، ج ٢، مادة: هـ. م. ز.

(٤) لسان العرب، مادة: هـ. م. ز.

(٥) انظر: الكشف، للزمخشري، ج ١/١٠١.

(١) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص ٥٨.

(٢) انظر: النحو الوافي، ج ٣/٢٥٨.

يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ القلم: ٤٣، فاسم الفاعل خاشع، ومعناه اللغوي خشع بصره، أي انكسر^(٣)، فالخاء والشين والعين أصل واحد يدل على التظامن^(٤). وقد جاءت هذه اللفظة دون غيرها من الألفاظ المرادفة، لأنها تعبر تعبيراً دقيقاً عن حالة هؤلاء أكثر من غيرها من الكلمات، فلو نظرنا إلى كلمة مشابهة ومقاربة، وقارنا بينهما لمعرفة سبب تفضيلها لأدركنا السبب، فمثلاً كلمة "خضع - خاضعة" يمكن أن تحل محل خاشعة، لو لم نكتشف ونعرف الفرق بينهما، فالخضوع معناه التواضع والتظامن، وفيه معنى الخشوع إلا أننا نجد أن الخضوع قد خُص بالبدن، والخشوع يأتي في البدن والصوت والبصر والقلب والفكر^(٥)، ولما كان الخشوع متصلاً بالبدن والصوت والبصر، والخضوع بالبدن فقط اختار النظم الخشوع؛ لأنه أكثر أثراً إلى جانب أن الخشوع يظهر أثره في الإبصار، فالعز والذل يتبين في نظر الإنسان، وقد تملك المكذبين الذل، وبدأ على سيماهم، وظهر أثره في نظراتهم^(٦). وقد رسم الله هيتئتهم مفصلة، فبدأ بالإبصار، وهو من أهم حواس الإنسان، وبين ما فيها من انكسار يتبعه انكسار يظهر في باقي الجسم ﴿تَرَهُهُمْ ذِلَّةً﴾ القلم: ٤٣. فهؤلاء المتكبرون والمتبجحون بأبصارهم الخاشعة والذلة المرهقة هم

والشفة مع كلام خفي، أما الهمز فيكون في الغياب، واللماز المُغتاب بالحضرة^(١).

وكما نلاحظ أن الغمز واللمز يتفقان في أنهما معايبية على الناس وسخرية بهم، ولكنهما يفترقان في أن اللمز يكون في حضرة المهموز بالإشارة بالعيني والشفة والرأس، مع كلام خفي، والهمز يكون باللسان فقط وفي غياب المهموز. وقد يكون ذلك الوصف دالاً على صفة أخرى، وهي جبن ذلك الهامز عن المواجهة علناً، فمشى بها سراً بعيداً عن مهموزه، كما تدل على كذبه وافترائه وبعده عن الحق، ((وقد كره الإسلام خلق الهمز أشد الكراهية، فهو يخالف المروءة ويخالف أدب النفس ويخالف الأدب في معاملة الناس وحفظ كراماتهم لذلك نجد القرآن كرر ذم هذا الخلق في غير موضع))^(٢) حرصاً منه على تربية الجانب الأخلاقي للمسلمين.

وهكذا نلاحظ أن كل كلمة في القرآن الكريم تُساق لتؤدي المعنى المطلوب منها تماماً، بحيث تعجز أي كلمة أخرى عن القيام به، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن الأسماء المشتقة التي وردت في آيات السورة اسم الفاعل الذي يدل على معنى مجرد وفاعله وعلى معنى ثابت بوجود قرينة، ومن شواهد في السورة ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَهُهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا

(٣) انظر: لسان العرب، مادة خ. ش. ع.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٢/ مادة خ. ش. ع.

(٥) لسان العرب، مادة خ. ش. ع و خ. ض. ع.

(٦) انظر: محاضرات في تفسير القرآن، نور الدين عتر، ص ١٦٦.

(١) لسان العرب، مادة هـ. م. ز - و - ل. م. ز.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، م ٦، ج ٢٩/ ص ٣٦٦٣.

أنفسهم أصحاب الهامات الشامخة والكبرياء المنتخبة في الدنيا الذين ينظرون إلى الرسول الكريم معارضين ممانعين، وفي أبصارهم عداوة ورغبة بالضرر، ويتسابقون في إلحاق الأذى به، حتى ولو بالعين ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ القلم: ٥١ ، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فيكسر هذه الأبصار، وينزل أصحابها حتى لم يعودوا قادرين على رفعها.

ومن أنواع الكلمة في آيات السورة الأسماء المشتقة، ومنها اسم المفعول "ممنون" في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ القلم: ٣، فكلمة ممنون جاءت على وزن مفعول، وهي من الأسماء المشتقة التي يدل استعمالها على استمرار الحدث، والأصل في ممنون: ممن منّ منه يمنّه منّا أي قطعه، وحبل منين مقطوع، والممنّ يعني القطع، وممنّ فلان على فلان ، إذا عظم الإحسان وفخر به، وأبدأ فيه، وأعاد حتى يُفسده ويُغضه^(١) ، فممنون مشتق من ممنّ المعطي إذا عَدَّ عطاءه وذكره أو افتخر عليه، وهذا يسوء المعطي ويؤذيه، أو مشتق من قولهم: من الحبل إذا قطعه، "أي أجراً غير مقطوع"^(٢) ، وهو الثواب المتزايد كل يوم، أي الأجر الأبدي في الآخرة. وقد ذكرت كلمة "ممنون" في الآية دون غيرها من الكلمات التي يمكن أن تؤدي معنى القطع، مثل كلمة "مجذوذ" التي وردت في

قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ هود: ١٠٨ ، وهي كلمة مشتقة من "الجز" ، وهو القطع المتأصل^(٣) ، وربما يكون السبب في إثارة كلمة "ممنون" على "مجذوذ" أن كلمة "ممنون" جمعت أكثر من معنى ، فهي تعني عطاءً مستمراً دائماً غير مقطوع، وعطاء غير مكدر بالممنّ، فيكون في الكلمة إيجاز بجمعها المعنيين بخلاف كلمة "مجذوذ". وقد ذكرت التفسير أن المنّ المذكور على رسول الله ﷺ يكون من جهة الناس؛ لأن عطاء الله لا ممنّ فيه، فهو أكرم الأكرمين، ومن شيم الأكارم عدم المنّ^(٤) ، وفي هذا الجمع تكريم لرسول الله ووعد بالأجر المتصل الدائم جزاء "صبرة وجهاده، وهذه فيها تسليّة وتعويض عن كل هفوة وعن كل بهتان يرميه به المشركون"^(٥) . وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا كله في الآية بـ "إن، ولام الابتداء" وبتقديم الجار والمجرور في "لك"، كما جاءت كلمة "أجراً" نكرة؛ ليذهب الخيال في تصور هذا الأجر كل مذهب، فهو يشمل ثواب الله في الآخرة، وعنايته به ونصره في الدنيا.

وتفيد المؤكدات المذكورة بأن لك لأجراً دائماً موصولاً لا ينتهي ، ولا ينقطع ولا ممنّ فيه؛ وذلك غاية ما يكون عليه الثواب الجزيل والإكرام.

(٣) لسان العرب، مادة: ج ذ ذ ، معجم المقاييس، ج١/ص٤٠٩.

(٤) انظر: روح المعاني، ج / ٢٤ - التحرير والتنوير، ٢٩/ ٦٣ - التفسير

القرآني للقرآن: ٢٩/ ١٠٨١.

(٥) في ظلال القرآن، م٦، ج٢٩/ ٣٦٥٥.

(١) لسان العرب، مادة: م . ن . ن - المفردات ، للراغب، ص٤٧٤.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٩/ ص٦٣.

٢- الفعل:

ومن أنواع الكلمة التي وردت في آيات السورة الفعل، حيث ورد بصيغته المختلفة من أمر وماضٍ ومضارع، وأكثرها مجيئاً في السورة الفعل المضارع الدال على تجدد كفرهم واستمراره، ومن شواهد الفعل التي سننتاولها قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم: ٩. فالفعل المضارع هو ما دل على أمرين معاً، معنى وزمن صالح للحال والاستقبال، ويرتبط هذا بمعنى الفعل في الآية، فالمشركون متطلعون إلى رسول الله في الحال، متأملون في المستقبل يراقبونه وينتظرون منه إشارة بالقول لما يريدون، حتى ينطلقوا مصانعين منافقين، فالتعبير بالمضارع أفاد التجدد والحدوث، وهذا الفعل متكرر منهم وحادث متجدد متى ما رأوا منك مثله. وقد جاء في النظم الفعل "تُدهن" دون غيره من الأفعال، مثل "تُداري" لأسباب اقتضاها المعنى، فالمداينة في اللسان تعني: المصانعة والملاينة وإظهار خلاف ما يُضمّر، أي أن يكون فيها غش وكذب، بينما المداراة من الملاينة، وحسن الصحبة^(١). وتطبق المداينة على حالة الكافرين هنا أكثر من المداراة، فهم لا يريدون منه صحبة حسنة فقط، بل يريدون منه التنازل عن شيء من دينه الذي يؤمن به ويقره، - وهذه خطة سعى أعداء الإسلام لتطبيقها في كل زمان ومكان - ، ولكن الله نجى رسوله منها، وعلى هذا تكون المداراة جائزة والمداينة

(١) لسان العرب، مادة: د. ه. ن. و. د. ر. و.

مُحرمة، فالمداهن يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه^(٢)، فالمداينة تلطف بالإنسان لاستخراج الحق منه ورده عن الباطل وهي لأهل الإيمان، والمداينة أن تتلطف به لتقره على باطله، وتتركه على هواه وهي لأهل النفاق^(٣)، والمداهن كاذب والمداري مجامل، والرسول أبعد الناس عن الكذب وأنفرهم منه، وهو أفصح العرب، وأفطنهم لما في هذه الكلمة من معاني الغش والكذب، فينصرف عنهم سريعاً، والله تعالى يعلم بأن رسوله بعيد عن ذلك التنازل في الدين، ولكنه ينهاه عن مداينتهم ليستجلب قلوبهم؛ لأن الرسول بعيد عن أن يطلوا الأمر بطلاء زائف، حتى يقبل هذا الأمر، وإن كان هذا من صفات أعدائه.

ومن شواهد أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَقْبِلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامُؤْنَ﴾ القلم: ٣٠، فاستعمال الفعل المضارع - هنا - دفعٌ للسامع لتصور حالة هؤلاء المتلاومين، حيث يدفع استحضار هذه الصورة الفكر للتأمل في معصيتهم وعقاب الله لهم.

وقد استعمل النظم فعل اللوم دون غيره من الأفعال الأخرى مثل الذم والتوبيخ والعتاب والتقريع؛ لأن له دلالة تتناسب مع سياق الآية الكريمة، فالذم فيه تنقي من المذموم، وهو نقيض المدح^(٤)، والذم يكون عن

(٢) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري، ٤٠٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، الدرة، ص ٦٦.

(٤) لسان العرب، مادة ذ. م. م.

والقرآن الكريم يعتمد أسلوبه على ترابط الكلمات والحروف والجمل، فيخرج نظمه متناسقاً حسن الترتيب دقيق النظم محكم الترابط ملتحم الأنسجة بريئاً من ضعف التأليف نقياً من تنافر الألفاظ خالصاً من كل تعقيد تسلم الكلمة إلى أختها في الجملة والجملة إلى أختها في السياق بالتآم تام واتساق.

ويتكون التركيب من كلمتين، وذلك في الجملة الواحدة، ويكون بأكثر من ذلك في التركيب، حيث تتسم هذه التراكيب في الجملة والجمل بنسقها المميز في القرآن الكريم الذي جاء معجزاً للبشر، وقد يحدث فيه تقديم أو تأخير أو نحوه، لأغراض بلاغية مؤثرة^(٤).

أولاً: الجملة

قال علماء النحو: إن التركيب هو الجملة التي تتركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل^(٥)، أي جمع بين التركيب والإفادة، ففي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة:

خطأ أو على غير خطأ، أما العتاب ففيه مخاطبة إذلال وتوجد وإشفاق^(١)، وغالباً ما يكون بين اثنين، بينما اللوم يكون عند ارتكاب الذنب، والملاومة أن تلوم رجلاً ويلومك^(٢)، فاللوم لا يكون إلا على خطأ، وقد يقع هذا اللوم من كبير أو صغير، والمتلاومون هنا مجموعة أخوة كلهم أخطأ إما بالسكوت أو الأمر بالخطأ أو بتزيين ذلك الخطأ، فهذا يقول: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، وذاك يقول: أنت خوفتنا الفقر، وثالث يقول: أنت رغبتنا في جمع المال^(٣). وهكذا نلاحظ أن صيغة الفعل المضارع أكثر صيغ الفعل تصويراً لحالتهم، ودفعاً لاستحضار هذه الصورة، وكان الفعل "لام" دون غيره أكثر دلالة على وضعهم الذي هم فيه. (وإن يكاد): وجاء يكاد بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك في المستقبل وعد العدول إلى المضارع: في قوله تعالى: (وَلَا يَسْتَتْنُونَ). أي غير مستثنين للتعبير والتنبيه على مكان خطئهم.

الفصل الثاني

التراكيب (الجملة - الجمل)

تتكون التراكيب من الجملة والجمل، فمجموعة الجمل تكوّن التركيب، كما أن مجموعة الكلمات تكوّن الجملة.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٢: ١٤-١٥-١٦، النحو الوافي، ج ١/١٣، ١٥، ١٧.

(٥) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ١/ص ١٤-١٥، النحو الوافي، عباس حسن، ج ١/ص ١٥.

(١) لسان العرب، ع. ت. ب.

(٢) لسان العرب، مادة. و. م.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٣٨/٢٩- البحر المحيط، ج ٢٩ / ٣١٣.

وقد استعملت الجملة الفعلية في القرآن للدلالة على التجدد والحدوث، أما الجملة الاسمية فقد استعملت للثبوت والاستمرار.

ومن شواهد الجملة الاسمية في السورة قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
القلم: ٢ - ٤

فهذه الآيات الثلاثة مركبة من جمل اسمية ليس فيها فعل، ولكنها مناسبة للمقام، فالقرآن يتحدث هنا عن قضية إثبات النبوة وصدق الرسالة وتبرئة الرسول من تهمة الجنون، وإثبات تكريم الله لرسوله وتمكن الدين ومن ثم الخلق العظيم وإثبات أن هذا جميعه ثابت مستمر لرسوله، فاحتاج السياق لما يؤكد ذلك في وجه أهل الشرك والنفاق، فساق مؤكدات متعددة منها " إِنَّ " و " لا " الابتداء وتقديم الجار والمجرور، ثم كانت تلك المؤكدات مساقاة في مؤكد أشمل، وهو اسمية الجملة، فلا يملك الجاحد إلا التصديق والقبول.

ومن شواهد الجملة الفعلية في آيات السورة، قوله تعالى: (فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ) ، حيث تركبت الآية من فعل وفاعل ومفعول ومفعول به، وأفادت التجدد والحدوث، فهو نهى مستمر عن طاعة المكذبين كلما حاولوا التأثير على رسول الله وعليه الاستمرار في رفضه لهم.

٢ - ٥، ترى آيات قد التحم نسجها وارتبط بناؤها ، فالجملة الأولى قد وصفت القرآن بالجمال، والجملة التالية وصفته بعدم اعتلاق الريب به، وفي الجملة الثانية جعله هادياً للذين يخشون الله ويتقونه ومضت الآية الثانية تصف المنتفعين بالقرآن، فهم الذين يوقنون بما أنبأهم به من أمور غائبة، ويؤدون الصلاة ، ويساعدون من حولهم، ويؤمنون بالرسول وبما أنزل عليهم، كل هذا في ترابط قوي بين الجمل وتآلف وتناسق يؤدي إلى التأثير في النفوس والعقول^(١).

الجملة من حيث الاسمية والفعلية:

والجملة نوعان: جملة اسمية وجملة فعلية، ولكل جملة منهما قسمان رئيسان، هما المسند والمسند إليه.

الجملة الاسمية:

تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، فالمسند إليه هو المبتدأ الذي له خبر، والمسند هو الخبر.

والجملة الفعلية:

هي التي تتركب من فعل وفاعل، فالمسند إليه هو الفاعل أو نائبه، والمسند هو الفعل.

(١) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص ١٠٦.

الجملة في السورة من حيث الخبر والإنشاء:

نشأ الكلام حول مفهوم الخبر والإنشاء في عصر المأمون أثناء حدوث الفتنة حول القول بخلق القرآن على أساس أن ما تضمنه لا يخرج عن واحدٍ من ثلاث: "أمر، ونهي، وخبر"، ومن هنا جاء تحديد المعتزلة لمفهوم الخبر من حيث صدقه وكذبه، وممن أيد ذلك من رجال الاعتزال، وأبدوا رأيهم فيه إبراهيم بن يسار النظام وتلميذه الجاحظ^(١).

فقد رأى النظام أن صدق الخبر يكمن في مطابقته حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له^(٢).

أما الجاحظ فقد قسم الخبر إلى ثلاثة أقسام:

خبر صادق، وهو ما طابق الواقع والاعتقاد. وخبر كاذب، وهو ما خالف الاعتقاد والواقع معاً.

- وخبر لا نسميه صدقاً ولا كذباً، وهو ما طابق الواقع، وخالف الاعتقاد، أو طابق الاعتقاد وخالف الواقع^(٣).

وقد ذهب الجمهور إلى أن صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا

المشهور^(٤). وإذا نظرنا في أغراض الخبر وجدناها غرضين:

١. إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى فائدة الخبر.
٢. إفادة المخاطب أن المتكلم عالمٌ بالحكم، ويسمى ذلك لازم فائدة الخبر^(٥).

أضرب الخبر:

١. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحالة يُلقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، ويسمى ضرباً ابتدائياً.
٢. أن يكون المخاطب متردداً في الحكم شاكاً فيه، ويبغي الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده، ليتمكن في نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك، ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبياً.

٣. أن يكون المخاطب منكراً لحكم الخبر، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب درجة إنكاره، من جهة القوة والضعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكارياً.

وقد وردت في آيات السورة جمل خبرية بالأضرب المختلفة، فمن شواهد الضرب الابتدائي في السورة قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ

(١) انظر: علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، ص ٤٣.

(٢) الإيضاح، للقرظيني، ص ٨٦.

(٣) الإيضاح، ص ٨٧.

(٤) انظر: السابق، ص ٨٦.

(٥) انظر: السابق، ص ٩١.

كلامه مثبتاً منه، لا يقوله عن توهم، أو ثثرة واختراع^(٤).

يقول العلوي عن فائدة التوكيد: "إزالة الشكوك وإمالة الشبهات عما أنت بصده"^(٥).

ومن شواهد التأكيد في آيات السورة بالقسم والحرّوف، قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿ القلم: ١ - ٢ ، حيث دلّ حرف "الواو" على القسم الذي جرى على سنن الأقسام الصادرة في كلام الله تعالى، والتي يجب أن تكون بأشياء معظمة^(٦)، وفائدة قسم الله بجنس القلم تنبيه لخلقه على ما أنعم به على من تعلم الكتابة التي بها تتناول العلوم^(٧)، ودليل على علو مكانة القلم وشرفه، حيث كتبت به الكتب السماوية^(٨) ولما فيه من المنافع والحكمة^(٩). كما أفاد هذا القسم بياناً بالإعجاز القرآني، لما فيه من نبوءة علمية للقرآن، حيث استبانة عظمة القلم والكتابة وأهميتها فيما بعد، وفيه إحياء للمؤمنين ليهتموا بالقراءة والكتابة التي هي أساس التعلم^(١٠)، والقسم كما قلنا من أنواع التوكيد في الكلام، والله يريد توكيداً قوياً يقابل به هؤلاء المكذّبين، فجاء القسم هنا رداً

نَائِمُونَ ﴿ القلم: ١٩ ، حيث أراد الله أن يبين لرسوله كيفية إهلاك الجنة ووقت إهلاكها، فذكر له أن ذلك تم بإحاطة الطائف بها من جميع جهاتها ليلاً، والسامع لا يعلم كيف تم هذا الهلاك ولا وقته، فلم يحتج إلى توكيد الخبر الملقى عليه. أما الضربان الطبلي والإنكاري فقد احتاجا إلى مؤكّدات مختلفة، ونتطرق من هذا إلى تعريف التوكيد وذكر أدواته:

التوكيد: التأكيد من أكد العهد والعقد: لغة في وكدّه، والتأكيد لغة في التوكيد، وقد أكّدت الشيء وكدته^(١). وقال العلوي: "إن التأكيد تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره"^(٢).

أدواته: للتوكيد أدوات وطرق: فأدواته هي: إن، ولام الابتداء، وضمير الفصل، والقسم، وإما الشرطية، وحرفا التنبيه "ألا" و "إما"، والحرّوف الزائدة: إن، وما ، ومن ، والياء، وقد، والسين ، وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد أو وعيد، وتكرير النفي، وإنما، ونونا التوكيد. أما طرق التوكيد فهي الجملة الاسمية وتقديم الفاعل من حيث المعنى^(٣).

وتكمن فائدة التوكيد وغرضه في إعلام المخاطب بأن المتحدث يقول كلامه جازماً قاصداً ما يدل عليه

(٤) انظر: البلاغة العربية، ج١/ ص١٨٦.

(٥) الطراز: ج٢، ص١٧٦.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/ ص٦٠.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/ ص٤٢٩.

(٨) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/ ص٦٠.

(٩) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ص٢٥٧.

(١٠) انظر: تفسير جزء تبارك، أحمد العظمة، ص٣٤.

(١) لسان العرب، ج٣/ ص٧٤.

(٢) الطراز: يحيى العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف،

بمصر، ١٤١٤هـ، ج٢، ص١٧٦.

(٣) انظر: البلاغة فنونها وأفانها، ج١/ ص١١٤.

في المكابرة زاد الله في التأكيد، بل ويؤكد لهم إكرامه الدائم لنبيه الكريم.

وتأتي ي "إن" من أكثر حروف التوكيد وروداً في السورة، ولا يخفى علينا ما في ذلك من تناسب واضح مع جوّ السورة العام الذي يكثر فيه هذه الحرف، فيتولد جوّ إيقاعي إيحائي، وأول الآيات التي تواجهنا مؤكدة بهذا الحرف، هما الآيتان القصيرتان الثالثة والرابعة، حيث يرد فيهما عدة مؤكدات لعظم الهدف الذي ترمي إليه، وهو تأكيد صحة نبوته عليه الصلاة والسلام وسلامته مما نسب إليه، وهذه أمور أنكرها المشركون تماماً، وشككوا فيها، فجاء الكلام مؤكداً بما يثبتته.

إن: وهي من الحروف المشبهة بالفعل التي تؤكد مضمون الجملة وتحققه^(٤).

وقد ورد في شرح المفصل "إن قول القائل: إن زيداً قائم ناب مناب تكرير الجملة مرتين، ألا ترى أن قولك: إن زيداً قائم أوجز من قولك: زيد قائم، مع حصول الغرض من التأكيد"^(٥).

وينبه عبداً لقاها الجرجاني في دلائل الإعجاز إلى أن هذا الحرف يدل في أصل وضعه على التأكيد^(٦).

على ما جاء في كلام المشركين من تأكيدات في قولهم: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ القلم: ٥١، حيث أكدوا كلامهم "بأن" و"لام الابتداء"، فجاء الله بمؤكدات أقوى، إذ أقسم عليه، ثم جيء بعد النفي بالباء ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ القلم: ٢، والباء بعد النفي تأكيد لهذا النفي، ثم بالجملة الاسمية الدالة على ثبات الخبر^(١)، فجاء القسم مجلياً للحقيقة، مبيناً لها، ومؤكداً لصدقها، ولو كره الكافرون. أما القسم عليه فهو ثلاثة أشياء:

١. نفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم.
٢. ثبوت الأجر له صلى الله عليه وسلم.
٣. كونه على أعظم خلق^(٢).

فجواب القسم هو تكذيب لهذه التهمة الحمقاء التي رماه المشركون بها، ونفي هذه التهمة عن الرسول إثبات لما قصد المشركون نفيه، وهو أن يكون رسولاً من الله؛ لأنهم لما نفوا الرسالة وضعوا موضعها صفة الجنون، فإذا نُفي ما زعموه فقد ثبت ما ادعاه^(٣)، ولما أراد سبحانه وتعالى إثبات الأمر وبيانه على حقيقته وإزالة تهمة أعداء رسول الله والرافضين لما جاء به - والله تعالى يعلم برغم معرفتهم بها - دحض ذلك كله بقول لا شك فيه ولا لبس، وأورد فيه من المؤكدات ما يجعلهم صامتين عاجزين، وكلما زادوا

(٤) انظر: شرح المفصل، ج٨/ ص٥٩.

(٥) انظر: شرح المفصل، ج٨/ ص٥٩.

(٦) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، ج١/ ص١٣٧.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/ ص٦٠، ٦١.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، ص٤٠٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/ ص٦٢.

بمؤكدات متعددة، منها "إنَّ" و"لام الابتداء"^(٥)،
وتقديم الجار والمجرور والجملة الاسمية، وهذا فيه
وعد من الله سبحانه لنبيه بالأجر العظيم المتصل^(٦)،
كما أفاد كثرة التوكيد فخامة ما أعده الله لنبيه من
الأجر والثواب^(٧)، وإثبات أن هذا الجزاء دائم مستمر
أبدًا من الله غير ممنون من الناس؛ لأن عطاء الله لا
منَّة فيه، فهو أكرم الأكرمين^(٨).

وبعد أن آنس الله نفس رسوله ﷺ، ووعده
بالأجر العظيم الممنوع عاد سبحانه إلى تسفيه قول
الأعداء بتأكيد تلبسه بخلق عظيم، فاستعمل
المؤكدات التي منها "إنَّ" و"لام" لإثبات بعده عن
الجنون؛ لأن الأخلاق الحسنة تنافي الجنون ولا
تجامعه^(٩)، فكل هذه المؤكدات ردٌّ على إنكار
المشركين، وأفادت هذه المؤكدات - إلى جانب ذلك -
ثبوت هذه الصفة ثبوتاً راسخاً على وجه الدوام
الذي لا ينفك عنه أبداً^(١٠).

وقد وردت "إنَّ" المؤكدة في آيات السورة أكثر
من غيرها من المؤكدات الأخرى، وذلك لأسباب -
أرى - منها مناسبة الجو العام للسورة الذي بدأ بنون،

لام الابتداء: وهي من أنواع "لام" غير العاملة،
أما فائدتها فهي لتوكيد مضمون الجملة^(١).

يقول ابن يعيش: "إذا أدخلت اللام على إنَّ، وقلت:
إنَّ زيدا لقائم، ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار
اللفظ ثلاث مرات"^(٢).

فأدلتها المعنوية: توكيد مضمون الجملة المثبتة،
 وإزالة الشك عن معناها المثبت^(٣).

وقد اجتمع هذان الحرفان في الآيتين الثالثة
والرابعة من هذه السورة ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٣ - ٤،
فجاءت الشهادة الكبرى والتكريم العظيم من الله
سبحانه وتعالى لنبيه الكريم، وتتجاوب أرجاء الوجود
بهذا التناء الفريد على النبي الكريم، ويعجز كل
تصور عن وصف قيمة هذه الكلمات العظيمة من
رب الوجود، وهي شهادة من الله في ميزانه لعبد الله
وتلقيه لهذا بهذا الثبات، دون أن تتأرجح شخصيته
دليل على عظمة تلك الشخصية، والله أعلم حيث
يجعل رسالته^(٤).

ولما ثبت الله رسوله ﷺ، ودفع بهتان أعدائه في
الآية السابقة ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ القلم:
٢، أعقبه بإكرامه بأجر عظيم، وجاء الكلام مؤكداً

(٥) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٥.

(٦) انظر: التفسير القرآني للقرآن، ج ٢٩/ص ١٠٨١.

(٧) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٥.

(٨) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٦٣.

(٩) انظر: التحرير والتنوير ج ٢٩/ص ٦٣، روح المعاني، ج ٢٥/ص ٢٥.

(١٠) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٥.

(١) انظر: مغني اللبيب، ج ١/ص ٢٥٦.

(٢) شرح المفصل، ج ٨/ص ٥٩.

(٣) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ج ١/ص ٦٥٩.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، م ٦٩/ص ٣٦٥٦.

والإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ وأساليب، منها: صيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء.

أما الضرب الطلبي فتفصيله وفقاً لشواهد في آيات السورة، فعلى النحو التالي: الأمر، النهي، الاستفهام.

أولاً: الأمر: طلب الفعل بصيغة مخصوصة، والأصل في الأمر أن يكون بحرف الأمر، وهو اللام، فإذا قلت: اضرب، فأصله لتضرب^(٦).

وقد وردت صيغة الأمر بلام الأمر في آية واحدة من سورة القلم، وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ القلم: ٤١.

ففي هذه الآية خرج الفعل "فليأتوا" عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر دلّ عليه السياق، وهو تعجيز هؤلاء المشركين عن أن يكون لهم شركاء ينصرونهم، فإله سبحانه وتعالى يتحداهم معجزاً لهم عن إحضار شركائهم، وحقر هؤلاء الشركاء، وندد بهم بإضافتهم إليهم، وفي هذا إبطال لصفة الإلهية عنهم^(٧).

وختمت معظم آياته بحرف النون، ففي هذا تناسب وانسجام يؤدي إلى التناسق والإيحاء الصوتي العذب.

وقد يكون من الأسباب أنها في أصل وضعها تدل على التأكيد - لما قاله عبد القاهر في الدلائل^(١).

ومن محاسنها أنها تربط الجملة بما قبلها ربطاً يضيفي رونقاً في النظم وجمالاً أكثر من غيرها من الحروف^(٢)، كما أن فيها إيجازاً، فتأكيد الكلام من وسائل التكرار الذي تؤدي كثرته إلى النفور أحياناً، فعدل عنه إلى وسائل لها مزية التكرار في تأكيد معنى الجملة، مثل "إن" و"لام الابتداء"^(٣).

الجملة الإنشائية

الجملة الإنشائية هي التي لا تحتل صدقاً ولا كذباً لذاته؛ لأنه ليس للفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه^(٤).

والإنشاء ضربان: طلبي وهو يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل، وأنواعه خمسة، وهي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء^(٥).

(١) انظر: اللامعة وفنونها وأفانها، ج ١/١٣٧ - دلائل الإعجاز، ص ٢٥٠.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز، ص ١٣٩.

(٣) انظر: النحو الوافي، ج ١/١٥٩.

(٤) علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، ص ٤٧.

(٥) الإيضاح، للقرويني، ص ٢٢٧.

(٦) انظر: شرح المفصل، ج ٧/١٥٨.

(٧) انظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ص ٢٦١ - فتح القدير، للشوكاني،

ص ٢٧٥ - في ظلال القرآن، ص ٣٦٦ - تفسير القرآن وإعرابه

وبيانه، ص ٩٣.

وقد نهى الله عن طاعة المكذبين بدلاً من النهي عن تصديقهم؛ لأن الكلام فيه إشارة إلى ما هو أبعد من مجرد عدم التصديق، وهو لازمه، إذ يلزم من عدم التصديق للحديث عدم إجابته والأخذ بمضمونه، وهذا أبلغ من النهي عن التصديق، فقد لا يصدق المرء محدثه فيما يدعوه إليه، ثم تغلبه نفسه على متابعته والاستجابة له فيما يفعل، ولهذا اتجه النهي مباشرة إلى المطلوب منه، وهو عدم الاستجابة لتلك الدعوة التي يدعو إليها المكذبون، فهم لا يدعون إلى خير أبداً^(٤). والمراد من الطاعة المنهي عنها المداراة، وهي إظهار خلاف ما ينبغي، أي خلاف ما في ضميره ﷺ استجلاباً لقلوبهم، وليس المراد منها الطاعة الحقيقية، حيث عبر بها للمبالغة في التنفير^(٥).

والآية الثالثة التي ورد فيها نهى، هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ القلم: ٤٨، فقد أفاد النهي تسلياً الرسول ﷺ وتصبيره وشد عزمه على الصبر ووجوب الاستمرار في الدعوة^(٦)، كما أن فيه تحذيراً لرسول الله من أن يدعو ربه وقد غلبه الغيظ، وهذا يوضح أن المطلوب من رسول الله ﷺ بهذا النهي هو كظم غيظه وقهره، وألا يجعل له سلطاناً عليه^(٧). على أن

ثانياً: النهي: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة هي المضارع مع اللام الناهية^(١).

يقول ابن هشام: "من أوجه "لا" أن تكون موضوعة لطلب الترك، وتختص بالدخول على المضارع، وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطباً أو غائباً أو متكلماً"^(٢).

وقد تخرج صيغة النهي عن مدلولها الرئيس، وهو طلب الكف إلى معانٍ تعرف بالقرائن، وتستفاد من السياق، مثل: الإرشاد، والتهديد، والتوبيخ، والتسليّة، والتصبر، والتحقيق، والتعني.

وقد جاء النهي بحرفه "لا" في ثلاثة مواضع في سورة القلم، هي: قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ القلم: ٨، وقوله ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ القلم: ١٠.

ف نجد في هاتين الآيتين نهياً من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ عن طاعة المكذبين، والطاعة هي قبول ما يُبتَغى عمله، ووقوع فعل "تُطِع" في حيز النهي يقتضي النهي عن جنس الطاعة لهم، فيعم كل إجابة لطلبٍ منهم^(٣).

(٤) التفسير القرآن للقرآن، ص ١٠٨٤.

(٥) انظر: روح المعاني، ج: ٩ / ٢٦ - فتح القدير، ج ٤ / ٢٦٨.

(٦) انظر: فتح القدير، ج ٤ / ١١٥.

(٧) انظر: فتح القدير، ج ٤ / ١١٦.

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، ج ١ / ص ١٥٥.

(٢) مغني اللبيب، ج ١ / ص ٢٧٣.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ص ٦٩.

فنلاحظ في هذه الآيات الثلاث القصيرة وجود أربع أدوات للاستفهام تضمنت معاني متفرقة، فالهمزة في كلمة " أفنجل " للاستفهام الإنكاري والتوبيخي، والإنكار هنا متسلط على ما دار بين المشركين من قول بعد نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ القلم: ٣٤، كان صناديد كفار قريش يرون وفرة حظهم في الدنيا، وقلة حظوظ المسلمين فيها، ولما سمعوا الآية قالوا: إن صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هو في الدنيا ، فقال تعالى مكذباً لهم، وراداً عليهم: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ القلم: ٣٥ ، الهمزة للاستفهام الإنكاري ، إنكار لتساوي الفريقين، فالله تعالى لن يحيف ولن يجور في حكمه، فيجعل المسلمين كالمجرمين ، وكناية عن إعطاء المسلمين جزاء الخير في الآخرة وحرمان المشركين، فرع إنكار التساوي بين المسلمين والكافرين على ما سبق من اختلاف جزاء الفريقين فالإنكار متسلط على ما دار بين المشركين من القول عند نزول الآية السابقة أو عند نزول ما سبقها من آي القرآن التي قابلت بين جزاء المؤمنين وجزاء المشركين كما يقتضيه صريحاً قوله (ما لكم كيف تحكمون) إلى قوله (إن لكم لما تحكمون) .

ثم يسفه الله حكمهم وينكره، ويستبعد أن يصدر عن به ذرة من عقل ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ الصافات: ١٥٤، فالاستفهام بـ " ما " و " كيف " استفهام إنكاري لحالة حكمهم الذي هو مساواة المسلمين بالمشركين،

أكثر ما يفيد النهي هنا هو التهيج والإلهاب للتصميم على معصاة الكافرين^(١) .

ثالثاً: الاستفهام^(٢) : هو طلب العلم والفهم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة.

وأدواته: من الحروف: الهمزة، وهل. ومن الأسماء: من، ما، متى، كم، كيف، أي، أين، أني، وأيان. والهمزة هي أصل أدوات الاستفهام.

وقد تخرج أدوات الاستفهام عن الغرض الحقيقي لها إلى أغراض أخرى تفهم من خلال سياق النظم، مثل: التقرير، والإنكار التوبيخي والتكذيبي، والتعجب، والأمر، والنهي، والاستبعاد، والتهويل، والتحقيق، والتعظيم، والتشويق، وغيره من الأغراض المختلفة.

وقد ورد في آيات سورة القلم صور عديدة للاستفهام وبأدوات مختلفة خرجت عن معناها الحقيقي إلى معاني أخرى أكثرها الاستفهام الإنكاري والتوبيخي، لأنها كانت موجهة للمشركين رداً على مزاعمهم الباطلة.

قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ القلم: ٣٥ - ٣٧

(١) انظر: الكشف، ج ٤ / ٥٨٦ - روح المعاني، ج ٩ / ٢٦.

(٢) انظر:

- مغني اللبيب، ج ١، ص ٢٣.

- الإيضاح: ٢٢٨.

- البلاغة فنونها وأفانها، ١٦٨.

ومعلوم أن إدعاءهم هذا منفي، فليس لهم كتاب، ولا عهد عند الله، وليس لهم شركاء يعينونهم، فَعُلِمَ أن دعواهم باطلة فاسدة، وفي هذا إدماج بالتعريض بأنهم أميون، ليسوا أهل كتاب، وأنهم لما جاءهم كتاب الله لهدايتهم وإلحاقهم بالأمم ذات الكتاب كفروا وكذبوا.

(أم تسألهم أجراً) (أم عندهم الغيب): امتداد لإنكار ما يقومون به وتقديم، (عندهم) على المبتدأ وهو معرفة لإفادة الاختصاص، أي صار علم الغيب عندهم لا عند الله.

أحوال الجملة في السورة

قلنا سابقاً إن الجملة كلمات تأتلف، لتدل على معنى أو هي كما قال النحاة:

"اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"^(١).

والجملة لا تكون تامة إلا إذا استوفت ركنين، هما المسند إليه والمسند، وإذا ما حذف منها أحد هذين الركنين فإن النحاة يلجأون إلى التقدير، ليستقيم الكلام.

وقد أخذ علماء البلاغة هذين المصطلحين، وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني، فأنحصرت

فأي شيء حصل لكم حتى ادعيتم هذه الدعوى؟ وكيف أصدرتم هذا الحكم؟ وما حجتكم فيه؟ وما دليلكم عليه؟ وهل كان أمر الجزاء مفوضاً إليكم، تتحكمون فيه بما شئتم؟ وفي هذا تعجب من كيفية صدور هذا الحكم واستبعاداً له، وأنه لا يصدر من عاقل.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ

تَذْرُسُونَ ﴾ القلم: ٣٧ جاء الاستفهام بـ " أم "

المنقطعة، وهذا فيه إضراب انتقال من الإنكار

التوبيخي إلى الإنكار التكذيبي، فالاستفهام المقدر

من " أم " إنكار ؛ لأن يكون لهم كتاب، وتقديم (لكم

(على المبتدأ كتاب ؛ بسبب تكرير المبتدأ. وحاصله

أن حكمهم الذي أصدره لا يخلو من أن يكون سنده

كتاباً سماوياً نزل من السماء، أو أن يكون سنده

عهداً من الله بأن يعطيهم ما يقترحون ﴿ أَمْ لَكُمْ

أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا

تَحْكُمُونَ ﴾ القلم: ٣٩. وإما أن يكون لهم كفيل على

الله ﴿ سَلِّهِمْ أَیْهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾ القلم: ٤٠، وإما أن

يكون تعويلاً على نصر شركائهم ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ

فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ القلم: ٤١

فالاستفهام جاء على سبيل التهكم إمعاناً في الإنكار

عليهم. وفي هذا تحد لهم بإفلاسهم وسخرية بهم، أي

أعندكم كتاب جاءكم به رسول من عند الله تقرأون فيه

هذا الحكم الذي حكمتم به لأنفسكم بأنكم تعطون يوم

القيامة أفضل مما يعطى المؤمنون؟

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ج١/ ص ١٤١.

فتقديم المسند إليه بأن أتى به ضمير بارز، مع أن مقتضى الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً في اسم المفعول مقدراً مؤخراً عنه؛ لأنه لا يتصور إلا بعد سماع متحملة، فلما أبرز الضمير، وقُدِّم كان تقديمه مؤذناً بمعنى الاختصاص أي القصر، وهو قصر إضافي^(٣).

٢- تقديم المسند: حق المسند في الجملة التأخير، ولكنه قد يُقدم لأغراض بلاغية مختلفة.

ومن شواهد تقديم المسند في آيات السورة قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ القلم: ٣٣ فكلية "كذلك" مسند مقدم، وكلية "العذاب" مسند إليه، فُقد الخبر للاهتمام بإحضار صورته في ذهن السامع^(٤). وقد ذكر الألوسي أن الخبر قُدِّم لإفادة القصر، وتكون "ال" للعهد، أي مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ القلم: ٣٤

نجد تقديم كلمة "للمتقين" - المتعلقة بمحذوف في محل رفع خبر إن - على المسند إليه - "جنان"،

في المسند والمسند إليه، وما يتبعها من ذكر وحذف، وتقديم وتأخير وقصر ...^(١).

التقديم والتأخير:

يقول عبد القاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر، فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحول اللفظ من مكانه إلى مكان"^(٢).

ومن شواهد التقديم والتأخير في آيات السورة:

١- تقديم المسند إليه: ويقدم لاعتبارات متعددة منها: التشويق، وإفادة التخصيص، وإفادة التعميم، وتقوية الحكم، وغير ذلك. ومن شواهد في آيات السورة:

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ القلم: ٢٧ حيث قُدِّم المسند إليه "نحن"، وهو المبتدأ على المسند، والخبر "محرومون"؛ "وذلك لإفادة التخصيص، فهم بيتوا حرمان المساكين من فضول ثمرتهم، فكانوا هم المحرمون من جميع الثمار، فالحرمان الأعظم قد اختص بهم إذ ليس حرمان المساكين بشيء في جانب حرمانهم.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٩/ص ٨٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ص ٨٩.

(٥) انظر: روح المعاني، ج ٩/ص ٣٣.

(١) انظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. حسن البصير، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص ١٤٤.

(٢) دلائل الإعجاز، عبدا لقاهر الجرجاني، ص ١٠٦.

، فيكون فيه إثارة للاهتمام بموجب المشقة وسببها قبل ذكرها، مع مراعاة الفاصلة في الآية^(٣).

الحذف والذكر:

وما يلحق بالمسند والمسند إليه، هما ركنا الجملة الأساسيين؛ لأغراضٍ بلاغية الحذف والذكر، والحذف وسيلة للإيجاز الذي هو من خصائص اللغة العربية، وحرى لكل كلمة أو جملة يفهم معناها بدونها لوجود قرائن تدل عليها أن تحذف، كما أن الحذف بالإضافة لفائدة الاختصار يكون لأغراضٍ بلاغية.

وقد يقع الحذف على المسند إليه أو المسند أو حذف المفعول، ومن شواهد حذف المسند إليه في آيات السورة قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ القلم: ٢٠، وتقدير الكلام "فأصبحت الجنة كالصريم"، فحذف اسم "أصبح"؛ لأنه معروف عند السامع، لوجود قرينة في الكلام دالة عليه، وذكر ما قامت عليه القرينة، وإظهار يقلل من قيمة العبارة بلاغياً، وينافي الإيجاز.

ومن شواهد الحذف في الآيات قوله تعالى: ﴿فَسْتَبْصِرُ وَتُبْصِرُونَ﴾ القلم: ٥، حيث حذف المسند إليه، وهو الفاعل، ويكون التقدير "فستعلم يا محمد" وفائدته الاختصار والإيجاز بالإضافة، لأنه معلوم لدى السامع.

وهو خبر إن؛ وذلك للاهتمام بشأن المتقين، حتى يسبق ذكر صفتهم العظيمة ذكر جزائها^(١).

٣- تقديم متعلقات الفعل:

تتقدم متعلقات الفعل مثل الجار والمجرور والحال والمفعول على الفعل لأسباب متعددة، منها:

الاختصاص، وأن يكون في التأخير إخلال بالمعنى، والاهتمام بالمتقدم، والغلبة والكثرة، وغيرها من الأسباب المختلفة.

ومن شواهد تقديم متعلقات الفعل في آيات السورة:

تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ القلم: ٢٥، حيث قدم الجار والمجرور "على حرد" على متعلقه "قادرين"؛ لإفادة الحصر، أي غدوا لا قدرة لهم إلا على الحق والغضب على المساكين لأنهم يقتحمون جنتهم عليهم كل يوم، فتحيلوا عليهم بالتكبر إلى جذاذها، أي لم يقدروا إلا على الغضب والحق، ولم يقدروا على ما أرادوه من اجتناء ثمر الجنة، كما أن في تقديم الجار والمجرور رعاية للفواصل^(٢).

ومن شواهد تقديم الجار والمجرور قوله تعالى: ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ القلم: ٤٦، حيث قدم الجار والمجرور، "من مغرم" على متعلقها "مثقلون"

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩ / ٩٠.

(٢) انظر: روح المعاني، للآلوسي، ج ٩ / ص ٣١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج ٢٩ / ص ٨٥.

الجنس، وفيه توجيه بالعهد الذهني أي عذابكم الموعد، مثل عذاب أولئك والمماثلة في إتلاف الأرزاق والإصابة بقطع الثمرات^(٥).

ومن التعريف في السورة تعريف جنات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ القلم: ٣٤، إضافة جنات إلى النعيم تفيد أنها عُرِفَتْ به، فيشار بذلك إلى ملازمة النعيم لها؛ لأن أصل الإضافة بتقدير لام الاستحقاق، فـ "جنات النعيم" مفيد استحقاقها النعيم؛ لأنه ليس في أحوالها إلا حال نعيم أهلها، فلا يكون فيها ما يكون في جنات الدنيا من المتاعب، مثل الحر في بعض الأوقات أو شدة البرد أو ما يؤدي مثل الحشرات والأشواك ونحو ذلك^(٦).

وتعريف شركاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ القلم: ٤١، بإضافة هذه الكلمة إلى ضميرهم في قوله "شركائهم" لإبطال صفة الشركة في الإلهية عنهم، أي ليسوا شركاء في الإلهية إلا عند هؤلاء، لأن الإلهية الحق لا تكون نسبية بالنسبة إلى فريق أو قبيلة^(٧)، كما أن هذه الإضافة تفيد تحقير هؤلاء الشركاء وتنديداً بمن أشركهم مع الله^(٨).

ومن شواهد الحذف قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ القلم: ٤٧، ويكون التقدير "أم عندهم علم الغيب"، حيث أدى هذا الحذف بلاغته في الإيجاز والاختصار الذي هو مطلب العربي^(٩).

ومن شواهد ذكر ما حقه الإضمار في آيات السورة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ القلم: ٤٣، حيث ورد ذكر السجود في الآية السابقة، ورغم ذلك ذكر مرة أخرى، والغرض البلاغي من ذكره هو زيادة التقرير^(١٠).

٤- التعريف والتذكير:

وهما من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطبين، ويقصدها المتكلم، ولهما أساليب بلاغية متعددة^(١١).

ومن شواهد التعريف في السورة في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم: ١، حيث عُرِفَتْ كلمة "القلم" بآل الجنسية؛ لبيان أن المقصود هو جنس القلم الشامل لكل الأقلام التي تكتب بها العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم^(١٢).

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ القلم: ٣٣، فالتعريف في كلمة "العذاب" تعريف

(٥) التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٨٩.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٩١- البحر المحيط، ص ٣١٣- روح المعاني: ٩ ص ٣٣.

(٧) التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٩٦.

(٨) انظر: نظرت حديثه في التفسير، وهبه الزحيلي، ص ١٠٩.

(٩) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري، ص ٤١٨.

(١٠) انظر: روح المعاني: ج ٩/ص ٣٦.

(١١) انظر: البلاغة فنونها وأفانها، ص ٢٩٧.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ٤/ص ٤٢٩.

وجاءت ساق منكرة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ القلم: ٤٢ حيث أفاد هذا التكرير تهويل الأمر وتعظيمه وإبداء صعوبة الخطب وعظمه كما أفاد تذكيرها بالإبهام للمبالغة في الدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة ومنكر خارج عن المعتاد، ويكون المقصود بذلك اليوم هو يوم القيامة الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت لشدة هولها وعظم خطبها.

٥- القصر:

ومما يتعلق بأحوال الجملة في العربية أسلوب القصر، ويعني القصر في اللغة الحبس، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الرحمن: ٧٢، أما في الاصطلاح: فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص^(٣).

ومن شواهد أسلوب القصر في الآيات سورة القلم قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ القلم: ٥٢، حيث وقع القصر بـ "ما وإلا" بين المبتدأ "هو" والخبر "ذكر"، فقصر القرآن على الذكر، وهو قصر إضافي وقصر قلب؛ لأنه يلقي على المشركين المنكرين الجاهلين، فيوضح لهم سبحانه وتعالى أن القرآن ليس إلا ذكراً وتذكيراً وبياناً للهدى وشرفاً وفضلاً لذويه، فهو ذكر للناس جميعهم، وليس بكلام مجانيين كما زعمتم، وفي هذا إبطال لأقوالهم تلك التي قالوها في سياق تكذيبهم بالقرآن، فإثبات أن

وعرفهم بوصفهم في قوله ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمَكْذِبِينَ﴾ واختير تعريفهم بوصف المكذبين دون غيره من طرق التعريف لأنه بمنزلة الموصول في الإيماء إلى وجه بناء الحكم وهو حكم النهي عن طاعتهم لأنهم كذبوا رسالته. مرجع عاشور

التنكير: ومن شواهد التنكير في السورة تنكير كلمة "أجر"، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ القلم: ٣، حيث أفاد تنكير الأجر تعظيمه، فهو ثواب عظيم لا يقادر قدره، ولا تحد حدوده^(١)، لرسول الله ﷺ جزاء صبره وتحمله لأذى قومه.

وقد نكر المسند إليه "طائف" في قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ القلم: ١٩، وذلك لإفادة إبهامه تعظيماً وتهويلاً لما أصاب الجنة^(٢). ومعنى الصريم: هلاك الثمر وقيل الصريم الليل لأنها احترقت واسودت.

كما نكر المسند إليه المبتدأ شركاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ القلم: ٤١، حيث جاء تنكير كلمة شركاء في حيز الاستفهام المستعمل في الإنكار، ليفيد ذلك انقضاء الفائدة عن أحد من هؤلاء الشركاء - وهم الأصنام - أو نفعاً لهم.

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن، للسعدي، جـ ٧ / ص ٤٤٣ - محاضرات

في تفسير القرآن، لنور الدين عتر، ص ١٤٧.

(٢) انظر: محاضرات في تفسير القرآن، ص ١٥٨.

(٣) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، حسن البصير، ص ١٦٩.

القرآن ذكر يبطل أن يكون مبلغه مجنوناً، فما مبلغه إلا مذكر كما أن القرآن ما هو إلا ذكر.

ومن القصر في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ القلم: ٢٧، حيث ورد فيها قصر إضافي، فقصر الحرمان وهو الصفة على الضمير "نحن" وهو الموصوف، والواقع يشهد بأن لهم صفات أخرى غير الحرمان، مثل أنهم رجال، وأنهم تائبون، وأنهم كانوا ظالمين، وفي هذا القصر تركيز على عظم مصيبتهم، وهي الحرمان من ثمار جنتهم جميعاً.

ثانياً: الجمل

١- الفصل والوصل

يقول عبداً لقاها الجرجاني: "اعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقوله فيه: إنه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"^(١).

وتعد قضية الوصل والفصل إحدى أبرز القضايا البلاغية التي شغل بها علماء المعاني بحثاً ودراسة، وتطرق إليها البحث البلاغي منذ القدم، وذلك لأن عليها المعول في الحكم على صحة المعنى وفساده^(٢).

تعريف الفصل والوصل: الوصل لغة: مصدر من وصل الشيء بالشيء وصلأً، أي ضمه إليه. والفصل لغة: الحاجز بين الشيئين يمنع اتصالهما^(٣). والوصل في اصطلاح البلاغيين: عطف جملة على أخرى. والفصل ترك هذا العطف^(٤).

من شواهد الفصل في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ سَأَلَهُمْ أَيُّهُمْ بِهِ دَلِيلُكَ زَعِيمٌ ﴾ القلم: ٤٠ حيث جاءت الآية استئناف بياني "شبه كمال الاتصال" عن جملة ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ ﴾ القلم: ٣٩، لأن الأيمان وهي العهود تقتضي الكفلاء عادة، فلما ذكر إنكار أن يكون لهم عهود كمل ذلك بأن يطلب منهم أن يعينوا من هم الزعماء بتلك الأيمان^(٥)، فأين منهم هذا الزعيم الذي يتولى القول بأن لهم كتاباً، أو أن لهم مع الله عهداً، فلما كان الكلام متصلاً معناه مترابطاً لم يكن هناك حاجة للوصل.

ونجد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ القلم: ٣٤ استئنافاً بيانياً "شبه كمال الاتصال"، لأن من شأن ما ذكر من عذاب الآخرة للمجرمين أن ينشأ عنه سؤال في نفس السامع يقول: فما جزاء المتقين؟، وقد أشعر بتوقع هذا السؤال قوله بعده ﴿ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ج ١١، مادة: ف. ص. ل. و، ص. ل.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز: ٢٣١، البلاغة فنونها وأفانها: ج ٢/ ص ١٦٦

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج ٢٩/ ص ٩٥.

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢٣١.

(٢) مقالة "الفصل والوصل في القرآن الكريم"، مجلة القافلة، العدد ٣٠، ربيع الأول، ١٤١٣ هـ، ص ٨.

بِالْمُهْتَدِينَ» القلم: ٧، حيث عطف جملة " وهو أعلم " الثانية على " هو أعلم الأولي؛ وذلك لأنهما اتفقا في الإعراب ، فكلاهما في محل رفع ^(٤) .

الجملة الحالية في السورة واقترانها بالواو

يتصل بالفصل والوصل اقتران الجملة الحالية بالواو وعدم اقترانها بها، وقد تجيء الحال تارة مع الواو وأخرى بغير الواو، ومن شواهد اقتران الحال بالواو في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ القلم: ١٩ وقوله ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ القلم: ٤٣. ﴿ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ القلم: ٤٨.

حيث جاءت جملة الحال " وهم نائمون، وهم سالمون" مقترنة بواو الحال، وذلك لأن المبتدأ ضمير لصاحب الحال، فوجب اقتران الجملة الحالية بالواو.

وقد جاءت جملة الحال في السورة دون أن تقترن بالواو في قوله تعالى ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴾ القلم: ٣٠، وسبب عدم اقتران الجملة الحالية بالواو أن الجملة الحالية جاءت مضارعاً غير منفي.

القلم: ٣٥ ^(١)، فجاء الكلام مباشراً سريعاً ليلتقاه ذهن ذلك المتسائل ، ويعي الحقائق.

وفي قوله تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴾ القلم: ٤٥، حيث جاءت جملة " إن كيدي متين" مؤكدة لجملة " وأملي لهم " ، لذلك جاء الفصل بين الجملتين فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴾ ، أي أن تدبيره محكم، فإذا أملت الظالم فإنما أملي له لأضعف له العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القلم: ٤٤، جاءت جملة " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" مستأنفة لبيان كيفية تعذيب الله لهم ^(٢) ، وأن ذلك يتم بأن الله سيدفع بهم إلى جهنم خطوة خطوة، دون أن يشعروا أنهم سائرون إلى هذا البلاء العظيم.

ومن شواهد الفصل في آيات السورة قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ القلم: ٣٢، حيث جاءت جملة " إنا إلى ربنا راغبون" بدلاً من جملة الرجاء، أي هو رجاء مشتمل على رغبة إليه بالقول والاستجابة، والتأكيد فيها للاهتمام بهذا التوجه ^(٣) .

ومن شواهد الوصل في السورة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١) التحرير والتنوير، ج ٢٩ / ص ٩٠..

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ج ٤ / ص ٢٧٦.

(٣) التحرير والتنوير، ج ٢٩ / ص ٨٨.

(٤) تفسير القرآن الكريم، للدرة، ج ٢٩ / ص ٦٥.

٢- الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز لغة التقصير، تقول: أوجزت الكلام، أي قصرتة، وكلام موجز من أوجز.

والإيجاز اصطلاحاً: أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به.

أما الإطناب لغة: فمصدر أطنب في كلامه إطناباً، إذا بالغ فيه وطول.

واصطلاحاً: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، يقول صاحب الصناعتين:

أقسام الإيجاز: -إيجاز حذف:

وهو أن تحذف جزءاً من الكلام الذي نعبر به عن المعنى المراد، وقد يكون هذا الجزء كلمة أو جملة، وهذا المحذوف لا بد أن يستغنى الكلام عنه، أي يفهم بدونه، كما أن هذا الحذف لا بد له من قرينة تدل عليه^(١).

ومن شواهد إيجاز حذف المسند إليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ القلم: ٢٠، والتقدير أصبحت الجنة كالصريم، وقد أغنى السياق عن إيرادها؛ لأنه دالاً عليها، فقد سبق ذكرها والذهن على علم بها.

ومن شواهد حذف المضاف قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ القلم: ٦، حيث حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مكانه، وتقديره بأيكم فتنة المفتون^(٢).

ومن شواهد حذف المفعول قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ القلم: ٣٣. فحمله "يعملون" فعل وفاعل، وأما المفعول فمحذوف للتعميم ومراعاة للفواصل.

٢- إيجاز القصر:

وهو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤، فاجتمع في هذه الآية جميع محاسن الأخلاق - من صدق ووقار وكرم وشجاعة وأمانة ودين وغيرها من الصفات التي يتصف بها الرسول والتي لا يحصيها كتاب لو عدت، ولكن الله أقدر القادرين، حيث جمع ذلك في كلمات قصيرة أدت إلى المعنى المراد تماماً.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ القلم: ٣٤، نجد أن لفظة النعيم جاءت موحية بصفات الجنة، وما فيها من نعيم دائم مستمر لا يشوبه نقص ولا كدر بجميع أشكاله، وأنه نعيم يختلف عن نعيم الدنيا من جميع جوانبه، وهذا النعيم

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٤٥٩.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ص ٢٥٨.

- **الاعتراض:** وهو أن يؤتى بجملة في كلام مفصل بعضه ببعض كما في قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ القلم: ٤٣، فجملة "وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون" معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها، أي كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون، مثل الحالة التي هم عليها في يوم الحشر^(٣).

- **وضع الظاهر مكان المضمرة:** وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ القلم: ٤٣، حيث ذكر السجود وجعل ظاهراً رغم أن حقه الإضمار؛ لأنه معروف من خلال السياق، وسبق ذكره في الآية التي سبقت ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ القلم: ٤٢، ولكن السياق اقتضى الإطناب بذكر المضمرة لإفادة زيادة التقرير^(٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، وبعد.

فلقد قدر لي العزيز الكريم أن أقوم بدراسة هذه السورة دراسة بلاغية تحليلية بذلت فيها القدر المستطاع من الجهد في سبيل استكمال جوانب البحث المطلوب،

لو أطنبنا في عده لاستغرقنا وقتاً طويلاً، ولكن النظم القرآني يغنيك عن هذا كله بقول فصل موجز.

ومن شواهد الإطناب في آيات السورة:

- **الإيضاح بعد الإيهام:** في قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القلم: ٤٤

فجاءت جملة "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" موضحة مفصلة لبيان مضمون "ذرني ومن يكذب بهذا الحديث" باعتبار أن الاستدراج والإملاء يعقبهما الانتقام، فبعد أن توعد بالانتقام أوضح نوع هذا الانتقام، وهو الاستدراج لهؤلاء من حيث لا يشعرون ولا يعلمون أن هذا الاستدراج سيفضي إليهم للهلاك^(١).

- **التذييل:**

وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى متفقة معها في المعنى تأكيداً للجملة الأولى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القلم: ٧، فقد جاءت الجملة "وهو أعلم بالمهتدين" تأكيداً لمفهوم الجملة الأولى، أي مؤكدة لمعناها، فمعرفته تعالى بمن ضل عن سبيله تقتضي معرفة المهتدين، ولكن السياق جاء مطناً للتأكيد^(٢).

(٣) التحرير والتنوير، ص ٩٩.

(٤) روح المعاني: ٩، ص ٣٤.

(١) التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٩٩.

(٢) التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٦٨.

وبعد دراسة سورة القلم دراسة بلاغية خرجت على ضوء هذه الدراسة ببعض

النتائج

أولاً: الدراسة البلاغية في القرآن الكريم تحتاج إلى وقت طويل للاطلاع على الجوانب المتعددة والمختلفة في مثل هذا البحث.

ثانياً: وجود رابط كبير في مثل هذه الدراسة البلاغية بين كتب التفسير وكتب البلاغة، معرفة علم النحو فالباحث يحتاج للعودة إلى التفسير والموقع النحوي لمعرفة معنى الآيات وأسباب النزول، حتى يستطيع أن يتعرف على النواحي البلاغية في النظم.

ثالثاً: أن السورة القرآنية مهما قل عدد الآيات فيها حافلة بالفن البلاغي الذي يوضح ويبين ويظهر جمال الآيات وحلاوتها.

خامساً: السورة الواحدة في القرآن الكريم يمكن للباحثين تناولها في دراسات مستقلة في جوانب الأعجاز القرآني المتعدد، دون أن تنقص دراسته من قيمة وأهمية الدراسات الأخرى.

المصادر والمراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي، علق عليه محمد شريف سكر، راجعه مصطفى قصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة.

٢. أسرار ترتيب القرآن. جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٣. أيسر التفاسير. لأبي بكر الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

٤. الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب العربي اللبناني، الطبعة السادسة.

٥. البحر المحيط. محمد بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، مكتبة ومطبعة النصر الحديثة.

٦. البلاغة تطور وتاريخ. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة.

٧. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. عبدالرحمن حبنكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

٨. البلاغة فنونها وأفنانها. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثالثة.

٩. بلاغة القرآن. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

١٠. البلاغة والتطبيق. أحمد مطلوب، حسن البصير، وزارة التعليم العالي، الطبعة الأولى.

١١. البيان العربي. بدوي طبانة، دار المنارة، دار الرفاعي، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢. التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٣. تفسير جزء تبارك. أحمد مظهر العظمة، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٤. تفسير جزء تبارك. محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا.
١٥. تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير. الخطيب الشربيني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
١٦. تفسير القرآن العظيم. إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
١٧. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه. محمد علي طه الدرة، دار الحكمة، الطبعة الأولى.
١٨. تفسير القرآن للقرآني. عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
١٩. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه: محمد زهري النجار، مطبعة المؤسسة السعدية بالرياض.
٢٠. التفسير المنير. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت.
٢١. جواهر البيان في تناسب سور القرآن. عبدالله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة.
٢٢. دلائل الإعجاز. عبدالقاهر الجرجاني، علق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة.
٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. محمد محيي الدين عبدالمجيد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية.
٢٥. شرح المفصل. موفق الدين يعيش بن علي النحوي، مكتبة المتنبي، القاهرة.
٢٦. صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق.
٢٧. علم المعاني. بسيوني عبدالفتاح، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.
٢٨. علم المعاني. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
٢٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير. محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر.
٣٠. في ظلال القرآن. سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة والعشرون.
٣١. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. لأبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي، تحقيق: محمد التونسي - إبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة.
٣٢. كتاب الصناعتين. لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.
٣٣. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي.
٣٤. لسان العرب، لأبي الفضل ابن منظور. دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٥. محاضرات في تفسير القرآن الكريم. نور الدين عتر، دمشق، كلية الشريعة.
٣٦. مفتاح العلوم. لأبي يعقوب السكاكي، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية.
٣٧. المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم الأصفهاني. تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة.
٣٨. المعاني في ضوء أساليب القرآن. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.
٣٩. مغني اللبيب. لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العربية، بيروت.
٤٠. مقاييس اللغة. لأبي الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.
٤١. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. أحمد عبدالكريم الأشموني، شركة ومكتبة مصطفى البابي وأولاده، الطبعة الثانية.
٤٢. النحو الوافي. عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.
٤٣. نظرات حديثة في التفسير. محمد عبدالرحمن الجديلي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.
٤٤. نظم الدرر في تناسب الآليات والسور. برهان الدين أبي الحسن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
٤٥. النظم القرآني في سورة الرعد. محمد بن سعد الدبل، عالم الكتب.

Pointing out some issues related to Surat Algalam (English Abstract)

Sarah Nijer Alotaibi

Shaqra University

Then, the wording of the Surah was overviewed: starting from the letters, putting all possible examples from it to the words and some of their types. Reasons behind selecting certain words or verbs and excluding others were mentioned.

Afterwards, the research was developed to include sentences, their types and the internal relations among them, such as switching, deletion, statements and definition.

Sentence structure was surveyed including connection and separation as well as summarization, redundancy and equality.

In this research, it was attempted to identify all sides of semantics in the Surah. Only some examples were mentioned, rather than pointing out all rhetoric evidences.

أثر الباحث الديني في نشأة البلاغة العربية قراءة في حقبة التكوين إلى التأليف المستقل

وائل العمري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبد العزيز

جدة - المملكة العربية السعودية

مستخلص. نمت جذور الدرس البلاغي في أرض دينية خصبة، ميزت بلاغتها عن بلاغات بقية الأمم في ارتباط حراكها بالنص القرآني، لكن الرافد الديني لم يكن ذا موضوع واحد، وغاية واحدة، بل أثمر سياقات متعددة صقلت مباحث الدرس البلاغي لاحقاً، فكان هذا التنوع أداة إخصاب للبلاغة العربية. حاول البحث أن يقف على ملابسات الجذور، لاستخلاص مساقات الأثر الديني في نشأة البلاغة العربية، وقد تجاوز البحث الحكايا والأخبار الشفوية ليبتدئ بالمدونات المكتوبة؛ بحثاً عن دوافع التأليف وغاياته، والمعالم التي أسهمت من خلالها في ردف الدرس البلاغي، وينطلق من إرهاصات التكوين ليقف عند بداية التأليف المستقل للبلاغة العربية التي انتقل بها إلى طور يقترب من المنهجية. وقد أسفرت النتائج عن كشف ثلاثة مساقات نبعت من الأثر الديني ذات علاقة باللغة وهي: التحليل والتأويل والتعليل، وهي أدوات طُوّعت في التحليل لفهم النص القرآني بغية نقله من اللغة إلى الفعل، بينما أثار التأويل مسألة المواءمة بين اللغة والمعتقد، وينصرف التعليل إلى العناية بقضية الإعجاز وتبين معالمها. إن إعادة قراءة تاريخ العلوم مجال خليق بالبحث، وإعادة طرح السؤال، وتفكيك علاقاته، لفهم سيرورة العلوم، وأثر روافدها على مفاهيمها، وهذا ما يمكن أن يفحصه الباحثون في بقية الروافد التي أدت الدرس البلاغي. الكلمات المفتاحية: نشأة البلاغة، تاريخ البلاغة، البلاغة العربية.

مقدمة

لتاريخ العلوم أثر مهم في معرفة كيفية تشكّل مسائل العلم وأصوله، وتُعرف هذه الأصول بتتبع سياقات النشأة، وملابسات تلك السياقات التي أنتجت

الأصول. وعلم البلاغة العربية واحد من هذه العلوم التي نشأت نشأةً عربيّةً، وانفصلت مسائلها بعد أن مرّت بمرحلة التكوين التي شهدت انبثاق أصول هذه

المسائل من حقولٍ مختلفةٍ، وقد دَفَع إلى البحث في الأصول بواعثٌ متعددةٌ، لتحقيق غاياتٍ مختلفةٍ.

من هنا يحاول البحث أن يقف على أثر الباعث الديني على نشأة البلاغة العربيّة من مرحلة التكوين، إلى مرحلة التّأليف البلاغيّ المستقل الذي يمتد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وهي مرحلة انطلقت مع تأليف عبد الله بن المعتز لكتاب البديع.

يركز البحث على المنجز البلاغي المدوّن، أكثر من تركيزه على المراحل الشفاهيّة، ذلك أنّ كثيراً من الأخبار التي تتصل بتلك المرحلة يشوبها الغموض؛ إمّا لعدم وجود الأدلة الكافية لثبوت هذه الأخبار؛ لوجود الانقطاعات الكبيرة في سندها، أو لتعارضها مضموناً وامتتاً مع أصول التفكير؛ ما يجعل الباحث يتوقف في قبول هذه الأخبار مصدراً تُبنى عليه أصول العلم، ولم يغفل البحث هذا الجانب كليّةً، إنما حاول أن يتلافى القطع بربط الأصول بتلك الأخبار، والاعتماد على المنجز المدون. والهدف من الاقتصار على التدوين بناء تصور بلاغي له سماته التي اكتسبها من ثقافة الكتابة، من جهة، والاعتماد على منجز محس موثوق، وهو على كل حال توثيق لنشأة البلاغة في طورها الكتابي^(١).

يهدف البحث إلى قراءة هذه المرحلة في ضوء الباعث الديني الذي حفز حراك التّأليف، والغايات التي أُريدَ تحقيقُها؛ لتظهر الملامح الوظيفيّة للمنجز البلاغيّ في تلك الحقبة. والاعتماد على المنجز وعلى الربط بين البواعث والغايات يجعل البحث يحاول أن يسلك منحنى مختلفاً عن بقية الأبحاث التي أرخت للبلاغة العربيّة، على الرغم من اتفاقها في المادة المدروسة. لذا يمكن تحديد أهداف البحث بما يأتي:

١- تحديد أثر الباعث الديني في نشأة البلاغة العربيّة حتى التّأليف المستقل فيها.

٢- تحديد الغايات والوظائف التي أدّتها الأصول البلاغية في تلك المؤلفات، مع مراعاة سياقاتها الحضارية التي نمّت فيها.

٣- معرفة مصادر الأصول البلاغية التي ساهمت في صياغة التفكير البلاغيّ، والتّدقيق في موثوقيّة نسبة الأصول إلى مصادرها.

كما تطرح الدراسة سؤالاً مركزياً: ما أثر الباعث الديني في الاهتمام بالمسائل البلاغية في مرحلة نشأة البلاغة العربيّة إلى مرحلة استقلال التّأليف في البلاغة؟ وما الغايات التي سعى لتحقيقها؟

وبناء على ما سبق قسم البحث إلى ثلاثة محاور تسعى إلى الإجابة عن الأسئلة السابقة، فجاء المحور الأول في الاتجاه التحليلي بحثاً عن كيفية استعمال البلاغة أداة كاشفة عن المعنى في التّكثيف والتكليف، والمحور الثاني في الاتجاه التأويلي بإثارة

(١) تناولت الباحثة نور الهدى باديس في أطروحة للدكتوراة التحولات في التفكير البلاغي بين طورين، طور الثقافة الشفاهية، وطور التدوين، وأثر ذلك على المعايير الجمالية. ينظر للاستزادة: بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب، دراسة في تحول الخطاب البلاغي من القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري، نور الهدى باديس.

العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) لبدوي طبانة، و(دراسات حول نشأة البحث البلاغي وتطوره) لفريد النكلاوي، و(أصول وتاريخ البلاغة العربية) لبثينة إبراهيم، و(تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها) لعبد العزيز عرفة، و(النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع، المصادر والقضايا) لعلي عشري زايد، وبحث بعنوان: (نشأة البحث البلاغي) لعبد الحميد الجندي.

وهذه الدراسات تتقاطع مع السؤال العام جزئياً، حول نشأة البلاغة، وأبرز الجوانب التي رفدت الدرس البلاغي، غير أن الاختلاف في هذه الدراسة في تركيزها على الإجابة عن الدوافع والغايات في الإطار الزمني المحدد.

٢- الدراسات الموضوعية الجزئية التي تتعلق بتتبع أثر باحث أو جانب من هذه الجوانب، ومن أبرزها: (قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية) لعبد العزيز عرفة، و(أثر النحاة في البحث البلاغي) لعبد القادر حسين، و(تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية) لمهدي السامرائي، و(التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري) لوليد قصاب، و(إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة) لمنير سلطان. وتتقاطع هذه الدراسات مع الباحث الديني جزئياً، وقد أفاد منها البحث في جزئياته، غير أن الدراسة تسعى إلى إلقاء نظرة كلية على الباحث في سياق النشأة، وهو ما لا ترومه تلك الدراسات الجزئية.

سؤال المواءمة بين اللغة والمعتقد، بينما اتجه المحور الثالث إلى مساهمة البلاغة في تبين معالم الإعجاز القرآني.

منهج البحث

يتبع البحث منهجاً نوعياً استكشافياً، يقوم على استقراء القضية في المنجزات والمدونات ذات العلاقة في الحقبة المستهدفة، محاولاً الربط بين السياق التاريخي والحضاري لهذه القضية وما أضافته لتكوين العلوم، واستدعى ذلك النظر في مقدمات الكتب، لمعرفة أسباب التأليف، والنظر في علاقة الإضافة البلاغية بمجال العلم الذي أفرزها، كما تطلب ذلك الرجوع إلى كتب الطبقات والتاريخ لمعرفة ملابسات تلك الحقبة وأبرز القضايا التي قد تمسُّ التوجُّه نحو التأليف.

ولأن البحث يسعى إلى فحص البواعث والغايات، فلم يكن من أهدافه تتبع الأصول في تلك المؤلفات وتقصيها، وإنما الإشارة إلى حضورها، كما لم يعن بالترتيب التاريخي لأنَّ البواعث والغايات لم تنشأ على فكرة التعاقب المرحلي.

الدراسات السابقة

الدراسات المنجزة في التأريخ لنشأة البلاغة كثيرة جداً، ويمكن الإلماح لبعض الأعمال المهمة مثل:

١- الدراسات التاريخية التي عنيت بالرصد التاريخي لنشأة البلاغة، ومن هذه الدراسات: (البلاغة تطور وتاريخ) لشوقي ضيف، و(البلاغة العربية تاريخها مصادرنا مناهجها) لعلي عشري زايد، و(البيان

٣- **القراءات الحديثة للبلاغة العربية**، وهي الدراسات التي قدمت قراءات لتاريخ البلاغة من خلال رؤية نقدية حديثة، ومن أبرزها: (التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس) لحمادي صمود، و(البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) لمحمد العمري، وبحث بعنوان: (البلاغة العربية إعادة النظر في النشأة والتطور) لمنذر عياشي في مجلة علامات ٢٠١٤م. العدد ٧٨. وقد بنى صمود دراسته على منهج البنيوية التكوينية، راصدا التراث في بنيته المتعلقة بالسياق، غير أن دراسته تتبعت حركة التفكير البلاغي إلى القرن السادس، مع اختلاف في الهدف الذي أراد من خلال تتبع حركة الفكر البلاغي عامة. أما دراسة العمري فتتحو نحو منهج جمالية التلقي في بعده التاريخي. أخيرا تقدم دراسة منذر عياشي تصورا مغايرا لتاريخ البلاغة من خلال طرح أسئلة حضارية حول علاقة البلاغة بالحضارات وإمكان تنقلها، وتلقي البلاغة في التراث الإسلامي، ثم النظر إلى روافدها من خلال ما سماه بلاغة الحاضرة، والمؤلفات. وتختلف هذه الدراسة عنها في تصور الإجابة من جهة، وفي النطاق الزمني المحدد.

مدخل

تتبع ما وصلنا من المدونات البلاغية يفضي إلى أن البلاغة العربية لم تتفصل علما مستقلا إلا في مرحلة متأخرة، مقارنة بالنحو والتفسير وغيرهما من العلوم.

فيعد بعض الدارسين كتاب البديع لعبد الله بن المعتز أول كتاب في البلاغة العربية^(١)، ويميل آخرون إلى أن كتاب الجاحظ البيان والتبيين له الأولوية^(٢)، وأيا كان فإن التأليف المستقل في البلاغة لم يظهر إلا في النصف الأول من القرن الثالث الهجري^(٣). والحديث عن أولية التأليف منفك عن أولية العلم، لأن التأليف لا يظهر إلا بعد أن تستقر مسائل العلم، وتظهر ملامحه وقضاياه، وأولية العلم لا تُعزى لعالم بعينه يكون الملهم أو كما يسميه كلارك "السلف المبشر"^(٤).

إذن فقد استقرت مسائل البلاغة في عهد التدوين، وهو ما جعل النظر إلى نشأة البلاغة أكثر استقرارا ومنهجية من العلوم التي نشأت أصولها الأولى في عصر الشفاهية^(٥)، وعلى الرغم من ذلك لم تسلم نشأة البلاغة من خلال تتبع أصولها ومظاهرها في العصر الشفاهي من ورود بعض الأسس التي بُنيت على الخبر والحكاية؛ إذ يعود ذلك إلى تعلق البلاغة بروافد أخرى كالشعر والنحو، ففي تاريخ البلاغة أخبار عديدة تعيد أصول البلاغة الأولى إلى

(١) ينظر: الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، ص ٦٨.

(٢) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص ٥٧.

(٣) توفي الجاحظ ٢٥٥هـ وقد عاش نيفا وتسعين سنة، أما ابن المعتز فولد سنة ٢٤٦هـ أو ٢٤٧هـ، وتوفي سنة ٢٩٦هـ، ينظر: وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان، (٣/٧٧ و ٤٧٤) وقد أشار محقق البيان والتبيين عبد السلام هارون أن كتاب الجاحظ ظهر بعد عام ٢٣٣هـ. ينظر: (مقدمة المحقق) (١٦/١).

(٤) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، جورج كانغيلام، ترجمة: محمد بن ساسي، ص ٥٣.

(٥) ينظر: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، عرض ونقد، محمد ربيع الغامدي، (الهامش)، ص ٢٧٢٥.

وظف في الجانب العقائدي^(٣)، غير أن تنوع الدوافع الدينية أثرى الإضافات التي رفدت بها موضوع العلم ومسائله. وظل هذا التأثير منذ وقت مبكر على العلوم الأولى كالتفسير والفقه حتى استقلت مباحث البلاغة^(٤).

وكان لنزول القرآن الكريم أثر في نفوس العرب؛ لأنه مسّ مادة تفوقهم وبراعتهم، وخاض التحدي في الجنس الذي برعوا فيه، إذ تدل القصائد الجاهلية - صحيحة النسبة - إلى أن العرب كانت لهم عناية فائقة بمسالك التصوير والبيان. لذا كان بيان القرآن مادة دارت حولها العديد من المناقشات، اتجه بعضها إلى محاولة فهم ما غمض عليهم منه، أو ما أشكل تأويله، واتجهت مناقشات أخرى إلى نقله من حيز اللغة إلى الفعل من خلال استنباط مسائل التكليف، كما اتجهت نظرات أخرى إلى محاولة إثبات أصول الدين^(٥). كل تلك المحاولات كانت تعالج مسائل اللغة وهي تحاول الإجابة عن المقصود والغاية.

ملاحظات الشعراء الجاهليين في مجالسهم وأسواقهم، كما أن بعض مسائل البلاغة وتصنيف مستوياتها بُني على حكاية كقصة الفيلسوف الكندي مع المبرد التي بني عليها تصنيف أضرب الخبر.

وبعد استبعاد فكرة الأولوية، واستبعاد الاعتماد على الحكايا التي لا تخلص من ضعف في تصور هذه الحكايا أو لأجل التحيز المذهبي^(١)، أو أثر الصنعة السردية أحيانا، بقي الالتفات إلى صورة تكوّن العلم من خلال الانفصال عن العلوم، إذ تبدأ هذه المسائل في مدونات علوم أخرى ثم تميل للاستقلال^(٢)، مع الأخذ بالاعتبار أن هذه الجذور قد تسبقها مراحل أخرى يلفها الغموض قبل أن تستقر في المدونات.

من هنا أراد البحث أن يقف على جذور الدرس البلاغي، بدراسة الدوافع التي بعثت إلى العناية بأطراف هذه المسائل، والغايات التي سعت إلى تحقيقها، والمجالات التي ساهمت تلك الجذور في بلورتها، لتستقل بعد ذلك بالتأليف.

الباعث الديني:

كان الباعث الديني من أكثر البواعث تأثيرا في نشأة العلوم التي دارت حول النص القرآني، وعلى الرغم من أن هذه العلوم لم تنشأ في حقبة واحدة، ولم تكن دوافعها واحدة حتى داخل الباعث الديني نفسه، فكان من هذه البواعث ما تعلق بالجانب العقدي، ومنها

(٣) العقدي هو التلقي الفطري الأول للعقيدة الذي أسس معتقد المسلم كما نزل به القرآن، بينما تشكل العقائدية طورا ثانيا تدخلت فيه الأنساق الفكرية، لتفرض أفكارها على حقول المعرفة، وهي فترة الجدل العقائدي، الذي وظف فيه النص القرآني لتشريع مقولاتها. ينظر: العقائدية وتفسير النص القرآني، المناهج، الدوافع، الإشكالات، المدونات، دراسة مقارنة، ياسر المطرفي، ص ١٤.

(٤) ينظر: البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها، ص ١٨. والبيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص ١٤.

(٥) ينظر: تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، مهدي السامرائي، ص ١٧.

(١) ينظر: التفكير البلاغي، حمادي صمود، ص ١٩-٢٠.

(٢) ينظر: البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها، عشري زايد، ص ١٧ و ١٨.

النص القرآني بغية الكشف عن المعنى الذي يخفى أحيانا؛ فيتجهون إلى اللغة ومسانئها لكشف هذا الخفاء، وقد "كان تفسيرهم لغويا في المرحلة الأولى، وتأويلا لما في القرآن من أمر ونهي، وإشارة وحدود" (٢).

كان المدخل اللغوي لتفسير القرآن الكريم واضحا خاصة في المؤلفات الأولى، ويظهر أن هذا المسلك لم يكن في عهد الصحابة (٣)؛ لوجود الرسول صلى الله عليهم وسلم بينهم، فيرجعون إليه لتبيان ما أشكل عليهم؛ ولأنّ هذا الجيل لم يحدث فيه من العجمة ما حدث بعد أن بَعَدَ العهد بذلك الجيل؛ فلم تكن الحاجة ماسة لأن يتولى أحد تقريب معاني القرآن، أو توضيح أساليبه، يستثنى من ذلك بعض المواقف التي لا تشكل على ندرتها منهاجا في تلك الحقبة (٤). وكتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) يعد من بواكير الكتب التي اتجهت للنص القرآني، ولمقاربة علاقة هذا العمل بالدرس البلاغي هناك ثلاثة مداخل: عنوان الكتاب (مجاز القرآن)، وقصة تأليف الكتاب، ومضمونه أو طريقته.

تأسيسا على ما سبق، كان لأثر الدوافع الدينية التي دفعت علماء القرون الأولى للتعامل مع اللغة أن ظهرت ثلاثة اتجاهات:

• **الاتجاه التحليلي:** يعنى هذا الاتجاه بتحليل اللغة وصولا إلى المعنى، أو وصولا إلى تأسيس القاعدة الفقهية أو الحكم الشرعي، وغايته الفهم، ويدخل تحت هذا الاتجاه المؤلفات التي اعتنت بالتفسير والفقه.

• **الاتجاه التأويلي:** وتستعمل فيه اللغة وطبيعتها محورا للنقاش العقدي والمذهبي، وغايته إثبات اتساق التصور بين اللغة والمعتقد.

• **الاتجاه التعليلي:** يحاول هذا الاتجاه البحث عن علة الإعجاز من خلال اللغة، وغايته إثبات الإعجاز والتدليل على التميز والمفارقة بين الكلام البشري والكلام الإلهي.

أ. **الاتجاه التحليلي**

• **التفسير**

تعد البلاغة مستوى من مستويات التفسير (١)؛ لأن البلاغة والتفسير يتناولان نسا بغية الوصول إلى فهمه، ففي حين يقصد التفسير المستوى العام الذي يتحقق به مراد قائله، تتجاوز البلاغة هذا المستوى إلى البحث عن مناط التأثير في الأسلوب، والبحث عن مستويات المعنى الذي يتفاوت وضوحا وخفاء، ومن هنا كانت مسائل التفسير تتعرض لما استقر بعد في علم البلاغة، حين أخذ المفسرون يحللون

(٢) بدع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، (مقدمة المحقق) ص ٣٧.

(٣) هناك العديد من الحكايا والأخبار التي تنسب لابن عباس ولعمر بن الخطاب في هذا الصدد، ومن أشهرها مسائل نافع بن الأزرق مع ابن عباس، وقد انتقدت هذه الأخبار، ودرست دراسة حديثة في سندها ومنتها، وخلص بعض الباحثين إلى عدم ثبوتها، أو عدم ثبوت كثير منها. ينظر: مسائل نافع بن الأزرق في ميزان النقد، عبد الرزاق هرماس، ١٣-٦١، والشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، عبد الرحمن الشهري، ص ٢٥٥ وما بعدها.

(٤) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، ص ٢٤٥ وما بعدها.

(١) ينظر: البلاغة العربية، تاريخها، مصادرهما، مناهجها، ص ١٤.

الصفات: ٦٥]، وإِنَّمَا يَقَعُ الْوَعْدُ وَالْإِعَادُ بِمَا عَرَفَ مثله، وَهَذَا لَمْ يَعْرِفْ، فَقُلْتُ: إِنَّمَا كَلِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا يَعْرِفُونَ، وَعَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ:

أَيَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي

ومسنونة زرق كأنياب أحوال
وهم لم يَرَوْا الغول وَلَكِنْ لما كَانَ أمر الغول يهولهم
أوعدوا بِهِ، فَاسْتَحْسَنَ الْفَضْلُ ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَهُ السَّائِلُ،
فَعَزَمْتُ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنَّ أَضْعَ كِتَابًا لِمِثْلِ هَذَا
وَأَشْبَاهِهِ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ عَمِلْتُ كِتَابِي الَّذِي
سَمَيْتُهُ كِتَابَ الْمَجَازِ، وَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ فَقِيلَ: هُوَ
مِنْ كِتَابِ الْوَزِيرِ وَجَلَسَانَهُ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
إِسْمَاعِيلَ بْنِ دَاوُدَ الْكَاتِبِ الْعَبْرَتَانِي (٣).

وعلى الرغم من ذيوع هذه القصة في المدونات الأدبية والبلاغية إلا أن ثمة نقدا موجها للقصة يُقلل من موثوقية علاقة القصة بسبب تأليف الكتاب، من هذه النقادات (٤):

١- عند البحث عن موضع الشاهد المذكور في القصة في قوله تعالى: {طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} لم يتوقف المؤلف عند هذه الآية في كتابه المطبوع عن نسخ متعددة، ولم يذكر النكتة البلاغية المتعلقة بالآية سبب التأليف، ومحال أن تبني فكرة

أما عنوان الكتاب فيبدو ظاهريا علاقته بالبلاغة، إذ ينص فيه على مصطلح من مصطلحات البلاغة، غير أن قراءة الكتاب والوقوف عند الأساليب التي استعمل فيها كلمة المجاز أو ما اشتق منها؛ تفيد أن أبا عبيدة لم يستعمل المجاز هنا بالمعنى الاصطلاحي الذي استقر عند البلاغيين بعد، وإن كان يتقاطع معه، فهو يستعمل المجاز ليدل على المعنى والتفسير والطرق التي يسلكها القرآن في التعبير (١)، وقد حصر أحد الباحثين هذه الاستعمالات فوجدها إجمالا تدور في خمسة حقول: "تداخل الضمائر وتبادلها المواقع، واختلاف أوجه الإعراب والقراءات، واستعمال اللفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول، والزيادة والنقصان في تركيب الكلام، والنقل والإلحاق الدلالي" (٢). وهذا يعني أن عنوان الكتاب لا يمثل العلاقة في مستوى الاصطلاح البلاغي.

أما قصة تأليف الكتاب فقد نقلتها العديد من المصادر الأدبية، وأقدم ما تيسر الوقوف عليه ما نقله الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) عن الصولي بإسناد إلى أبي عبيدة يحكي فيه لقاءه بالفضل بن ربيع، وما سئل عنه في مجلسه من أحد جلساء الفضل إذ استشكل مسألة في التشبيه في القرآن، فيقول: "قَالَ اللَّهُ عز وجل: {طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [سورة

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٧٧.

(٤) ينظر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب بيومي، ص ٤٤ و ٤٥.

(١) ينظر: مجاز القرآن، معمر بن المثنى، تحقيق: فواد سيزكين، (مقدمة المحقق)، ص ١٩.

(٢) البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص ٩٦.

الكتاب على فائدة لم تذكر حين ورود موضعها في الكتاب.

٢- لم يذكر أبو عبيدة هذه القصة في مقدمة كتابه، وعادة المؤلفين أن يشاروا إلى سبب تأليف الكتاب أو أن يشاروا إلى ذلك في أي موضع منه، وقد خلا الكتاب من ذلك.

إذن بقي النظر في مضمون الكتاب لإدراك الصلة بين عمله والبلاغة العربية، وقد سبقت الإشارة إلى أن المقصود بالمجاز الوارد في عنوان الكتاب الطريقة التي سلكها التعبير القرآني، وهو بهذا معني بالأسلوب الذي أصّل له بالرجوع إلى الشعر الذي يعده من كلام العرب الذي نزل القرآن موافقا لأساليبهم فيه إذ يقول: "فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني" (١). واهتمام أبي عبيدة بالأساليب ظاهر في ورود صور متعددة من العدول كتنبيهه إلى الالتفات في قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ} [سورة يونس: ٢٢]. قال: أي بكم، وحدد صورته بالانتقال من مخاطبة

الشاهد إلى مخاطبة الغائب (٢). ويعلق كذلك في

موضع آخر على التشبيه في قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ} [سورة البقرة: ١٧١]، يقول: "إنما الذي ينعق الراعي، ووقع المعنى على المنعوق به وهى الغنم تقول: كالغنم التي لا تسمع التي ينعق بها راعيها والعرب تريد الشيء فتحوّله إلى شيء من سببه، يقولون: أعرض الحوض على الناقة وإنما تعرض الناقة على الحوض، ويقولون: هذا القميص لا يقطعني، ويقولون: أدخلت القلنسوة" (٣)، ومن اللافت في هذه النصوص (٤) غياب المصطلح البلاغي، وحضور المفهوم، وهو منسجم مع طبيعة المرحلة التي تتشكل فيها ملامح الدرس البلاغي.

ومن كتب التفسير المبكرة، كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، وقد انتهى من إملاء كتابه كما ذكر في المقدمة سنة ٢٠٤هـ (٥)، وقد تعرض الفراء لبعض المسائل البلاغية في تعليقه على بعض الآيات، وإن لم يسم الأساليب، بل حللها تحليلًا يكشف عن موضع المزية البلاغية، من ذلك وقوفه عند قوله تعالى: {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} [سورة

(٣) السابق، ٦٣/١.

(٤) الإشارات التي وردت فيها اللغات البلاغية في كتاب مجاز القرآن متنوعة ومتعددة المواضع، واستقصاء ذلك ليس موضع البحث، والمراد الإشارة إلى ورود هذه اللغات في مرحلة مبكرة.

(٥) ينظر: معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، ١/١.

(١) مجاز القرآن، ٨/١.

(٢) ينظر: السابق، ١١/١.

في ملاحظة الظاهرة اللغوية ومقارنتها بين الآيات كما عند الفراء. كما يلحظ في هذه المرحلة حضور المفهوم وغياب المصطلح، وهي ملاحظة تتسجم مع طبيعة مرحلة التكوين والنشأة.

• الفقه وأصوله

يعد علم أصول الفقه من العلوم التي اعتنت بالجانب اللغوي، لأنه ابْتُغِيَ به الفهم ومعرفة طرق الاستدلال على الحكم الشرعي^(٤)، لذا لزم الباحث الأصولي أن يتعرض لتحليل النص الشرعي، وفحص دلالاته، ومن هذا الباب قدم علماء الأصول مادة بلاغية عميقة ومميزة^(٥)، وعلى الرغم من محدودية تأثير هذه المادة في الحقبة التي يدرسها البحث، إلا أنه من اللافت ما قدمه الشافعي (ت ٢٠٤هـ) في هذا الجانب، إذ بدت له عناية بالجانب الدلالي الذي يتقاطع مع المجاز وعلم البيان عموماً.

ذكر الشافعي في عرضه لأنواع البيان: باب ما نزل من الكتاب عام الظاهر، يراد به كله الخاص، وساق في تعليقه على قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } [سورة الحج: ٧٣] أن لفظ الناس هنا وإن كان عاماً

الأعراف: ١٤١]، تحدث الفراء عن ما استقر عند البلاغيين في مبثي الفصل والوصل^(١)، مقارنا بين مواضع المتشابه اللفظي لهذه الآية فيقول: "وقوله هاهنا: وَيُذَبِّحُونَ، وفي موضع آخر (يذبحون) بغير واو، وفي موضع آخر (يقتلون) بغير واو. فمعنى الواو أنهم يمسُّهم العذاب غير التذبيح. كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح. ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب. وإذا كَانَ الخبر من العذاب أو الثواب مُجْمَلًا فِي كلمة ثُمَّ فسرته فاجعله بغير الواو. وإذا كَانَ أَوَّلُهُ غير آخره فبالواو"^(٢)، فالفراء هنا ينسب إلى أصل بلاغي بني عليه مبحث الفصل والوصل بين الجمل، ويكشف عن قيمة العطف بالواو في المعنى، وقيمة طرحها، إذ يضيفي العطف مزية المغايرة، بينما يكون المعنى في طرحها على اتصال كلام واحد مفسر، ولعل اعتبار اشتغال الفراء بالنحو هو ما دفعه إلى هذه التحليلات البلاغية، فعلم المعاني تحديدا ثمرة الدرس النحوي، والأمثلة على تلك التعليقات متعددة في المعاني والبيان^(٣)، والمراد الإشارة إلى وجود هذه اللفقات في تفسيره.

وخلاصة هذه الجهود المبكرة أنها قد تظهر في تحليلهم اللغوي عند مقارنة التعبير بصورة الكلام المثالية المفترضة كما في مجاز القرآن، أو التعمق

(١) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص ١٤٥.

(٢) معاني القرآن، ٦٨/١-٦٩.

(٣) ينظر: من جهود اللغويين والمفسرين في البحث البلاغي، عبد الله هندواوي، ص ١٣٠-١٥٨. وأثر النحاة في البحث البلاغي، ص ١٣٣-١٧١.

(٤) ينظر: المحصول، فخر الدين الرازي، تحقيق: طه العلواني، ٨٢/١.

(٥) ينظر: تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، ص ٣٨.

ب. الاتجاه التأويلي

ظهر في القرن الثالث اتجاه في الدراسات التي عنيت بالنص القرآني، يجمع بين ما كتب في هذا الاتجاه المتمحور حول النص القرآني أولاً، ثم الانطلاق من موقع الدفاع عن النص القرآني، إثباتاً لإعجازه، أو تعليلاً لوجه الإعجاز. والمقصود بإثبات إعجازه أي أن يتخذ المؤلف موقف الدفاع عن إعجاز النص القرآني رداً على الطاعنين فيه من الملحدّين، أو من غير المسلمين، بينما اتجه المسار الآخر إلى تعليل وجه الإعجاز ببلاغة نظمه. ولكل مسار من هذين المسارين سياقه التاريخي الدافع إلى العناية فيه والتأليف.

التأليف في المسار الأول إثباتي، فهو يتمحور حول إثبات قضية الإعجاز في وجه من ينفيها كلياً، ففي هذا الاتجاه لا يكون النزاع بين تقديم وجه ورد آخر، إنما يكون في ثبوت الإعجاز للقرآن الكريم أو رفضه. ويمثل هذا الاتجاه كتاب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في (تأويل مشكل القرآن)، وتتنزل هذه المسألة في الجانب العقدي، الذي دفع ابن قتيبة إلى الدفاع عن ما يعتقد فيقول "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا لما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله" [سورة آل عمران: ٧] بأفهام كلية، وأبصار عليّة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله. ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللحن، وفساد النظم، والاختلاف. وأدلو في ذلك بعلل ربما أمالت

فالمقصود به بعض الناس^(١)، وهو واضح الاتصال بما استقر عند البلاغيين في المجاز المرسل. ويذكر الشافعي في باب آخر وهو الصنف الذي يبين سياقه معناه في قوله تعالى: {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۖ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [سورة الأعراف: ١٦٣]، تعليقا على سؤال القرية أن السياق دال على أن المقصود سؤال أهل القرية، وقد استقر عند البلاغيين المتأخرين في إيجاز الحذف^(٢). أما علماء الأصول في القرون التالية فقد أضافوا إلى مباحث الدلالة، الحديث عن المباحث البلاغية المتعلقة بعلم المعاني، خاصة ما يتعلق بالأمر والنهي.

وبهذا يكون إسهام الاتجاه التحليلي في مسارين: مسار تعلق بفهم النص القرآني، عن طريق الإشارة إلى الأسلوب، والمعنى، وهو متعلق بالتفسير وكتب معاني القرآن، ومسار متعلق بتحليل النص بغية فهم طريقة الاستدلال، وهو متعلق بالفقه وأصوله. وقد أفادت هذه الجهود المبكرة بلورة الدرس البلاغي وإن كانت بأقدار متفاوتة.

(١) ينظر: الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ٦٠/١.

(٢) ينظر: السابق، ٦٣/١.

قراءة ظاهرة لم تستوعب مستويات العدول في كلام العرب فيقول: "وأما الطاعنون على القرآن^(٣) (بالمجاز) فإنهم زعموا أنه كذب؛ لأن الجدار لا يريد، والقرية لا تسأل"^(٤). وفي هذا السياق يذكر ابن قتيبة الاستعارة، وهو في تحليله لمواضعها في القرآن ينحو بها إلى المنحى التأويلي المشار إليه. وهكذا يصل إلى نتيجة يقررها بقوله: "وبكل هذه المذاهب نزل القرآن"^(٥). إذ تكمن الموازنة هنا في دراسة الأساليب في ضوء منطلقين: صدور هذه الأساليب على طريقة العرب في كلامها، واتباعها سنن اللغة المتواضع عليها، بينما تتميز في الوقت ذاته عن الكلام البشري، وكأنها مستويات من الإبانة يعلو بعضها بعضا في اتجاه الخروج عن النسق المألوف^(٦).

إذن كان كتاب (مشكل تأويل القرآن) من الروافد التي طغى على مادتها المباحث البلاغية، من خلال التفصيل في أنواع المجاز، بمفهومه اللغوي العام، وإن وظفت تأويليا في سياق الدفاع عن القرآن الكريم، فكانت مدفوعة بالبعد الديني.

الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعتزضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون"^(١)، وهذا النص يكشف عن عدة أمور:

• سياق تأليف الكتاب، فهو موجه إلى من وصفهم بالملحد.

• القضايا الملتبسة التي دفعته للتأليف بشأنها وهي التحريف، والحكم بالتناقض، واللعن، وفساد النظم.

• الغاية من التأليف وهي دفع التهم لأجل الحفاظ على الضعيف والحدث من التسليم لهذه الشبه.

وهو ما يقود إلى ملاحظة مهمة بشأن البلاغة في هذا الطور، إذ أصبحت علما تأويليا^(٢) لصون المعتقد. ولهذا وظف ابن قتيبة البلاغة العربية في دفع التهم المتعلقة بالمستوى اللغوي خاصة.

أما أهم المسائل التي أثرت الدرس البلاغي في هذا المؤلف فهي قضية المجاز، إذ يؤصل لهذه المسألة من نصوص متنوعة من الإنجيل والزيور ثم ينتقل لكلام العرب، وحديث ابن قتيبة عن المجاز بمفهومه العام جاء في سياق الدفاع عن القرآن الكريم، بمعرفة طبيعة أساليب العرب في كلامها، وهو ينطلق في هذا الاتجاه من موقف تأويلي للنصوص التي قرئت

(٣) من الملاحظ أن هذه الآراء لم تنسب لأصحابها، ولا لمؤلف معين، وهو ما يطرح سؤالا أمام الباحث، أكان ذلك الصوت له حضوره في التأليف، ثم غيب قصدا، أم كان يرد في منازعات، فيرده غير المتعمق في هذه العلوم، وهو ما تنبغي قراءته في سياقه السياسي والفكري والاجتماعي لتلك الحقبة.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ص ١٣٢.

(٥) السابق، ص ٢١.

(٦) ينظر: التفكير البلاغي، ص ٢٩٧.

(١) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، ص ٢٢ و ٢٣.

(٢) ينظر: موسوعة البلاغة، توماس أ. سلوان، ترجمة: نخبة بإشراف:

عماد عبد اللطيف، ١٣٠/١ و ١٣١.

للبلاغة، وقد ارتبط ببعد ديني على مستويين: مستوى يعود بالأسلوب والتركيب إلى أصله الافتراضي، لدفع التناقض العقلي عن العبارة، من خلال إيضاح العدول والتغيرات التي طرأت على العبارة، ومستوى آخر وظفت فيه البلاغة في الاتساق العقدي، بالحمل على الممكن في اللغة.

ج. الاتجاه التعليلي

ينحو هذا الاتجاه إلى البحث عن مناط الإعجاز في القرآن الكريم، والعلة التي تفرد بها، فأصبح في طبقة من الكلام تعلقو الكلام البشري، وهذا المستوى من الإثبات ظل يناقش داخل دائرة الإقرار بإعجاز القرآن الكريم، لذا فهو يختلف عن المستوى السابق. ومن الملاحظ أن البحث في علة الإعجاز من هذا الوجه لم يكن له حضوره الواضح إلى نهاية القرن الثالث الهجري - على الأقل فيما وصلنا -، ويجدر تسجيل ملحوظتين في هذا الجانب:

- ١- لم يصل من كتب هذه المرحلة شيء على الرغم من تدوين أصحاب الفهارس لمؤلفات في هذين القرنين كالمقولات عن: واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)، والفوطي (ت ٢٣٠هـ)، وعباد المعتزلي وكتاب الواسطي (ت ٣٠٦هـ) والجاحظ وغيرهم (٤).
- ٢- أن مقولة الصرفة كانت من المقولات التي لقيت حضورا بارزا في كتب الإعجاز، نفيًا أو إثباتًا، بعد

وقد وظفت البلاغة في الاتجاه التأويلي في سياق آخر مذهبي، في المسائل العقدية المتعلقة بصفات الله عز وجل، عند المعتزلة خاصة، ليوافقوها بها مشكلة النصوص التي يدل منطوقها على إثبات صفات لله عز وجل، وللمعتزلة موقف من تركيب الصفات على الذات، ويرون بوحدة الذات والصفات (١)، ومن هنا سعوا إلى تأويل ماورد في ظاهر نصوص القرآن من إثبات الصفات. ومثال هذا التوظيف التأويلي تعليق الجاحظ على قوله تعالى: {مَا نَفَذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [سورة لقمان: ٢٧]، قال: "والكلمات في هذا الموضع، ليس يريد بها القول والكلام المؤلف من الحروف، وإنما يريد النعم والأعاجيب" (٢)، ويدل على ارتباط هذا المبحث بالمبالغة استدراك الجاحظ في تأويل قوله تعالى: {أَخْرَجْنَا لَهُمْ ذَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} [سورة النمل: ٨٢] بعد أن اعتمد في تأويله على رأي لابن عباس قال: "وقال الآخرون: لا ندع ظاهر اللفظ والعادة الدالة في ظاهر الكلام، إلى المجازات، قالوا: فقد ذكر الله الدابة بالمنطق، كما ذكروا في الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس. وقول الهدهد مسطور في الكتاب بأطول الأفاصيص، وكذلك شأن الغراب" (٣).

مما سبق يتبين أن مبحث المجاز كان من أوضح مباحث البلاغة حضورا في التوظيف التأويلي

(١) ينظر: التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة، وليد قصاب، ص ٨٢.

(٢) الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢٠٩/١.

(٣) السابق: ٥٠/٧.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منير سلطان، ص ٥٠.

ببرهان ولا دلالة" (٣)، فالكتاب كما يظهر من كلامه فيه رد على النظام في نفيه لحجية نظم القرآن، أي أن الجاحظ يحتج في هذا الكتاب على أن نظم القرآن والمقصود به هنا التأليف بين كلماته وجمله وآياته مشكلة السورة التي كانت الحد الأدنى للتحدي (٤).

وللجاحظ عدة لفقات في هذا الاتجاه فقد أشار إلى دقة استعمال الكلمة القرآنية في السياقات التي ترد فيها، وإلى اطراد استعمال بعض المفردات القرآنية في سياق معين، كاطراد استعمال الجوع في موضع العقوبة، والفقر، والعجز، واستعمال المطر في موضع الانتقام على أن العامة لا تميز في استعمال ذلك (٥). ويشير الجاحظ إلى استعمال المجاز في قوله تعالى: {أَكَاَلُونَ لِلشَّحْتِ} [سورة المائدة: ٤٢]، وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} [سورة النساء: ١٠] (٦)، كما أنه يتعمق في تحليل بعض الأساليب القرآنية مثلما فعل في قوله تعالى: {طُلُعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} ، فقد حلل التشبيه في ضوء الصورة الذهنية للمجتمع، وللطبع الإنساني حين

القرن الثالث الهجري (١). وعلى الرغم من أن مسألة الصرفة ونسبتها للنظام يكتنفها غموض يكاد يشكك في نسبتها إليه (٢) على النحو الذي نقل عنه، إلا أنها أثرت الدرس البلاغي.

ويبدو أن كتاب الجاحظ المفقود (الاحتجاج لنظم القرآن)، ذو علاقة بهذا البعد، من ظاهر عنوان الكتاب الذي يرد فيه الإشارة إلى النظم، ويعضده نص آخر له يشير إلى الكتاب فيقول: "فكتبت لك كتاباً، أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على كل طعان. فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام، ممن يزعم أن القرآن خلق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس

(١) ينظر مثلاً: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام. فكلها ناقشت مقولة الصرفة.

(٢) ذكر بعض الباحثين عدداً من الشكوك حول نسبة القول بالصرفة على الوجه المنسوب للنظام من أنه يرى أن مناط الإعجاز في صرف العرب عن معارضة القرآن الكريم مع قدرتهم عليه. ووجه ذلك أنه لم يصلنا مؤلف عن النظام يثبت هذه المقولة له، وأن ما وصلنا عن عصره الجاحظ لم يثبت له سوى إثبات الإعجاز بالمعاني الغيبية، ونفيه أن يكون في نظمها، مع ما لحظه أبو الحسين الخياط (ت ٣١١هـ) في كتاب الانتصار من تفرد الجاحظ بنقل بعض الآراء عن النظام لا يوافقها عليها ولا يوافق أصحاب النظام كذلك. ولعل أول من أضاف هذه الزيادة أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) وهو لم يدرك النظام وبينهما نحو ربع قرن. فهل كانت هذه الإضافة مما فهمه الأشعري؟ أو نقله مما لم يصل إلينا؟ مع الأخذ بعين الاعتبار الشك والنقد في نقل مقالة المخالفين للمذهب. ينظر: إعجاز القرآن الكريم بالصرفة، دراسة ناقدة، محمود توفيق محمد سعد، ص ١٦-٢٣. وإعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ص ٥٤.

(٣) رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢٨٧/٣.

(٤) يقول الجاحظ في رسالته: "لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغانهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها. ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها. وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين... وهذا كله في القرآن، غير أنه متفرق غير مجتمع؛ ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان" ٢٢٩/٣.

(٥) ينظر: البيان والتبيين ٢٠/١.

(٦) ينظر: الحيوان ٢٥/٥.

القرن الثالث، وبالنظر إلى سياقاتها خلص البحث إلى الوقوف على ثلاثة مساقات شكلت مرتكزات نظر في تشكيل علاقة اللغة بالقرآن الكريم وهي التحليل، والتأويل، والتعليل. وقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- يلحظ في الدراسات المبكرة التي أثر فيها الباعث الديني حضور المصطلح بمفهومه اللغوي العام، وقد يختلف في مفهومه عن مرحلة استقرار المصطلح لاحقاً.
- في سياق الباعث الديني ظهر على تناول المؤلفين حضور خلفياتهم اللغوية.
- كانت الغاية الرئيسة من الباعث الديني محاولة الفهم بتحليل الأسلوب، وصولاً إلى فهم المعنى، أو معرفة طبيعة الدلالة، ليقترن باستنباط الحكم الشرعي.
- استعملت البلاغة علماً تأويلياً لغرضين: تنزيه القرآن الكريم عن الطعون والتحريف، وتنزيه الله سبحانه وتعالى، وكان مبحث المجاز من أقرب المباحث التأويلية في هذا السياق.
- استعملت البلاغة في السياق المذهبي وسيلة للتأويل للمواءمة بين اللغة والمعتقد.
- تأخر إثارة سؤال المزية والعلة في إعجاز القرآن الكريم في الحقبة موضع الدراسة.
- والحمد لله رب العالمين.

يقول: "كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، واستسماجه وكراهته، وأجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك - رجع بالإيحاء والتفكير، وبالإخافة والتفريع، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم"^(١). وبهذا نخلص إلى أن هذا الاتجاه كان من أقل الاتجاهات حضوراً في ما نقل إلينا إلى نهاية القرن الثالث.

إذن كان الدافع الديني سبباً في تعدد زوايا النظر إلى النص القرآني، فقد دفع تحليل المفسرين والفقهاء إلى التعرف على طبيعة هذا النص، وطبيعة معانيه بغية فهمه أولاً، ثم العمل بموجبه. وقد دفعت الشبهات والشكوك حول القرآن الكريم إلى أن توظف البلاغة تأويلية لدفع الطعون التي تحاول أن تشكك في استقامة لغته، أو مآلات معانيه. وانسحب هذا التأويل إلى الصراع المذهبي فجعلت البلاغة في خدمة المعتقد. وقد أتاحت المناظرات المذهبية أن يتولد نظر آخر إلى النص القرآني باعتبار المفارقة بينه وبين الكلام البشري قائم في اللغة، ولإثبات علة هذه المفارقة نشطت مباحث الإعجاز البلاغي.

الخاتمة

عرض البحث لأثر الباعث الديني على نشأة البلاغة من مرحلة النشأة والتكوين إلى مرحلة التأليف المستقل، من خلال إلحاحه إلى المنجز حتى نهاية

(١) السابق: ٣٩/٤.

المصادر والمراجع

- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٣، ١٩٨٦م.
- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني شرف، نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م.
- البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها، علي عشري زايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٦، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب، دراسة في تحول الخطاب البلاغي من القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري، نور الهدى باديس، تونس، مركز النشر الجامعي، ط١، ٢٠٠٥م.
- البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
- البيان والتبيين، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، مهدي السامرائي، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء دار التراث، القاهرة، ط١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- إعجاز القرآن الكريم بالصرف، دراسة ناقدة، محمود توفيق محمد سعد. بحث منشور على الشبكة.
- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٤.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- الحيوان، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب بيومي، مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثالثة، الكتاب الثاني والأربعون، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، جورج كانغيلام، ترجمة: محمد بن ساسي، المنظمة العربية للترجمة،

علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، ط٣،
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

من جهود اللغويين والمفسرين في البحث البلاغي،
عبد الله هندواوي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط١،
١٩٨٦م.

الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر،
دمشق. د.ت.

موسوعة البلاغة، توماس أ. سلوان، ترجمة: نخبة،
بإشراف: عماد عبد اللطيف، المركز القومي
للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس
أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار
صادر، بيروت. د.ت.

بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح:
أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة
الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، أهميته وأثره
ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، عبد الرحمن
الشهري، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

العقائدية وتفسير النص القرآني، المناهج، الدوافع،
الإشكالات، المدونات، دراسة مقارنة، ياسر
المطرفي، الرياض، مركز نماء للبحوث والدراسات،
ط١، ٢٠١٥م، ص ١٤.

قضية نشأة النحو العربي في آثار الدراسين، عرض
ونقد، محمد ربيع الغامدي، مجلة الدراسات العربية،
كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ٢٠١٠م، مج ٥، ع ٢،
ص ٢٦٧٥-٢٧٣٧.

مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق:
فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة. د.ت.

المحصول، لفخر الدين الرازي، دراسة وتحقيق: طه
العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣،
١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

مسائل نافع بن الأزرق في ميزان النقد، د. عبد
الرزاق هرماس، حولية كلية الشريعة والقانون
والدراسات الإسلامية بجامعة قطر. ١٤١٩هـ، ع ١٦،
ص ١٣-٦١.

معاني القرآن، أبو زكريا يحيى الفراء، تحقيق: محمد

The Impact of Religious Motivation in the Emergence of Arabic Rhetoric A Reading in the Era of Composition to Independent Authorship

Wael Omar Alomari

King Abdulaziz University –Faculty of Arts and Huminities

Saudi Arabia, Jeddah

Abstract .The roots of the rhetorical lesson grew in a fertile religious land. They characterized its rhetoric from the rhetoric of the rest of the nations as it was connected with the Qur'anic text. However, the religious stream did not have only one subject and one goal. It produced multiple contexts that refined the teachings of the rhetorical lesson later on. This diversity was a fertile tool for Arabic eloquence.

The research sought to discuss the details of the roots, to extract the courses of religious influence in the emergence of Arabic rhetoric. The research has gone beyond the oral news and stories to begin with the written diaries, in search of the author's motivations and his aims, and of the milestones that contributed to the reading of the rhetorical lesson. It emanated from the signs of the composition, so the limits of the research stopped at the beginning of the independent composition of Arabic rhetoric and moved to a stage approaching the methodology.

The research revealed three courses that stemmed from the religious influence which were related to language. These three courses are analysis, interpretation and explanation. They were tools that were used in the analysis that aimed to understand the Qura'nic text in order to transfer it from language to practice. The interpretation, on the other hand, raised the question of compatibility between language and belief. The explanation tried to deal with the issue of miracles and clarifying its features.

The re-reading of the history of science is an area that can research, re-ask the question, and disassociate its relations, to understand the process of science, and the impact of their tributaries on their concepts. This is what researchers can examine in the rest of the tributaries that have fueled the rhetorical lesson.

المشكلات التي تواجه الطالبه الجامعية المتزوجة في المجتمع السعودي

د. خليل عبد المقصود عبد الحميد ابراهيم

أستاذ الخدمة الاجتماعية بجامعة أم القرى

نجلاء بنت فهد بن محمد الشيباني

ماجستير خدمه اجتماعيه جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مستخلص. تهدف هذه الدراسة إلى تحديد المشكلات الاجتماعية ، الاقتصادية ، التعليمية الخاصه بالطالبات المتزوجات بالمجتمع السعودي وبالذات طالبات جامعة الإمام محمد بن سعود وبخاصه منطقة الرياض، وتهدف الدراسة كذلك إلى وضع المقترحات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات هذا النوع من الزواج و الدراسة وصفية، إعتمدت على منهج المسح الاجتماعي ، بالعينة ، لطالبات السنة التحضيرية (مسار العلوم الإنسانية) وبلغ حجمها (١٠٢) طالبة. وتم تطبيق الأداة (الاستبانة) ، لتحديد مشكلات الزواج هؤلاء الطالبات. وقد توصلت الدراسة إلى أن مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة هي: كثرة الأعباء المنزلية التي تؤثر على دراسة الطالبة.

وأكدت الدراسة على أن أهم مشكلات الزواج الاجتماعية خارج الأسرة هي: عدم تفهم أهل الزوج لمسؤوليات الطالبة الخاصة بدارستها. وبينت الدراسة أن أهم مشكلات الزواج الاقتصادية هي: كثرة طلبات المدرسين من : بحوث، وأعمال مكتبية مكثفة. وأكدت الدراسة على أن أهم مشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات هي: عدم مراعاة أنظمة الجامعة، لظروف الطالبة المتزوجة.وانتهت الدراسة إلى وضع مجموعة من المقترحات، لتفعيل دور الخدمة الاجتماعية (لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات) .

الكلمات المفتاحيه :

الجامعه _ خدمه الإجتماعية _ الأسرة _ الطالبة الجامعية المتزوجه _ المشكلات الزوجية_ نظرية الدور .

المقدمة

في حياة الإنسان ،واستمرارها. ويختلف الزواج لدى

الزواج هو الركيزة الأساسية التي تقوم عليه الأسرة الإنسان قياساً إلى الكائنات الحية. فالزواج لدى المجتمعات، ويمثل ضرورة بيولوجيه واجتماعيه الإنسان: نظام اجتماعي، وأعراف، وعادات، وتقاليده،

ومساهمتها (في مواجهة تلك المشكلات وتذليل الصعوبات التي تعيق أداء وظائفهن الاجتماعية).

أولاً: مشكلة الدراسة:

استقرار أي مجتمع سبب رئيسي في تطور حال أفرادها، وصلاح شأنه، ورفي حضارته، ومسايرته للعالم من حوله. وإن استقرار حياة المجتمع، يتجه أفرادها نحو العمل الجاد المثمر. وهذا يمكن القول إن استقرار المجتمع يؤدي إلى التنمية.(العمرى، ١٤٣٤هـ، ص ٢٢٥).

وتحتل دراسة الأسرة مكاناً بارزاً في الفكر الاجتماعي المعاصر. وقد حظيت باهتمام كبير-منذ أزمنة بعيدة- باعتبارها النظام الأساسي الذي انبثقت منه الأنظمة الاجتماعية الأخرى. فهي البيئة التي تهئ حدوث التواصل الاجتماعي، ونقل التراث الثقافي والحضاري عبر الأجيال المختلفة. وهي مركز إشباع كافة الحاجات المادية، والنفسية، والاجتماعية، بالصورة التي يرضى عنها المجتمع. ولهذا قد تواجه الأسرة ماتعرض حياتها من ظروفًا متعددة تؤثر على قدرتها، في أداء وظائفها المختلفة.(محمد، ٢٠٠٩م، ص ٧).

والزواج وبناء الأسرة له مكانته على مر العصور واختلاف المجتمعات فثمة محاولات للإصلاح وإعادة حالة التوازن. وقد يتعرض هذه الزواج لمشكلات

ويختلف الزواج من مجتمع لآخر. والمجتمع السعودي - بوصفه- مجتمعاً إسلامياً يعتبر الزواج: مكماً لنصف الدين وواجب دينياً. كما أنه يعتبره إحصاناً للرجل ، والمرأة ، ضد الخطأ. لذلك تحرص الأسر السعودية على تزويج أبنائها في مراحل مبكرة من مراحل التعليم. ولذلك عادة ما تواجه الطالبة الجامعية هذا الزواج خلال (مسيرتها في الجامعة) عدداً من المشكلات التي قد تؤثر على طموحها.

فالحياة الزوجية لا تكون على وتيرة واحدة، بل تمر بتغيرات عديدة. لذلك تبع تعليم الزوجة ومشاركتها للزوج في الخروج من المنزل القصور في بعض شؤونها المنزلية وأصبح الزوج يمارس أدواراً خاصة الزوجة. وحدث -نتيجة لذلك- صراع في الأدوار. وهذا قد يؤثر على العلاقات الزوجية ، ويؤدي إلى مشكلات معينة ، مما يتطلب التدخل مهني.

ومن هنا، يأتي دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج التي تتعرض لها الطالبة الجامعية، وتهدف تلك المهنة إلى: تحسين الأداء الاجتماعي، ومواجهة المشكلات التي تتعرض لها الطالبة الجامعية. وفي هذه الدراسة، سوف نحاول إلقاء الضوء على دور الخدمة الاجتماعية

تارةً، وقد تعود تارةً أخرى، وقد تزداد بشكل ملحوظ الأمر الذي تصبح معه استمرار الحياة الأسرية أمراً مستبعداً، وتنتهي الحياة بالتفكك إما بالهجر، أو الزواج بأخرى، أو الطلاق. (حسين ، ٢٠٠٤، ص ١٤).

وحتى يكون الاستقرار والنجاح ملازماً للحياة الأسرية، فلا بد من توزيع الأدوار بين أفرادها، بحيث يعرف كل واحد منهم دوره في الأسرة : فيقوم به، ويحاسب عليه. وبالنظر إلى دور الزوجة -بوجه عام- نجد إنها هي الأساس الأهم: لبقاء الأسرة، واستقرار أمورها، ورغد عيشها، واستقامة ذريتها، وصالحهم. وبمنظرة أدق، إلى دور الطالبة المتزوجة (والتي لا تزال تواصل تعليمها الجامعي)، نجد أنها يضاف إليها أدواراً وأعباءً جديدة، تضاف إلى دورها العادي المتوقع منها كطالبة، أدواراً جديدة كزوجه لها أسرة. وبالتالي ستواجه الطالبة المتزوجة العديد من المشكلات.

كما يعد زواج الطالبات الجامعيات في عمر (١٨-٢٠) سنة زواج مبكر، فالزواج المبكر هو كل زوج في عمر أقل من ١٨ سنة بالنسبة للفتاة التي لم تبلغ بعد النضج الكامل لأعضائها في هذه المرحلة. (أبو ياسين ، ٢٠١٠م، ص١).

وتشير الإحصائيات في منظمة الأمم المتحدة للطفولة - اليونيسيف إلى زواج فتيات كثيرات قبل

بلوغهن ١٨ عاماً ووفقاً لتقديرات هناك أكثر من ٦٠ مليون امرأة في عمر ٢٠ - ٢٤ عاماً تزوجن قبل بلوغهن ١٨ عاماً ، وذكرت إحصائية أجريت في لبنان أنه تم استخدام اثنين من المؤشرات لتقدير النسبة المئوية للنساء اللواتي تزوجن قبل سن ١٥ عاماً والنسبة المئوية للنساء اللواتي تزوجن قبل سن ١٨ عاماً فنجد أن ٢,١ % من النساء اللواتي يبلغن من ١٥ إلى ٤٩ عاماً قد تزوجن قبل سن ١٥ عاماً في حين ١٣,٤ % من النساء اللواتي يبلغن من ٢٠ إلى ٤٩ عاماً قد تزوجن قبل سن ١٨ عاماً. (إدارة الإحصاء المركزي ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة - اليونيسيف ، ٢٠٠٩م. ص ٦٥).

وتمثل ظاهرة الزواج المبكر تحدي يواجه طالبات الجامعات اللاتي يجدن صعوبة كبيرة في متابعة الدراسة والتفوق الأكاديمي وبين تحمل الزواج. (أبو النيل ، ٢٠١١م، ص٦).

حيث يؤدي الزواج المبكر إلى حدوث اضطرابات في شخصية الفتاة وفي العلاقات الجنسية بين الزوجين بفعل عدم إدراك الفتاة لطبيعة العلاقة، مما ينتج عنه عدم نجاح العلاقة، وصعوبتها وقلق واضطرابات عدم التكيف جراء المشاكل الزوجية، وعدم تفهم الزوجة لما يعنيه الزواج ومسؤولية الأسرة والسكن والمودة. (خميس وآخرون ، ٢٠١٤م، ص٢٨).

ويزيد التعليم ومتطلباته من الضغوط على الزوجة وبالتالي ظهور العديد من المشكلات المتزايدة فالطالبة المتزوجة تقع عليها مسؤوليات كثيرة كالقيام بشؤون الزوج وتربية الأبناء بالإضافة إلى مسؤوليات الدراسة الجامعية وكذلك مطلوب منها أن تؤدي عدة أدوار منها أداء دروها في حياتها الدراسية كطالبة وحياتها الزوجية كأم مما يعرضها لضغوطات تؤدي إلى مشكلات زوجية وهذا ما أكدته دراسة " أمل، ٢٠٠٧م" من أن الطالبة المتزوجة تتعرض لضغوط عديدة ومن مصادر متباينة كالبينة الاجتماعية في محيط الجامعة والمتطلبات الدراسية وأعباء الامتحانات بالإضافة إلى المشكلات والصراعات الزوجية. وبالفعل تواجه الطالبة المتزوجة مشكلات منها التعليمية، والاجتماعية والتي تنقسم إلى مشكلات اجتماعية داخل الأسرة وأخرى خارجها، وكذلك قد تواجه الطالبة المتزوجة مشكلات اقتصادية.

وفي سياق متصل كشفت نتائج العديد من الدراسات في المملكة العربية السعودية عن صغر سن المترددين على محاكم الضمان والأنكحة للقيام بإجراءات الطلاق، مما يعكس أن معظم حالات الطلاق تحدث خلال السنوات الأولى من الزواج،

وفي كثير من الأوقات يقع الطلاق نتيجة الجهل، سواء كان ذلك للزواج المبكر بين المتزوجين لصغر سن الزوجين أم لصغر سن الزوجين، أم للجهل بأمور الحياة الزوجية أو العادات والتقاليد أو أية قضية لها علاقة بجهل الآخر أو الجهل في المحيط الاجتماعي. (السدحان وآخرون ، ٢٠١٠م، ص٦٧).

وتأتي مشكلة الدراسة الراهنة منبثقة من الإحصاءات التي تتحدث عن تزايد مشكلات الزواج وحالات الطلاق، وكذلك كثرة تردد الناس على المحاكم لحل المشكلات الزوجية المختلفة التي تعترض طريق حياتهم الزوجية. فقد أكد ذلك الإحصائيات الصادرة عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية لعام ١٤٣٣هـ بلغ إجمالي صكوك الطلاق والخلع والفسخ المثبتة في محاكم المملكة (٣٤٤٩٠) صكاً بمعدل (٩٦) صك يومياً منها (٣٠٠٣٠) حالة طلاق بنسبة (٨٧%) و (١١٣٥) حالة خلع بنسبة (٣%) و(٣٣٢٥٩) حالة فسخ نكاح بنسبة (١٠%) من إجمالي الطلاق. (الكتاب الإحصائي لوزارة العدل، ١٤٣٣هـ، ص٢٣١).

لذلك نحاول أن نقف عند دراسة هذه الظاهرة حيث أن مثل هذا النوع من الزواج قد يولد أثراً تنعكس بصورة سلبية على المجتمع وعلى الفتاة ذاتها ممثلاً بحرمانها من مواصلة تعلمها وممارسة أدوارها، وبالرغم من أهمية الحياة الزوجية وسعي كل من

مواجهة المشكلات التي قد تعترضهن في حياتهن الجامعية والأسرية.

ثانياً: أهمية الدراسة:

(١) حق المرأة في التعليم باعتبارها تمثل نصف المجتمع وإعطائها الفرصة لإثبات ذاتها والتعبير عن رأيها وتطوير نفسها وقدراتها والإلتجاه بها نحو بناء مجتمع ونحو حياة أفضل لها ولأسرتها.

(٢) قد تفيد الدراسة الحالية القائمون على مراكز حماية الأسرة ورعايتها ومنظمات المجتمع في فهم طبيعة المشكلات التي تعاني منها الأسرة حديثة الزواج

(٣) أهمية دور الخدمة الاجتماعية في إعداد وتأهيل الفتاة للقيام بوظيفتها كزوجة وأم وطالبة.

(٤) تتمثل أهمية الدراسة الحالية في كونها تعالج مشكلة اجتماعية منتشرة في المجتمع السعودي ولها آثارها السلبية على المجتمع وعلى الفتاة بشكل خاص وتوضيح مشكلات الزواج التي تواجه الطالبة الجامعية وتعيقها عن أدائها لأدوارها بالمجتمع ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها.

(٥) تفيد القائمون بالجامعة على وضع السياسات والخطط الدراسية وفقاً لأولويات محددة لتحسين الواقع بحيث يعمل على إشباع حاجات الطالبات وحل مشكلاتهم.

(٦) تقديم تصور مقترح لدور الخدمة الاجتماعية يساهم في التغلب على مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٧) إثراء الجانب المعرفي والعلمي للخدمة الاجتماعية بصفة عامة والخدمة الاجتماعية في المجال الأسري بصفة خاصة والإرشاد الزواجي.

(٨) الاستفادة من نتائج الدراسة في تفعيل البرامج الإرشادية على المستوى الوقائي، بمعنى تبصير

الزوجين للحفاظ عليها ومحاولة كل ما يمكن أن يعكر صفوها وبخاصة في بداية الزواج إلا أن هناك بعض المشكلات التي لا يتمكن الزوجان من حلها مما يضطرهم إلى طلب مساعدة المختصين للتخلص من هذه المشكلات. (الزعيبي ، ٢٠٠٧م، ص ٢٢٥). لذلك يتطلب تدخل المهنيين ومن هنا تبرز أهمية ممارسة الخدمة الاجتماعية.

والخدمة الاجتماعية تمثل إحدى المهن التي تهتم بمواجهة تلك المشكلات وتوعية الطالبات الجامعيات وأيضاً تعديل أفكارهن وتصحيح انفعالاتهن التي ممكن أن تؤدي إلى الطلاق، حيث تسعى مهنة الخدمة الاجتماعية جاهدة للتعامل مع ضغوط الحياة فهي "إحدى المهن التي تستهدف تدعيم ومساندة القدرات وتحسين الأداء الاجتماعي للأفراد والأسر والجماعات من خلال تنمية القدرة على تحديد الضغوط المرتبطة بالجوانب الاجتماعية مع تقديم الخدمات الوقائية والعلاجية والتنموية المناسبة". (حنا ، ١٩٩٩م، ص ٥-٦).

وبناء على ما سبق من نتائج الدراسات السابقة وانطلاقاً من إهتمام الخدمة الاجتماعية بصفه عامة بالأسرة ومواجهة مشكلاتها بصفه خاصة تقوم الدراسة الحالية بمحاولة لتحديد المشكلات التي تعاني منها الطالبات الجامعيات المتزوجات والتي تتمثل في المشكلات التعليمية والإقتصادية والاجتماعية سواء كانت داخل الأسرة أو خارجها في محاولة لوضع مجموعة من المقترحات التي يمكن أن تساهم في تفعيل دور الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات مما ينعكس على زيادة قدرة الطالبات المتزوجات على القيام بالأعباء الملقة عليهم وزيادة قدرتهن على

أعمال، وما يقوم به الآخرون في الموقف ومشاعره وأحاسيسه ومشاعر الآخرين وأحاسيسهم والتفاعل الذي يتم بين الشخص والآخرين وتختلف الأدوار باختلاف شخصية الفرد ومتطلبات الدور ذاته، ومدى اتفاق الفرد أو اختلافه مع الآخرين في موقف التفاعل". (الصادقي، ١٩٩٨م، ص ٢٧٤).

٢_ مفهوم مشكلات الزواج:

عرفت المشكلة لغوياً: مُشكلة [مفرد]: جمع مشكلات ومشاكل: وهي صعوبة يجب تذليلها للحصول على نتيجة ما. (عمر، ٢٠٠٨م، ص ١٢٢٩).
بينما الزواج في اللغة: يعني اقتران الزوج بالزوجة أو الذكر بالأنثى. (بن منظور، د.ت، ص ٢٩).

وتتفق الدراسة الراهنة مع تعريف (عبد العزيز) "للمشكلات الزوجية" حيث عرفها بأنها: النزاع الدائم بين الزوجين الذي يتعلق في الجوانب التالية: الاجتماعية والعاطفية والسلوكية والشرعية والشخصية والاقتصادية والصحية والنفسية والجنسية والتعليمية والوظيفية وطريقة التعامل بين الزوجين وما يتعلق بالأطفال وبتعدد الزوجات ويؤدي هذا النزاع إلى عدم تحقيق التوافق الزوجي. (الجهني، ٢٠٠٥م، ص ٦).
وتعرف إجرائياً:

- هي المشكلات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية.
- تواجه الطالبات المتزوجات بالسنة التحضيرية لكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والتي تتعلق بحياتهم الزوجية.
- تعيق أداء وظائفهن داخل الأسرة.
- تعيق أداء وظائفهن التعليمية بالجامعة.

٣_ مفهوم الطالبات المتزوجات:

الطالبات في اللغة: طالب [مفرد]: جمع طالب وطالبة وطُلاب، مؤنث طالبة، جمع مؤنث طالبات: وهو

الطالبة المتزوجة خاصة عند بدء التحاقها بالجامعة، بأهمية التوفيق بين حياتها الزوجية، وحياتها الدراسية.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

- (١) تحديد مشكلات الزواج الاجتماعية داخل وخارج الأسرة لدى الطالبات الجامعيات.
- (٢) تحديد مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات.
- (٣) تحديد مشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات.
- (٤) التوصل إلى مقترحات لدور الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

- (١) ما مشكلات الزواج الاجتماعية داخل وخارج الأسرة لدى الطالبات الجامعيات؟.
- (٢) ما مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات؟.
- (٣) ما مشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات؟.
- (٤) ما المقترحات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات؟.

خامساً: مفاهيم الدراسة:

١_ مفهوم الدور:

الدور لغوياً: هو دَوْر - ج: أدوار. [دور]. (مص. دار). "انتهى دوري": عملي، أي ما يختص بي، ويقال: "لأدور لك في هذا العمل": لاشأن لك فيه. (أبو العزم، د.ت، ص ١٢٢٩٤).

وتتفق الدراسة مع تعريف (سلوى) "للدور" حيث عرفت أنه: السلوك المتوقع ممن يشغل مكانه أو مركزاً معيناً وذلك من خلال مجموعة من الحقوق والواجبات للشخص في موقف معين وما يقوم به من

عندما تتعارض الأدوار لدى أحد الأشخاص بينما يحدث صراع الدور المتداخل عندما لا تتفق التوقعات لدى الآخرين حول نفس الدور أما غموض الدور فينشأ من عدم التأكد من مستلزمات دور معين. وقد تلخصت الافتراضات التي بنيت عليها النظرية فيما يلي: (محفوظ، ٢٠٠٩م: ٣٦)

- ينطوي على الدور الاجتماعي الواحد مجموعة واجبات يؤديها الفرد بناءً على مؤهلاته وخبراته وتجاربه وثقة المجتمع به وكفاءته وشخصيته.
- تكون الأدوار الاجتماعية متكاملة في المؤسسة عندما تؤدي المؤسسة مهامها بصورة جيدة بحيث لا يكون هناك تناقض بين الأدوار.
- عند تفاعل دور مع أدوار أخرى فإن كل دور يقيم الدور الآخر، وعندما يصل تقييم الآخرين لذات الفرد فإن التقييم يؤثر على تقييم الفرد لذاته وهذا ما يؤدي إلى فاعلية الدور ومضاعفة نشاطه
- الدور هو حلقة الوصل بين الشخصية والبناء الاجتماعي .

تفسير موضوع الدراسة في إطار نظرية الدور.

يتوقع من الأخصائي الاجتماعي القائم بدور الخدمة الاجتماعية أن يؤدي الأدوار المفترضة منه بحكم المركز الاجتماعي الذي تتمتع به الخدمة الاجتماعية والقائمين عليها، وأيضاً بحكم أهمية الدور الذي تلعبه الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشاكل الزواج المختلفة التي تواجه الطالبات المتزوجات، وهو ما تحاول الدراسة الراهنة التعرف عليه، ويتوقع أيضاً من الأخصائي الاجتماعي القائم بدور الخدمة الاجتماعية أن يكون ملماً بكافة المشكلات التي تواجه الطالبات المتزوجات والملتحقات بالسنة التحضيرية بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اختلاف أنواع تلك المشكلات سواء نفسية أو اجتماعية أو إقتصادية،

اسم فاعل منطلَب، وهو الراغب في تحصيل العلم. (عمر، ٢٠٠٨، ص ١٤٠٧).

وتتفق الدراسة الراهنة مع تعريف أبو النيل حيث عرفت "الطالبات المتزوجات" بأنهن: الطالبات المتزوجات أثناء الدراسة بالجامعة وتقع في الفئة العمرية ما بين ١٨ سنة إلى ٢٠ سنة. (أبو النيل، ٢٠١١م، ص ١٦).

والتعريف الاجرائي هو:

١. الطالبات المتزوجات أثناء الدراسة بالجامعة.
٢. تقع في الفئة العمرية ما بين ١٨ سنة: ٢٠ سنة.
٣. الملتحقات بالسنة التحضيرية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

النظريات الموجهة لدراسة .

أولاً: نظرية الدور Role Theory :

نظرة عامة على نظرية الدور وافتراضاتها:

تعد نظرية الدور من أكثر، النظريات شيوعاً واستخداماً في ممارسة الخدمة الاجتماعية، وهي من أقرب النظريات التي ترتبط بطبيعة الخدمة الاجتماعية والعلاقات المتبادلة بينها و إذا كانت طبيعة الحياة المعاصرة تتسم بالتعقيد وتعدد احتياجات الإنسان فإنه يجد نفسه مضطراً إلى أن يلعب العديد من الأدوار في المجتمع بحيث يسلك طريق معينة تناسب كل دور وتتلاءم مع توقعات المشاركين له في هذه الأدوار ومن هنا ضرورة التكامل بين هذه الأدوار تعد أمراً حتمياً ولازماً لكي يستطيع الإنسان تحقيق قدراً من التوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه والمحيطين به من الأفراد الآخرين ، وتهتم نظرية الدور بتفسير هذا التفاعل . (متولي وعبد الحميد، ١٩٩٩م، ص ٣٥) .

نجد أن صراع الأدوار يظهر عندما يتعارض مع الأدوار لدى مع آخر، كما يحدث الصراع المتبادل

كما أن الدراسة تتوقع أن يكون لمهنة الخدمة الاجتماعية دور بارز في مواجهة تلك المشكلات الزوجية وأن تنجح في مساعدة الطالبات في التغلب عليها من خلال الإرشاد الزواجي. كما أنها مطالبة بالقيام بدورها كطالبة جامعية والذي يتمثل في الذهاب إلى الجامعة والالتزام بحضور المحاضرات والقيام بالفروض والواجبات والتكاليف الجامعية، استذكار دروسها، التواصل مع أعضاء هيئة التدريس، عقد علاقات اجتماعية مع الطالبات. ومما سبق يتضح أن الطالبة الجامعية المتزوجة تتعرض إلى صراع في الأدوار بين دورها كزوجة وأم وبين دورها كطالبة، مما ينتج عنه حتماً وجود مشاكل زوجية، وهنا تهدف الدراسة الراهنة إلى التعرف على دور الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج (التعليمية، الاجتماعية والاقتصادية) لدى الطالبات المتزوجات.

الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات العربية:

دراسة (عليان، ٢٠٠٩) استهدفت الدراسة التعرف على بعض المشكلات الاجتماعية التي تواجه الطالبات الفلسطينيات المتزوجات اللواتي يدرسن في جامعة الأقصى، إذا ما كانت تختلف هذه المشكلات حسب متغيرات الدراسة مثل التخصص، مستوى التحصيل الدراسي، المستوى التعليمي للزوج، كما هدفت إلى وضع تصور مقترح لمعالجة المشكلات التي تعاني منها الطالبات المتزوجات بجامعة الأقصى. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق هدف الدراسة. وقد اعتمدت الدراسة على الاستبيان كأداة للدراسة، وتكونت عينة الدراسة من (١٥٠) طالبة متزوجة. وأشارت نتائج الدراسة إلى المشكلات الأكاديمية بالمرتبة الأولى بنسبة (٢٠٧٦) وهي الأكثر شيوعاً وتمثلت في كبر

حجم المقررات الدراسية بنسبة (٧٥،٣) دراسة (أبو النيل، ٢٠١١) التي استهدفت التعرف على مشكلات الزواج المبكر أثناء الدراسة لدى طالبات الجامعة ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، كما استهدفت الدراسة إلى التعرف على أهم المشكلات التي تعوق دراسة الطالبات والمتمثلة في المشكلات (الاقتصادية - الاجتماعية - النفسية - الدراسية)، وكذلك التعرف على مقترحات لدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة هذه المشكلات. واتبعت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بأسلوب الحصر الشامل لتحقيق هدف الدراسة، وقد اعتمدت الدراسة على الاستبيان كأداة للدراسة، وتمثلت عينة الدراسة في (١٩٥) طالبة متزوجة بمعهد الخدمة الاجتماعية بالزقازيق، و(١٥٠) طالبة متزوجة بكلية الآداب جامعة الزقازيق، وعدد (٧) أخصائيين اجتماعيين من العاملين بمعهد الخدمة الاجتماعية بالزقازيق وكلية الآداب جامعة الزقازيق. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن المشكلات المتعلقة بالدراسة احتلت المرتبة الأولى بنسبة (٥٤،٢) تمثلت في عدم التوافق بين أدوارها داخل لأسرة ودراستها، عدم الموائمة بين الدراسة وأسرتها، الانشغال بالأطفال ومسئولياتهم وعدم إيجاد وقت للمذاكرة. دراسة (قطب، ٢٠١٢) التي استهدفت اختبار فاعلية برنامج للتدخل المهني من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية في تنمية وعي الفتيات المقبلات على الزواج بالمشكلات التي تواجه الأسر حديثة التكوين والمتعلقة بمشكلة سوء التفاعلات بين الزوجين، بمشكلة تدخل الآخرين في شؤون الزوجين وبمشكلة سوء التوافق الزواجي. واتبعت الدراسة المنهج شبه التجريبي تمثلت عينة الدراسة في عينة قوامها (١٧) فتاة من الفتيات المقبلات على الزواج ممن هن حاصلات على مؤهلات متوسطة باعتبار أنهن

التقليدي كربات بيوت وأمهات ودور النساء المتزوجات كما يجعل من البيت هو المهمة الكبرى، ومن المؤمل أن هذا العمل سوف يلتقط بعض من هذه المشاكل من النساء المتزوجات في جامعة ولاية إيمو أويري ووضع حل مناسب لهن، فإن هذا يساعد الطالبات المتزوجات في حل أي مشاكل ناجمة عن الجمع بين العمل في المنزل والمهام الأكاديمية في وقت واحد. دراسة (ستيفاني شتاينبرغ ، Stephanie Steinberg، ٢٠١١). واستهدفت الدراسة التي أجرتها قناة CNN الشهيرة حول زواج الطلاب الجامعيين قبل تخرجهم. وكان استطلاع للرأي على الجامعيين وبلغت ٢٠،٩٢٨ عينة من قبل المركز الوطني لإحصاءات التعليم في عام ٢٠٠٨م، أفاد حوالي ١٨٪ أنها كانت متزوجة قبل التخرج من خلال الفيس بوك. وقد أشارت النتائج إلى أن متوسط معدل الطلاق أو الانفصال لبعض الأزواج للمرة الأولى قد بلغ ٤٠٪ إلى ٥٠٪، وفقاً لإحصائيات الدولة ٢٠١٠م من تقارير الإتحادات لمشروع الزواج الوطني، وكانت المتاعب المالية هي السبب الرئيسي للضوائق الزوجية والطلاق.

سابعاً : إجراءات الدراسة.

نوع الدراسة: الدراسة وصفية تحليلية

منهج الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على منهج المسح الاجتماعي بالعينة والذي يعتبر من أنسب المناهج للدراسات الوصفية، وذلك بطريقة العينة العشوائية لطالبات السنة التحضيرية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

مجالات الدراسة:

١- المجال البشري: الإطار العام لمجتمع البحث جميع طالبات السنة التحضيرية بجامعة الإمام

يتزوجن في سن مبكر. وقد توصلت الدراسة إلى أن تنفيذ برنامج للتدخل المهني من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية قد أدى إلى تنمية وعي الفتيات المقبلات على الزواج بالمشكلات التي تواجه الأسر حديثة التكوين وهي مشكلة سوء التفاعلات بين الزوجين، مشكلة تدخل الآخرين في شؤون الزوجين، مشكلة سوء التوافق الزوجي.

ثانياً- الدراسات الأجنبية:

دراسة (Huebner and Others، هيوينر وآخرون، ١٩٨٢) التي استهدفت التعرف على المشكلات الحالية والسابقة للطلبة الجامعيين، بالإضافة إلى معدلات التحسن لأهم المشكلات التي تواجههم، ومصادر المساعدة في حل المشكلات. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وقد استخدمت الاستبيان كأداة للدراسة، حيث تكونت عينة الدراسة من (٦٣٣) طالباً وطالبة وقد أظهرت نتائج الدراسة أن المشكلات الأكاديمية هي أكثر المشكلات شيوعاً بين أفراد عينة الدراسة .

دراسة (Easy Topics، موقع المواضيع السهلة، ٢٠١٠) استهدفت الدراسة التعرف على المشاكل التي تواجه الطالبات المتزوجات في جامعة ولاية إيمو أويري، كما كان الغرض من الدراسة فحص مدى كون الطالبات المتزوجات قادرات على التعامل مع الجانب الأكاديمي. وقد استخدمت البيانات التي جمعت باستخدام التحليل الاستقرائي، وقد تم بناء الاستبيان على مجموعة تحتوي على (١٠) طالبات خمسة منها واضحة الأهداف، والأخرى بعد هذا الاستبيان، وقد أجاب عن أسئلة الاستبيان ٢٥٠ طالبة وأشارت النتائج إلى أن إيجاد التعليم المناسب للنساء المتزوجات بدور هام يفعل في تعليمهما المهارات اللازمة للوقوف على الأدوار الزماني

٢- صدق وثبات الدراسة:

أ) صدق الاستمارة:

أ- صدق المحكمين: تم التأكد من صدق الاستبانة من خلال عرضها على (٨) من أساتذة تخصص الخدمة الاجتماعية وذلك لتأكد من الصدق الظاهري للاستبانة

ب- الصدق الداخلي (الاتساق الداخلي)

للاداة Internal consistently Validity: تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة لكل عبارة والدرجة الكلية للمحور الفرعي أو المحور الرئيسي الذي تنتمي إليه، وأيضاً معامل الارتباط بين كل محور من محاور الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة، وتم استخدام برنامج (SPSS)

أولاً: وصف مفردات عينة الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على عدد من المتغيرات المستقلة المتعلقة بالخصائص الشخصية والوظيفية لمفردات عينة الدراسة متمثلة في (العمر - عدد أفراد الأسرة - عدد سنوات الزواج - دخل الأسرة - طبيعة السكن - نوع السكن - مستوى تعليم الزوج). وفي ضوء هذه المتغيرات يمكن تحديد خصائص مفردات عينة الدراسة على النحو التالي:

محمد بن سعود الإسلامية، مسار العلوم الإنسانية والبالغ عددهن (١٠٢٨) طالبة خلال الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ١٤٣٥_١٤٣٦هـ، وقد بلغت عينة الدراسة (١٠٢) مفردة بواقع ١٠% من إجمالي عدد طالبات السنة التحضيرية مسار العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٢- المجال المكاني: أجريت الدراسة الحالية في مدينته الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية - برامج السنة التحضيرية.

٣- المجال الزمني: يتمثل المجال الزمني للدراسة في مرحلة جمع البيانات من الميدان خلال الفترة من (١٤٣٦/٢/٨هـ) إلى (١٤٣٦/٢/٢١هـ).

أدوات جمع بيانات الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية على استمارة (الاستبيان) كوسيلة لجمع البيانات من الميدان وفيما يلي عرض لإجراءات بناء استمارة الاستبيان:

١) بناء الاستمارة: تم تصميم استمارة الاستبيان بالرجوع إلى الدراسات السابقة والإطار النظري لذلك قامت الدراسة الحالية ببناء الاستمارة لجمع البيانات من طالبات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض

جدول (١)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير العمر

العمر	العدد	النسبة المئوية
١٨ سنة	٢٨	%٢٨,٠
١٩ سنة	٣٤	%٣٤,٠
٢٠ سنة	٣٨	%٣٨,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة ممن أعمارهم (٢٠ سنة) حيث كانت نسبتهن المئوية (٣٨,٠%)، يليهن من أعمارهن (١٩ سنة) وذلك بنسبة مئوية (٣٤,٠%)، وأخيراً يأتي من أعمارهن (١٨ سنة) بنسبة مئوية (٢٨,٠%). مما يدل على أن العينة في بداية مرحلة الشباب وهي المرحلة الملائمة لزيادة وعيهن حول الحياة الزوجية والمشكلات التي يمكن أن تواجههن وكيف يمكن تجنبها ويدل أيضاً على أن الزواج المبكر منتشر بين شريحة كبيرة بين الشباب السعودي.

جدول (٢)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير عدد أفراد الأسرة

عدد أفراد الأسرة	العدد	النسبة المئوية
فردان	٢٦	%٢٦,٠
ثلاثة أفراد	٢٦	%٢٦,٠
أربع أفراد	١٣	%١٣,٠
٤ أفراد فأكثر	٣٥	%٣٥,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة كانت عدد أفراد أسرهن (٤ أفراد فأكثر) حيث كانت نسبتهن المئوية (٣٥,٠%)، يليهن من عدد أفراد أسرهن كل من (فردان) أو (ثلاثة أفراد) وذلك بنسبة مئوية (٢٦,٠%) لكل منهما، وأخيراً يأتي من عدد أفراد أسرهن (أربع أفراد) بنسبة مئوية (١٣,٠%). وهذا يشير إلى كبر حجم الأسرة حيث تزداد الأعباء المنزلية على الطالب الجامعية مما يعرض الطالبة إلى العديد من المشكلات.

جدول (٣)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير عدد سنوات الزواج

عدد سنوات الزواج	العدد	النسبة المئوية
سنة واحدة	١٤	%١٤,٠
سنتين	١٢	%١٢,٠
ثلاث سنوات	٣١	%٣١,٠
أربع سنوات	١٦	%١٦,٠
خمس سنوات	٢٥	%٢٥,٠
ست سنوات	٢	%٢,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة كان عدد سنوات زواجهن (ثلاث سنوات) حيث كانت نسبتهن المئوية (٣١,٠%)، يليهن من كان عدد سنوات زواجهن (خمس سنوات) وذلك بنسبة مئوية (٢٥,٠%)، ثم يليهن من كان عدد سنوات زواجهن (أربع سنوات) بنسبة مئوية (١٦,٠%)، يليهن من كان عدد سنوات زواجهن (سنة واحدة) بنسبة مئوية (١٤,٠%)، يليهن مباشرة من كان عدد سنوات زواجهن (سنتان) بنسبة مئوية (١٢,٠%)، وأخيراً يأتي من كان عدد سنوات زواجهن (ست سنوات) وذلك بنسبة مئوية (٢,٠%). وهذا يتفق مع الجدول رقم (١) الخاص بالعمر حيث يتضح أن معظم مفردات البحث قد تم زواجها في سن ٢٠ سنة ولكونهم حديثي الزواج وقلة خبرتهم بالحياة مما يؤدي إلى تعرضهم لمشكلات عديدة.

جدول (٤)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير دخل الأسرة

دخل الأسرة	العدد	النسبة المئوية
أقل من ٣٠٠٠	٥	٥,٠%
من ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠	١٦	١٦,٠%
من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠	٦	٦,٠%
من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠	٥	٥,٠%
من ٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠	١٧	١٧,٠%
٧٠٠٠ فأكثر	٥١	٥١,٠%
الإجمالي	١٠٠	١٠٠%

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة كان دخل أسرهن (٧٠٠٠ فأكثر) وذلك بنسبة مئوية (٥١,٠%)، ثم يأتي من كان دخل أسرهن (من ٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠) بنسبة مئوية (١٧,٠%)، يليهن مباشرة من كان دخل أسرهن (من ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠) حيث كانت نسبتهن المئوية (١٦,٠%)، ثم يليهن من كان دخل أسرهن (من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠) وذلك بنسبة مئوية (٦,٠%)، وأخيراً يأتي من كان دخل أسرهن كل من (أقل من ٣٠٠٠) أو (من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠) وذلك بنسبة مئوية (٥,٠%) لكل منهما. وهذا يدل على مستوى دخل معظم أفراد العينة مستوى متوسط وعالي.

جدول (٥)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير نوع السكن

نوع السكن	العدد	النسبة المئوية
فيلا	٦٦	٦٦,٠%
شقة	٣٣	٣٣,٠%
منزل شعبي	١	١,٠%
الإجمالي	١٠٠	١٠٠%

يتضح من الجدول السابق أن معظم أفراد العينة ممن يسكن في (فيلا) حيث كانت نسبتهن المئوية (٦٦,٠%)، ثم يأتي أفراد العينة ممن يسكن في (شقة) وذلك بنسبة مئوية (٦٦,٠%)، وأخيراً يأتي من يسكن في (منزل شعبي) وذلك بنسبة مئوية (١,٠%).

جدول (٦)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير طبيعة السكن

طبيعة السكن	العدد	النسبة المئوية
ملك	٥٦	٥٦,٠%
إيجار	٤٤	٤٤,٠%
الإجمالي	١٠٠	١٠٠%

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة يمتلكن سكنهن حيث كانت نسبتهن المئوية (٥٦,٠%)، يليهن أفراد العينة ممن يستأجرن سكنهن وذلك بنسبة مئوية (٤٤,٠%).

جدول (٧)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير مستوى تعليم الزوج

مستوى تعليم الزوج	العدد	النسبة المئوية
يقرأ ويكتب	١	١,٠%
متوسط	١	١,٠%
ثانوي	٢٢	٢٢,٠%
جامعي	٥٤	٥٤,٠%
دراسات عليا	٢٢	٢٢,٠%
الإجمالي	١٠٠	١٠٠%

يتضح من الجدول السابق أن معظم أفراد العينة مستوى تعليم أزواجهن (جامعي) حيث كانت نسبتهن المئوية (٥٤,٠%)، ثم يأتي أفراد العينة ممن مستوى تعليم أزواجهن كل من (ثانوي) أو (دراسات عليا) وذلك بنسبة مئوية (٢٢,٠%) لكل منهما، وأخيراً يأتي من مستوى تعليم أزواجهن كل من (يقرأ ويكتب) أو (متوسط) وذلك بنسبة مئوية (١,٠%). وهذا يشير إلى ارتفاع مستوى تعليم ازواج الطالبات الجامعيات. ثامناً: النتائج الخاصة بالتحقق من تساؤلات الدراسة.

التساؤل الأول: ما مشكلات الزواج الاجتماعية داخل وخارج الأسرة لدى الطالبات الجامعيات؟.

أ- مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة:

جدول (٨)

م	المشكلات	نعم	إلى حد ما	لا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	رقم
١	رفض الزوج استكمال دراسة الطالبة.	٢١	٣٠	٤٩	١,٧٢	٠,٧٩	١٤
		% ٢١,٠	% ٣٠,٠	% ٤٩,٠			
٢	كثرة الأعباء المنزلية التي تؤثر على دراسة الطالبة.	٤٩	٤٦	٥	٢,٤٤	٠,٥٩	١
		% ٤٩,٠	% ٤٦,٠	% ٥,٠			
٣	الانشغال بالأطفال وتربيتهم عن الوفاء بمتطلبات الدراسة.	٥٠	٤٠	١٠	٢,٤	٠,٦٧	٢
		% ٥٠,٠	% ٤٠,٠	% ١٠,٠			
٤	عدم التنازل من قبل الزوج عن بعض حقوقه.	٤٧	٣١	٢٢	٢,٢٥	٠,٨	٥
		% ٤٧,٠	% ٣١,٠	% ٢٢,٠			
٥	الدوام بالجامعة يؤثر سلباً على علاقة الطالبة بزوجها.	٢١	٥٠	٢٩	١,٩٢	٠,٧١	١١
		% ٢١,٠	% ٥٠,٠	% ٢٩,٠			
٦	عدم وجود مكان آمن للأبناء الرضع أثناء تواجد الطالبة بالجامعة.	٥٦	٢٧	١٧	٢,٣٩	٠,٧٦	٣
		% ٥٦,٠	% ٢٧,٠	% ١٧,٠			
٧	قضاء الطالبة وقتاً طويلاً بالجامعة مما يؤثر سلباً على علاقتها بأبنائها.	٣٠	٤٦	٢٤	٢,٠٦	٠,٧٤	٩
		% ٣٠,٠	% ٤٦,٠	% ٢٤,٠			
٨	انخفاض المستوى التعليمي للزوج يؤدي لعدم تفهمه مسؤوليات الطالبة الدراسية.	٤١	٢٩	٣٠	٢,١١	٠,٨٤	٨
		% ٤١,٠	% ٢٩,٠	% ٣٠,٠			
٩	كثرة النزاعات بين الطالبة وزوجها بسبب نقص خبرتها الحياتية.	١٧	٤٠	٤٣	١,٧٤	٠,٧٣	١٣
		% ١٧,٠	% ٤٠,٠	% ٤٣,٠			
١٠	رفض الزوج مساعدة الطالبة في المسؤوليات المنزلية.	٥٢	٢٩	١٩	٢,٣٣	٠,٧٨	٤
		% ٥٢,٠	% ٢٩,٠	% ١٩,٠			
١١	إهمال الطالبة لدراساتها بسبب الأعباء المنزلية.	٢٧	٦١	١٢	٢,١٥	٠,٦١	٧
		% ٢٧,٠	% ٦١,٠	% ١٢,٠			
١٢	عدم تفهم الزوج لطبيعة دراسة الطالبة.	٢٥	٣٥	٤٠	١,٨٥	٠,٨	١٢
		% ٢٥,٠	% ٣٥,٠	% ٤٠,٠			
١٣	الانشغال عنه في الدراسة.	٢٧	٤٠	٣٣	١,٩٤	٠,٧٨	١٠
		% ٢٧,٠	% ٤٠,٠	% ٣٣,٠			
١٤	عدم قدرة الطالبة على مشاركة أبنائها في أنشطتهم المدرسية.	٤٤	٣٠	٢٦	٢,١٨	٠,٨٢	٦
		% ٤٤,٠	% ٣٠,٠	% ٢٦,٠			
المتوسط العام للمحور							
				٢,١١	٠,٧٤		

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول مشكلات الزواج

الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة

وفيما يلي نتناول نتائج أهم مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

- جاءت مشكلة (كثرة الأعباء المنزلية التي تؤثر على دراسة الطالبة) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٢,٤٤) وبانحراف معياري (٠,٥٩). قد يرجع إلى طبيعة دور الطالبة كأم ودورها كزوجة فكثرة الالتزامات والمهام الملقاة على عاتق الطالبة وأيضاً قد يرجع إلى طبيعة ثقافة المجتمع العربي عموماً الذي يرفض فيها الزوج

مما يشغل الطالبة عن مهامها الدراسية وهذا يتفق فيما جاء بالمشكلة الأولى أن الأعباء المنزلية تؤثر على دراسة الطالبة مما قد يعرضها للعديد من المشكلات. وهذا يتفق مع جدول رقم (١٠) الخاص عدد أفراد الأسرة حيث يتضح أن أكثر أفراد العينة كانت عدد أفراد أسرهن (٤ أفراد فأكثر) حيث كانت نسبتهن المئوية (٣٥,٠%).

ب- المشكلات خارج الأسرة:

مساعدة الزوجة ومشاركتها مسؤوليات المنزل والأطفال مما يعرض الطالبة إلى العديد من المشكلات.

- جاءت مشكلة (الانشغال بالأطفال وتربيتهم عن الوفاء بمتطلبات الدراسة) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٤٠) وبانحراف معياري (٦٧,٠). وقد يرجع إلى دور الطالبة كأم وما يترتب على ذلك الدور من وظائف وواجبات منزلية ولديهم أطفال صغار السن يحتاجون إلى عناية ورعاية خاصة،

جدول (٩)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات خارج الأسر

م	المشكلات	نعم	إلى حد ما	لا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ترتيب
١	عدم تفهم أهل الزوج لمسئوليات الطالبة الخاصة بدراستها.	٦٩	٢٢	٩	٢,٦	٠,٦٥	١
		٦٩,٠	٢٠,٠	٩,٠			
٢	عدم المواءمة بين الدراسة ومسئوليات الطالبة تجاه أسرتها.	٢٧	٦٠	١٣	٢,١٤	٠,٦٢	٢
		٢٧,٠	٦٠,٠	١٣,٠			
٣	عدم قدرة الطالبة المتزوجة على إقامة علاقات اجتماعية جيدة مع زميلاتها.	١١	٤٥	٤٤	١,٦٧	٠,٦٧	٦
		١١,٠	٤٥,٠	٤٤,٠			
٤	كثرة علاقات الطالبة الاجتماعية تؤدي إلى ضياع وقت الاستذكار.	١٣	٣٥	٥٢	١,٦١	٠,٧١	٧
		١٣,٠	٣٥,٠	٥٢,٠			
٥	اختلاف معاملة الزميلات للطالبة المتزوجة عن الطالبة غير المتزوجة في القاعات الدراسية.	١٦	٢٧	٥٧	١,٥٩	٠,٧٥	٩
		١٦,٠	٢٧,٠	٥٧,٠			
٦	معارضة أهل الزوج لاستكمال دراسة الطالبة بالجامعة.	٤١	٢٢	٣٧	٢,٠٤	٠,٨٩	٣
		٤١,٠	٢٢,٠	٣٧,٠			
٧	عدم قدرة الطالبة المتزوجة على مشاركة زميلاتها مناسباتهم الاجتماعية.	٢٣	٣٧	٤٠	١,٨٣	٠,٧٨	٤
		٢٣,٠	٣٧,٠	٤٠,٠			
٨	ضعف العلاقات الاجتماعية بين الطالبة المتزوجة وزميلاتها في الجامعة.	٧	٥٤	٣٩	١,٦٨	٠,٦	٥
		٧,٠	٥٤,٠	٣٩,٠			
٩	عدم قدرة الطالبة على الوفاء بالتزاماتها تجاه عائلة زوجها.	١١	٣٦	٥٣	١,٥٨	٠,٦٨	١٠
		١١,٠	٣٦,٠	٥٣,٠			
١٠	عدم قدرة الطالبة على مشاركة أفراد عائلتها مناسباتهم الاجتماعية.	١٠	٤١	٤٩	١,٦١	٠,٦٧	٧
		١٠,٠	٤١,٠	٤٩,٠			
	المتوسط العام للمحور				١,٨٤	٠,٧٠	

ومن الجدول أعلاه نذكر أهم المشكلات خارج الأسرة من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

- جاءت مشكلة (عدم تفهم أهل الزوج لمسئوليات الطالبة الخاصة بدراستها) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٦,٢) وبانحراف معياري (٦٥,٠). ويعزو ذلك إلى طبيعة المجتمع السعودي ، فالمجتمع إعتاد على وجود المرأة بالمنزل للاهتمام بالزوج والأبناء ويرفض المجتمع أن تقضي الزوجة وقتاً طويلاً خارج المنزل. حيث تدخل الأسرة ضمن النسق القرابي فالأسرة تعتبر نسق مكون من فاعلين لهم مراكز وأدوار وقيم متفق عليها من أجل الحفاظ على بقاء الأسرة. يرفض المجتمع عاده التغير في المراكز والأدوار.

وتعكس هذه النتيجة أنه على الرغم من التغيرات الحاصلة في قيم وعادات الأسرة السعودية التي سمحت للمرأة بمزاولة الدراسة والوصول إلى مستويات عليا، لكن مازالت في بدايتها مما يعرض الطالبة للعديد من المشكلات.

السؤال الثاني: ما مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات؟

جدول (١٠)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات

م	المشكلات	نعم	إلى حد ما	لا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
١	زيادة تكلفة المواصلات	٢٧	٢١	٥٢	١,٧٥	٠,٨٦	٥
		% ٢٧,٠	% ٢١,٠	% ٥٢,٠			
٢	عدم القدرة على شراء ما يلزم من ملابس ملائمة للدراسة بالجامعة	١٢	٢٦	٦٢	١,٥	٠,٧	٨
		% ١٢,٠	% ٢٦,٠	% ٦٢,٠			
٣	عدم القدرة على شراء الكتب لارتفاع ثمنها	٢١	٢٩	٥٠	١,٧١	٠,٨	٦
		% ٢١,٠	% ٢٩,٠	% ٥٠,٠			
٤	عدم رغبة الزوج في الإنفاق على دراستي	١٣	٢٣	٦٤	١,٤٩	٠,٧٢	٩
		% ١٣,٠	% ٢٣,٠	% ٦٤,٠			
٥	ارتفاع أسعار المأكولات والمشروبات بكافتيريا الجامعة	٢٠	٢٨	٥٢	١,٦٨	٠,٧٩	٧
		% ٢٠,٠	% ٢٨,٠	% ٥٢,٠			

- جاءت مشكلة (عدم الموائمة بين الدراسة ومسئوليات الطالبة تجاه أسرتها) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,١٤) وبانحراف معياري (٦٢ و٠). وتعكس هذه النتيجة صراع الأدوار الذي تعاني منها لطالبات المتزوجات للموائمة بين إلتزاماتها كزوجة وأم، فالطالبة الجامعية المتزوجة تتعرض إلى صراع في الأدوار بين دورها كزوجة وأم وبين دورها كطالبة، مما ينتج عنه حتماً وجود مشاكل زوجية. وهو ما أكدت عليه دراسة (إسماعيل، ٢٠٠٧م) التي أظهرت إرتفاع المعاناة من صراع الأدوار لطالبات الجامعة المتزوجات المنجبات وغير المنجبات في أدائهن لأدوارهن المتعددة.

٦	كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال مكتبية مكلفة	ت	٥٩	١٥	٢٦	٢,٣٣	٠,٨٧	١
		%	٥٩,٠	١٥,٠	٢٦,٠			
٧	تذمر أهالي الطالبة من ارتفاع تكلفة الدراسة	ت	٢٦	٢٦	٤٨	١,٧٨	٠,٨٤	٤
		%	٢٦,٠	٢٦,٠	٤٨,٠			
٨	عدم كفاية المكافأة لتغطية نفقات شراء المراجع	ت	٤١	١٥	٤٤	١,٩٧	٠,٩٣	٢
		%	٤١,٠	١٥,٠	٤٤,٠			
٩	زيادة الإنفاق مع استهلاك سلع غير ضرورية	ت	٢٥	٣٣	٤٢	١,٨٣	٠,٨١	٣
		%	٢٥,٠	٣٣,٠	٤٢,٠			
	المتوسط العام للمحور							
						١,٧٨	٠,٨١	

يتضح من الجدول أعلاه أهم مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

- جاءت مشكلة (كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال مكتبية مكلفة) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٢,٣٣) وبانحراف معياري (٨٧,٠). " وهو مؤشر على أن طلبات المدرسين يمثل هاجس يؤرق الطالبات في الجامعات، خاصة للطالبات ذات الدخل المحدود ماديا و تثقل عاتق رب الأسرة سواء كان الزوج أو الأب، فهناك من يطلب أمورا مبالغاً فيها. وهنا توصي الدراسة الحالية بضرورة التنبيه على المدرسين بعدم المبالغة في كثرة الطلبات، وعدم تحميل الأسرة أعباء مالية.

وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (عليان، ٢٠٠٩ م) والتي أظهرت أن مشكلة كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال كتابية مطبوعة في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي ٤٩,٣ .

- جاءت مشكلة (عدم كفاية المكافأة لتغطية نفقات شراء المراجع) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (١,٩٧) وبانحراف معياري (٩٣,٠) يرجع الى أن الطالبة الجامعية تستلم ٩٩٠ ريال مكافأة كونها طالبة في إحدى الكليات الصحية أو العلمية أو ٨٤٠ ريال كونها طالبة في كلية نظرية أو إنسانية ، فإذا كانت المكافأة لاتغطي تكاليف الكتب الدراسية . فكيف بباقي الاحتياجات . وهذا يقرض على الزوج تحمل باقي النفقات الدراسية للزوجة، مما يمثل عبء إضافياً على الزوج، وقد يدفع به إلى رفض تحمل تلك النفقات أو رفض إستكمال الطالبة لدراستها.

السؤال الثالث: المشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات ؟.

جدول (١١)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول المشكلات الزوجية التعليمية لدى الطالبات الجامعيات

م	المشكلات		نعم	إلى حد ما	لا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
١	كثرة غياب الطالبة عن حضور المحاضرات بسبب المسئوليات الأسرية	ت	٦٨	٢٥	٧	٢,٦١	٠,٦٢	٢
		%	٦٨,٠	٢٥,٠	٧,٠			
٢	سوء علاقة الطالبة بأستاذاتها بسبب تقصير الطالبة في واجباتها الدراسية	ت	٤٢	٢٩	٢٩	٢,١٣	٠,٨٤	٩
		%	٤٢,٠	٢٩,٠	٢٩,٠			
٣	عدم قدرة الطالبة على المشاركة في الأنشطة التعليمية بالجامعة	ت	٣٦	٤١	٢٣	٢,١٣	٠,٧٦	٩
		%	٣٦,٠	٤١,٠	٢٣,٠			
٤	تكرار تأخر الطالبة عن مواعيد المحاضرات بسبب التزامها تجاه أبنائها	ت	٤٢	٤٠	١٨	٢,٢٤	٠,٧٤	٨
		%	٤٢,٠	٤٠,٠	١٨,٠			
٥	عدم قدرة الطالبة على مراجعة دروسها بسبب انشغالها مع زوجها وأبنائها	ت	٤٤	٥١	٥	٢,٣٩	٠,٥٨	٥
		%	٤٤,٠	٥١,٠	٥,٠			
٦	عدم قدرة الطالبة على التردد على مكتبة الجامعة للاطلاع في مجال تخصصها بسبب ضيق وقتها.	ت	٤٥	٤٢	١٣	٢,٣٢	٠,٧	٧
		%	٤٥,٠	٤٢,٠	١٣,٠			
٧	قد تضطر الطالبة إلى عدم حضور الاختبارات بسبب ظروفها الأسرية	ت	٤٨	٣٧	١٥	٢,٣٣	٠,٧٣	٦
		%	٤٨,٠	٣٧,٠	١٥,٠			
٨	عدم مراعاة أنظمة الجامعة لظروف الطالبة المتزوجة	ت	٧٣	١٧	١٠	٢,٦٣	٠,٦٦	١
		%	٧٣,٠	١٧,٠	١٠,٠			
٩	قصور خدمات الإشراف الاجتماعي لمواجهة المشكلات الاجتماعية للطالبة المتزوجة	ت	٦٢	٢٣	١٥	٢,٤٧	٠,٧٥	٤
		%	٦٢,٠	٢٣,٠	١٥,٠			
١٠	قصور الإرشاد الأكاديمي في مواجهة المشكلات التعليمية للطالبة المتزوجة	ت	٦٥	٢١	١٤	٢,٥١	٠,٧٣	٣
		%	٦٥,٠	٢١,٠	١٤,٠			
	المتوسط العام للمحور							
						٢,٣٨	٠,٧١	

- يوضح الجدول السابق أهم المشكلات الزوجية التعليمية لدى الطالبات الجامعيات من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

- جاءت مشكلة (عدم مراعاة أنظمة الجامعة لظروف الطالبة المتزوجة) في المرتبة الأولى ويرجع ذلك كون النظام الأكاديمي ينظر لجميع الطالبات نظرة سواسية وليس هناك فرق بين متزوجة وغير متزوجة، ولا ينص على مراعاة الطالبات المتزوجات إلا في حالات معينة كالحمل والولادة. فالتقييم يكون بشكل موحد بين الطالبات سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، فالزواج بحد ذاته لا يعتبر حالة خاصة تعيق الطالبة عن التحصيل الدراسي أو تستوجب نوعاً خاصاً من المعاملة.

- جاءت مشكلة (كثرة غياب الطالبة عن حضور المحاضرات بسبب المسئوليات الأسرية) في المرتبة الثانية وتفسر هذه النتيجة بوجود إلتزامات للطالبة المتزوجة والزواج خاصة وأطفالها في حال إنجابها وأهل زوجها. كما تعتبر هذه النتيجة مؤشراً لصعوبة التوفيق بين الدراسة والزواج خاصة وأن الدراسة الجامعية تحتاج إلى تركيز ذهني وراحة نفسية.

السؤال الرابع: ما المقترحات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات ؟.

جدول (١٢)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول المقترحات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات

م	المقترحات	نعم	إلى حد ما	لا	المتوسط الجسبي	الانحراف المعياري	رقم
١	مساعدة الطالبة في تفهم الأستاذات بالجامعة لظروف الطالبة الأسرية	٧٩	١٦	٥	٢,٧٤	٠,٥٤	٢
		٧٩,٠	١٦,٠	٥,٠			
٢	تنظيم أنشطة جامعية تتناسب وظروف الطالبة المتزوجة	٧٣	١٩	٨	٢,٦٥	٠,٦٣	٤
		٧٣,٠	١٩,٠	٨,٠			
٣	العمل على تنظيم المحاضرات، والندوات، وورش عمل لتوعية الطالبات حول الضغوط الحياتية	٨٠	١٥	٥	٢,٧٥	٠,٥٤	١
		٨٠,٠	١٥,٠	٥,٠			
٤	العمل على توعية الطالبة في التعامل بمرونة مع الزوج	٦٣	٢٩	٨	٢,٥٥	٠,٦٤	٧
		٦٣,٠	٢٩,٠	٨,٠			
٥	مساعدة الطالبة علي تنظيم الوقت لإيجاد وقتاً للاستذكار ومراجعته دروسها	٥٥	١٩	٢٦	٢,٢٩	٠,٨٦	١٣
		٥٥,٠	١٩,٠	٢٦,٠			
٦	العمل على تحقيق توافق الطالبة مع واقعها في المنزل والجامعة	٧٥	١٥	١٠	٢,٦٥	٠,٦٦	٤
		٧٥,٠	١٥,٠	١٠,٠			
٧	تدريب الطالبة على دورها كأم بعمل برامج بكيفية التعامل مع الأبناء	٦٠	٢٤	١٦	٢,٤٤	٠,٧٦	١٠
		٦٠,٠	٢٤,٠	١٦,٠			
٨	توجيه الطالبة بالطرق السليمة لتربية الأبناء	٦٦	٢٠	١٤	٢,٥٢	٠,٧٣	٨
		٦٦,٠	٢٠,٠	١٤,٠			
٩	تدريب الطالبة على دورها كزوجة بعمل برامج بكيفية التعامل مع الزوج	٦٥	٢٢	١٣	٢,٥٢	٠,٧٢	٨
		٦٥,٠	٢٢,٠	١٣,٠			
١٠	مساعدة الطالبة بتنظيم أداؤها للمهام والمسؤوليات المنزلية	٧٥	١٤	١١	٢,٦٤	٠,٦٧	٦
		٧٥,٠	١٤,٠	١١,٠			
١١	إيجاد حلول مناسبة للضغوط الاقتصادية التي تعاني منها	٤٣	١٣	٤٤	١,٩٩	٠,٩٤	١٥
		٤٣,٠	١٣,٠	٤٤,٠			
١٢	العمل على توجيه الطالبة في التفاعل الايجابي مع الزميلات	٥٣	٢٩	١٨	٢,٣٥	٠,٧٧	١٢
		٥٣,٠	٢٩,٠	١٨,٠			
١٣	عمل ندوات ومحاضرات توعوية بالجامعة حول دور الطالبة كزوجة وأم	٥٥	٣١	١٤	٢,٤١	٠,٧٣	١١
		٥٥,٠	٣١,٠	١٤,٠			
١٤	التدخل المهني لمواجهة مشكلات الطالبة المتزوجة الأسرية	٧٨	١٣	٩	٢,٦٩	٠,٦٣	٣
		٧٨,٠	١٣,٠	٩,٠			
١٥	قيام الأخصائية بعمل برامج توعوية لحل الخلافات الزوجية	٤٥	٣٢	٢٣	٢,٢٢	٠,٨	١٤
		٤٥,٠	٣٢,٠	٢٣,٠			
	المتوسط العام للمحور				٢,٤٩	٠,٧١	

يبين الجدول السابق أهم المقترحات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

- جاء المقترح (العمل على تنظيم المحاضرات، والندوات، وورش عمل لتوعية الطالبات حول الضغوط الحياتية) في المرتبة الأولى

- جاء المقترح (مساعدة الطالبة في تفهم الأستاذات بالجامعة لظروف الطالبة الأسرية) في المرتبة الثانية

- جاء المقترح (التدخل المهني لمواجهة مشكلات الطالبة المتزوجة الأسرية) في المرتبة الثالثة

مما يعكس أهمية المقترحات التي يقدمها الأخصائي الإجتماعي للطالبات، كما تؤكد النتائج السابقة على أهمية تخصص الخدمة الاجتماعية في مواجهة المشكلات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية التي تواجهها الطالبات عموماً والطالبات المتزوجات خصوصاً، بإستخدام الأساليب العلاجية المناسبة وتوعية الطالبات وإرشادهن لكيفية تجنب الوقوع في تلك المشكلات مما يؤثر بالإيجاب على قيامها بأدوارها كزوجة وأم وطالبة جامعية . وهذا ما أكدته دراسة (مرفت أبو النيل ٢٠٠٧م، منى قطب) وهو فاعلية دور التدخل المهني للخدمة الاجتماعية مع التخفيف من حدة المشكلات الزوجية.

فالخدمة الاجتماعية تخصص علمي ومهني وبحكم فلسفتها وركائزها وأسلوبها فهي المهنة الأنسب للتعامل مع القضايا الاجتماعية وفي علاج المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الطلاب والطالبات في مختلف مراحلهم الدراسية ، ولأهمية دور الخدمة الاجتماعية نجد في الدول الغربية أنه يُشترط في كل مدرسة وجود أخصائيين اجتماعيين متخصصين في الخدمة الاجتماعية بل أيضاً في بعض دول الخليج العربي كالكويت وعمان. كما تجد الدراسة الحالية هنا غرابة في أنه في الوقت الذي تزداد فيها حاجة إلى مهنة الخدمة الاجتماعية نتيجة للتحديات والمشكلات الاجتماعية الاقتصادية والتعليمية التي تواجه الطالبات، إلا أن هناك تجاهلاً للدور المهم الذي تضطلع به مهنة الخدمة الاجتماعية في الجامعات، حتى أن وظيفة الأخصائي الاجتماعي الموجودة في السابق حُولت إلى وظيفة مرشد طلابي وأصبح يُعين في وظيفة الإرشاد الطلابي من شتى التخصصات، بل إن بعض التخصصات بعيدة كل البعد عن الجانب الاجتماعي، وربما يُعين في وظيفة الإرشاد الطلابي أفراد تتقصهم ليس فقط التخصصية ولكن أيضاً الكفاءة والرغبة في العمل الاجتماعي، فقد يُرشح لوظيفة المرشد الطلابي مدرس يُراد التخلص منه لوجود ملاحظات على أدائه في مجال التدريس

جدول (١٣)

ترتيب مشكلات الزواج حسب المتوسط العام لكل منها

م	المشكلات	المتوسط العام	التقدير	الترتيب
١	مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة	٢,١١	إلى حد ما	٢
	المشكلات خارج الأسرة	١,٨٤		
	المحور الأول: مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات	١,٩٨		
٢	المحور الثاني: مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات	١,٧٨	إلى حد ما	٣
٣	المحور الثالث: المشكلات الزوجية التعليمية لدى الطالبات الجامعيات	٢,٣٨	نعم	١

يوضح الجدول السابق أن مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات تتمثل فيما يلي :

- جاءت المشكلات التعليمية في المرتبة الأولى بمتوسط عام (٢,٣٨). وتعزو الدراسة الحالية هذه النتيجة إلى أن الطالبات المتزوجات يبذلن جهداً مضاعفاً من أجل التوفيق بين متطلبات الأسرة واحتياجات بيت الزوجية، إضافة إلى الدراسة وأعبائها. بالإضافة إلى ضيق الوقت وصعوبة توزيعه بين تحقيق متطلبات الأسرة ، وخدمة الزوج و الأبناء، ومذاكرة الدروس ، وفي الوقت نفسه الذهاب إلى الجامعة.

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (Huebner and Others، هيوينر وآخرون، ١٩٨٢م، ١٤٠٢هـ) التي خلصت إلى أن أكثر المشكلات التي تواجهها الطلبة الجامعيين تكرراً هي المشكلات الأكاديمية. واتفقت أيضاً مع ما توصلت إليه نتيجة دراسة (عمران علي عليان ، ٢٠٠٩ م) حيث أكدت أن المشكلات الأكاديمية بالمرتبة الأولى يليها المشكلات الاقتصادية يليها المشكلات الاجتماعية.

ثامنا : مستخلص النتائج:

- الانشغال بالأطفال وتربيتهم عن الوفاء بمتطلبات

الدراسة.

أ- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الأول: مشكلات

- عدم وجود مكان آمن للأبناء الرضع أثناء تواجد

الطالبة بالجامعة.

الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل

الأسرة:

وأكدت الدراسة الحالية على أهم المشكلات الزواج

الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات خارج الأسرة

هي على التوالي:

أكدت الدراسة الحالية على أهم مشكلات الزواج

الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة

وهي على التوالي:

- عدم تفهم أهل الزوج لمسؤوليات الطالبة الخاصة

بدراساتها

- كثرة الأعباء المنزلية التي تؤثر على دراسة

الطالبة.

- التدخل المهني لمواجهة مشكلات الطالبة المتزوجة الأسرية.

تاسعاً : المقترحات

● مطالبة الجامعة بزيادة الدعم النفسي والاجتماعي لطالبة المتزوجة من خلال فتح دور حضانة لأبناء الطالبات المتزوجات داخل الجامعة بحيث توفر الرعاية المناسبة لهم مما يوفر استقراراً نفسياً لطالبة المتزوجة ويسهم إيجابياً على الأداء الأكاديمي للطالبات المتزوجات.

● تنظيم ندوات ومؤتمرات توعوية بدور الأخصائي الاجتماعي داخل الجامعة وذلك لبث الوعي لدى الطالبات بالجامعة من ناحية تعريفهن بأهمية وجود الأخصائي الاجتماعي كمساعد في حل المشكلات التي تواجههن

● تنظيم عدد من الدورات التدريبية والندوات واللقاءات العلمية والعملية للأخصائيات الاجتماعيات اللاتي يتم تكليفهن بالعمل داخل الجامعة وذلك لتفعيل أدائهن لأدوارهن المهنية ورفع مستوى الأداء المهني .

● توجيه الأخصائيات الاجتماعيات بإستخدام الأساليب العلاجية الحديثة (حل المشكلة، التركيز على المهام ،العلاج الأسري ، ... وغيرها) وذلك لتزويدهن بكيفية التعامل مع مختلف مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات المتزوجات .

- عدم المواءمة بين الدراسة ومسئوليات الطالبة تجاه أسرتها.

- معارضة أهل الزوج لاستكمال دراسة الطالبة بالجامعة.

ب- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الثاني: مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات وهي على التوالي:

- كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال مكتبية مكلفة.

- عدم كفاية المكافأة لتغطية نفقات شراء المراجع.

- زيادة الإنفاق مع استهلاك سلع غير ضرورية.

ج- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الثالث: المشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات:

- عدم مراعاة أنظمة الجامعة لظروف الطالبة المتزوجة.

- كثرة غياب الطالبة عن حضور المحاضرات بسبب المسئوليات الأسرية.

- قصور الإرشاد الأكاديمي في مواجهة المشكلات التعليمية للطالبة المتزوجة.

د- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الرابع: المقترحات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات:

- العمل على تنظيم المحاضرات، والندوات، وورش عمل لتوعية الطالبات حول الضغوط الحياتية.

- مساعدة الطالبة في تفهم الأستاذات بالجامعة لظروف الطالبة الأسرية.

عاشراً : التوصيات بالبحوث المقترحة:

- مدى الحاجة إلى وجود خدمات إرشاد زواجي داخل الجامعات.
- تقويم برامج الخدمة الإجتماعية الجامعية.

المراجع

- مؤشرات تخطيطية لتفعيل مشاركة طالبات الجامعة المتزوجات في البرامج والأنشطة الجامعية.
- دراسة مشكلات الزواج لدى الطلاب الجامعيين

- السدحان، عبدالله بن ناصر وآخرون.(١٤٣١هـ). دليل الإرشاد الأسري(مشكلة الطلاق وكيف يتعامل معها المرشد الأسري)، ج٤، الرياض :مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الصديقي ،سلوى عثمان.(١٩٩٨) أساسيات في طريقة العمل مع الحالات الفردية في الخدمة الاجتماعية ،الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد.(٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة ، القاهرة: عالم الكتب.
- العمري، عوض بن محمد.(١٤٣٤هـ). إصلاح ذات البين ودوره في تماسك المجتمع المسلم، جامعة أم القرى مكة المكرمة.
- عليان ،عمران علي.(٢٠٠٩). بعض المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها الطالبات الفلسطينيات المتزوجات من وجهة نظرهن "الأسباب وآليات العلاج. رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ، جامعة الأقصى.
- قطب، منى جلال.(٢٠١٢). الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية وتنمية وعي الفتيات بمشكلات الأسر حديثة التكوين ،رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم.
- متولي، ماجدة سعد وعبد المجيد ،هشام.(١٩٩٩). أصول النظرية وتطبيقاتها العلمية ، دبي : دار القلم لنشر.
- محفوظ ،ماجدى عاطف .(٢٠٠٩). نماذج نظريات في طريقة خدمة الجماعة ،القاهرة: السوق الريادي للكتاب الجامعي.
- محمد ،فرح.(٢٠٠٠). بناء نظرية علم الاجتماع ،الإسكندرية :منشأة المعارف.

- أبو العزم ،عبد الغني. المعجم الغني ،الجزائر :مؤسسة الغني للنشر، د.ت.
- أبو النيل، مرفت أحمد.(٢٠١١). مشكلات الزواج المبكر أثناء الدراسة لدى طالبات الجامعه الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الانسانية ،كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ع ٣١، ج ٥، أكتوبر.
- أبو ياسين، محمود.(٢٠١٠). الزواج المبكر أسبابه ونتائجه الصحية والاجتماعية، المغرب: دار البيضاء.
- إدارة الإحصاء المركزي ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة- اليونيسيف.(٢٠٠٩).حول أوضاع النساء والأطفال.الدورة الثالثة، لبنان، بيروت .
- الجهني ،عبد العزيز بن حمدي.(٢٠٠٥م). الخلافات الزوجية في المجتمع السعودي من وجهة نظر الزوجات المتصلات بوحدة الإرشاد الاجتماعي ، رسالة ماجستير، غير منشورة ، قسم العلوم الاجتماعية ،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .
- حسين، أحمد فراج.(٢٠٠٤م).أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- حنا ، مريم إبراهيم.(١٩٩٩). العلاقة بن إستخدام العلاج المعرفي في خدمه الفرد وتنمية الوعي بمشكلات الانحراف الاجتماعي لدى الأحداث المعرضين للانحراف، المؤتمر العلمي الثاني عشر، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان .
- خميس، فوزي وآخرون.(٢٠١٤).حماية القاصرات من الزواج المبكر الواقع والمرتجى، معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، الجامعة اللبنانية الأمريكية.
- الزعبي ،أحمد.(٢٠٠٧). التوجيه والإرشاد النفسي، الرياض: مكتبة الرشد.

- منظمة الصحة العالمية جمعية الصحة العالمية
(٢٠١٢). الخامسة والستون ج ١٣/٦٥ البند ١٣-٤
من جدول الأعمال المؤقت ١٦ مارس.
- وزارة العدل (١٤٣٣هـ). الكتاب الإحصائي السابع
والثلاثين. الرياض.

المراجع الأجنبية:

- EasyTopics <http://www.myprojecttopics.com/payment118.html>.
- Huebner, L. and Others (1982): Student Interaction with Campus Help-Givers, Mapping

the Network's Efficacy, ERIC Document Reproduction Service, No. ED 223-172.

- Stephanie Steinberg: Saying 'I do' while studying at the 'U', <http://edition.cnn.com/2011/08/04/living/married-college-student>

Problems facing college student married in Saudi society (English Abstract)

Khalil Abdul maqsood Abdul Hamid

Najla Fahad Mohamed Al Shibani

Abstract .The current study aimed to identify social problems of marriage (inside and outside the family) of female university students, to also ins provide some proposals for social service to face marriage problems for female university students. This study is of descriptive studies. This study based on a sample of Social survey method on the preparatory year students of human science path for (102) student's , and questionnaire tool is applied to determine marriage problems for social, educational , and economic female university students.

The study found that the social problems of marriage for female university students within the family are:

- The frequent burdens of Family that effect on student study

This study also emphasized on the most important social problems in marriage for female university students outside the family are:

- Lack of understanding by husband's family for the responsibilities of student's study

The study also reported that the most important economic problems in marriage for female university students are:

- Frequent of requests from teachers as doing researches and expensive office work

The current study emphasized on the most important educational problems in marriage of female university students which are:

- Non – compliance of university systems to the circumferences of married student

The study also concluded with providing a set of proposals to activate the role of social service to face marriage problems for female university student

الإندماج الأكاديمي وعلاقته بالقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية ١

شروق غرم الله الزهراني

أستاذ مساعد- كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة الملك عبد العزيز

مستخلص. هدفت الدراسة الحالية بالتعرف على مدى شيوع الاندماج الاكاديمي والقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة، ومعرفة العلاقة بين الاندماج الاكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة، بالإضافة إلى معرفة مدى اختلاف كل من مستوى الاندماج الاكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي، وتم تطبيق مقياس الاندماج الاكاديمي ومقياس القيم النفسية على عينة من طلاب جامعة الملك عبد العزيز ، (ن=٥٠٠)، منهم (٢١٥ ذكور، ٢٨٥ اناث)، وتوصلت النتائج إلى وجود شيوع للاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة، ووجود ارتباط دال بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية، وظهر عدم وجود فروق في الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية تعزى للجنس ، في حين وجدت فروق تعزى للتخصص الدراسي. الكلمات الدالة :- الاندماج الأكاديمي- القيم النفسية- طلاب الجامعة

المقدمة

الاشياء، ومن خلال التفاعل بين الفرد ومعارفة وخبراته، ويصدر أحكامه الخاصة بالقيم سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل، ويضفي عليها صيغته الخاصة.(Schwartz,2012) والقيم التي يحملها الانسان تعد عوامل وقائية ضد صدمات الحياة، كما أنها تمكننا في فهم الشخصية، ولذلك فالقيم تلعب دورا مهما في تعديل السلوك،

تعد القيم من أهم المتغيرات المؤثرة في فهم دوافع السلوك الانساني، فهي جزء لا يتجزأ من نسيج الخبرة الانسانية، وذلك لتأثيرها على طموحات الافراد وتحديد اختياراتهم واتخاذ قراراتهم المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة.(أمنية شلبي و هدى أحمد، ٢٠١٥).وفي ضوء تقدير الفرد للموضوعات او

وبالرغم من أهمية الاندماج الأكاديمي في عملية التعلم وتكوين الاتجاهات والقيم النفسية ، إلا أنه نجد الدراسات اغفلت هذه الأهمية في تحسين الاتجاه نحو القيم النفسية.

وتلعب القيم دورا مهما في حياة الإنسان والمجتمع في الماضي والحاضر والمستقبل، فتقوم بالربط بين النظم الاجتماعية وإعطائها أساسا عقليا يستقر في ذهن أعضاء المجتمع (عصام عبد العزيز، ٢٠٠٧). فمنظومة القيم تمثل بناءا نفسيا مترابلا للفرد، كما أن الالتزام بها يدعم سلوك الفرد، لذلك لا بد من الاهتمام بمنظومة القيم التي بدأت تتراجع، فهي التي تحدد سلوكه وتدخل في بنائه النفسي، فتجعله يختار طريقه ويفهمه جيدا وتؤثر على مسيرته في المستقبل. (يوسف صالح، ٢٠٠٢).

ولكل عصر قيمه وأفكاره التي تسيطر عليه، ومجموعة القيم هي مرآة تعكس بعض حاجات العصر ومتطلباته كما أن لكل ثقافة نسقها القيمي الذي يفصح عن نفسه من خلال مظاهر عديدة.

أسئلة الدراسة:-

- ما مدى شيع الاندماج الأكاديمي لدى عينة من طلاب الجامعة ؟
- ما مدى شيوع القيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة؟
- هل توجد علاقة ارتباطية بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة؟

وتشخيص الاضطرابات النفسية وعلاجها. وتختلف القيم التي يتبناها الفرد باختلاف المرحلة العمرية التي يمر بها الفرد طبقا للخصائص المعرفية والوجدانية والسلوكية، ويؤدي حدوث توازن في النسق القيمي الى حدوث توافق الفرد مع القواعد والمعايير الاجتماعية والاخلاقية السائدة. (Joshano & Ghaedi, 2009) ، كما توصلت دراسة ديبيترو (Dipietro, 2011) من خلال الدراسة التي قام بتطبيقها على طلاب الجامعة أن القيم تتغير مع مرور الوقت، كما أنها تتأثر بالأحداث التي يمر بها الفرد والمجتمع.

ومن المتغيرات التي لها تأثير على القيم النفسية لدى الطلاب الاندماج الأكاديمي، ويعد أحد المفاهيم التي لها تأثير في دافعية الطلاب نحو عملية التعلم، كما أنه عامل جوهري وفعال في المخرجات التعليمية والاجتماعية الايجابية، واستثمار أوسع لجهود الطلاب في عملية التعلم. (Zhou & Winne, 2012) وقد ظهر من خلال الدراسات السابقة أن الطلاب الأكثر اندماجا اكاميا يركزون على التعلم، ويؤدون أداء افضل في الاختبارات ويلتزمون بقواعد الجامعة، كما أنهم يؤدون المهام المطلوبة منهم بكل حماس واجتهاد ومثابرة. (Wang, et al., 2011) كما توصلت الدراسات أن الطلاب المندمجين أكاديميا يسعون نحو الأنشطة العامة والتطوعية بالجامعة، ويتميزون بحب الاستطلاع والرغبة المستمرة المعرفة والتعلم.

(Fan & Willias, 2010)

- اعدا برامج ارشادية تعتمد على دعم اعضاء هيئة التدريس، والاستفادة من البرامج العلاجية النفسية في رعاية ، وزيادة الاندماج الاكاديمي لديهم.
أهداف الدراسة:-

تسعى الدراسة الى تحقيق الاهداف التالية:
- التعرف على مدى انتشار الاندماج الاكاديمي لدى عينة من طلاب الجامعة.
- التعرف على مدى إنتشار القيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة.
- معرفة العلاقة الارتباطية بين الاندماج الاكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة.
- الكشف عن الفروق في الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي.
متغيرات الدراسة

الاندماج الأكاديمي

يعرفه باكر (2010) Baker الاندماج الأكاديمي بأنه مشاركة الطالب في الأنشطة التعليمية المختلفة التي تتم داخل المؤسسة التعليمية وتتضمن بذل الجهد ، والمثابرة، واستثمار الطاقات والإمكانيات الداخلية المختلفة للطالب، كذلك المشاركة العاطفية للآخرين، وزيادة درجة الدافعية للتعلم.

عرف سيد حسن (٢٠١٥) الاندماج الأكاديمي بأنه عملية نفسية ذات طبيعة دافعية، تتضمن الإهتمام وبذل الجهد، والكفاءة ومشاعر الإنتماء، وردود الفعل الإيجابية واستثمار الطاقة الداخلية أثناء المشاركة في الأنشطة الأكاديمية والإجتماعية المختلفة. وتتفق

- هل يختلف الاندماج الاكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس (ذكور وإناث)، والتخصص الدراسي(علمي، نظري)؟
اهمية الدراسة:-

أولاً:- الأهمية النظرية

- تساهم الدراسة في لقاء الضوء على أهمية الاندماج الاكاديمي، للطلاب ودوره في تطوير الاتجاه نحو النسق القيمي الايجابي لطلاب الجامعة.
- تستمد الدراسة أهميتها من عينة الدراسة وهي طلاب الجامعة ، وهم بحاجة الى الاهتمام والرعاية والمساعدة بتقديم الدعم.

- ما تسفر عنه نتائج الدراسة تساعد التربويين في عملية التخطيط لبناء العقول المفكرة وكيفية تطوير النسق القيمي لدى طلاب الجامعة.

- توجيه المؤسسات القائمة على تربية الشباب الى ما طرأ على منظومة القيم لدى الشباب من تغير حتى يمكن التصدي للمتغيرات غير المرغوبة.

- تساعد نتائج الدراسة الحالية على تشجيع أعضاء هيئة التدريس على تقديم الدعم للطلاب ومساعدتهم في تطوير استراتيجيات مواجهه ايجابية، وتبنى نسق قيمي ايجابي يحسن مهارات الطلاب للتكيف لمتطلبات المهن مستقبلا.

ثانياً:- الاهمية التطبيقية

- تصميم برامج ارشادية لطلاب الجامعة لتحسين القيم النفسية وزيادة ادراكها لدى طلاب الجامعة .

إليها، ولكن شأنها شأن جميع الأبعاد النفسية عند الفرد تتطور مع العمر ونتيجة للخبرات المتراكمة تفاعلا مع ما هو موجود عند الإنسان من استعدادات ونوع ما يطرأ على واقعه من متغيرات. (راشد السهل ومصري حنورة، ١٩٩٨).

والقيم تتضمن تفسيراً لما هو خير، ولما هو شر، وإجراء أحكام حول الإيجابية أو السلبية، والميل وعدم الميل والإنجذاب والإحجام، كما أن لها تأثيراً رئيسياً على السلوك. ومازلت القيم النفسية وستبقى إحدى المفاهيم التي تناولها مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية على حد سواء، فالقيم ترتبط بوجود الإنسان وتحدد معنى وجوده الفعلي، وليس الشكلي، فالعالم يعيش اليوم مرحلة خطيرة وحاسمة في تاريخه، كما تشهد هذه المرحلة أيضاً نمواً في جميع التصورات في مجال تقنية المعلومات والاتصالات، كما تشهد تدهوراً في جميع التصورات أيضاً في مجال القيم (أي انحلال القيم) وهذا الأمر يتطلب التوقف قليلاً وإجراء بحوث تهدف إلى تطوير نظام القيم وخاصة لدى شريحة مهمة وهم طلاب الجامعة. (على كاظم، ٢٠٠٢). وترى الباحثة أن القيم هي الإطار الذي ينظم سلوك الفرد مع ذاته ومع المجتمع الذي يعيش فيه، وتساعد على حدوث توافق الفرد مع القواعد والمعايير الاجتماعية والاخلاقية السائدة.

الدراسات السابقة :-

الباحثة مع هذا التعريف للاندماج الأكاديمي الذي يشتمل الاندماج على ثلاثة أشكال السلوكي: ويشمل مشاركة الطلاب في الأنشطة الأكاديمية والاجتماعية المختلفة.

المعرفي: رغبة الطالب في استثمار جهوده لإتقان المعارف والمهارات الصعبة أثناء عملية التعلم. الإنفعالي: ويتضمن الكفاءة والإهتمام ومشاعر الإنتماء وردود الأفعال تجاه العملية التعليمية ككل.

ويشير جوتسشالغ وزولو (Gottschalg&Zollo, 2007) بأن الاندماج مفهوم يمثل محصلة لدافعية الخارجية التي تتمثل في المكافآت والجوائز الخارجي، والدافعية الداخلية التي تؤثر على السلوك القائم على الرضا الذاتي وتوكيده، كما أن الطلاب الأكثر إندماجاً عندمل يواجهون مواقف فشل يستجيبون بالإجتهاد والمثابرة، واستخدام استراتيجيات للتعلم أكثر فعالية، كما أن الطلاب المندمجين لديهم دافع قوي، كما يتأثر الاندماج الأكاديمي ببيئة التعلم، كلما كانت مهياًة لتلبية احتياجات الطلاب ومتطلباتهم النفسية والعقلية كلما دفعت إلى تحقيق أعلى درجة من الاندماج الأكاديمي.

القيم النفسية

تعد منظومة القيم هي المنظم الذاتي الموجه لسلوك الفرد، وبمثابة الإطار المرجعي لعلاقة الإنسان بالعالم الذي يعيش فيه، والنسق القيمي لا يولد به الإنسان، وهو ليس آلة جاهزة يمكن للفرد أن يلجأ

دراسات تناولت الاندماج الأكاديمي:

اهتمت دراسة مسعد أبو العلا (٢٠١١) بالتعرف على النموذج البنائي للعلاقة بين توجهات الهدف وفعالية الذات والاندماج المدرسي والتحصيل الأكاديمي، وذلك على (٣٤٤) طالبا وطالبة بالصف الاول الثانوي، وتم تطبيق مقياس توجهات الهدف، ومقياس فعالية الذات والاندماج المدرسي، وتوصلت النتائج الى وجود تأثيرات دالة لتوجهات الهدف على فعالية الذات والاندماج المدرسي، والتحصيل الأكاديمي مع اختلاف قيم التأثير، ووجود تأثير لفعالية الذات على الاندماج المدرسي والتحصيل الأكاديمي مع اختلاف قيم التأثير، كما توصلت الدراسة أيضا الى وجود تأثير دال للاندماج المدرسي على التحصيل الأكاديمي.

وأكدت دراسة بيركمان وآخرون Perkmann, Riccardo, Michael, Ross1, Silvestri, Valentina, (2015) على عينة من طلاب جامعة كوليدج في لندن علي مدى أهمية الأنشطة الدراسية على مدار اليوم الدراسي في الجامعة وتأثيرها الواضح علي التحصيل الدراسي، والاندماج الأكاديمي.

أثبتت دراسة كيث وآخرون Keith, Radley, Evan, Dart, Roderick, Ohandley (2015) فعالية الغرف الدراسية الهادئة التي تحتوي على الكمبيوترات المحمولة في زيادة سلوك المشاركة

الأكاديمية، والاندماج الأكاديمي، وينخفض مستوى الضوضاء، والسلوك المضطرب لدى الطلاب . وتناولت دراسة عمار بو جمعة (٢٠١٥) أثر العوامل الاسرية في اندماج تلاميذ السنة الثالثة الثانوي ومدى انعكاسها على التحصيل المدرسي، وقد توصلت النتائج الى وجود ارتباط بين الاندماج المدرسي وكل من المستوى الاقتصادي للأسرة والمتمثل في (الدخل، ونوع السكن، المهنة)، وأيضا المستوى الثقافي والعلمي للوالدين.

تناولت دراسة ويلسون وآخرون Wilson, Kim, Veilleux, Jones, Bocell, Crawford, Floyd-Smith, Bates, Plett (2015)

مستويات متعددة الأشكال للمشاركة السلوكية والعاطفية بين الطلاب الجامعيين بمؤسسة STEM في الولايات المتحدة لدى عينة (١٥٠٠) من الطلاب، وأيدت الدراسة بوضوح أهمية الانتماء للمشاركة السلوكية والعاطفية في سياق الفصول الدراسية، ودورها في تحقيق الاندماج الأكاديمي.

وتناولت دراسة جونسون وآخرون Jonsson, BaraLdi, Larsson (2015) إمكانية تعزيز الاندماج الأكاديمي، ودعم شامل للإبتكار، وخلق المنافع المتبادلة سواء بالنسبة للمنظمات أو مجتمع الجامعة نفسة من خلال عدة عناصر منها: أنشطة مختارة من الجامعة، إستراتيجية التوظيف، بناء ثقة بين جميع أصحاب المصلحة، تقديم أدوات محددة لتعزيز آثار الأنشطة الدراسية في الوسط الأكاديمي .

المشاركة المهنية بإعتبارها مساهمة هامة في التكيف وإتخاذ القرارات المهنية وتشجع الباحثين علي المشاركة الأكاديمية .

وشملت دراسة أكسيافي وآخرون Xavier, AXavie, Alberto, Michelle, Slivia , Rafael (2016) ٤٢٨ من طلاب جامعة تشيلي، ٣٦,٥% ذكور، ٦٣,٥% إناث، الذين تراوحت أعمارهم من ١٨-٤٥ عاماً، وتوصلت النتائج أن تطوير مستويات عالية من الإبداع العاطفي، والمشاعر الإيجابية مثل (الإمتنان، والحب، والامل) لدى الطلاب يساعد على الاندماج الأكاديمي، ويساعد الطلاب علي تجنب الفشل الدراسي.

وهذفت دراسة جانجيه وآخرون Guang, Hanchao , Kaiping (2016) إلى التعرف على العلاقة بين المرونة النفسية، والاندماج الأكاديمي، وشملت الدراسة ١٢٦٠ من طلاب الجامعة منهم (٦٥٨ ذكور، ٦٠٢ أناث)، وتوصلت النتائج إلى وجود علاقة بين المرونة النفسية، والاندماج الأكاديمي.

دراسات تناولت النسق القيمي والقيم النفسية لدى طلاب الجامعة

توجهت غالبية الدراسات السابقة في موضوع الدراسة الحالية الى التعرف على النسق القيمي الاكثر شيوعا لدى الطلاب، وترتيب النسق القيمي، وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية ومن هذه الدراسات دراسة على كاظم (٢٠٠٢) حيث هدفت إلى ترتيب القيم النفسية لدى طلبة جامعة السلطان قابوس والعوامل الخمس

وتناولت دراسة شري حليم (٢٠١٥) الكشف عن العلاقة بين الدافعية الأكاديمية والاندماج المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية، والفروق في الدافعية الأكاديمية، والاندماج المدرسي وتعزى الى الجنس، والعمر، ومكان السكن، وشملت الدراسة (٣٨٠)، تلميذا وتلميذة بالمرحلة الاعدادية، واستخدم مقياس الدافعية الأكاديمية والاندماج المدرسي، وظهر عدم وجود فروق في الدافعية الأكاديمية، والاندماج المدرسي تعزى الى العمر والسكن، ولم تظهر فروق بين الذكور والاناث في الاندماج الأكاديمي، بينما كانت الاناث اعلى من الذكور في الدافعية الأكاديمية.

وشملت دراسة سيد حسن (٢٠١٥) عينة من طلاب الصف الثاني الثانوي (ن=٢٠٠)، واستخدم مقياس تصورات المراهقين عن المناخ الدراسي، ومقياس الذكاء الإنفعالي، ومقياس الاندماج الدراسي، وتوصلت النتائج إلى وجود تأثير دال للمناخ الدراسي المدرك، ودرجة الذكاء الإنفعالي على الاندماج السلوكي والإنفعالي والمعرفي.

بحثت دراسة دينال وآخرون Daniel, Cox, Bjornsen, Thomas, krieshok Yan(2016)

عن الهوية المهنية كمتغير وسيط للعلاقة بين الأداء المهني والرضا الدراسي، علاوة علي ذلك تحقيق الاندماج الأكاديمي، تم إختيار عينه من (٢١٥) من الطلاب الجامعيين، وأشارت النتائج إلي أن الأداء المهني يؤدي إلي النجاح الأكاديمي، وأن الهوية المهنية تدعم هذه العلاقة، وهذه النتائج تدعم

وطالبة. وأظهرت النتائج أن قيمة الامانة تحتل قمة النسق القيمي لدى الطلاب، كما اختلف ترتيب القيم بين الذكور والاناث.

وتناولت دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣) النسق القيمي لدى عينة من طلبة الجامعة بعد ثورة (٢٥) يناير من حيث مستوياته وترتيبه، والفروق بين الجنسين، والفروق في التخصصات العلمية، والفرق الدراسية، وشملت الدراسة (٥٣٦) من طلاب الجامعة، واستخدم مقياس القيم اعداد الباحثين، وتوصلت النتائج الى وجود مستويات للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة بدرجة مرتفعة ومتوسطة، يوجد ترتيب للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة يبدأ بالقيم المرتبطة بالعمل، يليها القيم الدينية، ثم السياسية، والاقتصادية، والجمالية، وأخيرا الاجتماعية، كما اختلف النسق القيمي لدى طلاب الجامعة باختلاف الجنس، والتخصصات العلمية، والفرق الدراسية.

وأجريت دراسة صباح مسبل وحيدر ظاظا (٢٠١٤) بهدف تحديد التفضيلات المهنية والقيم النفسية التي يتميز بها الموهوبين أكاديميا عن غيرهم في المرحلة الثانوية، والتعرف على الفروق بين الطلبة الموهوبين والطلبة غير الموهوبين في التفضيلات المهنية والقيم النفسية، وفحص العلاقة بين التفضيلات المهنية القيم النفسية لدى الطلة الموهوبين أكاديميا، وشملت الدراسة (٥٨٨) طالبا وطالبة، منهم (٢١٢) من الطلبة الموهوبين،

الكبرى في الشخصية لديهم، فضلا على معرفة العلاقة بين القيم النفسية، والعوامل الخمس الكبرى في الشخصية، وشملت الدراسة (٦٣) طالب وطالبة، واستخدم مقياس القيم، وقائمة العوامل الكبرى، وكشفت النتائج عن ترتيب النسق القيمي كالتالي القيم (الدينية، السياسية، النظرية، الاجتماعية، الإقتصادية، الجمالية)، كما ظهر وجود ارتباط بين القيم الدينية وبقطة الضمير والإنسباط.

كما هدفت دراسة فؤاد الموفي وآخرون (٢٠١١) إلى التعرف على أكثر القيم شيوعا في النسق القيم لدى طلاب المرحلة الثانوية ذوي الشعور بالاغتراب، وشملت الدراسة (٢٠٥) طالبة تراوحت أعمارهم بين (١٤-١٥) سنة، وتم تطبيق اختبار التفكير الابتكاري اعداد ممدوح الكناني (٢٠٠٥)، ومقياس القيم اعداد ايمان الكاشف، ومقياس الاغتراب اعداد الباحث. أظهرت النتائج عدم وجود فروق بين الطلاب ذوي القيم المختلفة (جمالية، سياسية، دينية، اجتماعية، نظرية) في الاغتراب، كما ظهر وجود فروق بين متوسطات الافراد ذوي القيم الجمالية، والقيم النظرية في الاغتراب لصالح الافراد ذوي القيم النظرية، وكان ترتيب القيم لدى المبتكرين المغتربين هي القيم النظرية، يليها القيم السياسية، والجمالية، والاقتصادية.

كما اهتمت دراسة سادينا وآخرون Sadeghia., et al, 2012 بدراسة النسق القيمي لدى الطلاب بالمدارس العليا، وشملت الدراسة (٦٠) طالب

و(٣٧٧) من غير الموهوبين، واستخدم مقياس القيم للبورث وآخرون، ومقياس التفضيلات المهنية لهولاند ومن أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة والمرتبطة بالدراسة الحالية أن ابرز القيم التي تساهم في التمييز بين الطلبة الموهوبين وغير الموهوبين هي القيم (الاجتماعية، والدينية، والجمالية، والسياسية)، كما ظهر وجود فروق في جميع القيم تبعا لحالة الموهبة حيث كانت القيم الفطرية والدينية لصالح الطلبة الموهوبين، في حين كانت القيم (الاقتصادية، الجمالية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية) لصالح الطلبة غير الموهوبين، ولم تظهر علاقة ارتباطية بين القيم النفسية والتفضيلات المهنية لدى الطلبة الموهوبين، كما ظهر عدم وجود فروق ذات دلالة في القيم النفسية تعزى لمتغير الجنس، والصف الدراسي، والتفاعل بينهما.

هدفت دراسة سهير ابو العلا (٢٠١٤) الى التعرف على طبيعة القيم، ومظاهر اضطراب النسق القيمي لدى الشباب، وواقع القيم واولوياتها لدى طلبة كلية التربية بأسوان، وشملت الدراسة (٢٩٦) من طلاب الجامعة، واستخدم استبيان القيم، وتوصلت النتائج ان أولويات القيم لدى الطلبة هي بالترتيب القيم الدينية، ثم الاجتماعية، والسياسية، والعلمية، والاقتصادية، والجمالية، وبالنسبة للقيم الدينية جاءت قيمة الصدق في المرتبة الأولى في منظومة القيم يليها لي الامانة، أما بالنسبة للقيم العلمية فجاء

قيمة الفهم في المرتبة الأولى في منظومة القيم يليها طلب العلم، وبالنسبة للقيم الاجتماعية فجاء الاحترام والطاعة في المرتبة الاولى في منظومة القيم، وبالنسبة وللقيم السياسية (العدل، والامن)، وبالنسبة للقيم الاقتصادية (ترشيد الاستهلاك، الانتاجية)، والقيم الجمالية(التهذيب، تأمل الطبيعة).

وتناولت دراسة أمينة شلبي وهدي أحمد(٢٠١٥) العلاقة بين القيم التي يتبناها الفرد والوجود الافضل، ومعرفة مدى اختلاف النسق القيمي لدى مرتفعي الوجود الافضل عن الوجود الافضل لدى المنخفضين، وشملت دراسة (٦٩٧)طالب وطالبة بالمرحلة الجامعية بالدمام، واستخدم مسح القيم العالمي لشوارتز، ومقياس الوجود الافضل اعداد هدي عبد اللطيف محمد، وأظهرت النتائج وجود ارتباط بين الوجود الافضل والقيم التي يتبناها الفرد وهي الطاعة والامثال، والتقاليد، والاحسان، والشمولية، كما ظهر اختلاف القيم التي يتبناها مرتفعي الوجود الافضل عن القيم التي يتبناها منخفضوا الوجود الافضل، فهي بالترتيب لدى مرتفعوا الوجود الافضل (الانجاز، الاحسان، التوجيه، والقوه، والسيطرة، والامن والطاعة، بينما لدى منخفضوا الوجود الافضل كان بالترتيب (التقاليد، الطاعة، الامن، الاحسان).

وطبقت دراسة وفاء محمد (٢٠١٦) على عينة من طلاب الجامعة منهم (٢٨٠ذكور، ١٢٠ إناث)،

على التعرف على ترتيب النسق القيمي لدى الفرد مثل دراسة على كاظم (٢٠٠٢)، فؤاد الموافي وآخرون (٢٠١١)، دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣)، صباح مسبل وحيدر ظاظا (٢٠١٤)، وفاء محمد (٢٠١٦).

- اهتمت الدراسات السابقة بمتغيرات الدراسة الحالية كل على حدة، ولم تجد الباحثة في حدود علمها دراسات متخصصة تربط بين القيم النفسية و الاندماج الاكاديمي، لذلك تسعى الدراسة الحالية الى فهم أعمق لطبيعة العلاقة بين هذه المتغيرات.

فروض الدراسة:-

- يوجد شيوع الاندماج الاكاديمي والقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة.

- يوجد شيوع للقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة.

- توجد علاقة ارتباطية بين الاندماج الاكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة.

- توجد فروق في كل من الاندماج الاكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي؟

المنهج والاجراءات:-

عينة الدراسة

لضمان تمثيل عينة الدراسة لمجتمعها تمثيلاً صادقاً تم اختيار عينه عشوائية من طلاب كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في التخصصات الآتية (علم النفس - علم الاجتماع - اللغة العربية -

واستخدم مقياس القيم النفسية، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة انتشار القيم النفسية لدى طلاب الجامعة) الإحساس بالمسؤولية، التسامح، علاقة الإنسان بربه، الأسرة، الصداقة، الأمانة، مساعدة الآخرين).

كما هدفت دراسة حيدر ظاظا (٢٠١٧) إلى ترتيب القيم النفسية لدى طلاب جامعة الأردن ، والتعرف على العلاقة بين القيم النفسية والذكاءات المتعددة، وشملت الدراسة (٢٠٧) من طلبة كلية العلوم التربوية بالأردن، وظهر أن القيم مرتبة كالتالي (الدينية، الاجتماعية، النظرية، الإقتصادية، السياسية، وأخيرا الجمالية)، كما ظهر وجود علاقة إرتباطية بين الذكاءات المتعددة والقيم النفسية.

التعليق على الدراسات السابقة:-

يتضح من خلال العرض السابق للدراسات السابقة

- اتجهت الدراسات في بحث الاندماج الاكاديمي إلى معرفة المتغيرات النفسية التي من شأنها تحسين مستوى الاندماج الاكاديمي لدى الطلاب كالدافعية الاكاديمية، والعوامل الأسرية، وفعالية الذات وتوجهات الهدف.

- ندرة في الدراسات التي اهتمت بالاندماج الاكاديمي لدى طلاب الجامعة بصفة عامة، وتحاول الدراسة الحالية سد ثغرة في هذا المجال.

- اتفاق الدراسات السابقة على اهمية النسق القيمي بالنسبة للفرد والمجتمع، مع تركيز معظم الدراسات

اللغات الأوربية - الدراسات الإسلامية - التاريخ -
 الجغرافيا) حيث بلغ عدد الطلاب (٢٥٠)، بالإضافة
 إلى عينة من طلاب كلية العلوم بجامعة الملك عبد
 العزيز بجدة في التخصصات الآتية (الرياضيات -
 الفيزياء - الكيمياء - الاحياء - الجولوجيا - علوم

فلكية) حيث بلغ عدد الطلاب (٢٥٠)، وبذلك بلغ
 عدد طلاب العينة الكلية (٥٠٠) طالب وطالبة، منهم
 (٢١٥ ذكور، ٢٨٥ إناث، ويبين جدول (١)
 خصائص أفراد العينة وفقاً للتخصصات والجنس.

جدول (١) : توزيع العينة حسب التخصص الأكاديمي (التخصصات الأدبية)

المتغير	العدد	الجنس		النسبة
		ذكور	إناث	
علم النفس	٥٠	٣٠	٢٠	%٢٠
علم الاجتماع	٣٥	١٥	٢٠	%١٤
اللغة العربية	٥٠	٢٠	٣٠	%٢٠
اللغات الأوربية	٢٠	١٠	١٠	%٨
الدراسات الإسلامية	٣٠	١٠	٢٠	%١٢
التاريخ	٣٥	١٥	٢٠	%١٤
الجغرافيا	٣٠	١٠	٢٠	%١٢
المجموع الكلي للعينة	٢٥٠	١١٠	١٤٠	%١٠٠

يتبين من جدول (١) أن تخصص علم النفس واللغة العربية كان بنسبة (٢٠%) وعلم اجتماع بنسبة (١٤%) بينما كانت أقل نسبة لطلاب تخصص اللغات الأوربية التي بلغت (٨%) من حجم عينة الدراسة.

جدول (٢): توزيع العينة حسب التخصص الأكاديمي (التخصصات العملية)

المتغير	العدد	الجنس		النسبة
		ذكور	إناث	
رياضيات	٥٠	٢٠	٣٠	%٢٠
فيزياء	٣٥	١٥	٢٠	%١٤
كيمياء	٥٠	٢٠	٣٠	%٢٠
أحياء	٣٥	١٥	٢٠	%١٤
الجولوجيا	٤٥	٢٠	٢٥	%١٨
علوم فلكية	٣٥	١٥	٢٠	%١٠
المجموع الكلي للعينة	٢٥٠	١٠٥	١٤٥	%١٠٠

يتبين من جدول (٢) أن تخصص الرياضيات والكيمياء كان بنسبة (٢٠%) والجولوجيا بنسبة (١٨%) بينما كانت نسبة الطلاب تخصص الفيزياء والأحياء والعلوم الفلكية (١٠%) من حجم عينة الدراسة.

وبيين جدول (٣) خصائص أفراد عينة الدراسة وفقاً للعمر

المتغير	العدد	النسبة
العمر	من ٢٠ سنة لأقل من ٢٣ سنة	٢٦٠ %٥٢
	من ٢٣ سنة لأقل من ٢٦ سنة	١٩٠ %٣٨
	من ٢٦ سنة إلى ٢٨ سنة	٥٠ %١٠
	المجموع الكلي	٥٠٠ %١٠٠

يتبين من نتائج جدول (٣) أن معظم الطلاب المجيبين على المقاييس من الفئة العمرية من ٢٠ سنة لأقل من ٢٣ سنة حيث بلغت نسبتهم (٥٢%) بينما بلغت نسبة الطلاب بالفئة العمرية من ٢٣ سنة الى ٢٦ سنة (٣٨%) وبالفئة من ٢٦ سنة لأقل من ٢٨ سنة (١٠%).

أدوات الدراسة

مقياس الاندماج الأكاديمي إعداد Fredericks, et al (2005) ترجمة مسعد ربيع أبو العلا

يتكون المقياس من (١٩) عبارة تتوزع على ثلاثة أبعاد للاندماج (السلوكي، الإنفعالي، المعرفي)، ويت الإجابة على عبارات المقياس بالإختيار من (تنطبق دائماً، تنطبق غالباً، تنطبق أحياناً، تنطبق نادراً، لا تنطبق أبداً)، وتتراوح الدرجة على كل مفردة من (٥-١) وفقاً لمدى الإنطباق، وتراوحت معاملات ارتباط ألفا في البيئة الأجنبية بين (٧٢، ٨٣)، وفي البية العربية تراوحت معاملات الارتباط بين درجة البند والدرجة الكلية للبعد بين (٧٨، ٨٦)، كما أن جميع معاملات الارتباط بين درجة البعد والدرجة الكلية مرتفعة حيث (٨٧)، للاندماج السلوكي، (٨٩)، للاندماج الإنفعالي، (٩٢)، للاندماج السلوكي مقياس القيم النفسية إعداد وفاء محمد

يتكون المقياس من مجموعة من القيم هي (الإحساس بالمسؤولية، التسامح، علاقة الإنسان بربه، الأسرة، الصداقة، الأمانة، مساعدة الآخرين)، وتم حساب

ثبات المقياس بطريقة إعادة التطبيق على عينة مكونة من (١٥) من شباب الجامعات، وتراوحت معاملات الارتباط بين (٥٥، ٦١)، كما تم حساب الصدق من خلال صدق المحكمين، كما تم حساب الإتساق الداخلي بحساب معامل الارتباط بين درجة البند والدرجة الكلية، وبلغ معامل الارتباط (٦٥، ٦٥). وفي الدراسة الحالية تم إعادة حساب الثبات والصدق على عينة من طلاب الجامعة (ن = ٣٠) منهم (١٥ ذكور، و ١٥ إناث) وبلغ معامل الثبات بطريقة الفاكرونباخ (٦٨)، لمقياس الاندماج الأكاديمي، (٧٢)، لمقياس القيم النفسية.

نتائج الدراسة

الفرض الأول:- يوجد انتشار للاندماج الأكاديمي لدى عينة من طلاب الجامعة . وللتحقق من صحة الفرض تم استخدام المتوسطات الحسابية والنسبية والانحرافات المعيارية والجدول التالي يوضح ذلك

جدول رقم (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسط النسبي لمقياس الاندماج الأكاديمي

الاندماج الأكاديمي	المتوسط الحسابي	المتوسط النسبي	الانحراف المعياري	الترتيب
الاندماج السلوكي	٤,٩٠	١٨	٢,٤١	٣
الاندماج الإنفعالي	٥,١٥	٣٦	٣,٠٩	٢
الاندماج المعرفي	١٠,١٢	٤٥	٧,٥١	١

من الجدول السابق يتضح أن الاندماج المعرفي أكثر أنواع الاندماج الأكاديمي انتشاراً يليه الاندماج الإنفعالي ثم الاندماج السلوكي، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية عن الاندماج الأكاديمي حيث يظهر بداية الاندماج المعرفي في رغبة الطالب في استثمار جهوده لإتقان المعارف والمهارات الصعبة أثناء عملية التعلم، ثم يليه الاندماج الإنفعالي حيث يظهر في الإهتمام وإظهار مشاعر الإنتماء وردود الأفعال تجاه العملية التعليمية ككل، وأخيراً الاندماج السلوكي ويشمل مشاركة الطلاب في الأنشطة الأكاديمية والاجتماعية المختلفة. كما تتفق نتيجة الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (Wang, et al., 2011) ونتائج دراسة (Fan&Willias, 2010) في أن الطلاب الأكثر اندماجاً أكاديمياً يركزون على التعلم، ويؤدون أداء

أفضل في الاختبارات ويلتزمون بقواعد الجامعة، كما أنهم يؤدون المهام المطلوبة منهم بكل حماس واجتهاد ومثابرة كما توصلت الدراسات أن الطلاب المندمجين أكاديمياً يسعون نحو الأنشطة العامة والتطوعية بالجامعة، ويتميزون بحب الاستطلاع والرغبة المستمرة المعرفة والتعلم. وترى الباحثة أن هذه النتيجة منطقية حيث تتفق مع طبيعة المرحلة التي يمر بها طلاب الجامعة في السعي نحو تحقيق الذات والجد والاجتهاد من أجل تحقيق طموحاتهم وأهدافهم.

الفرض الثاني:- يوجد انتشار للقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة. وللتحقق من صحة الفرض تم استخدام المتوسطات الحسابية والنسبية والانحرافات المعيارية والجدول التالي يوضح ذلك

جدول رقم (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسط النسبي لمقياس القيم النفسية

القيم النفسية	المتوسط الحسابي	المتوسط النسبي	الانحراف المعياري	الترتيب
الإحساس بالمسؤولية	١١,٣٥	١,٧٠	٣,٠٩	٧
التسامح	١٥,٠٢	٢,٦٥	٣,٥٦	٦
علاقة الإنسان بربه	٣١,١٠	٤,٥٦	٨,٤١	١
الأسرة	١٦,٧٦	٢,٩٠	٤,٣٧	٥
الصدقة	٢٥,٣٣	٣,٨٥	٦,١٩	٣
الأمانة	٢٦,٤٦	٤,٤٠	٧,٥٣	٢
مساعدة الآخرين	٢٠,٦٩	٣,٦٦	٦,٠١	٤

يتضح من الجدول السابق أن أكثر القيم النفسية انتشاراً هي علاقة الإنسان بربه، يليها الأمانة، ثم الصدقة، ثم مساعدة الآخرين، ثم الأسرة، والتسامح،

والاحساس بالمسؤولية، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية عن القيم التي توضح أنها تمثل أطراً مرجعياً تدور في فلكه وتتمحور حوله وتتشكل

وفقاً له تصورات الفرد العقلية، فهي جزء لا يتجزأ من نسيج الخبرة الانسانية، وذلك لتأثيرها على طموحات الافراد وتحديد اختياراتهم واتخاذ قراراتهم المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة. (أمنية شلبي و هدى أحمد، ٢٠١٥). وهذا يوضح سبب انتشار القيم النفسية لدى طلاب الجامعة. وترى الباحثة أن طلاب الجامعة في حاجة إلى تبني نسق قيمي يمثل سلوكهم، كما ان المجتمع في حاجة إلى مجموعة من القيم والضوابط التي تحكم سلوك الأفراد، حيث أن غياب القيم عن الفرد والمجتمع يؤدي إلى اغتراب الفرد عن المجتمع، والمجتمعات التي تهدف إلى استمرار تماسكها واستقرارها تولي اهتماماً خاصاً بالقيم وغرزه في أفرادها. وتوجهت غالبية الدراسات السابقة في موضوع الدراسة الحالية الى التعرف على النسق القيمي الأكثر شيوعاً لدى الطلاب، وترتيب النسق القيمي، مثل دراسة على كاظم (٢٠٠٢) حيث كشفت النتائج عن ترتيب النسق القيمي كالتالي القيم (الدينية، السياسية، النظرية، الإجتماعية، الإقتصادية، الجمالية)، ودراسة فؤاد الموفي وآخرون (٢٠١١) حيث كان ترتيب القيم هي القيم النظرية، يليها القيم السياسية، والجمالية، والاقتصادية.

و دراسة سادينا وآخرون Sadeghia., et al, 2012 أظهرت النتائج أن قيمة الامانة تحتل قمة النسق القيمي لدى الطلاب، ودراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣) وتوصلت النتائج الى وجود مستويات للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة بدرجة مرتفعة ومتوسطة، يوجد ترتيب للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة يبدأ بالقيم المرتبطة بالعمل، يليها القيم الدينية، ثم السياسية، والاقتصادية، والجمالية، وأخيراً الاجتماعية. ودراسة وفاء محمد (٢٠١٦) ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة انتشار القيم النفسية لدى طلاب الجامعة (الإحساس بالمسؤولية، التسامح، علاقة الإنسان بربه، الأسرة، الصداقة، الأمانة، مساعدة الآخرين). ودراسة حيدر ظاظا (٢٠١٧) حيث ظهر أن القيم مرتبة كالتالي (الدينية، الاجتماعية، النظرية، الإقتصادية، السياسية، وأخيراً الجمالية)،

الفرض الثالث:- توجد علاقة ارتباطية بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة. وللتحقق من صحة الفرض تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجات مقياس الاندماج الأكاديمي ومقياس القيم النفسية لدى عينة الدراسة والجدوال التالي يوضح ذلك

جدول (٦) معاملات الارتباط بين درجات مقياس الاندماج الأكاديمي ودرجات مقياس القيم النفسية

الاندماج المعرفي	الاندماج الانفعالي	الاندماج السلوكي	الاندماج الأكاديمي القيم النفسية
** ,٢٢١	** ,٣٣٢	** ,٥٣١	الإحساس بالمسؤولية
** ,٤١٢	** ,٤٩١	** ,٤٤٩	التسامح
** ,٥١٩	** ,٤١٨	** ,٦٥٢	علاقة الإنسان بربه
** ,٣٨٢	** ,٣٠١	** ,٣٧٢	الأسرة
** ,٦٣٧	** ,٣٣١	** ,٣١٠	الصداقة
** ,٥١٤	** ,٤٩٠	** ,٥٩٥	الأمانة
** ,٣٢٩	** ,٥٥٢	** ,٥١٣	مساعدة الآخرين

(**) دالة عند ٠,٠١

اغفلت هذه الأهمية في تحسين الاتجاه نحو القيم النفسية من حيث البحث والدراسة. الفرض الرابع:- توجد فروق في كل من الاندماج الأكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي. وللتحقق من صحة الفرض تم حساب قيمة (ت) لدلالات الفروق بين الذكور والإناث وأيضاً الطلاب ذوي التخصصات العلمية والتخصصات الأدبية على مقياس الاندماج الأكاديمي ومقياس القيم النفسية، والجدول التالي يوضح ذلك

يتضح من الجدول السابق وجود ارتباط دال بين درجات الطلاب على مقياس الاندماج الأكاديمي وأبعاده الفرعية، ودرجاتهم على مقياس القيم النفسية وأبعاده الفرعية، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية التي أوضحت أن ومن المتغيرات التي لها تأثير على القيم النفسية لدى الطلاب هو الاندماج الأكاديمي، ويعد أحد المفاهيم التي لها تأثير في دافعية الطلاب نحو عملية التعلم، كما أنه عامل جوهري وفعال في المخرجات التعليمية والاجتماعية الايجابية والاهتمام باكتساب نسق قيمى، واستثمار أوسع لجهود الطلاب في عملية التعلم.(Zhou&Winne, 2012) وبالرغم من أهمية الاندماج الأكاديمي في عملية التعلم وتكوين الاتجاهات والقيم النفسية، إلا أنه نجد الدراسات

جدول (٧) قيم ت للمقارنة بين الطلاب في الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية وفقا للجنس والتخصص

المتغيرات	ذكور (ن=٢١٥)		إناث (ن=٢٨٥)		قيمة (ت)	مستوى الدلالة	تخصصات عملية (ن=٢٥٠)		تخصصات نظرية (ن=٢٥٠)		قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري			المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري		
الاندماج الأكاديمي	٦,٥٣	٢,٩٣	٤,٤٨	١,٨٩	١,٧٩	غير دالة	٧,٢٧	٣,٠١	١١,٢٥	٤,٤١	١١,٧٨	٠,٠١
القيم النفسية	١٧,٤٤	٣,١٧	١٣,٦٩	٢,٧٥	١,٨٦	غير دالة	١٠,١١	٤,٠٢	١٦,٢٧	٥,٨٠	١٣,٧٩	٠,٠١

التي تم التوصل إليها في الدراسة الحالية منطقية نظرا لتقارب العمر الزمني لأفراد العينة، وأيضاً تقارب الظروف البيئية والتعليمية والأكاديمية، مما يشير إلى تقارب متوسط الطلاب في كلا المتغيرين. وفي حدود علم الباحثة لم يتم دراسة أثر متغير التخصص الدراسي، كمتغير ديموجرافي في الاندماج الأكاديمي أو القيم النفسية في إطار البحوث السابقة سوى دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣) كما اختلف النسق القيمي لدى طلاب الجامعة باختلاف التخصصات العلمية، والفرق الدراسية. وترى الباحثة انه يمكن تفسير ذلك في ضوء طبيعة المواد الدراسية ومستوى صعوبتها مقارنة بالمواد الادبية ومتطلبات الكليات العملية التي تمثل اجهدا على الطلاب مما يقلل من الإهتمام بمنظومة القيم ، فهي التي تحدد سلوكه وتدخل في بنائه النفسي. وأيضاً تخفض من اندماجه الأكاديمي.

توصيات الدراسة

- إعداد البرامج التدريبية لأعضاء هيئة التدريس لمساعدة الطلاب على تحقيق الاندماج الأكاديمي لما له من أهمية في العملية التعليمية ككل.

يتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق دالة بين الذكور والاناث في كل من الاندماج الأكاديمي والقيم والنفسية، في حين ظهر أن التخصصات النظرية أعلى من التخصصات العملية في كل من الاندماج الأكاديمي، والقيم النفسية، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية فيما يختص بالفروق في الجنس في الاندماج الأكاديمي مع نتائج دراسة شري حليم (٢٠١٥) حيث أوضحت عدم وجود فروق بين الذكور والاناث في الاندماج الأكاديمي. وفيما يتعلق بالفروق بين الذكور والاناث في القيم النفسية فانفقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة صباح مسبل وحيدر ظاظا (٢٠١٤) حيث توصلت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة في القيم النفسية تعزى لمتغير الجنس، والصف الدراسي، والتفاعل بينهما. في حين اختلفت نتيجة الدراسة الحالية مع نتائج دراسة سادينا وآخرون Sadeghia., et al, 2012 حيث أظهرت النتائج اختلاف ترتيب القيم بين الذكور والاناث. وأيضاً دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣) كما اختلف النسق القيمي لدى طلاب الجامعة باختلاف الجنس، والتخصصات العلمية، والفرق الدراسية. وترى الباحثة أن النتيجة

بالجهد الأكاديمي في ضوء متطلبات الجودة الشاملة. مجلة الارشاد النفسي، (٤٢ ج٣)، ٢٧١-٤٤٥.

- حيدر إبراهيم ظاظا (٢٠١٧). الذكاءات المتعددة وعلاقتها بالقيم النفسية لدى عينة من طلبة الجامعة الأردنية. مجلة دراسات في العلوم التربوية، الأردن، (٤٤)، ١٣٣-١٥٠.

- راشد على السهل ومصري عبد الحميد حنورة (١٩٩٨). مستوى الإحساس بالصدمة وعلاقته بالقيم الشخصية والإغتراب والإضطرابات النفسية عند الشباب دراسة ميدانية على عينة كويتية. المؤتمر السنوي الخامس، الإرشاد النفسي والتنمية البشرية، (١)، ١-٢٥.

- سهير عبد الطيف أبو العلا (٢٠١٤). النسق القيمي لدى طلبة كلية التربية بأسوان في ضوء بعض متغيرات القرن الحادي والعشرين. مجلة كلية التربية بأسسيوط، (١)٣٠، ١٧٣-٢٦٤.

- سيد محمدي حسن (٢٠١٥). التنبؤ بالاندماج الدراسي لدى طلاب المرحلة الثانوية من خلال المناخ المدرسي المدرك والذكاء الإنفعالي. مجلة كلية التربية بالأسكندرية، (١)٢٥، ٣٩٣-٥٠٠.

- شيري مسعد حليم (٢٠١٥). الدافعية الأكاديمية وعلاقتها بالاندماج المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية. مجلة دراسات عربية في علم النفس، (١)١٤، ٨٩-١٦٢.

- صباح فايز مسبل وحيدر إبراهيم ظاظا (٢٠١٤). التفضيلات المهنية والقيم النفسية التي يتميز بها الطلبة الموهوبين عن غيرهم في منطقة تبوك في المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١-١١٩.

- العمل على تنمية القيم النفسية لدى الطلاب لتشكيل الشخصية الانسانية لديهم .

- توجيه انتباه القائمين على العملية التعليمية على أهمية الدور الذي تلعبه القيم النفسية في تحقيق الاندماج الأكاديمي.

بحوث مقترحة:-

- التحقق من مدى فعالية برنامج إرشادي لتنمية القيم النفسية لدى طلاب الجامعة.

- التعرف على مدى فعالية برنامج تدريبي قائم على التعلم الذاتي لتحقيق الاندماج الأكاديمي لدى الطلاب.

- البحث في علاقة القيم النفسية بأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلاب.

- البحث في العوامل المنبئة بالاندماج الأكاديمي لدى الطلاب كالمسمات الشخصية.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- أمينة ابراهيم شلبي وهدي عبد اللطيف أحمد (٢٠١٥). القيم كمنبيات بالهناء الشخصي لدى طلبة المرحلة الجامعية. المؤتمر القومي السنوي التاسع عشر لتطوير التعليم الجامعي بجامعة عين شمس، (٣٠)، ١٤٤-١٨٤.

- بشير معمري (٢٠٠٧). التغير في ارتقاء القيم لدى ثلاث مجموعات عمرية من الجنسين. دراسات نفسية حول طلاب المدارس والجامعات. بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، جامعة الجزائر: المكتبة العصرية.

- حنان محمد الجمال (٢٠١٥). أنماط دعم أعضاء هيئة التدريس لطلاب الدراسات العليا وعلاقتها

- عصام فريد عبد العزيز (٢٠٠٧). قيم طلاب كلية التربية بسوهاج المتأخرين دراسيا وأهم العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعوق نجاحهم الدراسي. مجلة الثقافة والتنمية مصر، ٨ (٢٠)، ٩٠-١٣٠.
- علي مهدي كاظم (٢٠٠٢). القيم النفسية والعوامل الخمسة الكبرى في الشخصية. مجلة العلوم التربوية والنفسية، البحرين، ٣ (٢)، ١١-٤٢.
- عمار بو جمعة (٢٠١٥). دور العوامل الاسرية في الاندماج والتحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة النهائية. مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية الجزائر، ٦ (٦)، ١٤٧-١٦٦.
- فؤاد حامد الموافي وسعاد أحمد عبد الغفار ونداء الشربيني بسيوني وممدوح عبد المنعم الكناني (٢٠١١). النسق القيمي لدى المبتكرين ذوي الشعور بالاغتراب. مجلة بحوث التربية النوعية، ٢٣ (٢٣)، ٢٧٢-١٩٦.
- محمد المري اسماعيل واحسان شكري حجازي (٢٠١٣). النسق القيمي لدى عينة من طلبة جامعة الزقازيق بعد ثورة (٢٥) يناير. مجلة دراسات نفسي، ٧٩ (١)، ٦٦-٦٦.
- مسعد ربيع أبو العلا (٢٠١١). نمذجة العلاقة بين توجهات الهدف وفعالية الذات والاندماج المدرسي والتحصيل الاكاديمي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية. مجلة البحوث النفسية والتربوية جامعة المنوفية، ٢٦ (١)، ٢٥٧-٣٠٢.
- وفاء حافظ محمد (٢٠١٦). المجتمعات الافتراضية وعلاقتها بالتحويلات في القيم النفسية والاجتماعية لدى شباب الجامعات. مجلة الخدمة الاجتماعية مصر، ٥٥ (٥٥)، ٤٠٩-٤٥٧.
- يوسف عبد الصبور صالح (٢٠٠٢). منظومة القيم وعلاقتها بالوعي الاقتصادي والتزكية النفسية للمنتج الوطني لدى طلاب كلية التربية بسوهاج. مجلة أبحاث ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام مصر، ١-٢٨.

ثانيا: المراجع الأجنبية

- Cowan, J(2012). Self engagement and met cognition in middle student: M.D. Mount saiant Vincent university .
- Dipietro, M. (2011). Changes in value orientations of colloge students :Assessing the impact of economic and social events over the last Decade . undergrand vate research , New York.
- Daniel, W., Cox, A., Bjornsen., Thomas,S., krieshok., Yan, L.(2016) . Occupational engagement and academic major satisfaction: Vocational identity's mediating role, The career development quarterly JUNE .(64), 169-180
- Fan, W& Williams, M.(2010). The effects of parental involvement on students' academic , self-efficacy engagement and intrinsic motivation, Educational psychology, 30(1), 53-74.
- Guang,Z., Hanchao , H., Kaiping, P.(2016). Effect of growth Mindset on school engagement and psychological well-Bing of Chinese Primary Middle School Students : The Mediating Role of Resilience , Original research published,(29), 1-8.
- Jariam, D& Kahi, D.H.(2012). Navigating the doctoral experience the rol of social support in

successful degree completion. *International journal of studies*, (7), 311-329.

- Joshanloo, A.M., Ghaedi, B. G.(2009). Value priorities as predictors of hedonic and eudemonic aspects of wellbeing, *journal of positive psychology*, (47), 101-162.

Jonsson, L., Baraldi, E., Larsson, L.(2015). A broadened innovation support for mutual benefits: academic engagement by universities as part of technology transfer, *International Journal of Technology Management & Sustainable Development*, 2(14), 71-92.

- Keith, C., Radley, E., Evan, H., Dart, ; Roderick, A., Ohandley, A.(2016) The quiet classroom game: a class-wide intervention to increase academic engagement and reduce disruptive behavior, *School Psychology Review*, 45(1), 93-108.

- Perkmann, M., Riccardo, F., Michael, J., Ross, A., Silvestri, V., Valentina, T (2015) Accounting for universities' impact: using augmented data to measure academic engagement and commercialization by academic scientists. *Research Evaluation*, (24), 380-391.

- Sadeghia, A., Shokouk, S., Alikhani, S.(2012). A survey on the hierarchy of values system of high school students interdisciplinary. *Journal of contemporary research in business*, 3(9), 388-494.

- Schwartz, S. H. (2012). An overview of basic values. *Psychology and Culture*, 2(1), 5-12.

- Siran, A., Koohbanai, S., Vahidi, T.(2013). The relation between social support and self-efficacy with academic achievement and school satisfaction among female junior High school students in Brigand. *Social and Behavioral sciences*, (84), 668-673.

- Wang, M. T & Eccles, J.S(2013). School context, achievement motivation and academic engagement. *Longitudinal study of school engagement using a multidimensional. Perspective learning and instruction*, (28), 12-23.

- Wilson, D., Jones, D., Bocell, F., Crawford, J., Kim, M., Veilleux, N., Floyd, S., Bates, R., Plett, M.(2015). Belonging and Academic Engagement Among Undergraduate stem Students: A multi-institutional Study. *Res high educ*, (56), 750-776.

- Xavier, O., Alberto, A., Michelle, M., Slivia, C., Rafael, M.(2016). Emotional creativity as predictor of intrinsic motivation and academic engagement in university students: the mediating role of positive emotions. *original research published*, (25), 1-9.

- Zhou, M & Winne, P.(2012). Modeling academic achievement by self-report versus traced goal orientation. *Learning and instruction*.

Gottschalg, O & Zollo, M(2007). Interest alignment and competitive advantage. *Journal of academy of management review*. 32(2), 418-437.

Academic engagement and its relation with psychological values in a sample of university students in the light of some demographic variables (English Abstract)

Shrooq Gharmallah Alzahrani

Assistant professor of Psychology

Faculty of Arts- king Abdelaziz university

Abstract. The aim of this current study is to identify the Prevalence of Academic engagement and psychological values, also identify the relationship between Academic engagement and psychological values to a sample of university students, As well as the differences between male and female in Academic engagement, and psychological values , This study includes a sample of university students(N=500),(215male and285 female) the researcher used Academic engagement Scale and psychological values Scale. The result showed that a Prevalence of Academic engagement and psychological values, and a relationship between them, no differences between male and female in Academic engagement, and psychological values, but there are differences led to academic specialization.

العلاقة بين الاتجاه نحو الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات لدى عينة من طلاب

د. أحمد نزار محمد قبيسي و أ.د. محمد سعيد الغامدي و د. عصام عبد اللطيف العقاد

جامعة الملك عبدالعزيز جامعة الملك عبدالعزيز جامعة سوهاج

مستخلص. هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الاتجاه نحو الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات لدى عينة من طلاب جامعة الملك عبدالعزيز، ولتحقيق هذا الهدف قام الفريق البحثي بتصميم مقياس عمليات الإرشاد الأكاديمي والذي يمكن من استطلاع اتجاه الطلاب نحو خدمات الإرشاد الأكاديمي بالجامعة، إضافة إلى استخدام مقياس تقدير الذات لروزنبرج Rosenberg بعد تعريبه من قبل الباحثين وتم تطبيق المقياسين على عينة عشوائية بلغت ٥٢٨ (٢٦٥ طلاب و ٢٦٣ طالبات) ممن يدرسون بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة عن العام الدراسي ١٤٣٧-١٤٣٨ هـ وذلك في ضوء بعض المتغيرات الشخصية لمفردات العينة وهي (النوع - الكية - المعدل التراكمي) وقد أظهرت نتائج التحليل باستخدام عدد من الأساليب الإحصائية اتجاهاً عاماً نحو إيجابية بعد خدمات الإرشاد الأكاديمي حيث جاءت استجابات عينة الدراسة في ضوء شدة الاتجاهات أن المرشد الأكاديمي يساعد في تسجيل الساعات الدراسية المتوافقة مع قدرات الطالب والنظام الجامعي وأن وجود الإعلانات الواضحة والإرشادات ساعد على الإرشاد الأكاديمي وأن تواجد المرشد الأكاديمي بمكتبة خلال الساعات المكتبية وشرحه لتفاصيل الخطة الدراسية وتعاطفه مع الطلاب أسهم بشكل ملموس في رضا الطلاب مما كان له عظيم الأثر على الطلاب في تقديم أفضل ما لديهم، وكذلك أسفرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات المرتفع حيث كان لدى الطلاب الشعور بأنهم يمتلكون صفات جيدة ويشعرون بالقيمة والتوجه الإيجابي نحو الذات وشعور عام بالرضا عن النفس كذلك أظهرت النتائج وجود تأثير واضح لكل من النوع والكلية على درجة إيجابية الاتجاه نحو خدمات الإرشاد الأكاديمي مما قد يدل على تفاوت في توفير تلك الخدمات من كلية لأخرى ووجود هذا التفاوت أيضاً بين شطري الطلاب والطالبات، أما المعدل التراكمي فلم يثبت له تأثير .

وقد أبدى مفردات عينة الدراسة رغبتهم في تفرغ المرشدين لعملية إرشاد الطلاب وأوصت الدراسة بضرورة زيادة فاعلية خدمات الإرشاد الأكاديمي لتكوين مفهوم إيجابي وواقعي عن الذات لدى طلاب الجامعات السعودية خاصة والعربية عامة، كما قدمت الدراسة بعض المقترحات لبحوث مستقبلية ذات العلاقة.

واقترح الباحثون ضرورة تخصيص الدراسات في مرحلة ما بعد البكالوريوس لتدريس الإرشاد الأكاديمي وتأطيره مهنياً وتكوين الجمعيات العلمية المهنية لتطوير العاملين فيه، وضرورة تطويره من أجل مواكبة التطور المهني وليكون شمولياً ليساهم في تطوير الطلاب في جميع الجوانب الحياتية.

concept questions. CBE-Life Sciences Education, 323(5910), 122–124.

U.S. Census Bureau. (2014). Educational attainment in the United States [Data file]. Retrieved

from <http://www.census.gov/hhes/socdemo/education/data/cps/2013/tables.html>

Wilensky, H. L. (1964). The professionalization of everyone? American Journal of Sociology, 70(2), 137–158.

Websites:

Self-determination theory: an approach to human motivation and personality. <http://www.psych.rochester.edu/SDT/theory.html>

<http://www.nacada.ksu.edu/About-Us/Vision-and-Mission.aspx>

<http://www.qu.edu.sa/Academic/Pages/Academic-Advising.aspx>

جامعة القصيم وحدة الإرشاد الأكاديمي

<http://www.aiu.edu.sy/ar/Page77/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D8%B4%D8%A>

7%D8%AF-

%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%8A

الجامعة العربية الدولية - سوريا

<http://www.mu.edu.sa/ar/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA/%D9%83%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9/%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D8%B4%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%87%D8%AF%D9%81%D8%A9>

المجمعة

<http://faculty.ksu.edu.sa/12535/test/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D8%B4%D8%A7%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%8A.pdf>

جامعة فيلادلفيا كلية الحقوق

- Daler, M. (1997), *The Use of Developmental Advising Models by Professional Academic Advisors*, (n.p.) Master's thesis, Virginia Polytechnic Institute and State University, USA.
- Darling, R. & Woodside, M. (2007). The academic advisor as teacher: First-year transitions. In M. S. Hunter, B. McCalla-Wriggins, & E. R. White (Eds.), *Academic advising: New insights for teaching and learning in the first year* (Monograph No. 46 [National Resource Center]; Monograph No. 14 [National Academic Advising Association]; (pp. 5–17). Columbia: University of South Carolina, National Resource Center for the First-Year Experience and Students in Transition.
- Evetts, J. (2003). The sociological analysis of professionalism: Occupational change in the modern world. *International Sociology*, 18(2), 395–415.
- Freud, S. (1920). *Beyond the Pleasure Principle*. Hogarth, London
- Grites, T. J., & Gordon, V. N. (2009). The history of NACADA: An amazing journey. *NACADA Journal*, 29(2), 41–45.
- Habley, W. R. (2009) Academic advising as a field of inquiry. *NACADA Journal*, 29(2), 76–83.
- Kolb, J. B. (Ed.). (2008). *Encyclopedia of business ethics and society*. Los Angeles: Sage.
- Klass, A. A. (1961). What is a profession? *Canad. M. A. J.*, 85, 698–701.
- Kuhn, T., & Padak, G. (2008). Is academic advising a discipline? *NACADA Journal*, 28(2), 2–4.
- Lowenstein, M. (2005). If advising is teaching, what do advisors teach? *NACADA Journal*, 25(2), 65–73.
- Lumina Foundation. (2012). *A stronger nation through education*. Retrieved from http://www.luminafoundation.org/publications/A_stronger_nation.pdf
- Lynch, M. L., & Stucky, K. (2000.) Advising at the millennium: Adviser roles and responsibilities. *NACADA Journal*, 21(1&2), 15–31.
- Macionis, J. J. (2007). *Sociology* (11th ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson Prentice Hall.
- McGillin, V. A. (2000). Current issues in advising research. In V. N. Gordon & W. R. Habley (Eds.), *Academic advising: A comprehensive handbook* (pp. 365–380). San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Molitor, F., Kravitz, R. L., To, Y., & Fink, A. (2001). Methods in survey research: Evidence for the reliability of group administration vs. personal interviews. *American Journal of Public Health*, 91(5), 826–827.
- National Academic Advising Association (NACADA). (2014a). About NACADA. Retrieved from <http://www.nacada.ksu.edu/About-Us.aspx>
- National Academic Advising Association (NACADA). (2014b). NACADA by-laws. Retrieved from <http://www.nacada.ksu.edu/About-Us/By-Laws-Policies.aspx>
- Prather, E. E., & Brissenden, G. (2009). Clickers as data gathering tools and students' attitudes, motivations, and beliefs on their use in this application. *Astronomy Education Review*, 8(1), 010103-1, 10.387/AER2009004. Retrieved from http://www.portico.org/Portico/#!/journal/AUSimpleView/tab=HTML?cs=ISSN_15391515?ct=E-Journal%20Content?auId=ark:/27927/pgg3ztfc67p
- Shaffer, L. S., Zalewski, J. M., & Leveille, J. (2010). The professionalization of academic advising: Where are we in 2010. *NACADA Journal*, 30(1), 66–77.
- Smith, M. K., Wood, W. B., Krauter, K., & Knight, J. K. (2009). Why peer discussion improves student performance on in-class

- Johnson, A., Larson, J. & Barkemeyer, J. (2015), Academic Advising Is Not a Profession: Who Knew?, *The Mentor: An Academic Advising Journal*, Penn State University, The Division of Undergraduate Studies, USA, viewed on <https://dus.psu.edu/mentor/2015/03/academic-advising-not-a-profession/>, retrieved on 10 Sept. 2015.
- Kol, B. (Ed.) (2008). *Encyclopedia of business ethics and society*. Los Angeles: Sage.
- Larty, S. (2003) In *Living Color: an Intercultural Approach to Pastoral Care and Counseling*, Kingsley, Jessica Publishers.
- Leung, S. (2008), The Big Five Career Theories, in Athanasou, J. & Esbroeck, E.(2008), *International Handbook of Career Guidance*, Springer Science - Business Media pp. 115-132.
- Lowenstein M. (2014), Towards a Theory of Advising, *The Mentor: An Academic Advising Journal*, August 12, 2014, <https://dus.psu.edu/mentor/2014/08/toward-a-theory-of-advising/> viewed on 15 September 2015.
- Macionis, J. J. (2007). *Sociology* (11th ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson Prentice Hall.
- Murray, H (1938). *Explorations in Personality*. Oxford University Press, New York.
- Pedersen, P. (1990), The Multicultural Perspective as the Fourth Force in Counseling, *The Journal of Multicultural Counseling*, 12: 93-95
- Shaffer, L. S., Zalewski, J. M., & Leveille, J. (2010). The professionalization of academic advising: Where are we in 2010. *NACADA Journal*, 30(1), 66–77.
- Wilensky, H. L. (1964). The professionalization of everyone? *American Journal of Sociology*, 70(2), 137–158.
- Adams, A. C., Larson, J. M., & Barkemeyer, J. P. (2013, May 23). Academic advising as a profession: How advisers in Utah view the occupation. *The Mentor: An Academic Advising Journal*. Retrieved from <http://www.dus.psu.edu/mentor>
- Aiken-Wisniewski, S. A., Smith, J. S., & Troxel, W. G. (2010). Expanding research in academic advising: Methodological strategies to engage advisers in research. *NACADA Journal*, 30(1), 4–13.
- Appleby, D. C. (2008). Advising as teaching and learning. In V. N. Gordon, W. R. Habley, T. J. Grites, and Associates, (Eds.), *Academic advising: A comprehensive handbook* (2nd ed., pp. 85–102). San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Bunz, U. (2005). Using Scantron versus an audience response system for survey research: Does methodology matter when measuring computer-mediated communication competence? *Computers in Human Behavior*, 21(2005), 343–359.
- Bureau of Labor Statistics (BLS). (2014, March 24). *Employment Projections* [Data file]. Retrieved from http://www.bls.gov/emp/ep_chart_001.htm
- College Board. (2015). *College Costs: FAQ's*. Retrieved from <https://bigfuture.collegeboard.org/pay-for-college/college-costs/college-costs-faqs>
- Cook, S. (2009). Important events in the development of academic advising in the United States. *NACADA Journal*, 29(2), 18–26.
- Creamer, D. G. (2000). Use of theory in academic advising. In V. N. Gordon, W. R. Habley, and Associates, (Eds.), *Academic advising: A comprehensive handbook* (pp. 18–34). San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Crookston, B. B. (1994). A developmental view of academic advising as teaching. *NACADA Journal*, 14(2), 5–9.

entitles members to professional development, career promotion and financial security in return for their professional and comprehensive academic advising.

6. The establishment of at least a professional society and a scientific journal for academic advising in Arabic language that can support academic advising professionals and help them in their pursuit of professional development.

7. the development of advising models that incorporate and improve existing models to be more culturally suitable and sensitive to that of the Arab, Gulf and Saudi cultures to ensure higher levels of effectiveness.

8. To ensure that academic advising education and professional practice include the rapidly changing and newly emerging study programs and careers for better preparation for future job markets and needs.

9. The support of research to study the following:

- a. The effectiveness of academic advising policies in various Saudi universities,
- b. The comparison between policies and practice of academic advising within universities, between various universities and between public and private universities.
- c. The needs as well as interests in academic advising professions which may help in establishing sufficient study programs as well

as in recruiting interested and qualified people for the profession.

d. The presentation of internationally recognized academic advising models and how can they be applied in Saudi Arabia as well as in the Gulf region and the Arab world.

Acknowledgement

This project was funded by the Deanship of Scientific Research (DSR) at King Abdulaziz University, Jeddah, under grant no. **G 602 - 143 -37**. The authors, therefore, acknowledge with thanks DSR for technical and financial support.

Dr. Ahmed Nezar Kobeisy

Principal Investigator

Grant No. G 602 -143 -1437

References:

- Bureau of Labor Statistics, U.S. Department of Labor (2015), The Occupational Outlook Handbook, the Online Version, <http://www.bls.gov/ooh/community-and-social-service/school-and-career-counselors.htm> retrieved on 10 Sept. 2015
- Deci, E L and Ryan, R M (2000). The “what” and “why” of goal pursuits: human needs and the self-determination of behavior. *Psychological Inquiry*, 11, 4, 227–68.
- Deci, E L, Koestner, R, and Ryan, R (1999). A meta-analytic review of experiments examining the effects of extrinsic rewards on intrinsic motivation. *Psychological Bulletin*, 125, 627–68.
- Evetts, J. (2003). The sociological analysis of professionalism: Occupational change in the modern world. *International Sociology*, 18 (2), 395–415.

where the following statements were selected the most: (1) I feel that I am a person of worth, at least on an equal plain with others, (2) I take a positive attitude toward myself, (3) I am able to do most things as well as most other people, and (4) On the whole, I am satisfied with myself with S.D. 17.88%, 18.72%, 18.89%, 19% & 19.13% respectively.

The results indicated positive linear relationships between the constructs of both scales (i.e. the attitude towards academic advising services and Self-Esteem).

Recommendations:

Based on both, the literature and the study results, the research team recommends the following:

1. Due to the importance of self esteem in the improving the mental health and other life functioning among students, it is very important to develop the practical means including educational programs and training to develop, monitor and support the self -esteem among students from early ages in pre-college education to enhance the likelihood of securing a higher level of education and success in life in general.
2. Academic advising is very important for all developmental areas for college students. It is, therefore, very important to make certain that a high level and standardized level of academic

advising is provided for students not only after they join the university but perhaps reach out to them while in high schools before they even apply to the university. As a matter of fact, many prominent universities in the West publicize their academic advising standards and services as one of the criteria for encouraging recruitment of new and achieving students.

3. The establishment of formal profession of academic advising including the specific educational programs starting from the Master's level to graduate professional academic advisors, and to establish professional careers among universities for academic advisors which allow for promotions and career development.
4. The development of programs, conferences, workshops to improve the effectiveness of academic advising officers or providers within the KAU University which will help in the development of standards for the profession in the Kingdom, improving the quality of services and reducing the gap between various colleges and between the males and females' sections.
5. The development of specialized educational programs at the Master's level in Academic Advising thus creating a career path of Academic advising as a profession which

II. The researchers found that there are significant positive linear correlations among the constructs of the academic advising services and the self-esteem, and that the total

summated rates from all items of the measurements instrument, at significant level less than (0.001) (see table 14).

Table (14): Construct Validity for the constructs of the academic advising services and Self-esteem scale

No	Constructs	Pearson correlation coefficient	Significant level
١	academic advising services	0.811	0.001***
٢	Self-esteem scale	0.622	0.001***

*** Significant at a level less than (0.001)

Conclusion:

This study aimed at finding the relationship between the attitude toward academic advising and self esteem among a sample of King Abdulaziz University students. In order to achieve this goal, the research team developed a scale to measure the academic services at the University and used the Rosenberg's Self Esteem scale. Both instruments were applied to randomly selected sample of N=519 (256 Males & 364 Females) that represented various colleges and varying GPAs.

The scales' consistency, validity and reliability were examined and proven.

Results indicated positive attitude towards academic advising services with Mean of 2.54 and Standard Deviation of 25.95% where the most selected statements were: (1) The academic advisor helps in registering the study

hours which are most suitable for the student and the policies, (2) there are clear signs and guidelines in the Dept. that help receiving academic advising, (3) The academic advisor is available during office hours, (4) The academic advisor explains the relationship between courses and the study plan, and (5) the academic advisor encourages the student to do his/her best with S.D. of 30.47%, 31.56%, 31.91%, 33.87% and 35.18 respectively.

The variables of gender and faculty type proved to have had significant effects on the results while the GPA variable did not, thus indicating the variation in providing such services between various colleges on the one hand, and between the males and females' sections on the other.

The results also showed positive responses for self-esteem with M= 3.33, and S.D. =14.79

Table (12): F-test to measure the significant effect of GPA segments on the level of the academic advising services

GPA	MEAN	S.E	F-test	Significant level
Acceptable	٢,٤٣٩٤	0.42	٢,١٣٥	٠,٠٩٦
Good	٢,٦٠٢٥	0.11		
Very good	٢,٤٣١٥	0.05		
Excellent	٢,٢٨٩٠	0.07		
Total	٢,٤٣٤٤	0.04		

As for the fourth question:

4. What is the relationship between students' view of academic advising services and students' self-esteem?

To answer this question, several steps were taken:

- I. The researchers used Pearson's Correlation Coefficient to measure the internal consistency for the constructs of the Academic Advising Services and the Self-esteem Scales (see table 13) which revealed the presence of significant

positive linear correlation between the academic advising services and the self-esteem and the level of multiple items that make up a composite score of each construct at significance less than (0.001). Furthermore, the Pearson's Correlation Coefficient for all multiple items were found to be greater than (0.50) thus allowing us to conclude that the measured variables represent or correlate with its construct.

Table (13): Internal Consistency for the constructs of the academic advising services and Self-esteem scale

Item no.	Pearson correlation coefficient	Sig.	Item no.	Pearson correlation coefficient	Sig.
academic advising services			Self-esteem scale		
١	0.650	0.001***	١	0.578	0.001***
٢	0.692	0.001***	٢	0.545	0.001***
٣	0.768	0.001***	٣	0.578	0.001***
٤	0.801	0.001***	٤	0.622	0.001***
٥	0.806	0.001***	٥	0.631	0.001***
٦	0.746	0.001***	٦	0.605	0.001***
٧	0.639	0.001***	٧	0.729	0.001***
٨	0.746	0.001***	٨	0.738	0.001***
٩	0.751	0.001***	٩	0.698	0.001***
١٠	0.818	0.001***	١٠	0.703	0.001***
١١	0.759	0.001***			

*** Significant at a level less than (0.001).

Table (11): LSD test to measure the significance of the differences between each of the two categories for the construct of the academic advising services

Faculty type	Mean Difference					
	Faculty of Computer and Information Technology	Faculty of Arts and Humanities	Faculty of Engineering	Faculty of Business Administration	Faculty of Preparatory Year	Faculty of Science
Faculty of Computer and Information Technology	---					
Faculty of Arts and Humanities	0.40*	---				
Faculty of Engineering	0.21	-0.19	---			
Faculty of Business Administration	0.18	-0.22	-0.03	---		
Faculty of Preparatory Year	0.00	-0.40*	-0.21	-0.18	---	
Faculty of Science	0.31	-0.09	0.10	0.13	0.31*	---
Other Faculties	-0.37	-0.78*	-0.59*	-0.56*	-0.38*	-0.19*

According to LSD-test it can be concluded that:

- With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences between Faculty of Computer and Information Technology and Faculty of Arts and Humanities, with a positive attitude towards the first faculty, at significant level less than (0.05).
- With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences among Faculty of Arts and Humanities, Faculty of Preparatory Year, and other faculties, with a positive attitude towards the last two categories, at significant level less than (0.05).
- With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences among Faculty of

Engineering, Faculty of Business Administration, Faculty of Preparatory Year, Faculty of Science, and other faculties, with a positive attitude towards the last category, at significant level less than (0.05).

- With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences between the Faculty of Preparatory Year and the Faculty of Science, with a positive attitude towards the latter, at a significant level less than (0.05) (see table 11). As for the GPA variable, the researchers used F-test to measure the effects of the GPA on the level of perception of academic advising services. As a result, there was no significance of the GPA on any of the construct of academic advising scale (see table 12).

level of the construct of the academic advising services (See table 9).

Table (9): t-test to measure the significant effect of gender segments on the level of the academic advising services

construct	gender	MEAN	S.E	t-test	Significant level
academic advising services	male	٢,٧٣	٠,٠٤٢	٦,٨٣٣	***,٠,٠٠١
	female	٢,٣٥	٠,٠٣٦		

*** Significant at a level less than (0.001)

II. One way analysis of variance (ANOVA) to measure the significant effect of demographic variables in terms of faculty type and grade point average on the level of the construct of the academic advising services.

It was found that there are significant effects of gender on the level of the constructs of the academic advising services with a higher level from male students at a significant level less than (0.001) (See table 10).

Table (10): F-test to measure the significant effect of faculty type segments on the level of the academic advising services

faculty type	MEAN	S.E	F-test	Significant level
Faculty of Computer and Information Technology	٢,٧٦٧٧	0.17	٩,٣٤٦	٠,٠٠١***
Faculty of Arts and Humanities	٢,٣٦٢٩	0.03		
Faculty of Engineering	٢,٥٥٣٠	0.15		
Faculty of Business Administration	٢,٥٨٥٢	0.18		
Faculty of Preparatory Year	٢,٧٦٢٩	0.05		
Faculty of Science	٢,٤٥٤٥	0.16		
Other Faculties	٣,١٤٠٥	0.32		
Total	٢,٥٤	0.03		

*** Significant at a level less than (0.001)

And to test the effect of the faculty type on the constructs, it was found that there are significant effects of faculty type segments on the level of the construct of the academic advising services, at significant level less than (0.001). Because there are significant

differences between the responses of the research sample in different categories, it became necessary to test the least significant difference to determine the significance of the differences between each of the two categories separately, as in the following (table 11):

- With regard to the view of males at King Abdul-Aziz University on the reality of academic advising services, there are significant differences between the sample's mean and population's parameter ($\mu=2.5$), at significant level less than (0.05) in terms of the construct of academic advising services. Therefore, we reject null hypothesis that ($\mu=2.5$), according to 4- Likert Scale, and we accept alternative hypothesis that ($\mu>2.5$). Thus, we support the higher perceived value of academic advising services from the perspective of males at King Abdul-Aziz University, at the detailed level of the indicator variables and total construct.
- With regard to the view of females at King Abdul-Aziz University on the reality of academic advising services, There are significant differences between sample's mean and population's parameter ($\mu=2.5$), at significant level less than (0.05) in terms of the construct of academic advising services,

except for two indicator variables of (q1) and (q9). Therefore, we reject null hypothesis that ($\mu=2.5$), according to 4- Likert Scale, and we accept alternative hypothesis that ($\mu<2.5$), except for the two indicator variables of (q2) and (q7). Thus, we support the perceived lower value of academic advising services from the perspective of females at King Abdul-Aziz University, at the detailed level of the indicator variables and total construct.

With regard to the second question:

2. What is the relationship between the academic advising services and the self-esteem scale in sample units?

In order to answer this question, the researchers used Pearson correlation matrix to measure a significant linear relationship between the constructs of academic advising services and the constructs of self-esteem scale, to test the second research question, (see table 8).

Table (8): Pearson correlation matrix to measure a significant relationship between the construct of academic advising services and the construct of Self-esteem scale

Constructs	academic advising services	Self-esteem scale
academic advising services	1	
Self-esteem scale	0.092*	1

* Significant at a level less than (0.05)

The researchers found that there are significant positive linear relationships between the constructs of academic advising services and the constructs of Self-esteem scale, at significant at a level less than (0.05).

With regard to the third question:

3. Do any of the demographic variables (e.g. gender, faculty type, and grade point average) have a significant effect on the students' view of academic advising services?

The constructs of the third research question can be classified into the following:

A. Independent Variables: They are gender, faculty, and grade point average.

B. Dependent Variable: It is the level of the construct of the academic advising services.

To answer the third research question, the researchers did the following:

to test the effect of demographic variables on the level of the construct of the academic advising services, the researcher used the following statistical techniques:

- I. T-test for two independent samples to measure the significant effect of demographic variables in terms of gender segments on the

academic advising services, if ($H_0: \mu > 2.5$), to test the first research question, as in the following. (see T-test results in table 7):

Table (7): t-test to measure the reality of academic counseling services from the perspective of male and female at King Abdul-Aziz University- population's parameter ($\mu=2.5$)

variables	sex	MEAN	SE	t-test	Significant level
1-There are signs and directions in the Department that encourage seeking academic advising	male	2.74	0.056	4.27	0.001***
	female	2.50	0.046	0.032	0.975
2-The academic advisor helps students in registering the hours' load that is suitable for the Student's abilities and according to the University's policies.	male	2.91	0.049	8.31	0.001***
	female	2.67	0.055	3.08	0.002**
3-The academic advisor follows the student's level during the semester	male	2.61	0.075	1.85	0.105
	female	2.09	0.046	8.95	0.001***
4-The academic advisor encourages the student to improve ideas in his/her major	male	2.77	0.058	4.72	0.001***
	female	2.10	0.046	8.79	0.001***
5-The academic advisor provides students with advice and guidance throughout the whole semester	male	2.65	0.059	2.52	0.012*
	female	2.14	0.048	7.41	0.001***
6-The academic advisor explains the relationship between the courses and the details of the Department's study plan	male	2.75	0.053	4.82	0.001***
	female	2.38	0.053	2.28	0.023*
7-The academic advisor attends his/her office during the time specified for academic advising	male	2.84	0.058	5.79	0.001***
	female	2.80	0.054	5.54	0.001***
8-The student generally feels satisfied about the level of academic advising	male	2.67	0.055	3.13	0.002**
	female	2.35	0.055	2.75	0.006**
9-The student feels gratitude for the expediency and competent service provided by the academic advisor	male	2.68	0.053	3.39	0.001***
	female	2.45	0.059	0.80	0.424
10-The academic advisor encourages the student to offer at his/her best	male	2.79	0.056	5.14	0.001***
	female	2.25	0.049	5.17	0.001***
11-The academic advisor makes the student feels comfortable through sympathy and solving his/her psychological and social problems	male	2.65	0.059	2.58	0.011*
	female	2.15	0.053	6.56	0.001***
Total	male	2.73	0.042	5.49	0.001***
	female	2.35	0.036	4.07	0.001***

* Parameter is significant at the (.05) level

** Parameter is significant at the (.01) level

***Parameter is significant at the (.001) level

2. With regards to Self-Esteem scale (table 6):

Table (6): Descriptive statistics for the construct of Self-Esteem scale

NO.	statements	MEAN	SD	CV	RANK
١	On the whole, I am satisfied with myself	3.44	0.66	19.13	5
٢	I feel that I have a number of good qualities	3.49	0.62	17.88	1
٣	I am able to do things as well as most other people	3.49	0.66	19	4
٤	I take a positive attitude toward myself	3.51	0.66	18.89	3
٥	I feel that I'm a person of worth, at least on an equal plane with others	3.51	0.66	18.72	2
٦	I wish I could have more respect for myself	3.28	0.84	25.52	6
٧	All in all, I am inclined to feel that I am a failure	3.17	0.84	26.37	8
٨	At times I think I am no good at all	3.24	0.85	26.3	7
٩	I feel I do not have much to be proud of	3.02	0.89	29.6	10
١٠	I certainly feel useless at times	3.14	0.89	28.28	9
TOTAL		٣,٣٣	٠,٤٩	١٤,٧٩	--

According to the descriptive statistics in table (6), it can be concluded that:

- The five highest scoring variables are: (1) I feel that I have a number of good qualities, (2) I feel that I'm a person of worth, at least on an equal plane with others, (3) I take a positive attitude toward myself, (4) I am able to do things as well as most other people, and (5) On the whole, I am satisfied with myself, with coefficient of variation (17.88%), (18.72%), (18.89%), (19%), (19.13%) respectively. These results suggest a high level of self esteem-among participants.

- On the other hand, however, the three least scoring variables are: (1) All in all, I am inclined to feel that I am a failure, (2) I certainly feel useless at times, and (3) I feel I do not have much to be proud of, with coefficient of variation (26.37%), (28.28%), (29.6%) respectively. This suggests that most participants scored high on the self-esteem. On the academic advising questionnaire, the lowest scoring despite the need for the academic advisor to be available throughout

the semester in addition to helping students deal with their social and psychological concerns.

- Because the value of the total mean for the Self-esteem scale is (٣,٣٣), and the coefficient of variation is (١٤,٧٩%), we can conclude that these results show positive Self-esteem on the scale.

To answer the research questions, the researchers found the following:

1. What is the reality of academic advising services from the perspective of both males and females among King Abdulaziz University students?

To answer this question, the researchers used one sample t-test to measure the reality of academic counseling services from the perspective of male and female students at King Abdul-Aziz University, based on the significant differences between the sample's mean and population's parameter ($H_0: \mu=2.5$) depending on 4-kikert scale, Which supports the general trend towards positive attitudes for

٤	The academic advisor encourages the student to improve ideas in his/her major	2.43	0.9	37.12	٩
٥	The academic advisor provides students with advice and guidance throughout the whole semester	2.39	0.9	37.57	١٠
٦	The academic advisor explains the relationship between the courses and the details of the department's study plan	2.56	0.87	33.87	٤
٧	The academic advisor attends his/her office during the time specified for academic advising	2.82	0.9	31.91	٣
٨	The student generally feels satisfied about the level of academic advising	2.51	0.9	35.7	٦
٩	The student feels gratitude for the expediency and competent service provided by the academic advisor	2.56	0.92	35.74	٧
١٠	The academic advisor encourages the student to offer at his/her best	2.51	0.88	35.18	٥
١١	The academic advisor makes the student feels comfortable through sympathy and solving his/her psychological and social problems	2.40	0.94	39.04	١١
TOTAL		2.54	0.66	25.95	--

According to the descriptive statistics in table (5), it has been found that:

▪ The five most homogeneous variables are: the academic advisor helps students in registering the hours' load that is suitable for the Student's abilities and according to the University's policies, there are signs and directions in the Department that encourage seeking academic advising, the academic advisor attends his/her office during the time specified for academic advising, the academic advisor explains the relationship between the courses and the details of the department's study plan, and, the academic advisor encourages the student to offer his/her best, with coefficient of variation (30.47%),

(31.56%), (31.91%), (33.87%), (35.18%) respectively.

▪ On the other hand, the four most heterogeneous variables are: the academic advisor follows the student's progress during the semester, the academic advisor encourages the student to improve ideas in his/her major, the academic advisor provides students with advice and guidance throughout the whole semester, and, the academic advisor makes the student feels comfortable through sympathy and solves his/her psychological and social problems, with coefficient of variation (37.05%), (37.12%), (37.57%), (39.04%) respectively.

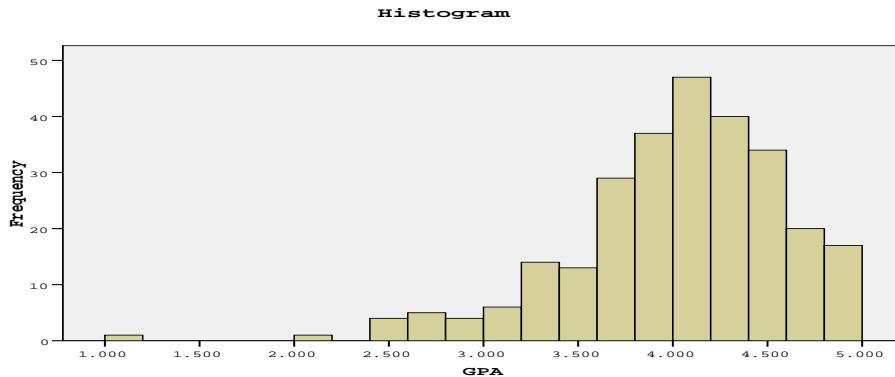


Figure (1): histogram of GPA

Research variables:

1- Respondents' demographic variables:

- Gender.
- Faculty.
- Academic year.
- Grade point average.

2- Dependent Variables:

- Evaluation of the academic advising services.
- Self-esteem scale.

Results and Discussion:

1. With regards to Students' view of academic advising (table 5):

Table (5): Descriptive statistics for the construct of an evaluation of the academic advising services

NO.	statements	MEAN	SD	CV	RANK
١	There are signs and directions in the department that encourage seeking academic advising	2.62	0.83	31.56	٢
٢	The academic advisor helps students in registering the hours' load that is suitable for the Student's abilities and according to the university's policies	2.79	0.85	30.47	١
٣	The academic advisor follows the student's progress during the semester	2.34	0.87	37.05	٨

5	Faculty (students) of Preparatory Year	١٨١	٣٥,١	٢
6	Faculty of Science	٢٢	٤,٣	٣
7	Other Faculties	١١	٢,٢	٦
Total		٥١٥	١٠٠	--

The second Academic year represents (١٧,٩%), and finally the Fourth Academic year represents (٣٥,٧%), while third Academic year represents (١١,٩%) from the total sample (see table 3).

Table (3): Distribution of the Sample Members according to Academic year

No	Academic year	Freq.	%	Rank
1	First year	١٥	١٧,٩	٣
2	second year	٣٠	٣٥,٧	١
3	third year	٢٩	٣٤,٥	٢
4	Fourth year	١٠	١١,٩	٤
Total		٨٤	١٠٠	--

The grade point average of the sample ranged as follows: the grade “Very Good” represents (٥٨,١%), while “Excellent” represents (٢٠,٦%), “Good” represents (١٨,٨%), “Acceptable” represents (٢,٢%) and “Failure” represents (0.4%) from the total sample (see table 4 and histogram 1).

Table (4): sampling distribution Members According to Grade point average

No	GPA	interval	Freq.	%	Rank
1	Failure	1-1.99	١	٠,٤	٥
2	Acceptable	2-2.74	٦	٢,٢	٤
3	Good	2.75-3.74	٥١	١٨,٨	٣
4	Very good	3.75-4.49	١٥٨	٥٨,١	١
5	excellent	4.5-5	٥٦	٢٠,٦	٢
Total		--	272	100	--

well as the statistical techniques used in analyzing the data.

Research Material and Methods:

To achieve the objectives of this research, the researchers used the descriptive approach, which uses both the description and analysis of events and determines the differences and correlations between various variables in addition to the interpretation, analysis and comparison. The researchers used two scales to achieve the objectives of the research as follows: (1) one which was developed by the researchers to measure the sample's perception of, and satisfaction from the academic advising services which KAU students receive, and (2) the Rosenberg' self-esteem scale translated by researchers. The academic advising services measurement scale

included elements for all of the three components of attitude formation which are (a) cognitive, (b) affective, and (c) behavioral (see appendix 1).

The Population and Sample Size:

The study population included all the students of King Abdul Aziz University in Jeddah, at various colleges in the academic year 1437-1438 H, who represented the targeted population for academic advising services to find out the correlation between such services and their level of self esteem. The sample students were selected randomly on the basis of their willingness to participate in the study. The total number of the sample is 519 students with 256 males (49.3 %) and 263 females (50.7 %) (See table 1).

Table (1): Distribution of the Sample Members according to gender

No	Gender	Freq.	%	Rank
1	Male	256	٤٩,٣	2
2	Female	263	٥٠,٧	1
Total		519	100	--

The sample represented various colleges at the KAU as follows: The faculty of Arts and Humanities represents (٥١,٣%), followed by Faculty of Preparatory Year represents (٣٥,١%), while the Faculty of Science

represents (٤,٣%), Faculty of Business Administration represents (٣,١%), Faculty of Engineering represents (2.3%), finally Other Faculties represent (2.2%) from total sample units (see table 2).

Table (2): sampling distribution of respondents according to faculty:

No	faculty type	Freq.	%	Rank
1	Faculty of Computer and Information Technology	٩	١,٧	٧
2	Faculty of Arts and Humanities	٢٦٤	٥١,٣	١
3	Faculty of Engineering	١٢	٢,٣	٥
4	Faculty of Business Administration	١٦	٣,١	٤

self-esteem and attitude towards academic advising.

Daller M. (1997), used qualitative research methods (observation) in her Master's thesis, titled "The Use of Developmental Advising Models by Professional Academic Advisors" to describe and understand the process of academic advising. She recommended that academic advisors understand and be aware of the differences among students as well as of the trends and changes in the students' populations. Furthermore, academic advising should consider the specific needs for each student rather than be provided as one size fits all. Moreover, she recommended the development of existing advising models further to include the rapid changing and new features of both students and careers.

Rationale for the Topic selection:

Since the two areas namely; attitude towards academic advising and level of self esteem among Arab university students are not studied at all except in one study and not studied at all in the Gulf region nor in Saudi Arabia, the researchers felt that such a study is very important and would make great contributions to the fields of both academic advising and students' mental health counseling.

Research Objectives:

Increased understanding of the academic advising process at various colleges at King Abdulaziz University should help in the planning and improving of the educational process as well as the services at the University which can help enhance self-esteem or motivate higher levels of it. The research objective was to improve the levels of both academic advising services and students' self-esteem through the following:

1. Understanding the level of students' satisfaction from academic advising

services at their respective colleges at KAU.

2. Understanding the level of students' self esteem at KAU.
3. Understanding the relationship between the perception of academic advising and self esteem among students at KAU.

Scope and limitations of the Study:

The scope of this study includes students of both sexes at different levels of the undergraduate level at various colleges at KAU. The study aims at exploring both areas of academic advising and self esteem as perceived by KAU students. Such information will shed light on the relationship between the two areas.

This study, however, is not without limitations. One of the limitations is that it does not hold academic advising to a standard or set of standards as a professional practice or guidelines since such tasks are not offered or done by professional academic counselors who received formal education or training as outlined by NACADA or other international academic advising associations or agencies of accreditation or licensing. Another limitation is that it does not examine the causal effect between both of academic advising and self-esteem since one could cause or lead to the other or both could have reciprocal effects on each other. And finally, a third limitation could be the inability to generalize the results of the study on the students of other Saudi universities since the academic processes and services are different from one institution to another in addition to the variations among the students' populations.

Statistical analysis and its results

This section deals with the method, procedures, research methodology, the research population, the sample size and characteristics, and research tool. It also discusses the psychometric characteristics as

within two academic semesters or less. They considered these results to be very satisfactory since the academic rules allow students three regular semesters (i.e. not including the summer) to leave the academic supervision condition.

Magd, H. & Ghafri, A. (2014), In their study titled "Student Engagement and Academic Advisement Model: An Initial Journey of Excellence at the University of Buraimi", described the University's approach that was adopted in implementing the student engagement and academic advisement center model in support of the student learning process journey. It also summarized the challenges that were faced during the initial implementation phase.

Joseph, S. (2014), in his study titled: "An intelligent software model for an effective academic advising in blended learning environment", he presents a model that consists of six modules. These modules are: (1) course plan, (2) communication, (3) graduate planning, (4) probation, (5) personal and (6) advising. The researcher described such model as intelligent and as having the following components: database, rule based knowledge base, inference engine and user interface. The sixth module which is advising integrates the results of all other modules and make a summary. In each module, the system will check the rules and suggest the possibility of advising.

Bany Yunus, J., Al Rayami, A. & Drosh, S. (2014). In their study titled "Academic Advising in the Establishments of Higher Education in the Sultanate of Oman: Studying the Case of the Faculties of Applied Sciences. The study describes the academic advising process including the main steps and measures taken in Ibri College during the academic year. It uses a students' survey to outline the most serious problems which students point out either individually or collectively. The paper

offers recommendations to overcome the challenges of academic advising.

Addousary, S. (2014): The Experience of Academic Advising in the Arab Open University, the branch of Kuwait in Light of Some International Experiences. This paper describes the procedures of academic advising in the Kuwait's branch of the Arab Open University as well as the procedures of academic advising in what the researchers label as "internationally leading universities in the process of academic advising and guidance" (p.7) which are: The Smart University of Hamdan bin Muhammad, The Princess Nourah Bint Abdulrahman's University and the University of Malaya, Malaysia. The researcher provides suggestions and recommendations to improve the academic advising process in the Arab Open University particularly in its Kuwait's branch. The researcher, however, does not mention the criteria used to designate leadership in academic advising to these universities and according to which report or index.

Aich, S. & 'Ashwy, M. (2014): Attitudes of Students towards Academic Advising and its Correlation to Self-Esteem. The study measured the attitudes towards academic advising as well as the levels of self-esteem and the differences between the two samples in two universities; namely Al-Shalf University in the western region of Algeria and the Arab Open University, the Kuwait's branch. The study showed that students from both universities have positive attitude towards academic advising although to a lesser degree in the Algerian university. They explained this difference by the absence of academic advising and the lack of clarity on the meaning of academic advising at the Algerian university unlike the Arab Open University which has a clear process of academic advising with clear and specific objectives that are communicated to students. The study also showed the presence of a correlation between

Review of Literature:

Ashwy M. & Addawwy, (2014) studied the attitudes of the Arab Open University students towards academic advising and used the results to introduce recommendations for improving the University's academic advising services. They used A. Fattah's scale (1995) which he used to examine the attitudes of a sample from the UAE students towards academic advising and its correlation with their studying adjustment. Ashwy and Addawwy added to the Scale some open ended questions to develop some qualitative understanding of the students' needs. They conducted the study among a sample of 450 male and female students of the University's branch in Kuwait where the total number of the students was about 8000 students. The areas which they examined were: the philosophy of academic advising, the importance and effectiveness of academic advising, the role of academic advising in overcoming obstacles, and the relationship between the student and the academic advisor. In the qualitative section, they were seeking students' recommendations and suggestions. The results showed positive attitudes towards all the areas of examination, and that there were no differences between students on the basis of the students' sex, educational program or the year of study.

In the Researchers' opinion, this study was limited in two ways. These are: (1) the sample of the study is very small compared to the total number of the student population in the same branch let alone the student population of the same University across the Arab world, and (2) the scale which was used was first used in 1995 with a sample of the UAE students where academic advising in the Arab world may have been a novelty at the time, in addition to the revolutionary advancement in technology that is not accounted for in the Scale.

Abbas, M. (2014) provided an overview of three academic advising models. These models

are: (1) the developmental, (2) the intrusive advising model, and (3) the traditional or prescriptive model. In the conclusion, the researcher did not recommend any one particular model. Rather, he suggested that researchers use observation and reflection rather than relying on surveying students alone.

Kumar, G. et al. (2014) described the actual advising practices at Abu Dhabi University over the previous three years. Among the challenges which the researchers pointed out was the "lack of professional training, workshops, or discussion forums to share academic advising ideas in the Gulf region" (p.8).

Al Humaid, N. (2014), described the experience of the Arab Open University in Saudi Arabia with regard to current status, obstacles, recommendations and resolutions. In her research/working paper, she linked academic advising to students' counseling.

Baloul, F. & Al'amayrah, A. (2014), described the experience of the College of Applied Sciences in Sahhar, Oman, with regards to the effects of academic advising mechanisms being used on the treatment of "academically tripping cases i.e. students who are having hard time catching up" (as translated by Kobeisy). They designed and used two Key Performance Indicators (KPIs) where the first was for the level of commitment among the academic advisors in applying the instrument, while the second was for the level of effectiveness and influence of the instrument in treating the academic failure cases. The study was conducted on 147 students; males and females. Of the sample, 44.8 % of student under study were placed under academic supervision for failure to perform satisfactorily. Those students showed improvement in their academic performance and in their GPA, and consequently were taken out of the academic supervision restriction

Introduction

Both academic advising and self esteem are recognized as essential elements for personal development as well as for institutional success for all of those who are involved in the educational process. As for academic advising, because it is considered an integral part of the academic and developmental process, it has become a recognized profession with required qualifications and specific duties that requires formal studies and degrees starting with the Master's degree. Furthermore, Professional associations are being established such as the National Academic Advising Association (NACADA) in the U.S. which provides professional membership, provides support to its members and publishes a refereed professional Journal biannually. NACADA describes its mission as "NACADA promotes student success by advancing the field of academic advising globally. We provide opportunities for professional development, networking, and leadership for our diverse membership"

(<http://www.nacada.ksu.edu/About-Us/Vision-and-Mission.aspx> accessed on 19 April 2018).

As another example, the University of Liverpool in the United Kingdom describes the role of the Academic Advisor "as a fundamental component of the relationship between academic teaching staff and students. It is an important contributor to a positive student experience"

(<https://www.liverpool.ac.uk/eddev/supporting-students/academic-advising/> accessed on 19 April 2018). In the Arab world, the profession lacks specific study programs, professional classification and role articulation. In Arab universities, the practice of academic advising remains in its initial stages.

Statement of the Problem:

In spite of the importance of both the self esteem for the individual's wellbeing including academic achievement, and academic advising which is very important for the individual as well as the educational process, they remain in most Arab universities understudied as individual concepts. Furthermore, the relationship between the two remains almost unknown. This research will cover both aspects; It will examine the students' self esteem, their interest in academic advising and the relationship between the two. In this study, we try to understand just the relationship between these two issues without claiming that either one is the cause or the result of the other. Nor we can assert that the absence of one is indicative of the absence of the other.

The problem of the research has been formulated in the following questions:

1. What is the level of self esteem among King Abdulaziz University students?
2. What is the attitude of King Abdulaziz University students towards academic advising which is offered in their respective colleges and departments?
3. What is the relationship between the level of self esteem and the attitude towards academic advising among King Abdulaziz University students?

Importance of the Study:

The results of this study can help universities and academic institutions of higher education in improving their students' self esteem while promoting quality academic advising and the benefits that come with it including, but not limited to, good mental health of students, student retention and achievements and overall societal improvements.

The Correlation between the Attitude towards Academic Advising and Self Esteem among King Abdulaziz University Students

Dr. Ahmed Nezar M. Kobeisy¹

Dr. Mohammed Said Al Ghamdi²

Dr. Essam Abd Elatef Elakad³

Abstract. This study aimed at finding the relationship between the attitude toward academic advising and self esteem among King Abdulaziz University students. In order to achieve this goal, the research team used a combination of two scales; one scale which they developed to measure the KAU students' perception of academic advising services at their respective colleges, and the other is the Rosenberg's Self Esteem scale. The research team believes that students' perception of academic advising services could indicate their attitude towards such services. Both instruments were applied to a randomly selected sample totaling N=519 students (N=256 Males & N= 364 Females) who represented several faculties, varying GPAs and academic levels. Results indicated that students showed positively high on both areas; the Self-Esteem and the attitude toward academic advising services. The results also revealed that there are significant effects of gender and faculty type on the attitude towards academic advising while the GPA did not. The results also revealed that there are significant positive linear relationships among the constructs of the academic advising services and the Self-Esteem Scale. At the end of the report, the researchers provide the conclusion for the study and present recommendations for both research and practice in order to enhance the effectiveness of the academic advising services and self esteem among university students in Saudi Arabia in particular, in the Gulf region and in the Arab world in general.

Key words: Attitude – Academic Advising – Self-Esteem.

¹ The Center for Social and Humanities Research, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

² The Center for Social and Humanities Research, Dept. of Sociology and Social Work, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

³ Department of Psychology, Sohag University.

Contents

English Section

	<i>Page</i>
• Quran Style in the Wisdom of Human Mind (English Abstract)	
Ali bin Mohammed bin Ibrahim Shihab	31
• The Effect of Wife's Adultery on Marital Life Comparative Fiqh Study(English Abstract)	
Fatimah Bint Owaid Aljalsi Alharbi	67
• Disparity of Views Concerning (<i>Al-Badie</i>) book by Ibn Al-Moa'taz A Study of Contemporary Researchers' Opinions (English Abstract)	
Abdulla Abdorahman Banqeeb	96
• The treatise entitled "Al-ashbaah beraf AL-Eshtebah fii 'elal al-nuhah" (The similarities in removing ambiguity in grammarians' causes) Muhammad bin Esaa bin Kenan Al-Khalwaty (d. 1153 A. H.) (English Abstract)	
Ahmad Bin Nazzal Alshammari	129
• Image of the Woman in the Panegyrics of Ibn Ḥamdīs (English Abstract)	
Anwar Yaqub	176
Pointing out some issues related to Surat Algalam(English Abstract)	
Sarah Nijer Alotaibi.....	209
• The Impact of Religious Motivation in the Emergence of Arabic Rhetoric A Reading in the Era of Composition to Independent Authorship(English Abstract)	
Wael Omar Alomari	227
• Problems facing college student married in Saudi society(English Abstract)	
Khalil Abdul maqsood Abdul Hamid- Najla Fahad Mohamed Al Shibani.....	253
• Academic engagement and its relation with psychological values in a sample of university students in the light of some demographic variables(English Abstract)	
Shrooq Gharmallah Alzahrani.....	273
• The Correlation between the Attitude towards Academic Advising and Self Esteem among King Abdulaziz University Students	
Ahmed Nezar M. Kobeisy , Mohammed Said Al Ghamdi, Essam Abd Elatef Elakad.....	275

■ Editorial Board ■

Prof. Dr. Ahmed Mohamed Azab aazab@kau.edu.sa	Editor in Chief
Prof. Dr. Mohamed Jafar Arif Marif@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Abdul Rahman Raja Allah Alsulami aralsulami@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Mohamed Salih Alghamdi msalghamdi1@kau.edu.sa	Member
Prof . Dr. Amal Yahya Alshaikh Ayalshaikh@kau.edu.sa	Member
Prof . Samia Abdallah Bukhari sbukare@kau.edu.sa	Member
Prof . Zakaria Ahmed El-sherbeny zalsherpeny@kau.edu.sa	Member
Prof . Nuha Suliman Alshurafa nalshurafa@kau.edu.sa	Member
Dr . Zainy Talal Alhazmi Zalhazmi@kau.edu.sa	Member
Dr . Suliman Mustafa Aydinn slaydinn@kau.edu.sa	Member



Journal of KING ABDULAZIZ UNIVERSITY Arts and Humanities

**Volume 27 Number 1
2019 A.D.**

**Scientific Publishing Center
King Abdulaziz University
P.O. Box 80200, Jeddah 21589
Saudi Arabia
<http://spc.kau.edu.sa>**



IN THE NAME OF ALLAH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING